

بِمَحْفِظٍ وَشَرَعَ
عبد الله محمد

مكتبة الحافظ
أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ
٢٥٥ - ١٥٠

الكتاب الثاني

البيئات النبوية

الجزء الثالث

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

صف هذا الكتاب بطريقة الجمع التصوري

مكتبة الخالجي

للطباعة والنشر والترنح

ص . ب ١٣٧٥ القاهرة

الطبعة السابعة

١٤١٨ هـ = ١٩٩٨ م

الْبَيِّنَاتُ وَالنَّبِيَّاتُ

تأليف

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

الجزء الثالث

بمختصره

عبد السلام محمد هارون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كتاب العصا (١)

هذا أبقاك الله الجزء الثالث ، من القول في البيان والتبيين (٢) ،
وما شابة (٣) ذلك من غُررِ الأحاديث ، وشاكلة من عُيونِ الحُطْب ، ومن الْفَقْرِ
المستحسنَة ، والتُّنْفِ المستخرجة ، والمُقْطَعَاتِ المتخيرة ، وبعض ما يجوز في ذلك
من أشعار المذاكرة ، والجواباتِ المنتخبة .

ونبدأ على اسم الله بذكر مذهب الشعوية (٤) ومن يتحلَّى باسم التَّسْوِيَةِ (٥)

(١) ما عدل : « هذا كتاب العصا » . وبعد العنوان : « الحمد لله ولا قوة إلا بالله وصلى الله تعالى على

محمد خاصة وعلى أنبيائه عامة » .

(٢) ل ، هـ : « والتبيين » .

(٣) ل ، هـ : « وما شاب » .

(٤) الشعوية : نسبة غير قياسية إلى « الشعوب » ، وهم فريق من الناس لا يرون للعرب فضلاً على غيرهم ، بل يبالغون في ذلك فيذهبون إلى تنقصهم والخط من قدرهم ، حتى ألفوا في ذلك الكتب . وسموا بذلك لانتصارهم للشعوب ، التي هي مغايرة للقبائل ؛ فقد قال جمع من المفسرين في قوله تعالى : (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل) : إن القبائل العرب ، والشعوب العجم . ويقولون : إن زياد بن أبيه حين استلحقه معاوية بأبيه وخشي ألا تقر العرب له بذلك ، صنع كتاب « المثالب » وعدد نقائص العرب . كما أن النضر بن شميل الحميري وخالد ابن سلمة المخزومي وضعوا كتاباً في مثالب العرب ومناقبها ، بأمر هشام بن عبد الملك . وكان الهيثم بن عدى دعياً في نسبه ، فصنع كتاباً طعن فيه على أشرف العرب . وأما أبو عبيدة ، وقد كان أبوه يهودياً وكان يعير بذلك ، فصنع كتاباً في مثالب العرب امتاز بالسعة والاستقصاء . وجاء من بعدهم علان بن الحسن الشعوي الوراق الرندي ، فألف لطاهر ابن الحسين كتاباً في مثالب العرب ، بدأه بمثالب بنى هاشم ثم بطون قريش ثم سائر العرب ، ولم يعبأ في ذلك بالخروج عن أدب الدين ، وقد أجازه طاهر عليه ثلاثين ألف درهم . وصنع ابن غرسية رسالة في تفضيل العجم على العرب . وقد رد عليه علماء الأندلس بعدة رسائل . انظر نواذر المخطوطات ١ : ٢٢٩ - ٣٣٠ ، وشرح البكري لأمالى القالى ص ٨٠٨ والخزانة (٢ : ٥١٩) وبلوغ الأرب (١ : ١٥٩ - ١٨٤) . وقد أورد الأخير نموذجاً لرد ابن قتيبة على الشعوية . ولابن الكلبي كتاب في المثالب ، منه نسخة عتيقة بدار الكتب المصرية .

٢٥

(٥) أى التسوية بين العرب والعجم . ويتحلَّى ، أى يتصف .

- ومطاعينهم على خطباء العرب : بأخذ المِخَصَّرَةِ عند مناقلة الكلام (١) ،
ومساجلة الخصوم بالموزون والمُقَفَّى ، والمنثور الذى لم يُقَفَّ ، وبالأرجاز عند
المنع (٢) ، وعند مُجاثاة الخصم (٣) ، وساعة المشاورة (٤) ، وفى نفس المجادلة
والمحاورة . وكذلك الأسجاعُ عند المنافرة والمفاخرة (٥) ، واستعمال المنثور فى
خطب الحمالة (٦) ، وفى مقامات الصُّلح وسَلِّ السخيمة (٧) ، والقولُ عند
المعاقبة والمعاودة (٨) ، وترك اللفظ يجرى على سجيته وعلى سلامته ، حتى يخرج
على غير صنعة ولا اجتلاب تأليف (٩) ، ولا التماس قافية ، ولا تكليف لوزن . مع
الذى عابوا من الإشارة بالعصى ، والاتكاء على أطراف القسي ، وخذ وجه الأرض
بها ، واعتمادها عليها إذا استخفرت فى كلامها (١٠) ، وافتتت يومَ الحفل فى
مذاهبها ، ولزومهم العمام فى أيام الجُموع ، وأخذ المخاصر فى كلِّ حال ، ٨٩
وجلوسها فى خطب التكاك ، وقيامها فى خطب الصُّلح وكلِّ ما دخل فى

(١) المخرصة : ما اختصر الإنسان بيده فأمسكه ، من عصا أو قرعة أو عكازة أو قضيب ، أو ما
أشبه ذلك . والمناقلة : مراجعة الكلام فى صخب .

(٢) المنع : الاستقاء من أعلى البحر . والميح : الاستقاء من أسفلها .

(٣) المجاثاة : الجلوس على الركبتين للخصومة . ١٥

(٤) المشاورة : أن يتناول بعضهم بعضا عند القتال بالرماح .

(٥) المنافرة : المفاخرة بكثرة عدد القوم وعزتهم . والمفاخرة أعم .

(٦) الحمالة ، كسحابة : الدية يحملها قوم عن قوم .

(٧) سل السخيمة : انتزاعها . والسخائم : الأحقاد والأضغان .

(٨) المعاودة : المعاودة والميثاق ، بذلك فسر ابن عباس قوله تعالى : (والذين عاهدت أيمانكم) . ٢٠

وهذه قراءة جمهور القراء فى الآية ٣٣ من سورة النساء . وقرأها بغير ألف عاصم وحمره والكسائى ، وكذا
خلف ، ووافقهم الأعمش . إتحاف فضلاء البشر . ما عدل : « والمعاقرة » بالراء ، ومعناها التفاجر بعقر
الإبل ، يتبارى الرجلان ليرى أيهما أعقر لها ، وأسلوب الجاحظ فى المزوجة بأباها .

(٩) ما عدل : « اختلاف تأليف » ، محرف .

(١٠) استخفر الرجل فى منطقته : مضى فيه ولم يتمكث . ٢٥

باب الحَمالة ، وأكّد شأن المحالفة ، وحقق حُرمة المجاورة ، وخطبهم على رواحلهم ٩١
 في المواسم العظام ، والجامع الكبار . والتماسُج بالأكف^(١) ، والتحالّف على
 النار ، والتعاقد على الملح^(٢) ، وأخذ العهد المؤكّد واليمين الغموس^(٣) مثل
 قولهم : ما سرى نجم وهبت ريح ، وبلّ بحر صوفة^(٤) ، وخالفت جيرة ديرة^(٥) .
 ولذلك قال الحارث بن حلزة اليشكري :

واذكروا حلف ذى المجاز وما قد دَمَ فيه : العهد والكفلاء^(٦)
 حذر الحون والتعدى وهل تُد قصُ ما فى المهارق الأهواء^(٧)
 الحون : الخيانة . ويروى : « الجور » .

وقال أوس بن حجر :

١٠ إذا استقبلته الشمسُ صَدَّ بوجهه كما صَدَّ عن نار المَهوّل حَالِف^(٨)

(١) فى أساس البلاغة : « وما سحته : صافحته . والتقوا فتماسحوا : فتصافحوا . وتماسحوا على كذا :
 تصافقوا وتخالقوا » .

(٢) فى الحيوان (٤ : ٤٧٢) : « والملح شيان : أحدهما المرقّة ، والأخرى اللبن » وفى القاموس أن
 « الملح » الحرمة . وفى اللسان عن ابن الأنبارى ، والحزانة (٤ : ١٦٤) عن المفضل بن سلمة ، أن
 « الملح » : البركة . أما النجوى فى أيمان العرب ٣١ فيفسر الملح بشيئين : أحدهما ملح الإدام التى يتملح
 بها ، والآخر اللبن .

(٣) اليمين الغموس : التى لا استثناء فيها . وفى اللسان (غمس) : « وكان عادتهم أن يحضروا فى جفنة
 طيبا ، أو دما ، أو رمادا ، فيدخلون فيه أيديهم عند التحالف ، ليتم عقدهم عليه باشتراكهم فى شيء واحد » .
 (٤) فى اللسان (صوف) : « وصوف البحر : شيء على شكل هذا الصوف الحيوانى ، واحدته
 صوفة . ومن الأبديات قولهم : لا آتيك ما بل بحر صوفة » . وانظر الحيوان (٤ : ٤٧٠) .
 (٥) الحجرة ، بالكسر : ما يجتره الحيوان من جوفه . والدرة ، بالكسر : كثرة اللبن وسيلانه .
 واختلافهما أن الدرة تسفل والحجرة تعلو .

(٦) البيتان من معلقته . ذو المجاز : موضع ، كان عمرو بن هند أصلح فيه بين بنى بكر وتغلب ،
 فأخذ عليهم المواثيق والرهائن ، من كل حى ثمانين .

(٧) المهارق : جمع مهرق ، بضم الميم وفتح الراء ، وهو الصحيفة البيضاء يكتب فيها ، فارسى معرب .
 (٨) ديوان أوس ١٦ وأيمان العرب ٣١ . والمهول : الذى كان يتولى تحليف القوم . وكانوا إذا أرادوا أن
 يتحلفوا الرجل أوقدوا نارا وألقوا فيها ملحاً من حيث لا يشعر الخالف ، فيتفقع الملح ، يهلون عليه بذلك .

وقال الكُمَيْت :

كَهَوْلَةٍ مَا أَوْقَدَ الْمُحْلِفُونَ لَدَى الْحَالِفِينَ وَمَا هَوَّلُوا (١)

وقال الأول (٢) :

حَلَفْتُ بِالْمِلْحِ وَالرَّمَادِ وَبِالنَّارِ وَبِاللَّهِ نَسِلُمُ الْحَلَقَةِ (٣)

حَتَّى يَظْلُ الْجَوَادُ مَنَعِفَرًا وَيَخْضِبَ النَّبْلُ غُرَّةَ الدَّرَقَةِ (٤)

وقال الأول :

حَلَفْتُ لَهُم بِالْمِلْحِ وَالْجَمْعِ شَهْدًا وَبِالنَّارِ وَاللَّاتِ الَّتِي أَعْظُمُ

وقال الحُطَيْيئة في إضجاع القسي :

أَمْ مِنْ لِحْصِمٍ مُضْجَعِينَ قَسِيهِمْ صَعِرَ تُخْدُودُهُمْ عِظَامِ الْمَفْخَرِ (٥)

وقال لبيد في تَحْدُّ وَجْهِ الْأَرْضِ بِالْعَصَى وَالْقَسِي :

نَشِيْنُ صِحَاخِ الْبَيْدِ كُلِّ عَشِيَّةٍ بَعُوجِ السَّرَاءِ عِنْدَ بَابِ مُحَجَّبٍ (٦)

ومثله :

إِذَا اقْتَسَمَ النَّاسُ فَضْلَ الْفَخَارِ أَطْلَنَّا عَلَى الْأَرْضِ مِيلَ الْعَصَا (٧)

(١) الهولة ، بالضم : ما يهولك . وفي الحيوان (٤ : ٤٧١) : « ويهولون على من يخاف عليه الغدر بحقوقها ومنافعها ، والتخويف من حرمان منفعتها » . وأنشد البيت . وانظر الخزانة (٣ : ٢١٤) وأيمان العرب للنجيري ٣١ حيث تجد تفصيلا .

(٢) البيت أنشداهما في اللسان (حلق) شاهداً على فتح لام « الحلقة » .

(٣) الحلقة : حلقة القوم ، جماعتهم . وفي حواشي هـ : « يعني السلاح » .

(٤) انعفر : ظل ملقى في العفر مترباً . والنبل : السهام . والدركة : واحدة الدرق ، وهو ضرب من

الترسة يتخذ من الجلود . وغرة كل شيء : أوله ووجهه . وفي اللسان : « غرة الدركة » . هـ : « وتخضب » .

(٥) البيت في ديوانه ٦٢ من قصيدة له يرقى بها علقمة بن هوذة . وفي الديوان : « ميل خدودهم » .

قال السكري : « وذلك أن القوم إذا جلسوا يتفاحرون خطوا بأظفار قسيهم في الأرض ، يقولون : لنا يوم كذا ،

يعدون أيامهم ومآثرهم » . وظفر القوس : ما بين معقد وترها إلى طرفها . وقد سبق البيت في (١ : ٣٧١) .

(٦) سبق الكلام على البيت وتخرجه في (١ : ٣٧١) .

(٧) سبق أيضاً في (١ : ٣٧٢) .

ومثله :

حَكَمْتُ لَنَا فِي الْأَرْضِ يَوْمَ مُحَرِّقٍ أَيَأْمُنَا فِي النَّاسِ حُكْمًا فَيَصِلَا ^(١)
 وقال لبيد بن ربيعة في ذكر القسي :
 مَا إِنَّ أَهَابُ إِذَا السُّرَادِقِ غَمَّهُ قَرَعُ الْقِسِيِّ وَأَزْعِشَ الرُّغْدِيدُ ^(٢)
 وقال كثير في الإسلام :

إِذَا فَرَعُوا الْمَنَابِرَ ثُمَّ تَخَطُّوا بِأَطْرَافِ الْمَخَاصِرِ كَالْغَضَابِ ^(٣)
 وقال أبو عبيدة : سأل معاوية شيخاً من بقايا العرب : أى العرب رأيته
 أَضْحَمَ شَأْنًا ؟ قال : حِصْنُ بْنُ حُذَيْفَةَ ^(٤) ، رأيته متوكئاً على قوسه يَقْسِمُ فِي
 الْحَلِيفِينَ أَسَدٍ وَغَطَّافَانَ .

وقال لبيد بن ربيعة في الإشارة :
 غُلِبَ تَشْدُرُ بِالذُّحُولِ كَأَنَّهَا جِنُّ الْبِدَى رَوَاسِيَا أَقْدَامُهَا ^(٥)
 وقال معن بن أوس المزيّني ^(٦) :
 أَلَا مَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي رَسُولًا عُبَيْدَ اللَّهِ إِذْ عَجَلَ الرِّسَالَا ^(٧)
 تُعَاقِلُ دُونَنَا أَبْنَاءَ نُورٍ وَنَحْنُ الْأَكْثَرُونَ حَصَى وَمَالَا ^(٨)

- ١٥ . (١) في (١ : ٣٧٣) : « كُتِبَتْ لَنَا ... يَوْمًا فَيَصِلَا » .
 (٢) مضى الكلام عليه في (١ : ٣٧٢) .
 (٣) سبق تفسير المحصورة في ص ٦-٦ فرعوا المناير : علّوها .
 (٤) هو حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري ، كان قائد ذبيان يوم شعب جبلة . وهو والد عينة بن
 حصن . وللنابغة الذبياني مريّة في حصن بن حذيفة فيها :
 يقولون حصن ثم تأتى نفوسهم وكيف بحصن والجبال جنوح
 البيت من معلقته . وهو في صفة رجال الحرب . وقبله :
 وكثيرة غراؤها مجهولة ترجى نوافلها ويخشى ذامها
 الغلب : الغلاظ الأعناق ، جمع أغلب . والتشدر : رفع اليد ووضعها . والذحول : جمع ذحل ، وهو الحقد
 والثأر . والبدى : البادية ، أو هو موضع . وانظر ماسبق في (١ : ٣٧١) .
 (٦) سبق ترجمته في (١ : ٣٧٢) حيث سبقت الأبيات وتفسيرها . وهى في ديوان معن بن أوس برواية
 القالى ص ٢٥ ليسك ١٩٠٣ .

(٧) وذكر القالى أن « عبيد الله » رجل من قومه . أما الرسالة فأراها مصدراً مثل المراسلة .

(٨) ضبط في هـ والديوان : « تعاقل دوننا أبناء » .

إذا اجتمع القبائلُ جُمْتُ ردفا وراءَ الماسحينَ لك السبَّالاً (١)
فلا تُعطى عصا الخطباء يوماً وقد تُكفى المقاداة والمقالاً (٢)

فذكر عصا الخطباء كما ترى . وقال آخرُ في حمل القناة :

إلى امرئٍ لا تُخطاه الرفاق ، ولا جَذِبُ الخِوانِ إذا ما استُشِيءَ المرقُ (٣)
صَلْبُ الحيازيم لا هَذَرُ الكلام إذا هَزَّ القناة ولا مُسْتَعِجِلُ رَعِيقُ (٤)

وقال جرير بن الحطفي في حمل القناة :

مَن للقناة إذا ماعى قائلها أو للأعنة ياعمرو بنَ عَمَّارٍ (٥)

قالوا : وهذا مثل قول أبي المجيب الرِّبَعِي (٦) ، حيث يقول : « لا تزال (٧)
تحفظ أخاك حتَّى يأخذَ القناة ، فعند ذلك يَفْضَحُك أو يمدحُك » . يقول : إذا
قام يخطب فقد قام المَقَامُ الذى لا بد من أن يخرج منه مذموماً أو محموداً .

وقال عبد الله بن رؤية (٨) : سأل رجلٌ رؤيةً عن أخطب بنى تميم ، فقال :
خداش بن لبيد بن يبيبة بن خالد (٩) ، يعنى البعيثُ الشاعر . وإنما قيل له
البَعيثُ لقوله :

(١) في جميع النسخ : « أمام الماسحين » صوابه من الديوان وما سبق .

(٢) في الديوان : « عصا الخطباء فيهم » ، وقد سبقت هذه الرواية . القائل : « عصا الخطباء ، يعنى
المختصرة ، أى لا يسمعون لك قولاً ولا يقدمونك فى أمر » .

(٣) سبق البيتان فى (١ : ٣٧٣) .

(٤) الزعق : النشيط الذى يفرع من كل شئ . ما عدل : « زهق » . وقد مضت هذه الرواية .

(٥) سبق البيت وتخرجه فى (١ : ٢٧٣) . وأشير فى حواشى ل إلى رواية : « إذا ما عى حاملها » .
و « عمرو بن عمار » تحريف ، إذ أن الشعر فى رثاء عقبة بن عمار ، كما أسلفت فى التحقيق . والرواية
الصحيحة الثابتة فى ديوان جرير ٢٣٧ :

أَم للقناة إذا ما عى قائلها أم للأعنة بما عقب بن عمار

(٦) مضت ترجمته فى (١ : ١٧٣) حيث سبق الخبر .

(٧) ل : « ما تزال » .

(٨) المعروف أن « عبد الله بن رؤية » هو اسم « العجاج » والد رؤية . أما رؤية فلم يعرف له ولد

يدعى « عبد الله » .

(٩) فى المؤتلف ٥٦ : « خداش بن بشر بن خالد بن يبيبة » .

- تَبَعْتُ مِنِّي مَا تَبَعْتُ بَعْدَ مَا أَمَرْتُ حِبَالِي كُلَّ مَرَّتِهَا شَرْزًا ^(١)
- قال أبو اليقظان ^(٢) : كانوا يقولون : أخطب بنى تميم البغيث إذا أخذ القناة فهزها ثم اعتمد بها على الأرض ، ثم رفعها .
- وقال يونس : لعمري لئن كان مُغَلَّباً في الشعر لقد كان غُلَّب في الحُطْب . وإذا قالوا غُلَّب فهو الغالب ، وإذا قالوا مغلَّب فهو المغلوب ^(٣) .
- وفي حديث النبي ﷺ أنه جاء إلى البقيع ^(٤) ، ومعه مِخْصَرَةٌ ، فجلس ونكَّت بها الأرض ، ثم رفع رأسه فقال : « ما مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مكانها مِنَ الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ » ^(٥) . وهو من حديث أبي عبد الرحمن السُّلَمِيِّ ^(٦) .
- ومِمَّا يَدُلُّكَ عَلَى اسْتِحْسَانِهِمْ شَأْنَ الْمِخْصَرَةِ حَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُنَيْسٍ ذِي الْمِخْصَرَةِ ^(٧) ، وهو صاحب ليلة الجهنى ^(٨) . وكان النبي عليه السلام

- (١) سبق في (١ : ٣٧٤) .
- (٢) هو سحيم بن حفص ، وقد سبق الكلام بإيجاز في (١ : ٣٧٤) .
- (٣) انظر ما مضى في (٢ : ٣١٢) .
- (٤) هو بقيع الغرقد . وأصل البقيع في اللغة : الموضع الذي فيه أروم الشجر من ضروب شتى . والغرقد : كبار العوسج . وهذا البقيع بداخل المدينة ، وهو مقبرتها .
- (٥) منفوسة ، أى مولودة ، يقال نفست أمه به ، أى ولدته ، فهى نفساء .
- (٦) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب بن ربيعة (بالتصغير) السلمى الكوفى القارىء . كان لأبيه صحبة ، وكان هو ثقة يكثر الحديث ، قرأ القرآن في المسجد أربعين سنة ، وشهد مع على صفين ، ثم صار عثمانياً ، توفى سنة ٧٢ وهو ابن تسعين سنة . تهذيب التهذيب وصفه الصفوة (٣ : ٣٠) ونكت الهيمان ١٧٨ .
- (٧) هو عبد الله بن أنيس (بالتصغير) الجهنى المدنى ، حليف بنى سلمة من الأنصار ، شهد العقبة وما بعدها ، ودخل مصر وخرج إلى إفريقية . وتوفى بالشام سنة ٥٤ . الإصابة ٤٥٤١ وتهذيب التهذيب والمعارف ١٢١ .
- (٨) قال ابن قتيبة في ترجمته في المعارف ١٢١ : « وهو الذى يقال فيه ليلة الأعرافى وليلة الجهنى . وكان رسول الله ﷺ أمره أن ينزل من باديته إلى مسجده فيصلّى فيه ليلة ثلاث وعشرين ، فكان يدخل المسجد مساء ليلة ثلاث وعشرين إذا صلى العصر ، ثم لا يخرج عنه إلا الحاجة حتى يصلى الصبح ثم يخرج إلى أهله ، فقليل : ليلة الجهنى . وهو الذى روى عن رسول الله ﷺ في ليلة القدر أنه قال : تمسوها الليلة . وكانت ليلة ثلاث وعشرين » .

أعطاه مِخْصَرَةً وقال : « ثَلَقَانِي بِهَا فِي الْجَنَّةِ ^(١) » . وهو مهاجِرٌ عَقَبِيٌّ
أنصارِيٌّ ، وهو ذو المِخْصَرَةِ فِي الْجَنَّةِ .

* * *

قالت الشَّعْوَبيَّةُ وَمَنْ يَتَعَصَّبُ لِلْعَجمِيَّةِ . القُضيبُ للإِيقاع ^(٢) ، والقَنَاةُ
لِلْبَقَارِ ^(٣) ، والعَصَا لِلْقِتَالِ ، والقَوْسُ لِلرَّمْيِ . وليس بين الكلام وبين العصا سَبَبٌ ،
ولا بَيْنَهُ وبين القَوْسِ نَسَبٌ ، وهما إلى أَنْ يَشْغُلَا الْعَقْلَ وَيَصْرِفَا الْخَوَاطِرَ ، ويعترضَا على
الدَّهْنِ أَشْبَهُ ؛ وليس فِي حَمْلِهِمَا ما يَشْحَذُ الدَّهْنَ ، ولا فِي الإِشارةِ بهما ما يَجْلِبُ
اللَّفْظَ . وقد زعم أصحابُ الْغِنَاءِ أَنَّ الْمَغْنَى إِذَا ضُرِبَ عَلَى غِنَائِهِ ، قَصُرَ عَنِ الْمَغْنَى
الَّذِي لَا يُضْرَبُ عَلَى غِنَائِهِ . وَحَمَلَ الْعَصَا بِأَخْلَاقِ الْفَدَّادِينَ ^(٤) أَشْبَهُ ، وهو بِجَفَاءِ
العَرَبِ ^(٥) وَعُنْجُهيَّةِ أَهْلِ الْبَدْوِ ، وَمِزَاجَةِ إِقامةِ الْإِبِلِ عَلَى الطَّرِيقِ ^(٦) أَشْكَلُ ، وبه أَشْبَهُ .
قالوا : والخطابةُ شَيْءٌ فِي جَمِيعِ الْأُمَمِ ، وَبِكُلِّ الْأَجْيَالِ إِلَيْهِ أَعْظَمُ الْحَاجَةِ ^(٧) ،
حَتَّى إِنْ الرُّنْجُ مَعَ الْعَنَابَةِ ^(٨) ، وَمَعَ فِرطِ الْعَبَاوَةِ ، وَمَعَ كِلَالِ الْحَدِّ وَغِلَظِ الْحَسِّ

(١) تفصيل ذلك ، أَنَّ الرِّسُولَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، كَانَ أَرْسَلَهُ إِلَى خَالِدِ بْنِ سَفْيَانَ الْهَذَلِيَّ
لِيَقْتُلَهُ ، فَلَمَّا قَتَلَهُ وَقَدَّمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ أَدْخَلَهُ بَيْتَهُ وَأَعْطَاهُ عَصَاً وَقَالَ : « أَمْسِكْ هَذِهِ الْعَصَا عِنْدَكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ
بِئْنَيسَ ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : فَخَرَجْتُ بِهَا عَلَى النَّاسِ فَقَالُوا : مَا هَذِهِ الْعَصَا ؟ قُلْتُ : أَعْطَانِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ،
وَأَمَرَنِي أَنْ أَمْسُكَهَا عِنْدِي . قَالُوا : أَفَلَا تَرْجِعُ إِلَيْهِ فَتَسْأَلُهُ لِمَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فَقُلْتُ : لِمَ
أَعْطَيْتَنِي هَذِهِ الْعَصَا ؟ قَالَ : آيَةُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، إِنْ أَقْلَ النَّاسُ الْمُتَخَصِّرُونَ يَوْمَئِذٍ . قَالَ ابْنُ
إِسْحَاقَ : فَقَرَأَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَنَيْسٍ بِسَيْفِهِ فَلَمْ تَزَلْ مَعَهُ حَتَّى مَاتَ ، ثُمَّ أُمِرَ بِهَا فَضُمْتُ فِي كَفِّهِ ثُمَّ دَفَنَّا
جَمِيعاً . السِّيَرَةُ ٩٨١ - ٩٨٢ جَوْنَجْنِ وَالْمَعَارِفُ ١٢١ .

(٢) الإِيقَاعُ : إِيْقَاعُ الْحَانَ الْغِنَاءِ ، وَهُوَ أَنْ يَوْقَعَ الْأَحْزَانُ وَبَيْنَهُمَا . وَاسْمُ الْخَلِيلِ كِتَاباً مِنْ كُتُبِهِ فِي ذَلِكَ
الْمَعْنَى : كِتَابُ الإِيقَاعِ . (٣) فِي الْأَصُولِ : « لِلْبَقَارِ » .

(٤) فِي الْحَيَوَانِ (٥ : ٥٠٧ - ٥٠٨) : « الْفَدَادُ : الْجَاثِي الصَّوْتِ وَالْكَلَامِ » . وَقَدْ سَأَلَ فِي ذَلِكَ
خَبيراً وَحَدِيثاً . وَانْظُرْ مَا سَبَقَ فِي (١ : ١٣) .

(٥) مَا عَدَلَ ، هِيَ « بِحَفَاةِ الْعَرَبِ » .

(٦) إِقامَتُهَا عَلَى الطَّرِيقِ ، أَيْ تَوَجُّيْهَا جِهَةً مُسْتَقِيمَةً .

(٧) الْجَلِيلُ : الصَّنْفُ مِنَ النَّاسِ ، كَالْعَرَبِ وَالرُّومِ وَالتَّرِكِ .

(٨) الْفَنَابَةُ : أَرَادَ بِهَا الْحَقِّقَ وَالْجَهْلَ . وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ مِمَّا لَمْ يَرِدْ فِي الْمَعْاجِمِ . وَذَكَرُوا « الْأَغْنَرُ » وَهُوَ

الْأَحَقُّ الْجَاهِلُ .

وفساد المزاج ، تُطِيلُ الحُطْبَ ، وتفوق في ذلك جميعَ العجم ، وإن كانت معانيها أجفى وأغلظ ، وألفاظها أخطَلُ وأجهل ^(١) . وقد علمنا أنَّ أخطبَ النَّاسِ الفرس وأخطبَ الفرس أهل فارس ، وأعذِبهم كلاماً وأسْهَلهم مخرجاً وأحْسَنهم دَلالاً ^(٢) وأشدَّهم فيه تحكما ^(٣) ، أهلُ مرو ، وأفصَحهم بالفارسية الدَّيرِيَّة ^(٤) ، وباللغة الْفَهْلَوِيَّة ^(٥) ، أهلُ قُصْبَةِ الْأَهْوَازِ . فَأَمَّا نَعْمَةُ الْهَرَابِذَةِ ^(٦) ، وَلُغَةُ الْمَوَابِذَةِ ^(٧) ، فلصاحب تفسير الزُّمَرَةِ ^(٨) .

(١) الخطل : الخطأ . ما عدل : « أخطأ وأجهل » .

(٢) ما عدل : « ولاء » تحريف . والدل : الهدى والسمت .

(٣) ما عدل ، هـ : « تحنكا » .

- (٤) الدرية ، وهى بالفارسية « دَرِي » : إحدى اللغات الفارسية القديمة . ولفظها نسبة إلى « دُرْ » بمعنى الباب ، والمراد باب الملك ، أو ما يسمونه بالبلاط . وهى إحدى لغات ثلاث بقيت من سبع لغات قديمة . ويزعمون أن هذه اللغة - وهى لغة القصر - هى اللغة التى يتكلم بها فى الجنة . انظر استينجاس ٥١٦ . وذكر ابن النديم فى الفهرست ١٩ قول عبد الله ابن المقفع : « لغات الفارسية : الفهلوية ، والدرية ، والفارسية ، والخوزية ، والسريانية . فأما (الفهلوية) فمنسوبة إلى فهلة : اسم يقع على خمسة بلدان ، وهى أصفهان ، والرى ، وهمدان ، وماه نهاوند ، وأذربيجان . وأما (الدرية) فلفة مدن المدائن ومها كان يتكلم من بباب الملك ، وهى منسوبة إلى حاضرة الباب ، والغالب عليها من لغة أهل خراسان والمشرق لغة أهل بلخ . وأما (الفارسية) فيتكلم بها الموابذة والعلماء وأشباههم ، وهى لغة أهل فارس . وأما (الخوزية) فيها كان يتكلم الملوك والأشراف فى الخلوة ومواضع اللعب واللذة مع الحاشية . وأما (السريانية) فكان يتكلم بها أهل السواد » . ومثل هذا الكلام مروى عن حمزة الإصفهاني فى معجم البلدان (٦ : ٤٠٦ - ٤٠٧) .
- (٥) سبق الكلام عليها فى الحاشية السابقة . ونسبتها إلى « يَهْلُو » التى تعرب إلى « فهلة » .
- (٦) الهرايزة : جمع هريذ ، واحدة هرايزة المجوس ، وهم قَوْمَةُ بِيوت النار التى للهند ، فارسى معرب . وتقبيد بيوث النار بالهندية هو المذكور فى المعاجم العربية . وهى مكونة من كلمتين : « هير » بمعنى النار ، و « بد » بمعنى الحافظ والقيم .
- (٧) الموابذة : جمع موبذ ، وهو قاضى المجوس ، فارسى معرب . ما عدل : « ونغمة الموبذان » .
- (٨) الزمزة : صوت لا يستعملون فيه اللسان ولا الشفة ، وإنما يديرونه فى حلقهم فيفهم بعضهم عن بعض ، وإنما يستعمله المجوس عند تناول الطعام ، أو حين الاغتسال . اللسان (زم) ومعجم استينجاس ٦٢١ .

(٨) الزمزة : صوت لا يستعملون فيه اللسان ولا الشفة ، وإنما يديرونه فى حلقهم فيفهم بعضهم عن

بعض ، وإنما يستعمله المجوس عند تناول الطعام ، أو حين الاغتسال . اللسان (زم) ومعجم استينجاس ٦٢١ .

- قالوا : وَمَنْ أَحَبُّ أَنْ يُلْغَ فِي صِنَاعَةِ الْبَلَاغَةِ ، وَيَعْرِفَ الْغَرِيبَ ،
 وَيَتَبَحَّرَ ^(١) فِي اللُّغَةِ ، فليقرأ كتاب كازوئند ^(٢) . وَمَنْ احتاج إلى العقل والأدب ،
 والعلم بالمراتب والعبّر والمثالات ^(٣) ، والألفاظ الكريمة ، والمعاني الشريفة ، فليُنظَر
 ٩٣ في سير الملوك . فهذه الفرسُ ورسائلُها وخطبُها ، وألفاظُها ومعانيها . وهذه يُونان
 ورسائلُها وخطبُها ، وعِلَلُها وحِكْمُها ؛ وهذه كُتُبُها في المنطق التي قد جعلتها
 ٥ الحكماءُ بها تعرف السَّقَمَ من الصَّحَّةِ ، والخطأُ من الصَّوابِ ؛ وهذه كُتُبُ الهِنْدِ
 في حِكْمِها وأسرارِها ، وسيرِها وعللِها . فمن قرأ هذه الكتبَ ، وعرف غورَ تلك
 العقولِ ، وغرائبَ تلك الحِكَمِ ، عرف أين البيانُ والبلاغةُ ، وأين تكاملتْ تلك
 الصَّنَاعَةُ . فكيف سَقَطَ على جميع الأممِ من المعروفين بتدقيق المعاني ، وتخَيَّرَ
 ١٠ الألفاظَ ، وتمييزِ الأمورَ ، أن يشيروا بالقنا والعصى ، والقُضبانِ والقسي . كلاً ،
 ولكنكم كنتم رعاةً بين الإبل والغنم ^(٤) ، فحملتم القنا في الحضر بفضلِ عادتكم
 لحملها في السَّفرِ ، وحملتُموها في المدر بفضلِ عادتكم لحملها في الوبرِ ،
 وحملتُموها في السِّلَمِ بفضلِ عادتكم لحملها في الحرب . ولطُولِ اعتيادكم لمخاطبةِ
 الإبلِ ، جفا كلامُكم ، وغلظت مخارجُ أصواتكم ، حتَّى كأنكم إذا كلمتم
 ١٥ الجلساءَ إنما تخاطبون الصُّمَّانَ ^(٥) . وإنما كان جُلُّ قتالِكُم بالعصى . ولذلك فخر
 الأعشى على سائر العرب فقال :

(١) ل : « ويتحر » تحريف .

(٢) كاروند ، مكون من كلمتين فارسيتين : « كار » ومعناها الصناعة ، ولا تزال هذه الكلمة
 مستعملة إلى وقتنا هذا في العامية المصرية . و « وند » بمعنى المدبح والثناء .

(٣) المثلة ، بفتح الميم وضم التاء : العقوبة والتثكيل .

(٤) ل : « رعاة الإبل والغنم » .

(٥) ما عدل ل : « كأنكم إنما تخاطبون الصممان إذا كلمتم الجلساء » . والصمان : جمع أصم . قال

الجليح :

• يدعو بها القوم دعاء الصمان •

لَسْنَا نُقَاتِلَ بِالْعَصْرِ سَيِّ وَلَا تُرَامِي بِالْحَجَارَةِ (١)
إِلَّا عُلَالَةً أَوْ بُدَا هَمَّ قَارِجٍ نَهْدَ الْجُزَارِهِ (٢)

وقال آخر :

فَإِنْ تَمْنَعُوا مِنَّا السَّلَاحَ فَعِنْدَنَا سِلَاحٌ لَنَا لَا يُشْتَرَى بِالدَّرَاهِمِ
جَنَادُلُ أَمْلَاءُ الْأَكْفِ كَأَنَّهَا رُعُوسُ رِجَالٍ حُلِقَتْ بِالْمَوَاسِمِ (٣)

وقال جندل الطُّهَوِيُّ :

حَتَّى إِذَا دَارَتْ رَحَى لَا تَجْرَى (٤) صَاحَتْ عَصَىٌ مِنْ قَنَا وَسِذِرِ (٥)

وقال آخر (٦) :

دَعَا ابْنُ مَطِيحٍ لِلْبِيَاعِ فَجَعَلَتْهُ إِلَى يَبْعَةٍ قَلْبِي لَهَا غَيْرُ آلِفِ (٧)
فَنَاولَنِي حَشْنَاءَ لَمَّا لَمَسَتْهَا بِكَفِّي لَيْسَتْ مِنْ أَكْفِ الْخِلَافِ (٨)
مِنَ الشُّكْنَاتِ الْكُزْمِ أَنْكَرْتُ مَسَّهَا وَلَيْسَتْ مِنَ الْبَيْضِ الرِّقَاقِ اللَّطَائِفِ (٩)

(١) ديوان الأعشى ١١٥ .

(٢) البداهة : أول جرى الفرس . والذي بعده علالة . والقارج : الفرس في السنة الخامسة . والنهد : المرتفع . والجزارة : البدان والرجلان والعتق . وهذا البيت من ل ، هـ .

(٣) الجنادل : جمع جندل ، وهي صخرة مثل رأس الإنسان . أملاء الأكف : تملؤها ؛ جمع ملء .
والمواسم ، عنى بها مواسم الحج . وفي الكامل ٣٣٣ : « جلاميذ أملاء » .

(٤) أراد بالرحى التى لا تجرى : رحى الحرب .

(٥) قال أبو منصور : القناة من الرماح ما كان أجوف كالقصب . السدر : شجر النبق .

(٦) هو فضالة بن شريك الأسدى ، أحد مخضرمى الجاهلية والإسلام . وكان من خير الشعر أن عبد الله بن الزبير كان قد ولي عبد الله بن مطيع الكوفة ، فكان ينشر الدعوة ويتقبل البيعة لابن الزبير ، حتى إذا نهض المختار بن أبى عبيد ودعا لنفسه ، طرد عن الكوفة فيمن طرد عبد الله بن مطيع ، فقال فضالة الشعر . وقد رواه أبو الفرج في الأغاني (١٠ : ١٦٤) برواية أبسط .

(٧) سبق هذا البيت وتاليه في (١ : ٩٤) .

(٨) الشكنات : جمع شنة بسكون الشاء ، وقد حرك العين في الجمع مع أنه وصف ، وهو شاذ إلا فيما ذهب قطرب والمبرد ، حيث يميزان الفتح في جمع الصفات . همع الموامع (١ : ٢٣) وأوضح المسالك (جمع المؤنث السالم) . والكزم : جمع كزماء ، وهي القصيرة الأصابع .

معاودة حملُ الهَرَآوى لقومِها فروراً إذا ما كان يومُ التَّسَائِفِ (١)
وقال آخر (٢) :

ما لِلْفِرْزْدَقِ من عَزٍّ يَلُودُ به إلا بنى العَمَّ في أيديهم الحَشَبُ (٣)

قالوا : وإنما كانت رماحكم من مُرَّان (٤) ، وأستتكم من قُرون البقر ،
وكنتم تركبون الخيل في الحرب أعراء (٥) . فإن كان الفَرَسُ ذا سرج فسرجه رَحالةً
من أديم ، ولم يكن ذا ركابٍ ، والركاب من أجود آلات الطاعن برُحمه ، والضاربِ
بسيفه . وربما قام فيهما أو اعتمد عليهما (٦) . وكان فارسُهم يطعن بالقناة
الصَّمَّاء ، وقد علمنا أن الجوفاء أخفُ محملاً ، وأشدُّ طعنةً . ويفخرون بطول
القناة ولا يعرفون الطعن بالمطارِدِ (٧) ، وإنما القنا الطوال للرجالة ، والقصارُ
للفُرسان ، والمطارِد لصيد الوحش . ويفخرون بطول الرُّمح وقصر السِّيف ، فلو
كان المفتخر بقصر السيف الرَّاجِلُ دون الفارس ، لكان الفارس يفخر بطول
السيف ، وإن كان الطول في الرُّمح إنما صار صواباً لأنه يُنال به البعيد ، ولا يفوته
العدو ، ولأن ذلك يدلُّ على شدة أسْرِ الفارس وقوة أيده . فكذلك (٨) السِّيف
الطَّويل العريض .

١٥ (١) الهراوى ، بفتح الواو : جمع هراوة ، وهى العصا الضخمة . والتسائيف : التضارب بالسيوف .

(٢) هو جرير . ديوانه ٤٨ . وكان بنو العم — وهم مرة بن مالك بن حنظلة ، كما فى اللسان (١٥) :
٣٢٤) — قد أعانوا الفرزدق عليه .

(٣) بعده فى الديوان :

سيروا بنى العم فالأهواز منزلكم . ونهر تيزرى فما تعرفكم العرب
الضاربو النخل لا تنبو مناجلهم عن العذوق . ولا يعيهم الكرب ٢٠

(٤) فى اللسان (مرن) : « قال أبو عبيد : المرن نبات الرماح » .

(٥) أعراء : جمع عرى ، بالضم ، وهو الذى لا سرج عليه

(٦) أراد فى الركابين : مشى الركاب ، إذ أن الركاب لا يستعمل إلا مزدوجاً . والركاب ككتاب :

ما يضع فيه الفارس رجله .

(٧) المطارد : جمع مطرد ، بكسر الميم ، وهو رمح قصير يطرد به الوحش وغيره . ٢٥

(٨) ل : « وكذلك » .

وكنتم تتخذون للقناة زُجًا وسِنَانًا حين لم يقبض الفارسُ منكم على أصل قناته ، ويعتمد عند طعنته بفخذه ، ويستعين بِحِمِيَّةِ فرسه .

وكان أحدكم يقبض على وسط القناة ويخلف منها مثل ما قدّم ^(١) . فإنما طعنكم الرِّزَّةُ ^(٢) والنَّهْزَةُ ^(٣) ، والخلْسُ والزَّجُّ ^(٤)

وكنتم تتساندون في الحرب ^(٥) ، وقد أجمعوا على أن الشُّرْكة رديَّةٌ في ثلاثة أشياء : في المُلْك ، والحزب ، والزَّوْجَة .

وكنتم لا تقاتلون بالليل ، ولا تعرفون اللَّيَّات ولا الكمين ^(٦) ولا الميمنة ولا الميسرة ، ولا القلب ولا الجَنَاح ، ولا السَّاقَةَ ولا الطَّلِيعَة ^(٧) ولا التَّفَاضَة ولا الدَّرَاجَة ^(٨) ، ولا تعرفون من آلة الحرب الرتيلة ولا العُرَادَة ^(٩) ، ولا المجانيق ^(١٠) ،

١٠ (١) ما عدا هـ ، ل : « على مثل ما تقدم » وكلمة « على » مقحمة .

(٢) الرزة : الطعنة بشيء يثبت في المطعون ، كالسكين في الحائط . ما عدل : « الدرة » ، وليس بشيء .

(٣) النهزة : المرة من النهز ، وهو الطعن في دفع .

(٤) الطعنة الخلس : التي يختلسها الطاعن بمخذه . والزج : الطعن في عجلة .

١٥ (٥) يقال : خرج القوم متساندين ، أى على رايات شتى ، إذا خرج كل بنى أب على راية ولم يجتمعوا على راية واحدة وأمير واحد .

(٦) الليات : الإيقاع بالقوم في جوف الليل وهم غارون . والكمين : القوم يكمنون للعدو ويستخفون في ممكن لا يفتن له .

(٧) ساقاة الجيش : مؤخرته ، جمع سائق ، وهم الذين يسوقون جيش الغزاة ويكونون من ورائه

٢٠ يحفظونه .

(٨) في حاشية هـ : « النفاضة : قوم يتقدمون أمام الملك ينقضون الطريق وينقضونها . والدراجة :

قوم يدرجون أمامه » . ل : « النفيضة » .

(٩) الرتيلة : في حواشي هـ : « الرتيلة : أن يقام خلف الصف صف آخر » . وأما العُرَادَة فهي

شبه المنجنيق صغيرة .

٢٥ (١٠) المجانيق : جمع منجنيق ، معرب من الفارسي « منجنيك » وهذه مأخوذة من اليوناني :

Maggamon ، وهى آلة ترمى بها الحجارة في القتال . ويضطرب اللغويون العرب في تأصيلها من الفارسي . انظر المعرب للجواليقي بتحقيق العلامة أحمد شاكر ٣٠٦ ومعجم استنجاس . وقد ذكر الأخير أنها مأخوذة عن اليوناني .

ولا الدَّبَابَات (١) ، ولا الخَنَادِق ، ولا الحَسَك (٢) ، ولا تعرفون الأَقْيَبَةَ (٣) ولا السَّرَاوِيلَات ، ولا تعلِيقُ السُّيُوف ، ولا الطَّبُولَ ولا البنود (٤) ولا التَّجَافِيف (٥) ، ولا الجَوَاشِن (٦) ، ولا الحُوْذ (٧) ، ولا السَّوَاعِد ولا الأَجْرَاس ، ولا الوَهَق (٨) ولا الرُّمَى بالبَنَجَكَان (٩) ، والزَّرْق بالنَّفْطِ والنيران .

وليس لكم في الحرب صاحبٌ عَلم يرجع إليه المُنْحَاز (١٠) ، ويتذكَّره المنهزم . وقتالكم إمَّا سَلَّةً وإمَّا مَزَاحِفَةً (١١) . والمزاحفة على مواعد متقدِّمة ، والسَّلَّةُ مُسَارِقَةٌ وفي طريق الاستلاب والخُلْسَةِ .

قالوا : والدليل على أنَّكم لم تكونوا تقاتلون قولَ العامريِّ (١٢) :

(١) الدبابة : آلة تتخذ من جلود وخشب ، يدخل فيها الرجال ويقربونها من الحصن المحاصر لينقبوه ويقوم ما يرمون به من فوقهم . ما غدا ل ، هـ : « الدباب » ، تحريف .

(٢) الحسك من أدوات الحرب ، ربما اتخذ من حديد وألقى حول المسكر ، وربما اتخذ من خشب فنصب حوله ، وذلك لعرقله سير العدو . وأصل الحسك حسك السعدان ، وهو شوكة ، ثم جعل لما يعمل على مثاله من السلاح ، انظر اللسان (حسك) والمخصص (٣ : ٨٤) .

(٣) الأقيبة : جمع قباء ، كسحاب ، وهو ضرب من الثياب ، سمي بذلك لاجتماع أطرافه .

(٤) البند : العلم الكبير ، فارسي معرب .

(٥) جمع تحفاف ، بكسر التاء وفتحها ، وهو ماجلل به الفرس من سلاح وآلة تقيه الجراح ، يقال فرس مجفف ، وقد يلبسه الإنسان أيضاً .

(٦) الجوشن : زرد يلبسه الصدر والحيزوم .

(٧) جمع خوذة ، وهي بالضم : المغفر ، وهو زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة . ولم يذكر صاحبها للسان والجمهرة « الخوذة » ، وذكرها صاحب القاموس .

(٨) الوهق : حبل شديد الفتل ، يرمى وفيه أنشودة فتؤخذ فيه الدابة والإنسان .

(٩) البنجكان : جاء في الطبري ٧ : ٢٧ : « فقال لهم بالفارسية : صُكُّوهُمْ بالفنجان ، أى

بخمس نشابات في رمية ، بالفارسية » .

(١٠) انحاز القوم : تركوا مراكزهم ومعركة قتالهم ومالوا إلى موضع آخر .

(١١) المزاحفة : أن تمشي كل ففة زحفاً ، أى مشياً رويداً ، قبل التلاني للضرب .

(١٢) هو خنداش بن زهر العامري ، شاعر جاهلي ، وقيل إنه شهد حنيناً مع المشركين ثم أسلم .

الإصابة ٢٣٢٣ والأغاني (١٩ : ٧٦) وحماسة ابن الشجري ٣١ .

يَاشِدَّةُ مَا شَدَدْنَا غَيْرَ كَاذِبَةٍ عَلَى سَخِينَةٍ لَوْلَا اللَّيْلُ وَالْحَرَمُ ^(١)

وَيَدُلُّكَ عَلَى ذَلِكَ أَيْضاً قَوْلُ عَبْدِ الْحَارِثِ بْنِ ضَرَّارٍ ^(٢) :

وَعَمَرُوا إِذْ أَتَانَا مُسْتَمِيتاً كَسُونَا رَأْسَهُ غَضَباً صَقِيلاً ^(٣)

فَلَوْلَا اللَّيْلُ مَا آبَا بِشَخْصٍ يَخْبِرُ أَهْلَهُمْ عَنْهُمْ قَلِيلاً

وَقَالَ أُمِيَّةُ بْنُ الْأُسْكُرِ ^(٤) :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ثَعْلَبَةَ بْنَ سَعْدٍ غَضَابٌ ، حَبْدًا غَضَبُ الْمَوَالِي

تَرَكْتُ مَصْرُفًا لَمَّا التَّقِينَا صَرِيحاً تَحْتَ أَطْرَافِ الْعَوَالِي

وَلَوْلَا اللَّيْلُ لَمْ يُفْلِتْ ضَرَّارٌ وَلَا رَأْسُ الْحِمَارِ أَبُو جُفَالٍ

قلنا : ليس فيما ذكرتم من هذه الأشعار دليل على أن العرب لا تقاتل

بالليل . وقد يقاتل بالليل والنهار من تحول دون ماله المذنب وهو الليل . وربما

تجازر الفريقان وإن كل واحد منهم يرى البيات ^(٥) ، ويرى أن يقاتل إذا بيئوه .

وهذا كثير . والدليل على أنهم كانوا يقاتلون بالليل قول سعد بن مالك ^(٦) في قتل

كعب بن مزيقيا الملك العسائي :

(١) البيت يقوله في وقعة حنين ، أو في حرب الفجار ، كما في الأغاني والإصابة . و « سخينة »

كناية عن قريش . وأصل السخينة دقيق يلقى على ماء أو لبن فيطبخ ثم يؤكل بتمر ، أو بحسى ، وكانت قريش تكثر من أكلها ، فغيرت بها حتى سماها سخينية . ومثله قول كعب بن مالك :

زعمت سخينية أن متغلب ربها وليغلب مغالب الغلاب

(٢) ما عدل : « الحارث بن ضرار » . ومن رجال العرب « الحارث بن أبي ضرار » وهذا لم

يعرف بشعر ، وهو والد جويرة زوج الرسول ﷺ ، وهو من بني المصطلق . الإصابة ١٤٢٤ والسيرة

٧٢٥ ، ١٠٠٣ والاشتقاق ٢٨١ .

(٣) كساه السيف ، أى جلله به وعممه . العضب : السيف القاطع .

(٤) ما عدل ، هـ : « بن الأشكر » تحريف . وهو أمية بن حرثان بن الأسكر الليثي الكنانى .

شاعر سيد فارس مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، وعمر عمراً طويلاً . الأغاني (١٨ : ١٥٦ - ١٦٢)

والمعمرين ٦٧ - ٦٩ .

(٥) البيات : اسم من قولهم : بيت القوم والعلو : أوقع بهم .

(٦) سعد بن مالك بن ضبيعة ، أحد شعراء العرب وفرسانهم في الجاهلية ، ولا سيما يوم =

وليلةً تُبجِ وخميس كعب
 فلم تُهددْ لبأسهم ولكن
 أتونا ، بعد ما نمنا ، ديبيا
 ركبنا حدَّ كوكبهم رُكوبا (١)
 وطعن يفصل الحلق الصليبا (٢)
 وقال بشر بن ألى خازم :

فأما تميم تميم بن مُرُّ فالفاهم القوم روى نياما (٣)

يقول : شربوا الزائب من اللبن فسكروا منه ، وهو اللبن الذى قد (٤) أدرك
 ليمحض . يقال منه راب يروب روبا ورؤيا . ورؤية اللبن : خميرة تلقى فيه من
 الحامض . ورؤية الليل : ساعة منه . يقال أهرق عنا من رؤية الليل . وقال
 بعضهم : منه قول الشاعر (٥) .

* فالفاهم القوم روى نياما *

ويقال : روى : خُترأ الأنفس مختلطون . ويقال شربوا من الزائب فسكروا .
 وقال عياض السدي (٦) :

= قصّة ، وهو القائل فى تحضيض الحارث بن عباد رئيس بكر :

يا بؤس للحرب التى وضعت أرامط فاستراحوا
 والحرب لا يبقى لصا حبها التخيّل والمراح

الأغاني (٤ : ١٤٣ - ١٤٤) .

(١) لم تهدد ، أى لم تكسر . والبأس : الشدة . ماعدا ل ، هـ : « فلم تهدو » تحريف . وكوكب
 الجيش : معظمه . وأنشد فى اللسان :

وملمومة لا يفرق الطرف عرضها لها كوكب فخم شديد وضوحها

(٢) ما عدل : « تفلق الهامات » . والحلق : جمع حلقة ، عنى به حلق الدرع .

(٣) البيت من قصيدته فى مختارات ابن الشجرى ٦٩ - ٧١ . وهو فى ديوانه ١٩٠ وسيبويه ١ : ٤٢ .

(٤) فيما عدل : « الذى أخرجت زبدته » . والكلام بعدها إلى « فسكروا » من ل فقط .

(٥) هو بشر بن ألى خازم ، كما سبق قريبا .

(٦) عياض السدي : نسبة إلى السيد ، وهم بنو السيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة ،

فهو ضبى أيضا . وفى معجم المرزبانى . « عياض بن حنين الضبى ، جاهلى ، يقول =

ونحن نَجَلْنَا لابن ميلاء نَحْرَهُ بَنَجَلَاءَ من بين الجواخ تشَهَقُ^(١)
 ويومَ بنى الدِّيَانِ نَالَ أخاهم بأرماحنا بالسَّيِّ موتٌ مُحَدَّقُ^(٢)
 وَمِنَّا حُمَاةُ الْجَيْشِ لَيْلَةً أَقْبَلَتْ إِيَادَ يَزْجِيهَا الْهَمَامُ مُحَرَّقُ^(٣)
 وقال آخر :

وعلى شَتِيرِ رَاخٍ مِنَّا رَائِحٌ بأبَى قَبِيصَةَ كَالْفَنِيْقِ الْمُقَرَّمِ^(٤)
 يَرْدِي بِشُرْحَافِ الْمَغَاوِرِ بعد ما نشر النهار سَوَادَ لَيْلٍ مَظْلِمِ^(٥)
 وقال عِيَاضُ السَّيْدِيِّ^(٦) :

٩٧

لِحِمَامِ بِسْطَامِ بْنِ قَيْسٍ بعد ما جَنَحَ الظَّلَامُ بِمِثْلِ لَوْنِ الْعِظْلَمِ^(٧)
 وقال أَوْسُ بْنُ حَجَرٍ :

بَاتُوا يُصِيبُ الْقَوْمَ ضَيْفًا، لَهُمْ حَتَّى إِذَا مَا لِيْلُهُمْ أَظْلَمَا^(٨)

١٠

- = ومنا الذى أدى ابن جفنة رحمه إلى الحى مجنوناً يحب ويعنى «
 فهو هو . التيمورية : « عياض بن السبدي » ، ب ، ج : « عياض بن السندي » كلاهما محرف عما أثبت
 من ل .
 (١) نجله بالرح ينجله نجلا : طعنة وأوسع شقه . وطعنة نجلاء : واسعة . تشهق : تصوت من قوة
 اندفاع الدم .
 (٢) السى : أرض بين ذات عرق ووجرة . وهى رواية هامش هـ . وفى أصل هـ . « بالسنى »
 وسائر النسخ « بالسى » .
 (٣) الهمام : الملك العظيم الهمة . ومحرق : لقب عمرو بن هند ، سمى بذلك لتحريقه بنى تميم يوم
 أوراة .
 (٤) شتير : موضع ، كما فى اللسان (شتر) عند إنشاد هذا البيت . والرواية فيه وفى مجالس ثعلب
 ٥٣٩ : « يأتى قبيصة » .
 (٥) فى الأصل واللسان (شرحف) . « تردى » صوابه بالياء . والشرحاف : السريع .
 والمغاوير : جمع مغار ، بضم المم : مصدر ميمى من أغار . ما عدل : « بشرحاف المغادر » تحريف .
 (٦) كذا فى الأصول . والأبيات الثلاثة مقطوعة واحدة فى مجالس ثعلب .
 (٧) بسطام بن قيس ، سبقت ترجمته فى (١ : ٢١) . جنح الظلام : أقبل . والعظلم ، بكسر
 العين واللام : عصارة يخضب بها .
 (٨) هذه الأبيات لم ترد فى ديوان أوس . ل : « بصيت القوم » .

١٥

٢٠

٢٥

قَرَوْهُمْ شَهْبَاءَ مَلْمُوسَةً مثلَ حريقِ النَّارِ أَوْ أَضْرَمَا (١)
 وَاللَّهِ لَوْلَا قُرْزُلٌ مَا نَجَا وَكَانَ مَثْوَى نَحْدِكَ الْأَخْرَمَا (٢)
 نَجَاكَ جَيَاشٌ هَزِيمٌ كَمَا أَحْمَيْتَ وَسْطَ الْوَبَرِ الْمَيْسَمَا (٣)

وبعدُ فهل قَتَلَ ذُوَابُ الْأُسْدَى عَتِيَّةَ بنِ الْحَارِثِ بنِ شَهَابٍ إِلَّا فِي وَسْطِ
 اللَّيْلِ الْأَعْظَمِ ، حِينَ تَبْعُوهُمْ فَلْيَحِقُّوهُمْ .

وَكَانُوا إِذَا أَجْمَعُوا لِلْحَرْبِ (٤) دَخَنُوا بِالنَّهَارِ ، وَأَوْقَدُوا بِاللَّيْلِ . قَالَ عَمْرُو
 ابْنُ كَلْثُومٍ وَذَكَرَ وَقْعَةَ لَهُمْ :

وَنَحْنُ غَدَاةٌ أَوْقَدَ فِي خَزَازٍ رَفَدْنَا فَوْقَ رَفْدِ الرَّافِدِينَا (٥)
 وَقَالَ تَحْمُخَامُ السُّدُوسِيُّ (٦) :
 وَإِنَّا بِالصُّلَيْبِ بِيْطُنٌ فَجَّ جَمِيعاً وَاضْعَيْنَ بِهِ لَطَانَا (٧)

(١) الشهباء : الكتبية التي عليها بياض الحديد . أضرم : أشد اشتعالا .

(٢) قرزل : اسم فرس طفيل بن مالك ، كما في نسب الخيل لابن الكلبي ٢٦ وأسماء خيل العرب
 لابن الأعرابي ٧٥ . والبيت في الموضع الأول واللسان (خرم) برواية : « إذ نجا لكان » . ورواية اللسان
 تخرج على جعل « ما » مصدرية ، وفي قرزل يقول سلمة بن الخرشب لعامر بن الطفيل :

فإنك يا عامر ابن فارس قرزل معيد على قيل الخنا والهواجر

يا عامر ، أي يا عامر . المفضليات (١ : ٣٦) . والأخرم : أكرم الكتف ، أي رأسها .

(٣) الجياش : المتدفق في الجرى . والهزيم : الشديد الصوت . والميسم : ما يوسم به البعير ونحوه .

(٤) ما عدل : « اجتمعوا للحرب » .

(٥) ما عدل ، ه : « في خزازي » وهما روايتان . والبيت في معلقته .

(٦) ذكره ابن دريد في الاشتقاق ٢١٢ في رجال بني سدوس ، قال : « ومنهم الحمخام وكان من
 فرسانهم ، وكان ذا بني فسمى بذلك لأنه يتخمخم في كلامه ، كأنه يجئن نفسه » . وفي حواشي
 الاشتقاق : « الحمخام بن حملة ، الاسم الأول بخاءين معجمتين ، وحملة بخاء غير معجمة بفتحتين ، واسمه
 الحارث . وهو شاعر فارس ، وسمى الحمخام لأنه كان يتخمخم على الناس يجئن نفسه على كل أسير حتى
 يفكه . وكان ظلوماً ، ويقول : أنا جار كل من طلعت عليه الشمس » . وفي اللسان (خمم) :
 « والحمخام : رجل من بني سدوس ، سمي بالحمخمة » .

(٧) الصليب ، بهيئة التصغير : جبل عند كاظمة كانت به وقعة بين بكر بن وائل وبني عمرو بن

تميم . وأنشد ياقوت البيت في معجم البلدان منسوباً إلى الأعشى ، ورواية : « ويطن فلج » .

نُدَحْنُ بالنهار لِيَصِيرُونَا وَلَا نَخْفَى عَلَى أَحَدٍ أَتَانَا
وَأَمَّا قَوْلُهُمْ : « وَلَا يَعْرِفُونَ الْكَمِينَ » فَقَدْ قَالَ أَبُو قَيْسٍ بْنُ الْأَسْلَتِ (١) :
وَأَحْرَزْنَا الْمَغَانِمَ وَاسْتَبَحْنَا حَمَى الْأَعْدَاءِ وَاللَّهُ الْمَعِينُ
بَغَيْرِ خِلَائَةٍ وَبَغَيْرِ مَكْرِ بِجَاهِرَةٍ وَلَمْ يُخْبَأْ كَمِينُ

* * *

وَأَمَّا ذِكْرُهُمُ لِلرُّكْبِ (٢) ، فَقَدْ أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ الرُّكْبَ كَانَتْ قَدِيمَةً ، إِلَّا أَنَّ
رُكْبَ الْحَدِيدِ لَمْ تَكُنْ فِي الْعَرَبِ إِلَّا فِي أَيَّامِ الْأَزَاقَةِ (٣) . وَكَانَتْ الْعَرَبُ لَا تُعَوِّدُ أَنْفُسَهَا
إِذَا أَرَادَتْ الرُّكُوبَ أَنْ تَضَعَ أَرْجُلَهَا فِي الرُّكْبِ ، وَإِنَّمَا كَانَتْ تَنْزُو تَنْزُوا .

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « لَا تَخْوَِرُ قُوَّةُ (٤) مَا كَانَ صَاحِبُهَا
يَنْزُو وَيَنْزِعُ » . يَقُولُ : لَا تَنْتَكِثُ قُوَّتُهُ مَا دَامَ يَنْزِعُ فِي الْقَوْسِ ، وَيَنْزُو فِي السَّرَجِ
١٠ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْتَعِينَ بِرِكَابٍ .

وَقَالَ عُمَرُ : « الرَّاحَةُ عُقْلَةٌ ، وَإِيَّاكُمْ وَالسُّمْنَةَ فَإِنَّهَا عُقْلَةٌ (٥) » .
وَلِهَذِهِ الْعِلَّةَ قُتِلَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِي ، حِينَ غَشِيَهُ الْعَدُوُّ وَأَرَادَ الرُّكُوبَ
وَلَمْ يَجِدْ مَنْ يَحْمِلُهُ . وَلِلَّذَلِكَ قَالَ عُمَرُ حِينَ رَأَى الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ قَدْ أَخْصَبُوا ،

١٥ (١) أَبُو قَيْسٍ كُنْيَتُهُ ، وَاخْتَلَفَ فِي اسْمِهِ وَالْمَشْهُورُ الرَّاجِحُ أَنَّهُ صَيْفَى بْنُ الْأَسْلَتِ بْنِ عَامِرِ بْنِ جِشْمِ
ابْنِ وَائِلِ الْأَنْصَارِيِّ . وَكَانَتْ الْأَوْسُ قَدْ أَسْنَدَتْ أَمْرَهَا إِلَى أُنَى قَيْسٍ وَجَعَلَتْهُ رَئِيسًا عَلَيْهَا فَكَفَى وَسَادَ .
وَاخْتَلَفَ فِي إِسْلَامِهِ ، فَقِيلَ إِنَّهُ أَسْلَمَ ، وَقِيلَ إِنَّهُ وَعَدَ بِالْإِسْلَامِ ، ثُمَّ سَبَقَ إِلَيْهِ الْمَوْتُ فَلَمْ يَسْلَمْ . الْإِصَابَةُ
(٧ : ١٥٧) وَالْأَغَانِي (١٥ : ١٥٤) وَابْنُ الْأَثِيرِ (١ : ٢٨٤) .

(٢) الرُّكْبُ ، بِضَمَّتَيْنِ : جَمْعُ رِكَابٍ ، وَهُوَ مَا يَضَعُ فِيهِ الْفَارَسُ رِجْلَهُ .

٢٠ (٣) الْأَزَاقَةُ : جَمْعُ أَزْرَقٍ ، نَسَبُهُ إِلَى نَافِعِ بْنِ الْأَزْرَقِ الْخَنْفِيِّ ، مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ . أَحَدُ شَجْعَانَ
الْخَوَارِجِ الَّذِينَ ظَهَرُوا فِي الْعَصْرِ الْأُمَوِيِّ ، وَقَدْ تَوَلَّى قِتَالَهُمُ الْمُهَلَّبُ بْنُ أُنَى صَفْرَةَ مِنْ قَبْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
الزَّيْبَرِ ، وَهَزَمَهُمْ عِنْدَ دَوْلَابِ الْأَهْوَازِ . وَمَاتَ نَافِعُ بْنُ الْأَزْرَقِ فِي تِلْكَ الْحَزِيمَةِ سَنَةَ ٦٥ . انْتَهَى بِاخْتِصَارِ
مِنْ مَعْجَمِ الْفَرَقِ الْإِسْلَامِيَةِ .

(٤) مَا عَدَلَ : « قَوَى » : جَمْعُ قُوَّةٍ .

(٥) عُقْلَةٌ ، أَيْ تَعْقِلُ صَاحِبُهَا وَتَحْبِسُهُ .

وَهُمْ كَثِيرٌ مِنْهُمْ بِمُقَارَبَةِ عَيْشِ الْعَجَمِ : « تَمَعَّدُوا وَاحْشَوْشِينُوا ^(١) » ، وَاقْطَعُوا الرُّكْبَ ، وَانْزُوا عَلَى الْخَيْلِ نَزْوًا . وَقَالَ : « احْفَظُوا وَانْتَعَلُوا ، فَإِنَّكُمْ لَا تَذَرُونَ مَتَى تَكُونُ الْجَفْلَةُ ^(٢) » .

- وكانت العرب لا تدع اتخاذ الركاب للرحل فكيف تدع الركاب
 للسرج ؟ ولكنهم كانوا وإن اتخذوا الركب فإنهم كانوا لا يستعملونها إلا عندما
 لابد منه ، كراهة أن يتكلموا على بعض ما يورثهم الاسترخاء والتفتيح ^(٣) ويضاهاها
 أصحاب الثروة والنعمة ^(٤) . قال الأصمعي : قال العمري : كان عمر بن
 الخطاب يأخذ بيده اليمنى ^(٥) أذن فرسه اليسرى ، ثم يجمع جراميزه ويشب ^(٦) ،
 فكأنما خلّق على ظهر فرسه . وفعل مثل ذلك الوليد بن يزيد بن عبد الملك وهو
 يومئذ ولي عهد هشام ، ثم أقبل على مسلمة بن هشام فقال له : أبوك يحسن
 مثل هذا ؟ فقال مسلمة : لأني مائة عبد يحسنون مثل هذا . فقال الناس : لم
 ينصفه في الجواب . وزعم رجال من مشيختنا أنه لم يقم أحد من ولد العباس
 بالملك إلا وهو جامع لأسباب الفروسيّة .

* * *

- وأما ذكروا من شأن رماح العرب فليس الأمر في ذلك على ما يتوهمون .
 ١٥ للرمّاح طبقات : فمنها النيزك ^(٧) ، ومنها المربع ، ومنها الخموس ^(٨) ، ومنها
 التام ، ومنها الخطل وهو الذي يضطرب في يد صاحبه لإفراط طوله . فإذا أراد

(١) تمعدوا ، أى تشبهوا بعيش معد بن عدنان ، وكانوا أهل كشف وغلظ في المعاش .

(٢) الجفلة : الانزعاج والشرد والذهاب في الأرض .

(٣) التفتيح ، من قولهم فتحه تفتيحاً ، أى قهره وأذله . ما عدل : هـ : « التفتح » ولا وجه له .

(٤) الترفة ، بالضم : الترف والنعمة . ما عدل ، هـ : « والشرفة » تحريف .

(٥) ل : « اليسرى » .

(٦) الجراميز : جملة البدن : الجسد والأعضاء .

(٧) النيزك : الرمح القصير ، فارسي معرب ، فارسيته « نيزه » . استينجاس ١٤٤٢ .

(٨) المربع : الذي طوله أربع أذرع . والخموس : الذي طوله خمس .

الرَّجُلُ أَنْ يَخْبِرَ عَنْ شِدَّةِ أَسْرِ صَاحِبِهِ ذَكَرَهُ ، كَمَا ذَكَرَ مَتَمُّ بْنُ نُويرةَ أَخَاهُ مَالِكًا ،
فَقَالَ : « كَانَ يَخْرُجُ فِي اللَّيْلَةِ الصَّنِيرِ ^(١) ، عَلَيْهِ الشَّمْلَةُ الْفَلَوْتُ ^(٢) ، بَيْنَ
الْمَزَادَتَيْنِ التَّضُوحَيْنِ ، عَلَى الْجَمَلِ الثُّفَالِ ^(٣) ، مَعْتَقَلُ الرُّمَحِ الْحَظِلِ » . قَالُوا لَهُ :
وَأَبْيَكُ إِنَّ هَذَا هُوَ الْجَلْدُ . وَلَا يَحْمِلُ الرُّمَحَ الْحَظِلُ مِنْهُمْ إِلَّا الشَّدِيدُ الْأَيْدِ ^(٤) ،
وَالْمُدِلُّ بِفَضْلِ قُوَّتِهِ عَلَيْهِ ، الَّذِي إِذَا رَأَاهُ الْفَارِسُ فِي تِلْكَ الْهَيْئَةِ هَابَهُ وَحَادَ عَنْهُ ،
فَإِنْ شَدَّ عَلَيْهِ كَانَ أَشَدَّ لاسْتِخْدَائِهِ لَهُ ^(٥) .

وَالْحَالُ الْأُخْرَى أَنْ يَخْرُجُوا فِي الطَّلَبِ بِعَقِبِ الْغَارَةِ ، فَرُبَّمَا شَدَّ عَلَى الْفَارِسِ
الْمُؤَلَّى فِيْفُوتِهِ بِأَنْ يَكُونَ رَمْعُهُ مَرْبُوعًا أَوْ مَخْمُوسًا ، وَعِنْدَ ذَلِكَ يَسْتَعْمِلُونَ التَّيَازَكَ ،
وَالنَّيْزَكَ أَقْصَرَ الرَّمَاكِ . وَإِذَا كَانَ الْفَارِسُ الْهَارِبُ يَفُوتُ الْفَارِسَ الطَّالِبَ رَجَّهَ
بِالنَّيْزِكِ ، وَرُبَّمَا هَابَ مَخَالَطَتَهُ فَيَسْتَعْمِلُ الرُّجَّ دُونَ الطُّعْنِ ، صَنِيعَ ذُوَابِ الْأَسَدَى
بِعَتِيَّةِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ شَهَابٍ .

وَقَالَ الشَّاعِرُ ^(٦) :

وَأَسْمَرَ خَطِيًّا كَأَنَّ كُغُوبَهُ

نَوَى الْقَسْبِ قَدْ أَرَى ذِرَاعًا عَلَى الْعَشْرِ ^(٧)

وَقَالَ آخِرُ ^(٨) :

١٥ (١) يُقَالُ لَيْلَةُ صَنِيرٍ وَصَنِيرَةٌ : شَدِيدَةُ الْبَرْدِ . ب ، ج : « الصَّنِيرَةُ » وَكَلَامُهُمَا صَحِيحٌ .
(٢) الشَّمْلَةُ : الْكِسَاءُ وَالْمُتَزَرُّ يَتَشَبَّحُ بِهِ . وَالْفَلَوْتُ : الَّتِي لَا يَنْضُمُ طَرَفَاهَا لَصْفَرُهَا ، أَوْ الَّتِي
لَا تَتَبَتِ عَلَى صَاحِبِهَا لِنِهَايَةِ أَوْ خَشَوْنَتِهَا . وَكَلِمَةٌ مَتَمُّ بْنُ نُويرةَ فِي الْكَامِلِ ٧٦٣ وَالْأَغَانِي ١٤ : ٦٧ وَشُرُوحُ سَقَطِ
الزَّيْدِ ٥٨٧ بِرَوَايَةِ أُخْرَى .

(٣) مَزَادَةُ نَضُوحٍ : تَضُوحُ الْمَاءِ . وَالثُّفَالُ ، كَسْحَابٍ : الْبَطْيُ الثَّقِيلُ .

(٤) الْأَيْدِ : كَسِيدِ الْقُوَى . وَيَصِحُّ أَنْ تَقْرَأَ « الْأَيْدِ » بِسُكُونِ الْيَاءِ وَالْإِضَافَةِ . وَالْأَيْدِ : الْقُوَّةُ
كَالْآدِ .

(٥) الِاسْتِخْدَاءُ : الْخُضُوعُ . مَا عَدَلَ ، هـ : « لِاسْتِخْدَامِهِ » تَحْرِيفٌ .

(٦) هُوَ حَاتِمُ الطَّائِي ، كَمَا فِي اللِّسَانِ (قَسْب) ، وَالْبَيْتُ فِي دِيْوَانِهِ ص ١٢١ .

(٧) الْقَسْبُ : ائْتَمَرَ الْيَابِسَ ، وَنَوَاهُ أَصْلَبُ النَّوَى .

(٨) هُوَ عُبَيْدُ بْنُ الْأَبْرَصِ . وَالْبَيْتُ فِي دِيْوَانِهِ ٤٣ وَالْمَقَائِيسُ وَاللِّسَانُ (خَمْسٌ) .

هاتيك تحملنى وأبيض صارماً ومُحَرَّباً في مارِنِ مخموس^(١)
وقال آخر :

فولوا وأطراف الرماح عليهم قوادِرُ ، مربوعاتها وطوالها^(٢)

وهم قوم الغارات فيهم كثيرة ، ويقدر كثرة الغارات كثر فيهم الطلب . ١٠٠
والفارس ربما زاد في طول رمحه ليُخبر عن فضل قوته ؛ ويُخبر عن قصر سيفه
ليُخبر عن فضل نجدته . قال كعب بن مالك :

نصِل السُّيُوف إذا قصُرْنَ بخطونا قُدماً ونُلحِقُها إذا لم تُلحِقِ
وقال آخر^(٣) :

إذا الكُماة تنحَّوْا أن يصيبَهُمْ حَدُّ الطُّبَات وصلناها بأيدينا
وقال رجل من بني نُمير^(٤) :

وصلنا الرِّقَاقَ المرفهات بخطونا على الهول حتَّى أمكنتنا المضاربُ
وقال حُميد بن ثور الهلالي :

ووصل الخطا بالسَّيف والسَّيف بالخطا إذا ظنَّ أن السَّيف ذو السَّيف قاصِرُ^(٥)
وقال آخر :

الطاعنون في النُّحور والكلَى شَزْراً ووَصَّالو السُّيُوف بالخطى^(٦)

* * *

وأما ذكروا « من اتخذ الرُّجَّ لسافلة الرُّمح ، والسَّنان لعاليته » فقد

(١) محرباً ، أى سناناً مذبذباً محمداً . والرواية في المصادر المتقدمة : « ومذبذباً » . والمارن : الصلب اللين . والمخموس : ما طوله خمس أذرع .

(٢) ما عدل : « تولوا » .

(٣) هو بشامة بن حزن النهشلي . والبيت من أبيات في الحماسة (١ : ٢٥) .

(٤) ما عدل ، هـ : « من بني نُمير » .

(٥) أى إذا ظن ذو السيف أن سيفه قاصر .

(٦) الطعن الشزر : ما كان عن يمين وشمال .

ذكروا أَنَّ رجلاً قتل أخوين في نِقَاب ^(١) ، أحدهما بعالية الرُّمح ، والآخر بسافلته .
وقديم في ذلك راكِبٌ من قِبَل بنى مروان على قَتادة ^(٢) يستبثب الخير من قِبَلِهِ ،
فأثبتته له .

وقال الآخر :

٥. إِنَّ لقيسٍ عادةً تعتادُها سَلُّ السيفِ وحُطَى تزدادها
وقد وصفوا أيضاً السيفَ بالطُول . وقال عُمارة بن عَقيل ^(٣) :
بكلِّ طویل السيف ذی خیزرانةٍ جرىء على الأعداء معتمد الشَّطْبِ ^(٤)

* * *

- وجملة القول أننا لا نعرف الخطبَ إلّا للعرب والفُرس . فأما الهندُ فإنما لهم
١٠١ معاني مدونة ، وكتبٌ مغلدة ^(٥) ، لا تضاف إلى رجلٍ معروف ، ولا إلى عالم
موصوف ، وإنما هي كتبٌ متوارثة ، وآدابٌ على وجه الدهر سائرةٌ مذكورة .
ولليونانيين فلسفةٌ وصناعةٌ منطق ، وكان صاحبُ المنطقِ نفسه بكى
اللسان ، غيرَ موصوفٍ بالبيان ، مع علمه بتميز الكلام وتفصيله ومعانيه ،
وبخصائصه . وهم يزعمون أَنَّ جالينوس ^(٦) كان أنطقَ الناس ، ولم يذكروه

١٥ (١) أى فجأة على غير ترصد . ما عدا هـ : « أخويه » .
(٢) قتادة بن دعامة السدوسي البصري ، المترجم في (١ : ٢٤٢) .
(٣) هو عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية بن الخطمي ، من شعراء الدولة العباسية .
وكان النحويون البصريون يأخذون عنه اللغة . الأغاني (٢٠ : ١٨٣ - ١٨٨) .
(٤) الخيزرانة : واحدة الخيزران ، وهى الرماح . والشطب من الخيل : الطويل الحسن الخلق .
(٥) ما عدا ل ، هـ : « مجلدة » .

(٦) كان جالينوس إمام الأطباء في عصره ، ورئيس الطبيعيين في وقته ، وكان بعد المسيح بنحو
مائتي عام وبعد بقراط بنحو ستائة سنة . وكان يفد إلى رومة كثيراً ، لمعالجة ملكها المجنوم ، وكان يفزو
مع ملوك رومية لتدبير الجرجى . ويفهم من تاريخه أنه دخل مصر وبلاد النوبة . وله مؤلفات شتى في
الطب والفلسفة سردها ابن النديم والقفطي في إخبار العلماء بأخبار الحكماء .

بالخطابة^(١) ، ولا بهذا الجنس من البلاغة ، وفي الفرس خطباء ، إلا أن كل كلام للفرس ، وكل معنى للعجم ، فإنما هو عن طول فكرة وعن اجتهاد رأى ، وطول خلوة^(٢) ، وعن مشاورة ومعاونة ، وعن طول التفكير ودراسة الكتب ، وحكاية الثاني علم الأول ، وزيادة الثالث في علم الثاني ، حتى اجتمعت ثمار تلك الفكر عند آخرهم . وكل شيء للعرب فإنما هو بديهية وارتجال ، وكأنه إلهام ، وليست هناك معاناة ولا مكابدة ، ولا إجمالة فكر ولا استعانة ، وإنما هو أن يصرف وهمه إلى الكلام ، وإلى رجز يوم الخصام ، أو حين يمتح على رأس بحر ، أو يحذو ببعير ، أو عند المقارعة أو المناقلة ، أو عند صراع أو في حرب ، فما هو إلا أن يصرف وهمه إلى جملة المذهب ، وإلى العمود الذي إليه يقصد ، فتأتيه المعاني أرسالا^(٣) ، وتنثال عليه الألفاظ انثيالاً ، ثم لا يقيد على نفسه ، ولا يدرسه أحداً من ولده^(٤) . وكانوا أميين لا يكتبون ، ومطبوعين لا يتكلفون ، وكان الكلام الجيد عندهم أظهر وأكثر ، وهم عليه أقدر ، وله أقهر^(٥) ، وكل واحد في نفسه أنطق ، ومكانه من البيان أرفع ، وخطباؤهم للكلام أوجد^(٦) ، والكلام عليهم أسهل ، وهو عليهم أيسر من أن يفتقروا إلى تحفظ ، ويحتاجوا إلى تدريس . وليس هم كمن حفظ علم غيره ، واحتذى على كلام من كان قبله ، فلم يحفظوا إلا ما غلق بقلوبهم ، والتحم بصدورهم ، واتصل بعقولهم ، من غير تكلف ولا قصد ،

(١) لكن ذكر القفطي ٨٦ أنه « كانت له بمدينة رومية مجالس مقامية خطب فيها وأظهر من علمه بالتشريح ما عرف به فضله ، وبأن به علمه » . وقال : « وكان جالينوس عالماً بطريق البرهان خطيباً . وله كتاب ناقض به الشعراء ، وكتاب في لحن العامة » .

(٢) ما عدل : « وعن اجتهاد وخلوة » .

(٣) أرسالا : أفواجا ، جمع رسل بالتحريك .

(٤) يقال درسته إياه وأدرسته أيضاً . قالوا : وقرأ ابن حيوة في الشواذ : « وبما كنتم تدرسون » بضم الناء . ويقال دارست الكتب وتدارستها وأدارستها .

(٥) كلمة « له » من ل فقط .

(٦) ما عدل . « وخطباؤهم أوجد » .

ولا تحفظ ولا طلب . وإن شيئاً هذا ^(١) الذى فى أيدينا جزء منه ، كالمقدار الذى
 ١٠٢ لا يعلمه إلا من أحاط بقطر السحاب وعدد التراب ، وهو الله الذى يحيط بما
 كان ، والعالم بما سيكون .

ونحن - أبقاك الله - إذا ادعينا للعرب أصناف البلاغة من القصيد
 والأرجاز ، ومن المنثور والأسجاع ، ومن المزدوج وما لا يزدوج ، فمعنا العلم أن
 ٥ ذلك ^(٢) لهم شاهد صادق من الديباجة الكريمة ، والرونق العجيب ، والسبك
 والنحت ، الذى لا يستطيع أشعر الناس اليوم ، ولا أرفعهم فى البيان أن يقول مثل
 ذلك إلا فى اليسير ، والتبذ القليل ^(٣) .

ونحن لا نستطيع أن نعلم أن الرسائل التى بأيدى الناس ^(٤) للفرس ، أنها
 ١٠ صحيحة غير مصنوعة ، وقديمة غير مولدة ، إذ كان ^(٥) مثل ابن المقفع
 وسهل بن هارون ، وأبى عبيد الله ، وعبد الحميد وغيلان ، يستطيعون ^(٦) أن
 يولدوا مثل تلك الرسائل ، ويصنعوا مثل تلك السير .

وأخرى : أنك متى أخذت بيد الشعوبى فأدخلته بلاد الأعراب الخُص ،
 ومعدن الفصاحة التامة ، ووقفته على شاعر مفلق ، أو خطيب مضقع ، علم أن
 ١٥ الذى قلت هو الحق ، وأبصر الشاهد عياناً . فهذا فرق ما بيننا وبينهم .
 فتفهم عنى ، فهلك الله ، ما أنا قائل فى هذا ، ثم أعلم أنك لم تر قوماً قط
 أشقى من هؤلاء الشعوبية ولا أعدى على دينه ، ولا أشد استهلاكاً ل عرضه ، ولا

(١) هذه الكلمة من ل ، ه .

(٢) ما عدل : « على أن ذلك » .

(٣) التبذ ، بالفتح ؛ الشيء القليل . ل : « والشيء القليل » .

(٤) ما عدل : « فى أيدي الناس » .

(٥) ما عدل ، ه : « إذا كان » .

(٦) ما عدل : « وغيلان وفلان ولا يستطيعون » .

أَطْوَلَ نَصَبًا ، ولا أَقْلَ غُثْمًا من أهل هذه النُّحْلَة . وقد شَفَى الصُّدُورَ منهم طُولُ جُنُومِ الحسدِ على أَكْبَادِهِمْ ، وتَوَقَّدَ نارُ الشَّنَّانِ في قلوبهم ، وغلِيَانُ تلكِ المَراجِلِ الفائرة ، وتسَعَرُ تلكِ الثِّيرانِ المضطربة . ولو عرفوا أخلاقَ أهلِ كُلِّ مِلَّة ، وزَيَّ أهلِ كُلِّ لُغَةٍ وَعِلَلَهُمْ ^(١) ، على اختلافِ شاراتهم ^(٢) وآلاتهم ، وشَمَائِلَهُمْ وهيئاتهم ، وما عَلَّةُ كُلِّ شَيْءٍ من ذلك ، وَلِمَ اجْتَلَبَوْهُ ^(٣) وَلِمَ تَكَلَّفُوهُ لِأَرَاخِوَا أَنْفُسَهُمْ ، ولَخَفَّتْ مَوَازِينُهُمْ ^(٤) على مَنْ خَالَطَهُمْ .

والدَّلِيلُ على أَنَّ أَخَذَ العَصَا مأخُودًا من أَصْلٍ كَرِيمٍ ، ومَعْدَنُ شَرِيفٍ ، ومن المَوَاضِعِ الَّتِي لَا يَعِيهَا إِلَّا جَاهِلٌ ، ولا يَعْترِضُ عَلَيْهَا إِلَّا مُعَانِدٌ ، اتَّخَذَ سَلِيمَانَ بْنِ ١٠٣ دَاوُدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ العَصَا لَخَطْبَتِهِ وَمَوْعِظَتِهِ ، وَلِمَقَامَاتِهِ ، وَطُولِ صَلَاتِهِ ، وَلَطُولِ الثَّلَاوَةِ وَالْإِنْتِصَابِ ، فَجَعَلَهَا لِتِلْكَ الْخِصَالِ جَامِعَةً . قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَقَوْلُهُ الْحَقُّ : ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ ﴾ ^(٥) فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْعَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿ . وَالْمِنْسَاءُ هِيَ الْعَصَا .

قَالَ أَبُو طَالِبٍ حِينَ قَامَ يُذَمُّ الرَّجُلَ الَّذِي ضَرَبَ زَمِيلَهُ بِالْعَصَا ^(٦) فَقَتَلَهُ حِينَ تَخَاصَمَا فِي حَبْلِ وَتَجَادَبَا : ١٥
أَمِنْ أَجْلِ حَبْلِ لَا أَبَاكَ عَلَوْتُهُ بِمِنْسَاءٍ قَدْ جَاءَ حَبْلٌ وَأَحْبَلُ ^(٧)

(١) كلمة « أهل » في الموضعين من ل فقط . وهي في هـ في الموضع الأول .

(٢) الشارة : الهيئة ، واللباس . ب ، ج : « إشاراتهم » التيمورية ، هـ : « إشاراتهم » صوابها في ل .

(٣) ما عدا ل : « اختلقوه » ، تحريف .

(٤) ب ، ج : « وتخففت » . التيمورية : « وتخفت » .

(٥) ل : « من منسأته » تحريف . على أنه قرئ : « من ساته » . والساة : العصا ، استعير اسمها

من ساة القوس وسيتها . انظر تفسير أبي حيان (٧ : ٢٦٧) .

(٦) ما عدا هـ : « بدم الرجل الذي ضربه بالعصا » ، تحريف . وانظر المحرر ٣٣٦ ونسب

فريش ١٦ .

(٧) لا أباك ، أى لا أبالك ، حذف اللام ، كما في قوله :

وقال آخر :

إذا دُبِيتَ على المنسأة من كِبَرٍ فقد تباعد عنك اللّهُ والغزل (١)

* * *

قال أبو عثمان : وإنما بدأنا بذكر سليمان صلى الله عليه لأته من أبناء العجم ، والشُعوبية إليهم أميل ، وعلى فضائلهم أحرص ، ولما أعطاهم الله أكثر وصفاً وذكرأ .

وقد جمع الله لموسى بن عمران عليه السلام في عصاه من البرهانات العظام ، والعلامات الجسام ، ما عسى أن يفى ذلك بعلامات عدّة من المرسلين ، وجماعة من النبيين . قال الله تبارك وتعالى فيما يذكر من عصاه (٢) : ﴿ إِنَّ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكَ مِنْ أَرْضِكَ بِسِحْرِهِمَا ﴾ ، إلى قوله تعالى : ١٠ ﴿ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾ .

فلذلك قال الحسن بن هانئ في شأن خصيب (٣) وأهل مصر حين اضطربوا عليه :

= وقد مات شماخ ومات مزرد وأى كريم لا أباك يخلد

وقول أنى حية :

أبالموت الذى لا بد أنى ملاق لا أباك تخوفنى
وأكثر ما يستعمل في المدح ، أى لا كافى لك غير نفسك . وقد يذكر في معرض اللزم ، كما يقال لا أم لك . والبيت لم يرد في ديوان أنى طالب مخطوط الشنقيطى بدار الكتب . وأنشده في اللسان (نسأ) برواية : « قد جر حبلك أحبل » . وبعده بأبيات :

هلم إلى حكم ابن صخرة إنه سيحكم فيما بيننا ثم يعدل
كما كان يقضى في أمور تنوبنا فيعمد للأمر الجميل ويفصل
(١) أنشده في اللسان (نسأ) برواية : « من هرم » . « فقد تباعد منها » . وفي هـ : « منك » فوق « عنك » ، رواية أخرى .

(٢) ما عدال ، هـ : « في عصاه » .

(٣) هو الخصيب بن عبد الحميد العجمي ثم المزارى ، أمير مصر . وهو دهقان من أهل المزار شريف الآباء ، وليس بابن صاحب نهر أنى الخصيب ، ذاك عبد للمصور يقال له مرزوق وكان هذا رئيساً في أرضه ، فانتقل إلى بغداد وصار كاتب مهرويه الرازى ، ثم انتقل إلى الإمارة . = ٢٥

فَإِنْ تَكُ مِنْ فِرْعَوْنَ فَيْكُم بِقِيَّةٌ فَإِنَّ عَصَا مُوسَى بِكَفِّ خَصِيبٍ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ السَّحْرَةَ لَمْ يَتَكَلَّفُوا تَغْلِيظَ النَّاسِ وَالتَّهْوِيَةَ عَلَيْهِمْ إِلَّا بِالْعَصَى ،
وَلَا عَارِضَهُمْ مُوسَى إِلَّا بِعَصَاهُ .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ .
حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ
بَنَى إِسْرَائِيلَ . قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ . ١٠٤
فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾ .

وقال الله عز وجل : ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ
الْمُلْقِينَ . قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ
عَظِيمٍ . وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ ثَلْجٌ مَاءٌ يَأْفِكُونَ . فَوَقَعَ الْحَقُّ
وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ . أَلَا تَرَى أَنَّهُمْ لَمَّا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ
بِالْعَصَى وَالْحِبَالِ ، لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لِلْحِبَالِ مِنَ الْفَضِيلَةِ فِي إِعْطَاءِ الْبُرْهَانِ مَا جَعَلَ
لِلْعَصَا ، وَقُدْرَةُ اللَّهِ عَلَى تَصْرِيفِ الْحِبَالِ فِي الْوُجُوهِ ، كَقُدْرَتِهِ عَلَى تَصْرِيفِ الْعَصَا .

= ديوان أبي نواس ٩٧ . وقد وفد أبو نواس على الخصب في حادثة سنة - أخبار أبي نواس ٢٣٤ .
وكان من خير هذا الشعر أن أهل مصر كانوا قد شنعوا على الخصب لزيادة في أسعارهم ، وكان على شربه
وعنده أبو نواس ، فوثب أبو نواس وقال : دعني أيها الأمير أكلهم . فقال : ذاك إليك . فخرج حتى
وافى المسجد الجامع وقد تواعدوا أن يجتمعوا فيه ، فأنشد هذه الأبيات ، ويقال إنه ارتجلها على المنبر ، فلما
سمعها من اجتماع تفرقوا فلم يبق أحد منهم ، وعاد إلى مجلس الخصب فأمر له بألف دينار . أخبار أبي
نواس ٢٤٠ . والأبيات كما رواها ابن منظور وكما في الديوان ١٠٣ :

منحتكم يا أهل مصر نصيحتي ألا فخذوا من ناصح بنصيب
ولا تنبوا وثب السفاة فتحملوا على حد حامى الظهر غير ركوب
فإن يك باق إفك فرعون فيكم فإن عصا موسى بكف خصيب
رماكم أمير المؤمنين بحجة أكلول لحيات البلاد شروب
ولما استنشده الرشيد هذه الأبيات قال : ألا قلت فباقي عصا موسى بكف خصيب ؟ فقال له وهذا يا أمير
المؤمنين أحسن ، ولكنه لم يقع لي .

وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِءِ الْوَادِئِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ . وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهْتَزُّ كَانَتْهَا حَبًّا وَلَىٰ مُذِبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴾ . فبارك كما ترى على تلك الشجرة ، وبارك في تلك العصا ، وإنما العصا جزء من الشجر .

وقال عز وجل : ﴿ وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا . أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴾ . وقالت الحكماء : إنما بُنِيَ المدائن على الماء والكلأ والمختطب ^(١) . فجمع بقوله : ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴾ النجم والشجر ، والمِلح واليقطين ^(٢) ، والبقل والعشب . فذكر ما يقوم على ساق وما يتفتن وما يتسطح ، وكل ذلك مرعى ، ثم قال على النسق : ﴿ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾ ، فجمع بين الشجر ١٠ والماء والكلأ والماعون كله ؛ لأن الملح لا يكون إلا بالماء ، ولا تكون النار إلا من الشجر .

وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ . وقال : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ . أَنَّكُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ . نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ ﴾ . ١٥ والمَرْخ والعَفَّار ^(٣) ، والسَّوَّاسُ ^(٤) والعراجين ، وجميع عيدان النار ، وكل

(١) سبق هذا في (٢ : ١٩٣) والحيوان (٥ : ٩٩) .

(٢) اليقطين ، بالفتح : كل شجر لا يقوم على ساق ، نحو الدباء ، والقرع والبطيخ ، والحنظل .

(٣) المرخ : شجر كثير الورى سريعه ، وهو من العضاه ينفرش ويطول في السماء ، وليس له

ورق ولا شوك . والعفار ، كسحاب : شجر مثله يتخذ منه الزناد ، وهو شجر خوار ، ولذلك جاد ٢٠ للزناد .

(٤) السواس ، كسحاب : شجر من العضاه يقتدح به . ل : الشواس « تحريف .

عُودٌ يُقَدِّحُ عَلَى طُولِ الاحتكاك فهو غنيٌ بنفسه ، بِالْعِ لِلْمُقَوِي وَغَيْرِ الْمُقَوِي ^(١) ١٠٥
وَحَجَرُ الْمَرَوْ يَحْتَاجُ إِلَى قَرَاعَةِ الحديد ، وهما يحتاجان إِلَى الْعُطْبَةِ ^(٢) ، ثم إِلَى
الخطب . وَالْعِيدَانِ هِيَ الْقَادِحَةُ ، وَهِيَ الْمُورِيَّةُ ، وَهِيَ الخطب .
قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ . وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾ .
وَالْمَاعُونَ : الْمَاءُ وَالنَّارُ وَالْمَلْح ^(٣) وَالْكَأُ . وَقَالَ الْأَسَدِيُّ ^(٤) :

وَكَأَنَّ أَرْحَلَنَا يَجْوُو مُحَصَّبٍ يَلْوَى عُتَيْرَةً مِنْ مَقِيلِ التُّرْمُسِ ^(٥)
فِي حَيْثُ خَالَطَتِ الْحُزَامَى عَرْفَجَا يَأْتِيكَ قَابَسُ أَهْلِهَا لَمْ يُقْبَسِ ^(٦)
وَأَتَمَّا وَصَفَ خِصْبَ الْوَادِي وَلَدُونَةَ عِيدَانِهِ ، وَرَطَوِيَّةَ الْوَرَقِ . وَهَذَا
خِلَافُ قَوْلِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ هَنْدٍ ^(٧) :

فَإِنَّ السَّنَانَ يَرْكَبُ الْمَرْءُ حَدَّهُ مِنْ الْعَارِ أَوْ يَعْدُو عَلَى الْأَسَدِ الْوَرْدِ ^(٨)
وَأَنَّ الَّذِي يَنْهَاكُمُ عَنْ طِلَابِهَا يَنْأَغِي نِسَاءَ الْحَيِّ فِي طَرَّةِ الْبُرْدِ ^(٩)
يُعَلِّلُ وَالْأَيَّامُ تَنْقُصُ عَمْرَهُ كَمَا تَنْقُصُ التَّيْرَانُ مِنْ طَرَفِ الرَّيْدِ

* * *

(١) المقوى : المسافر ينزل بالأرض القى ، بكسر القاف ، وهى القفر .
(٢) العطبة : القطعة من العطب ، بضمين وبضمة واحدة ، وهى القطن .
(٣) كلمة : « والملح » من ل ، ه فقط .
(٤) وهذه النسبة أيضاً فى الحيوان (٣ : ١٢١) . لكن نسبه فى (٤ : ٤٦٥) إلى المزارع بن منقذ .
(٥) ما عدل ، ه : « بأرض محصب » . وفى المخصص (١٠ : ١٣٣) : « يجو محصب »
والجو : ما انخفض من الأرض . وعُتَيْرَةٌ : موضع بين مكة والبصرة . والترمس : ماء لبنى أسد . وفى
المخصص : « من مفيض الترمس » .

(٦) البيت فى المخصص (١٠ : ١٧٦ / ١١ : ٣٢) .
(٧) فى الحيوان (٣ : ٤٨ ، ٤٧٩) : « عمرو بن هند » وفى (٦ : ٥٠٢) : « عبد هند » .
وفى ما عدل هنا : « وهذا خلاف قوله » فقط .

(٨) من العار ، أى من خشية العار ، فالحر يذود عن حوضه بالسلاح ويقتحم الأخطار . والورد :
ما لونه الوردة ، وهى الحمرة الضاربة إلى الصفرة .

(٩) ينأغى : يغازل . وطرة الثوب : شبه علمين يخاطان بجانبى البرد على حاشيته . وفى هامش
ه : « شبة الأرض إذا اكتست بالنور فى الخصب بطرة البرد » .

وذكر الله عز وجل النَّخْلَةَ فجعلها شجرة ، فقال : ﴿ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾ .

وذكر رسول الله ﷺ حُرْمَةَ الْحَرَمِ فقال : « لَا يُخْتَلَى خِلَافَهَا ، وَلَا يُعْصَدُ شَجَرُهَا » .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ ﴾ .

وتقول العرب : ليس شيء أدفأ من شجر ، ولا أظْلَم من شجر (١) .

ولم يكلم الله موسى إلا من شجرة ، وجعل أكبر آياته في عصاه ، وهى من الشجر . ولم يمتحن الله جلّ وعزّ صبر آدم وحواء ، وهما أصل هذا الخلق وأوّلُهُ ، إلا بشجرة . ولذلك قال : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ وجعل بيعة الرضوان (٢) تحت شجرة . وقال : ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَيْبُهَا لِلْكَالِينَ ﴾ .

وسِدْرَةُ الْمُنْتَهَى التى عندها جَنَّةُ الْمَأْوَى شجرة .

وشجرة سُرّ تحتها سبعون نبياً لا تُعْبَل ولا تُسْرَف (٣) .

وحين اجتهد إبليسُ فى الاحتيال لآدم وحواء صلى الله عليهما ، لم يصرف

(١) ما عدال ، هـ : « شجرة » فى الموضعين .

(٢) كانت بيعة الرضوان فى السنة السادسة من الهجرة ، وذلك أن رسول الله ﷺ خرج عام الحديبية يريد زيارة البيت لا يريد قتالا ، وكان رسوله إلى قريش عثمان بن عفان ، فاحتبسته قريش عندها ، وبلغ رسول الله أنه قد قتل ، فقال : لا نبرح حتى نناجز القوم ، ودعا إلى البيعة وكانت تحت شجرة جلس رسول الله فى أصلها ، فبايعه الناس على الموت ، فلما علمت قريش بذلك أرسلوا فى طلب الهدنة فكان من ذلك صلح الحديبية . السيرة ٧٤٦ - ٧٥٢ . وكان الناس يأتون تلك الشجرة من بعد يصلون عندها فبلغ عمر فأمر بقطعها . تفسير أى حيان (٨ : ٩٦) .

(٣) سر الصبى يسره : قطع سرره ، بالتحريك . وما بقى فهو السرة . لا تُعْبَل ، أى لا يسقط ورقها . وسرفت الشجرة . أصابها السرفة ، وهى دوية تنسج على بعض الشجر وتأكُل ورقه وتملك ما بقى منه بذلك النسج . والحديث بتمامه فى اللسان (عبِل ، سرف) : أن ابن عمر رضى الله عنه قال لرجل : إذا أتيت منى فاتتيت إلى موضع كذا وكذا فإن هناك سرحة لم تعبِل ولم تجرد ولم تسرف ، سُرّ تحتها سبعون نبيا ، فانزل تحتها .

الحيلة إلا إلى الشجرة ، وقال : ﴿ هَلْ أَذُلكَ عَلَى شَجَرَةِ الخُلْدِ وَمَلِكٌ لَا يَمُوتُ ﴾ . ١٠٦
وفيمَا يُضْرَب بالأمثال من العصي قالوا : قال جميل بن بَصْبَهْرِي (١) حين
شكا إليه الدهاقين (٢) شَرَّ الحجاج . قال : أخبروني أين مولده ؟ قالوا :
الحجاز . قال : ضعيف مُعْجَب . قال : فمَنْشَوْه ؟ قالوا : الشام . قال : ذلك شَرٌّ .
ثم قال : ما أحسن حَالكم إن لم تُبْتَلُوا معه بكَاتِبٍ منكم ، يعنى من أهل بابل .
فابْتَلُوا بزادَانِ فَرُوخَ الأعور (٣) . ثم ضَرَبَ لهم مثلاً فقال : إن فأساً ليس فيها عودٌ أَلْقِيتَ
بين الشجر (٤) ، فقال بعضُ الشجر لبعض : ما أَلْقِيتَ هذه (٥) ها هنا خير . قال :
فَقَالَتِ شَجَرَةٌ عَادِيَّةٌ (٦) : إن لم يدخل في است هذه (٥) عودٌ منكن فلا تحفنها .
وقال يزيد بن مفرغ (٧) :

١٠ (١) هذه الكلمة مهملة في الأصل ، ونقطها وضبطها مما سبق في (٢ : ٢٦٣) . ما عدل :
« يصبري » . وضبطت في هـ . بتشديد الراء المفتوحة .

(٢) الدهاقين : جمع دهقان ، بالكسر ، وهو زعيم فلاحى المعجم ، فارسي معرب ، فارسيته
« دهكان » .

(٣) سبقت ترجمته في (١ : ٣٣٥) .

١٥ (٤) الفأس مؤنثة . ما عدل : « ليس فيه عود ألقى بين الشجر » ، تحريف .

(٥) ما عدل : « هذا » تحريف .

(٦) عادية ، قديمة ، كأنها منسوبة إلى عاد .

(٧) هو يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري ، من شعراء الدولة الأموية . لما ولي سعيد بن عثمان بن
عفان خراسان ، استصحب يزيد فأبى عليه وآثر صحبة عباد بن زياد ، وكان من ذلك أيضاً منافسة بين
عباد بن زياد وأخيه عبيد الله بن زياد ، ولكن عباداً لم يرقى من بعد في عيني يزيد فرأى أن يهاجره ، وكان
ليزيد قينة تسمى الأراكاة ، وغلّام يدعى بردا ، فطلب إليه عباد أن يبيعه إياهما ، ثم ضربه حتى أخدهما
منه ، فقال يزيد في ذلك :

شريت برداً ولو ملكت صفقته
لولا الدعي ولولا ما تعرض لي
يا برد ما مسناً برد أضربنا
أما الأراك فكانت من مخارفتنا
لما تطلبت في بيع له رشدا
من الحوادث ما فارقت أبدا
من قبل هذا ولا بعنا له ولدا
عيشا لذينا وكانت جنة رغدا

وقال أيضاً :

وشريت بردا ليتنى
من بعد برد كنت هامه

وهو من قصيدة البيت التالى . الأغاني (١٧ : ٥١ - ٥٥) وأمالى الزجاجي ٤١ - ٤٣ .

العبد يُقرع بالعصا والحرُّ تكفيه الملامه
وقال : أخذه من الفلتان الفهمي^(١) ، حيث قال :

العبد يقرع بالعصا والحرُّ تكفيه الإشارة
وقال مالك بن الرِّيب^(٢) :

العبد يُقرع بالعصا والحرُّ يكفيه الوعيد
وقال بشَّار بن بُرد :

الحرُّ يُلحَى والعَصَا للعبد وليس للمُلحِف مثل الرَّد
وقال آخر^(٣) :

فاحتلتُ حين صرْمَتِي والمرءُ يَعِجُزُ لا المَحَالَه^(٤)
والدَّهرُ يلعب بالفتى والدَّهرُ أروغ من نُعَالِه^(٥)
والمرءُ يَكْسِبُ مَالَه بالشُّحِّ يورثُه الكَلَالَه^(٦)
والعبد يُقرع بالعصا والحرُّ تكفيه المقالة

* * *

(١) كذا في جميع النسخ ، وصوابه « الصلتان الفهمي » ، كما أسلفت في تحقيق الحيوان (٥) : ١٥ . (٦٢) .

(٢) كان مالك بن الريب معاصرا ليزيد بن مفرغ ، وكان لصا يقطع الطريق مع شظاظ الضبي الذي يضرب به المثل ، فلما كان سعيد بن عثمان بن عفان في طريقه إلى خراسان حين ولاء معاوية ، مر بمالك بن الريب فاستصحبه واستتابه وأجرى عليه خمسمائة دينار في كل شهر ، فكان معه حتى قتل بخراسان . الخزانة (١ : ٣٢١) والأمالى (٣ : ١٣٥) . ٢٠ .

(٣) هو أبو دُوَاد ، يعاتب امرأته في سماحته بماله . اللسان (حول ١٩٧) . لكن البيت الأخير من هذه المقطوعة لم يروه ابن منظور ، بل روى الثلاثة الأولى فقط .

(٤) في اللسان وما عدل : « حاولت » . والمحال : الحيلة . ما عدل : « لا محالة » ، تحريف يفسد معه المعنى .

(٥) ثعالة : علم جنس للثعلب . وهو معروف بالمرأوة . ٢٥ .

(٦) الكلالة هم من الأقارب ما خلا الوالد والولد ، سموا كلاله لاستندارتهم بنسب الميت الأقرب فالأقرب .

ومّا يدخل في باب الانتفاع بالعصا أنّ عامر بن الظرب العدواني^(١) ١٠٧
حكّم العرب في الجاهلية ، لما أسنّ واعتراه التسيان ، أمر ابنته أن تقرّع بالعصا إذا
هو فة عن الحكم^(٢) ، وجارّ عن القصد ، وكانت من حكيّمات بنات العرب
حتى جاوزت في ذلك مقدار صُحُرى بنت لقمان^(٣) ، وهند بنت الحُسن ،
وجُمعة بنت حابس بن مُليل الإياديّين^(٤) .

وكان يقال لعامر : ذو الحلم ، ولذلك قال الحارث بن وعله^(٥) :
وزعمتم أنّ لا حلوم لنا إنّ العصا قرّعت لدى الحلم
وقال المتلمّس في ذلك^(٦) :

ليدى الحلم قبل اليوم ما تُقرّع العصا وما علّم الإنسان إلا ليعلما
وقال الفرزدق بن غالب :

(١) ترجم في (١ : ٢٦٤) . والخبر إلى كلمة « من القتل » في الأغاني (٢ : ١٣٤) .
(٢) فه عن الشيء بقّة فها : نسيه .
(٣) صحر ، بضم الصاد وسكون الحاء ، كما في القاموس (صحر) . وفي الأصول : « صخرة »
تحريف . وفي هـ : « صخرة » . ومما يسجل أنها « صحر » قول خفاف بن ندبة :
وعياش يدب لى المنايا وما أذنبت إلا ذنب صحر

وكذا قول عروة بن أذينة ، وقد روى البيتان في الحيوان (١ : ٢٢) :
أتجمع تهما بللى إذا نأت وهجرانها ظلماً كما ظلمت صحر
(٤) هذا بالنظر إلى أبيهما ، وإلا فهما إياديّتان .

(٥) هو الحارث بن وعله بن عبد الله الجرّمي ، كان هو وأبوه وعله من فرسان قضاة وأنجادها
وشعرائها ، وشهد أبوه يوم الكلاب الثاني فأقلت بعد أن أدركه قيس بن عاصم المنقرى . الأغاني (١٩ :
١٤١ - ١٤٢) .

(٦) كلمة « في ذلك » من ل ، هـ . والمتلمس : أحد شعراء الجاهلية ، وهو خال طرفة بن العبد ،
وكان ينادمان عمرو بن هند ملك الحيرة ، فلما هجراه حاول الانتقام منهما كما تروى الأساطير ، فكتب
لهما كتابين إلى عامل البحرين يأمره بقتلهما ، وأوهمهما أنه أمر لهما بصلّة ، حتى إذا كانا ببعض الطريق
عرف المتلمس ما في الصحيفة فقتل بها في نهر الحيرة ، وذهب طرفة إلى العامل فقتل هناك . الأغاني
(٢١ : ١٢٠) ، والخزانة (٣ : ٧٣) ومعاهد التنصيص (١ : ١٠) وسرح العيون ٢٧ .

فإن كنتُ أستاذي حلومَ مُجاشع فإن العصا كانت لذي الحلم تفرغُ^(١)

ومن ذلك حديثُ سعد بن مالك^(٢) بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ، واعتزأُ الملك على قتل أخيه^(٣) إن هو لم يُصِبْ ضَميره ، فقال له سعد : أبيتُ اللعن أتدعني حتى أفرغَ بهذه العصا أختها ؟ فقال له الملك : وما علمُ بما تقول العصا ؟ ففرع بها مرةً وأشار بها مرةً ، ثم رفعها ثم وضعها ، ففهم المعنى فأخبره ونجا من القتل .

وذكرُ العصا يجري عندهم في معانٍ كثيرة . تقول العرب : « العصا من العَصِيَّة^(٤) ، والأفعى بنت حَيَّة » ، تريد أن الأمر الكبير يحدث عن الأمر الصغير .

ويقال : « طارت عصا فلانٍ شِقْقاً » . وقال الأسدَى :
عَصِيَّ الشَّمْل من أَسَدٍ أراها قد انصدعت كما انصدع الزجاجُ
ويقال : « فلانٌ شَقَّ عصا المسلمين » ، ولا يقال شق ثوباً ولا غير ذلك مما

(١) البيت من قصيدة له في ديوانه ٥٠٣ يمتب فيها على قومه . والرواية فيه : « وإن أعف استبقى » . أستاذي : أنتظر وأتربص ولا أتعجل . ما عدال ، هـ : « أنسأى حلوم مجاشع » تحريف .
(٢) ما عدال ، هـ : « سعيد بن مالك » تحريف . وسعد هذا والد جد طرفه بن العبد بن سفيان ابن سعد بن مالك ، أحد سادات بكر بن وائل وفرسانها في الجاهلية وشعرائها . المؤلف ١٣٥ . وهو صاحب المقطوعة الحماسية التي أولها :

يا بؤس للحرب التي وضعت أراها فاستراحوا

وانظر ما سبق في ص ١٩ .

(٣) أخوه هذا هو عمرو بن مالك . وكان النعمان قد أرسله رائداً للكلا فأبطأ عليه فأغضبه ذلك فأقسم إن جاء حامداً أو ذاماً ليقلته ، فاحتال أخوه سعد في إنقاذه بقرع العصا ، في قصة مسهبة يرويها أبو الفرج في الأغاني (٢١ : ١٢٤) .

(٤) يعنون أن الشيء الجليل إنما يكون في بدنه صغيراً ، وذلك كما يقولون : « القرم من الأفيال » وقيل إن « العصية » فرس ، هي أم « العصا » فرس جذية .

يقع عليه اسم الشق . وقال العتاني ^(١) في مدح بعض الخلفاء ^(٢) : ١٠٨

إمام له كف يضم بناتها عصا الدين ممنوعاً من البري عودها
وعين محيط بالبرية طرفها سواً عليه قريتها ويعيدها
وقال مضر بن الأسدي ^(٣) :

فألقت عصا التسيار عنها وخيمت بأرجاء عذب الماء بيض محافره
وقال أيضاً ^(٤) :

فألقت عصاها واستقرت بها النوى كما قر عيناً بالإياب المسافر
ويقال لبني أسد : « عبيد العصا » يُعنى أنهم كانوا ينقادون لكل من
حالفوا من الرؤساء . وقال بشر بن أبي خازم ^(٥) :
عبيد العصا لم يتفوك بدمية سوى سيب سعدى إن سيبك واسع ^(٦)
وتسمى العرب كل صغير الرأس : « رأس العصا » .

(١) هو كلثوم بن عمرو العتاني ، المترجم في (١ : ٢٣١) .

(٢) هو الخليفة هارون الرشيد ، كما في معجم المرزباني ٣٥٢ . وبعد البيتين :

وأصم بقطان بيت مناجياً له في الحشا مستودعات يكيدها
وسمع إذا ناداه من قعر كربة مناد كفته دعوة لا يعيدها

١٥

(٣) هو مضر بن ربيعي بن لقيط الأسدي ، شاعر محسن متمكن ، كان معاصراً للفردق .

المؤلف ١٩١ ومعجم المرزباني ٣٩٠ . والبيت في اللسان (عصا) بدون نسبة .

(٤) لمعر بن حمار ، أو عبد ربه السلمي ، أو سليم بن غمامة الحنفي . اللسان (عصا) .

(٥) يقوله لأوس بن حارثة . وكان بشر قد حمل حملاً على هجاء أوس ، وجعلت له في ذلك

جمالة ، فهجاء بقصائد خمس ، ثم وقع بشر في الأسر وظفر به أوس بعد أن أعطى من أسروه مائتي بعر ،
وأوقد له ناراً ليحرقه ، فبلغ ذلك أم أوس - وهي سعدى بنت حصن - فأندرت أن يخلئ سبيله ويصفح
عنه خوف الهجاء ، ففعا عنه وكساه وحمله وأمر له بمائة ناقة ، فكان ذلك سبباً في أن يغسل بشر هجاء
أوس بخمس قصائد في مدحه . انظر مختارات ابن الشجري ٦٥ - ٨٣ . والبيت التال من أبيات المدح ،
وهي كذلك في هجو بني أسد . وبنو أسد هم قوم بشر بن أبي خازم الأسدي ، فكانه يتقرب إلى أوس
بهجائه عشيرته وقومه .

٢٥

(٦) سعدى ، بنت حصن ، وهي أم أوس . والسيب : العطاء والعرف والنافلة . ورواية ثمار

القلوب ٥٠٤ : « سوى أنهم يخل وفضلك واسع » . وانظر الحيوان (٥ : ٢٩٣) .

وكان عمرُ بن هُبَيْرَة ^(١) صغيرَ الرأس ، فقال سُويد بن الحارث ^(٢) .
 مَن مُبْلَغُ رَأْسِ الْعَصَا أَنَّ بَيْنَنَا ضِعَاثَنَ لَا تُنْسَى وَإِنْ قَدُمَ الدَّهْرُ
 وقال آخر :

فَمَنْ مِبْلَغُ رَأْسِ الْعَصَا أَنَّ بَيْنَنَا ضِعَاثَنَ لَا تُنْسَى وَإِنْ قِيلَ سُلِّتَ
 رَضِيَتْ لَقَيْسِي بِالْقَلِيلِ وَلَمْ تَكُنْ أَخَا رَاضِيًا لَوْ أَنَّ نَعْلَكَ زَلَّتْ ^(٣) .
 وكان والبة صغير الرأس ^(٤) ، فقال أبو العتاهية في رأس والبة ورءوس قومه :
 رءوس عِصِي كُنَّ مِنْ عَوْدٍ أَثْلَةٍ لَهَا قَادَحٌ يَبْرِي وَآخِرُ مُخْرَبٍ ^(٥)

* * *

والدليل على أنهم كانوا يتخذون الخناصر في مجالسهم كما يتخذون القنا
 والقِسي في المحافل ، قول الشاعر في بعض الخلفاء ^(٦) :
 ١٠٩ في كَفِّهِ خَيْرَانِ رِيحُهُ عَيْقٌ مِنْ كَفِّ أَرُوْعٍ فِي عَرْنِينِهِ شَمَمٌ ^(٧)

(١) هو عمر بن هبيرة بن سعد بن عدى بن فزارة ، ولي العراقين ليزيد بن عبد الملك ست
 سنين ، وكان يكنى أبا المثنى ، وفيه يقول الفرزدق مخاطباً يزيد :

أَوَّلَيْتَ الْعِرَاقَ وَرَافِدِيَهُ فَزَارِيَا أَحْذِ يَدَ الْقَمِيصِ
 ١٥ تَفَنَّقَ بِالْعِرَاقِ أَبُو الْمَثْنَى وَعَلِمَ قَوْمَهُ أَكَلَ الْخَيْصِ
 وأولاده : يزيد ، وسفيان ، وعبد الواحد . المعارف ١٨٩ .

(٢) كلمة « بن الحارث » من ل ، ه .

(٣) يقول : لو زلت نعلك لوجدت من قيس من العون ما لا ترضى لهم معه إلا الكثير .
 (٤) ما عدل ، ه : « حَقِيرَ الرَّأْسِ » . والبة هذا هو والبة بن الحباب الأسدی ، من شعراء
 ٢٠ الدولة العباسية ، وهو أستاذ ألى نواس . وكان شاعراً ظريفاً غزلاً ، وصافاً للشرب والعلمان . وقد هاجى
 بشاراً وأبا العتاهية فلم يصنع شيئاً وفضحاه ، فعاد إلى الكوفة كالهارب وخمل ذكره بعد . الأغاني (١٦) :
 (١٤٢) .

(٥) القادح : أكل يقع في الشجر والأستان . ما عدل : « يفرى » . مخرب ، من الإخراب .
 ما عدل : « مجرب » تحريف .

(٦) انظر ما سبق من التحقيق في (١ : ٣٧٠) .

(٧) في (١ : ٣٧٠) : « بكف أروع » وفي الحيوان (٣ : ١٣٣) : « في كف أروع » .

يُغْضِي حَيَاءً وَيَغْضَى مِنْ جَلَالَتِهِ فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَتَسَيَّمُ

وقال الآخر :

مجالسهم خَفَضَ الحديث وقولهم إذا ما قَضَوْا فِي الْأَمْرِ وَخَى الْخَاصِرِ

وقال الآخر :

يُصِيبُونَ فَصْلَ الْقَوْلِ فِي كُلِّ خُطْبَةٍ إِذَا وَصَلُوا أَيْمَانَهُمْ بِالْخَاصِرِ (١)

٥

* * *

وَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا قَالَ : كُنَّا مُنْقَطِعِينَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ كِبَارِ أَهْلِ الْعَسْكَرِ ، وَكَانَ لُبْنَا يَطُولُ عِنْدَهُ ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُنَا : إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَجْعَلَ لَنَا أَمْرَةً إِذَا ظَهَرَتْ لَنَا خَفَفْنَا عَنْكَ (٢) وَلَمْ تُتْعَبِكَ بِالْقُعُودِ ، فَقَدْ قَالَ أَصْحَابُ مُعَاوِيَةَ لِمُعَاوِيَةَ مِثْلَ الَّذِي قُلْنَا لَكَ فَقَالَ : أَمْرَةٌ ذَلِكَ أَنْ أَقُولَ : إِذَا شِئْتُمْ . وَقِيلَ لِيَزِيدَ مِثْلَ ذَلِكَ فَقَالَ : إِذَا قُلْتُ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ . وَقِيلَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ مِثْلَ ذَلِكَ فَقَالَ : إِذَا أَلْقَيْتَ الْخِيزْرَانَةَ مِنْ يَدِي . فَأَيُّ شَيْءٍ تَجْعَلُ لَنَا أَصْلَحَكَ اللَّهُ ؟ قَالَ : إِذَا قُلْتُ : يَا غُلَامُ الْعَدَاءُ .

١٠

وَفِي الْحَدِيثِ : أَنْ رَجُلًا أَلَحَّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي طَلَبِ بَعْضِ الْمَغْنَمِ وَفِي يَدِهِ مَخْضَرَةٌ ، فَدَفَعَهُ بِهَا ، فَقَالَ يَارَسُولَ اللَّهِ : أَقْصِنِي . فَلَمَّا كَشَفَ النَّبِيُّ لَهُ عَنْ بَطْنِهِ احْتَضَنَتْهُ فَقَبَّلَ بَطْنَهُ .

١٥

وَفِي تَثْبِيَتِ شَأْنِ الْعَصَا وَتَعْظِيمِ أَمْرِهَا ، وَالطَّعْنِ عَلَى مَنْ ذَمَّ حَامِلَهَا ؛ قَالُوا : كَانَتْ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَشْرُ خِصَالٍ : أَوَّلُهَا السُّودُ ، وَهُوَ يَرَارُ النَّبِيَّ ﷺ . فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ : « إِذْنُكَ عَلَيَّ أَنْ يُرْفَعَ الْحِجَابُ ، وَتَسْمَعَ سِوَادِي » . وَكَانَ مَعَهُ مِسْوَاكُ النَّبِيِّ ﷺ ، وَكَانَتْ مَعَهُ عَصَاهُ .

٢٠

(١) البيت ملفق من صدر وعجز لبيتين ، سلفا لصفوان الأنصاري (١ : ٢٦ ، ٢٥ س ٩ ، ١٢) .

(٢) ما عدل ، هـ : « حفظنا » مع إسقاط الكلمة بعدها . وكلمة « عنك » من ل .

- قال : ودخل عُمر بن سعد ^(١) على عمر بن الخطاب ، حين رجع إليه من عمل حمص ، وليس معه إلا جراب وإداوة وقصعة وعصاً ^(٢) ، فقال له عمر : ما الذى أرى بك ، من سوء الحال أو تصنع ؟ قال : وما الذى ترى بى ^(٣) ، ألسْتُ صحيحَ البدن ، معى الدُّنيا بخذافيها ؟ قال : وما معك من الدنيا . قال : معى جرابى أحمل فيه زادى ، ومعى قَصْعَتى أغسل فيها ثوبى ، ومعى إداوتى أحمل فيها ماءً لشربى ، ومعى عصاى إن لقيتُ عدواً قاتلته ، وإن لقيت حيةً قتلتها ، وما بقى من الدنيا فهو تبعٌ لما معى ^(٤) .

وقال الهيثم بن عدي ، عن شريق بن القطامي وسأله سائل عن قول الشاعر :

- ١٠ لا تُعَدِّلَنَّ أَتَاوِيْنَ تَضْرِبُهُم نَكْبَاءُ صِرٌّ بِأَصْحَابِ الْمُحِلَّاتِ ^(٥)
قال : والمُحِلَّات : الدلو ، والمِقدَحَةُ ، والقِرْبَةُ ، والفأس . قال : فأين أنت عن العصا ؟ والصُّفْنُ خير من الدُّلو وأجمعُ ^(٦) .

(١) ما عدال : هـ : « عمر بن سعد » ، تحريف . وهو عمر بن سعيد بن عبيد بن النعمان بن قيس بن عمرو بن عوف . وكان عمر بن الخطاب يسميه « نسيج وحده » لإعجابه به . شهد فتوح الشام ، واستعمله عمر على حمص إلى أن مات ، وكان من الزهاد العبَّاد . الإصابة ٦٩٣١ وصفة الصفوة (١) : ١٥ - ٢٩١ - ٢٩٣) .

(٢) التيمورية : « وعصاه » بالإضافة . ب ، ج : « وعصاة » تحريف .

(٣) ما عدال : « ترائى » تحريف .

(٤) الخبر بتفصيل فى صفة الصفوة (١ : ٢٩١ - ٢٩٢) .

٢٠ (٥) الأتواى ، بفتح الهزمة : الغريب فى غير وطنه . والنكباء : كل ريح من الرياح الأربع وقعت بين ريحين ، وهى تهلك المال وتحبس القطر . والصر : الشديدة البرد . والمحللات كما فى التخصيص (١٣ : ٢٢٥) هى القدر ، والرحى ، والدلو ، والشفرة ، والفأس . وفى الحيوان (٥ : ٩٧) أنها القداحة والقربة والمسحاة . وقد نقص الجاحظ عن البيان هنا : الدلو . وفى اللسان (حلل) أنها القدر والرحى والدلو والقربة والجفنة والسكين والفأس والزند . وانظر اللسان (حلل ، أتو) ، والمقاييس (١ : ٥٢) ، ومحاضرات الراغب (٢ : ١٦١) .

٢٥

(٦) الصفن ، بضم الصاد وفتحها : وعاء من آدم كالسفرة لأهل البادية يجعلون فيها زادهم ، وربما استقوا به الماء كالدلو .

وقال النمر بن تولب :

أفرغتُ في حوضها صُفْنِي لتشرِبَه في دائرِ خَلْقِ الأَعْضَادِ أَهْدَامِ (١)

* * *

وأما العصا فلو شئتُ أن أشغلَ مجلسي كله بخصالها لفعلت .

وتقول العرب في مديح الرجل الجَلْد ، الذى لا يُفْتَات عليه بالرأى :
« ذلك الفحل لا يُقَرَعُ أنفه » (٢). وهذا كلام يقال للمخاطب إذا كان على هذه
الصِّفَةِ ، لأنَّ الفحل اللّيم إذا أراد الضُّراب ضربوا أنفه بالعصا .

وقد قال أبو سُفْيَان بنُ حَرْب بن أمية ، عندما بلغه من تزوّج النّبي ﷺ
بأمّ حَبِيبَة (٣) ، وقيل له : مثلك تُنكح نساؤه بغير إذنه ؟ فقال : « ذلك الفحل
لا يُقَرَعُ أنفه » .

والحمار الفارِه يفسده السُّوط (٤) وتصلحه المِقرعة . وأنشد لسلامة بن
جندل :

(١) يروى نظيره ، وكأنه هو ، لأى دواد فى اللسان (صفن) :

هرقت فى حوضه صفنا ليشربه فى دائر خلق الأَعْضَاد أَهْدَام

(٢) يقرع ، بالراء ، أى يضرب ، ويروى بالدال أيضا ، بمعناه . انظر اللسان (قذع ، قرع)
حيث أورد قول ورقة بن نوفل : « محمد يخطب خديجة ، هو الفحل لا يقدح أنفه » ، و « لا يقرع أنفه » .

(٣) هى أم حبيبة بنت أوى سفيان بن حرب ، القرشية الأموية ، زوج رسول الله ﷺ واسمها
« رملة » . ويروون أن الذى عقد عليها لرسول الله هو النجاشي ، بعد أن خطب خطبة قال فيها : « أما
بعد فإن رسول الله ﷺ كتب إلى أن أزوجه أم حبيبة ، فأجبت ، وقد أصدقها عنه أربعمئة دينار » ، ثم
سكب الدنانير ، فخطب خالد بن الوليد فقال : « قد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ ، وزوجته أم
حبيبة » . وقبض الدنانير ، وعمل لهم النجاشي طعاما . وقيل أن الذى عقد عليها لرسول الله هو عثمان بن
عفان . وكان ذلك قبل إسلام أيها وبغير إذنه . الإصابة ٤٣٢ من قسم النساء .

(٤) فى جميع الأصول : « الصوت » .

إِنَّا إِذَا مَا أَتَانَا صَارَخَ فِرْعُ كَانَ الصُّرَاخُ لَهُ قِرْعَ الظَّنَائِبِ^(١)

وقال الحجاج : « واللّه لأعصبنكم عصبَ السِّلْمَةِ ، ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل^(٢) . وذلك أن الأشجار تُعصبُ أغصانها ، ثم تخطب بالعصى لسقوط الورق وهشيم العيدان .

- ١١١ ودخل أبو مجلز^(٣) على قتيبة^(٤) بخراسان ، وهو يضرب رجلاً بالعصى فقال : أيها الأمير ، إن الله قد جعل لكل شيء قدراً ، ووقت فيه وقتاً ، فالعصا للأنعام والبهايم العظام^(٥) ، والسوط للحدود والتعزير ، والدرة للأدب^(٦) ، والسيف لقتال العدو والقود .

- ثم قال الشَّرْقِيُّ : ولكن دُعنا من هذا ؛ خرجتُ من الموصل وأنا أريد الرِّقَّةَ مستخفياً ، وأنا شابٌ خفيف الحاذِ^(٧) ، فصحبني من أهل الجزيرة فتى ما رأيْتُ بعده مثله^(٨) ، فذكر أنه تغلبى^(٩) ، من ولد عمرو بن كلثوم ، ومعه يزود وركوة وعصاً^(١٠) ، فرأيتُه لا يفارقها ، وطالت ملازمته لها ، فكدت من الغيظ أرمى بها في بعض الأودية ، فكنتُ نغشى فإذا أصبنا دوابَّ ركبناها ، وإن لم نُصب

- (١) رواية الديوان ١١ و المفضليات (١ : ١٢٢) : « كنا إذا » . والصارخ : المستغيث ، والصارخ : الإغاثة . والظنوب : حرف عظم الساق ، يقال : قد قرع ظنوبه لهذا الأمر ، أى عزم عليه .
(٢) هذا الكلام من خطبة سبقت في الجزء الثاني ص ٣٩٧ - ٣١٠ .
(٣) أبو مجلز : لاحق بن حميد ، المترجم في (٢ : ٤٣) .
(٤) هو قتيبة بن مسلم ، ترجم في (٢ : ٤٢) .
(٥) هذه الكلمة من ل ، هـ .
(٦) في المصباح : « الدرة : السوط » . وفي اللسان : « الدرة درة السلطان التي يضرب بها » ، فجعلها خاصة بالسلطان .
(٧) خفيف الحاذ : قليل المال والعيال ، كما يقال خفيف الظهر . اللسان (حوذ) . والحاذ : لحمه في ظاهر الفخذ . ما عدل : « خفيف الحال » .
(٨) المألوف : « مارأيت قبله ولا بعده مثله » .
(٩) النسبة إلى تغلب ، بكسر اللام : تغلبى بفتحها ؛ وربما قالوه بالكسر .
(١٠) الركوة ، مثلثة الرائ ، كما في القاموس : إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء .

الدوابّ مشيئنا ، فقلت له في شأن عصاه ، فيقال لي : إنّ موسى بن عمران عليه السلام حين آنس من جانب الطّور ناراً ، وأراد الاقتباس لأهله منها ، لم يأت النار في مقدار تلك المسافة القليلة إلا ومعه عصاه ، فلما صار بالوادي المقدّس من البقعة المباركة قيل له : ألق عصاك ، واخْلَعْ نعليك . فرمى بنعليه راغباً عنهما ، حين نزه الله ذلك الموضع عن الجلد غير الدّكيّ ، وجعل الله جماع أمره من أعاجيبه وبرهاناته في عصاه ، ثم كلمه من جوف شجرة ولم يكلمه من جوف إنسان ولا جانّ .

قال الشّرقى : إنه ليكثر من ذلك وإني لأضحك متهاوناً بما يقول ، فلما برزنا على حمارينا تخلف المكارى فكان حمأه يمشی ، فإذا تلكاً أكرهه بالعصا ، وكان حمأى لا ينساق ، وعلم أنه ليس في يدي شيء يكرهه ، فسبقني الفتى إلى المنزل فاستراح وأراح ، ولم أقدر على البراح ، حتّى وافاني المكارى ، فقلت : هذه واحدة .

فلما أردنا الخروج من الغد لم نقدر على شيء نركبه ، فكنا نمشي ، فإذا أعيا توكلنا على العصا . وربما أحضّر ^(١) ووضع طرف العصا على وجه الأرض فاعتمد عليها ومّر كأنه سهم زالج ^(٢) ، حتّى انتهينا إلى المنزل وقد تفسّخت من الكلال ، وإذا فيه فضل كثير ^(٣) ، فقلت : هذه ثانية ^(٤) .

١١٢

فلما كان في اليوم الثالث ، ونحن نمشي في أرض ذات أخاقيق وصُدوع ^(٥) ، إذ هجمنا على حيّة منكّرة فساورتنا ، فلم تكن عندي حيلة إلا بخذلانه وإسلامه

(١) الإحضار : ضرب من العدو . ما عدل ، هـ : « أحفر » تحريف .

(٢) الزالج : الذي إذا رماه الرامي فقصر عن الهدف وأصاب صخرة استقل من إصابة الصخرة

فقوى وارتفع . ما عدل ، هـ : « سهم وألح » تحريف .

(٣) ما عدل : « كبير » بالباء .

(٤) ل : « اثنان » .

(٥) الأخاقيق : الشقوق ، واحدها أخقوق .

إليها ، والهرب منها ، فضربها بالعصا فثقلت ، فلما بهشت له ^(١) ورفعت صدرها ضربتها حتى وقدها ^(٢) ، ثم ضربها حتى قتلها ، فقلت : هذه الثالثة ، وهي أعظمهن .

فلما خرجنا في اليوم الرابع ، وقد والله قرمت إلى اللحم ^(٣) وأنا هارب مُعْهِم ، إذا أرنب قد اعترضت ، فحذفها بالعصا ، فما شعرت إلا وهي معلقة .
وأدركنا ذكائها ^(٤) ، فقلت : هذه رابعة .

وأقبلت عليه فقلت : لو أن عندنا ناراً لما أحرث أكلها إلى المنزل . قال :
فإن عندك ناراً ! فأخرج عُويْداً من مِزْوِده ، ثم حكّه بالعصا فأورث إيراً المَرُخُ والعَفَّارُ عنده لا شيء ^(٥) ، ثم جَمَعَ ما قَدَّر عليه من العُثَاء والحشيش فأوقد ناره وألقى الأرنب في جوفها ، فأخرجناها وقد لَزِقَ بها من الرَّمَادِ والتُّرَابِ ما بَغَضَها إِلَيَّ ،
فعلّقها بيده اليسرى ثم ضرب بالعصا على جنوبها وأغراضها ضرباً رقيقاً ، حتى انتثر كل شيء عليها ، فأكلناها وسكن القَرَمَ ، وطابت النفس ، فقلت : هذه خامسة .
ثم إنّا نزلنا بعضَ الخانات ^(٦) ، وإذ البيوتُ مِلَاءً روثاً وثراباً ، ونزلنا بعقب جُنْدٍ وخرابٍ متقدّم ، فلم نجد موضعاً نَظُلُّ فيه ، فنظر إلى حديدةٍ مسحاةٍ مطروحةٍ في الدَّارِ ^(٧) ، فأخذها فجعل العصا نصاباً لها ، ثم قام فجرف جميع ذلك

(١) بهشت له : أقبلت إليه تريده .

(٢) الوقذ : شدة الضرب .

(٣) قرم إلى اللحم : اشتدت شهوته له .

(٤) الذكاة : الذبح ، أى كان بها بقية من حياة فذبحناها .

(٥) انظر ما سبق في ص ٣٣ .

(٦) الخانات : جمع خان ، وهو الحانوت أو الفندق الذى ينزل به التجار : ولفظه فارسي . أدى

شير ٥١- وقال : « وهو موجود في جميع اللغات الشرقية الدارجة » .

(٧) المسحاة : مجرفة من حديد .

التُّرابِ والرُّوث ، وجَرَدَ الأرضَ بها جَرْدًا ، حتَّى ظهر بياضُها ، وطابت ريحُها
فقلت : هذه سادسة .

وعلى أىِّ حالٍ لم تَطِيبْ نفسى أن أضَعَ طعامى وثيابى على الأرض ، فنَزَعَ
والله العصا من حديدَةِ المِسْحَاةِ فَوَثَّدَها فى الحائط ، وعلَّقَ ثيابى عليها ، فقلت :
هذه سابعة .

فلما صرْتُ إلى مَفْرِقِ الطُّرُق ، وأردتُ مفارقتَه ، قال لى : لو عَدَلْتَ فَبِتُّ
عندى كنتَ قد قَضَيْتَ حتَّى الصُّحْبَةَ ، والمنزلُ قريب . فعدَلْتُ معه فأَدْخَلَنى فى
مَنْزِلٍ يَتَّصِلُ بِبَيْعَةِ ^(١) . قال : فما زال يَحْدِثُنِى وَيُطَرِّفُنِى وَيُلَطِّفُنِى اللَّيْلَ كُلَّهُ ، فلما ١١٣
كان السَّحَرُ أَخَذَ حُشِّيَّةً ^(٢) ثم أَخْرَجَ تلكَ العصا بعينها فقرَعَهَا بها ، فإذا
ناقوسٌ ليس فى الدنيا مثْلُه ، وإذا هو أَحَدُ النَّاسِ بضَرْبِه ، فقلت له : ويلَكَ ،
أما أنتَ مسلم ، وأنتَ رجلٌ من العرب من ولدِ عَمْرِو بنِ كلثوم ؟ قال : بلى .
قلت : فلمَ تَضْرِبُ بالناقوسِ ؟ قال : جُعَلْتُ فِدَاكَ ! إنَّ أَى نصرانٍ ، وهو
صاحبِ البَيْعَةِ ، وهو شَيْخٌ ضَعِيفٌ ، فإذا شَهِدْتُهُ ^(٣) بَرَّرْتَهُ بالكفَايَةِ .

فإذا هو شَيْطَانٌ مارد ، وإذا أَظْرَفُ النَّاسِ كُلُّهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ أَدْبًا وطلبًا ،
فخَبَّرْتَهُ بالذِّى أَحْصَيْتُ من خِصَالِ العصا ، بعد أن كنتُ هَمَمْتُ أن أرمى بها ، ١٥
فقال : والله لو حَدَّثْتُكَ عن مناقبِ نفعِ العصا إلى الصبحِ لما اسْتَنْفَذْتُهَا .

* * *

(١) البَيْعَةُ بالكسر ، كنيسة النصارى ، وقيل كنيسة اليهود .

(٢) ما عدل : « خشبة » .

(٣) ل : « شهدت » .

ومن جمل القول في العصا وما يجوز فيها من المنافع والمرافق

تفسير شعر غنيّة الأعرابية ، في شأن ابنها (١) :

- وذلك أنّه كان لها ابنٌ شديد العرامة (٢) ، كثير التفلت إلى الناس ، مع
ضعف أسير ودقة عظم ، فوائب مرّة فتى من الأعراب فقطع الفتى أنفه ،
فأخذت غنيّة دية أنفه فحسنت حالها بعد فقر مُدقع . ثم وائب آخر فقطع أذنه
فأخذت الدية ، فزادت دية أذنه في المال وحسن الحال . ثم وائب بعد ذلك آخر
فقطع شفّته فأخذت دية شفّته . فلمّا رأت ما قد صار عندها من الإبل والعنم
والمتاع والكسب بجوارح ابنها حسن رأيها فيه ، فذكرته في أرجوزة لها تقول فيها :
١٠

أحلف بالمروة يوماً والصفّا أنّك خير من تفاريق العصا

- ف قيل لابن الأعرابي (٣) : ما تفاريق العصا ؟ قال : العصا تُقطّع ساجوراً (٤) ،
وتقطّع عصا الساجور فتصير أوتاداً ، ويفرق الوتد فيصير كل قطعة شظاظاً (٥)
فإذا كان (٦) رأس الشظاظ كالفلكة صار للبختي مهارة ، وهو العود الذي يدخل
في أنف البختي ، وإذا فرق المِهَارُ جاءت منه تَوَادٍ (٧) . والسَّوَاجير
١٥

(١) انظر أمثال الميداني في : (إنك خير من تفاريق العصا) ، حيث أورد الشعر وتفسيره .

(٢) العرامة : الشراسة والشدة .

(٣) في أمثال الميداني : « فقيل لأعرابي » .

(٤) الساجور : الخشبة التي توضع في عنق الكلب .

(٥) الشظاظ ، بالكسر : العود الذي يدخل في عروة الجوالق .

(٦) ما عدا ل : « فإن كان » . وفي الميداني : « فإن جعل لرأس الشظاظ » .

(٧) التوادي : جمع تودية كتورية ، وهي خشبات تصر بها أخلاف الناقة لئلا يرضعها الفصيل .

تكون للكلاب والأسرى من الناس . وقال النبي ﷺ : « يؤتى بناس من ها هنا يقادون إلى حُطوطهم بالسَّواجير ^(١) » . وإذا كانت قناةً فكلُّ شِقةٍ منها قوسٌ بندق ^(٢) ، فإن فُرقت الشِّقة صارت سهاماً ، فإن فُرقت السَّهام صارت حِطاءً ، وهى سهامٌ صغار . قال الطِّرِمَاح :

* أكلبٌ كحِطاءِ الغلام ^(٣) *

والواحدة حَظوةٌ وسِررةٌ ، فإن فُرقت الحِطاء صارت مَغازل ، فإن فُرقت المِغزل شَعَبٌ به الشَّعَاب أَقْداحه المصدوعة ، وقِصاعه المشقوقة ^(٤) . على أنه لا يجُذُّ لها أصلح منها . وقال الشَّاعر :

نوافذُ أطرافِ القَنَا قد شكَّكته كشكَّك بالشَّعْبِ الإناءِ المثلماً

فإذا كانت العصا صحيحةً ففيها من المنافع الكِبار والمرافق الأوساط والصُّغار مالا يُحصيه أحد ^(٥) ، وإن فُرقت ففيها مثلُ الذى ذكرنا وأكثر . فأىُّ شئٍ يبلغُ فى المرفق والرَّدِّ مبلغُ العصا ^(٦) .

وفى قول موسى : ﴿ وَلِىَ فِيهَا مَآرِبٌ أُخْرَى ﴾ دليلٌ على كثرةِ المرافق فيها ؛ لأنه لم يقل : ولى فيها مأربةٌ أخرى ، والمآرب كثيرةٌ . فالذى ذكرنا قبل هذا داخلٌ فى تلك المآرب .

ولا نعرف شعراً يشبه معنى شعرِ غَنِيَّةٍ بعينه لا يغادر منه شيئاً . ولكن زعمَ بعضُ أصحابنا أنَّ أعرابيين ظريفيين من شياطين الأعراب حطَّمَتِهما السَّنةُ ،

(١) انظر ما سبق فى الحيوان (١ : ٣٨ س ٧) وما سياتى ص ٦٣ .

(٢) البندق ، ذلك الذى يرمى به ، كأنه شُبَّةٌ بحمل شجرة الجلوز .

(٣) البيت بتمامه كما فى ديوان الطرماح ١٠٥ :

بينما ذلك هاجت به أكلب مثل حِطاءِ الغلام

(٤) كلمة « وقِصاعه » من ل ، هـ وأمثال الميداني .

(٥) ل : « ما لا تحصيه » .

(٦) المرفق ؛ كمنبر ومجلس ومكتب : ما استعين به . والرَد بمعنى الفائدة والمنفعة ، ولم ينص عليها فى المعاجم .

انظر الحيوان (٤ : ٤٧٣) .

١١٥ فأنحدرا إلى العراق ، واسم أحدهما حِيدَان ، فبينهما يتماشيان في السُّوق إذا فارسٌ قد أوطأ دابَّته رجلٌ حِيدَان فقطع إصبعاً من أصابعه ، فتعلَّقا به حتَّى أخذَا منه أرش الإصبع ^(١) ، وكنا جائعين مقرورين ، فحين صار المال في أيديهما قصداً لبعض الكرابج ^(٢) فابتاعا من الطعام ما اشتبها ، فلمَّا أكل صاحبُ حِيدَان وشبع أنشأ يقول :

فلا غَرَّتْ ما كان في النَّاسِ كُرْبُجٌ وما بقيت في رجلِ حِيدَانِ إصبُعُ
وهذا الشَّعرُ وشعرٌ غنيَّةٌ من الظَّرْفِ النَّاصِعِ الذي سمعتُ به ، وظَرْفُ
الأعراب لا يقوم له شيء .

وناس كثير لا يستعملون في قتالهم إلا العصي ، منهم الزنج : قبيلة ولنجويَّة ^(٣) والنَّمْل والكلاب ^(٤) ، وتكفو وتنبو ^(٥) . على ذلك يعتمدون في حروبهم .

ومنهم التَّبَط ، ولهم بها ثقافةٌ وشدةٌ وغلبة ، وأتقف ما تكون الأكراد إذا قاتلت بالعصى . وقاتلُ الخارجات ^(٦) كلُّها بالعصى ، ولهم هناك ثقافةٌ ومنظرٌ حسن ، ولقتالهم منزلةٌ بين السَّلامة والعطب .

والناس يضربون المثل بقتال البقَّار بقناته ^(٧) . ويقال في المثل : « ما هو

١٥ (١) الأرض : دية الجراحات كالشجة ونحوها .

(٢) الكرابج : جمع كرج ، بضم الكاف والباء ، ويضمها وفتح الباء ، معرب من الفارسي : « قريق » بمعنى الخانوت . لسان العرب والقاموس والمعرَّب ٢٩٢ .

(٣) قبيلة ولنجويه هما أصلاً الزنج . وفي رسائل الجاحظ ٧٣ سامي : « لأن الزنج ضربان : قبيلة ولنجويه ، كما أن العرب ضربان قحطان وعدنان » . ل ، هـ : « قبيلة لنجويه » وما عداها « قبيلة كنجويه » صوابهما ما أثبت من رسائل الجاحظ .

(٤) في الحيوان : (٤ : ٣٥) : « والزنج نوعان ، أحدهما يفخر بالعدد ، وهم يسمون التمل ، والآخر يفخر بالصبر وعظم الأبدان ، وهم يسمون الكلاب ، وأحدهما تكبو والآخر تنبو . فالكلاب تكبو والتمل تنبو » . وفي هـ : « وتكفو وينبو » .

(٥) ما عدال : « ثبتوا » . واللفظان يعبران عن التمل والكلاب في لغة الزنج ؛ كما يفهم من الحاشية السابقة .

(٦) الخارجة : المناهضة .

(٧) ل : « النِّقار » ، وأثبت ما في سائر النسخ . وانظر ما مضى في ص ١٢ س ٥ .

إلا أُبْنَةُ عَصَا ، وَعُقْدَةُ رِشَا ^(١) .

ويقال للرّاعى : « إِنَّهُ لَضَعِيفُ الْعَصَا » إذا كان قَلِيلَ الضَّرْبِ بِهَا لِلإِبِلِ ،
شَدِيدَ الإِسْفَاقِ عَلَيْهَا . وقال الرّاعى :

ضَعِيفُ الْعَصَا بِإِدَى الْعُرُوقِ تَرَى لَهُ عَلَيْهَا إِذَا مَا أَجْدَبَ النَّاسُ إَصْبَعَا ^(٢)
فَإِذَا كَانَ الرَّاعِى جَلْدًا قَوِيًّا عَلَيْهَا قَالُوا : صُلْبُ الْعَصَا . وَلِذَلِكَ قَالَ الرَّاجِزُ :

* صُلْبُ الْعَصَا بَاقٍ عَلَى أَذَاتِهَا *

وقال الآخر فى معنى الرّاعى :

* لَا تُضْرِبَاهَا وَاشْهَرَا الْعِصِيَّا ^(٣) *

ويقولون : قد أَقْبَلَ فلان ولانت عَصَاهُ ، إذا أَصَابَهُ السُّوْفُ ^(٤) فَرَجَعَ
وَلَيْسَ مَعَهُ إِلَّا عَصَاهُ لِأَنَّهُ لَا يَفَارِقُهَا كَانَتْ لَهُ إِبِلٌ أَمْ لَمْ تَكُنْ ^(٥) . ويقولون : كُلَّمَا
فُرِعَتْ عَصَاٌ بَعْصَا ، وَعَصَاٌ عَلَى عَصَا ، وَعَصَاٌ عَصَاٌ قَالُوا : تُحْدُوا فَلَانًا
بِذَلِكَ ^(٦) . وقال حُمَيْدُ بْنُ ثَوْرٍ :

(١) الأُبْنَةُ ، بضم الهمزة : العقدة فى العود أو فى العصا . والرِشَاءُ : الحبل . وفى العقد ٦ : ١٧٨ :
« لَأَنَّ عَقْدَةَ الرِّشَاءِ الْمَبْلُولِ لَا تَكَادُ تَحْتَلُّ » .

(٢) أَنَشَدَهُ فى اللِّسَانِ وَالْمَقَائِيسِ فى (صَبْع) . وفى الْمَقَائِيسِ : « وَيُقَالُ لِلرَّاعِى الْحَسَنِ الرَّعِيَةِ لِلإِبِلِ ،
الْجَمِيلِ الْأَثَرِ فِيهَا : إِنَّ لَهُ عَلَيْهَا إَصْبَعًا » . وَأَنَشَدَهُ الْقَالِىُّ فى الْأُمَالِ (٢ : ٣٢٢) ، وقال : « يُقَالُ : إِنْ لِفَلَانٍ
عَلَى مَالِهِ إَصْبَعًا ، أَى أَثَرًا حَسَنًا » ، ثُمَّ قَالَ بَعْدَ إِنْشَادِ الْبَيْتِ : « أَى يَشَارُ إِلَيْهَا بِالْأَصْبَاعِ إِذَا رُئِيَ » . وَكَذَا
أَنَشَدَهُ ابْنُ سَيِّدِهِ فى الْمُخْتَصَصِ (٧ : ٨٢) ، وقال : « أَى يَشِيرُ النَّاسُ إِلَيْهَا بِالْأَصْبَاعِ » .
(٣) يَقُولُ : أَخَيفَاهَا بِشَهْرَا الْعَصَا لَهَا وَلَا تُضْرِبَاهَا . وفى اللِّسَانِ :

لَا تُضْرِبَاهَا وَاشْهَرَا لَهَا الْعِصَى فَرَبٌّ بَكَرَ ذَى هَبَابٍ عَجَرَفَى

فِيهَا وَصِهْيَاءُ تُسَوِّلُ بِالْعِشَى

(٤) السُّوْفُ ، بِالضَّمِّ ، وَيُقَالُ بِالْفَتْحِ أَيْضًا : الْمَوْتُ فى الْمَالِ وَالنَّاسِ .

(٥) مَا عَدَلَ : « أَمْ لَا » .

(٦) مَا عَدَلَ ، هـ : « أَخَذُوا فَلَانًا بِذَلِكَ » .

اليوم تُتَزَعُ العصا من ربِّها وَيُلَوِّكُ ثَنَى لِسَانِهِ المنطِيقُ ^(١)
ويكتب مع قوله :

تَغْشَى العصا وَالرَّجَرَ إِنْ قِيلَ حَلٍ ^(٢) يرسلها التَّغْمِيزُ إِنْ لَمْ تُرْسَلِ ^(٣)
وقال آخر :

هذا وُرُودٌ بَزَلٍ وَسُدْسٍ ^(٤) يُغْلِي بِهَا كُلُّ مُسِيمٍ مُرْغَسٍ ^(٥)
رُدَّتْ مِنَ الْعَوَرِ وَأَكْنَافِ الرَّسِيِّ مِنْ عُشْبٍ أَحْوَى وَحَمْضٍ مُورِسٍ
وَذَائِدَ جَلْدِ الْعَصَا دَلْهَمَسٍ ^(٦) إِنْ قِيلَ قَمٍ قَامَ وَإِنْ قِيلَ اجْلِسِ
دَاسَتْ سِمَاطُنِي عَفِيرٌ مَدْعَسٍ ^(٧)

ويدلّ على شدة قتالهم بالعصا قول بَشَامَةَ بنِ حَزْنٍ النَّهْشَلِي ^(٨) :

- ١٠ (١) أنشده ثعلب في مجالسه ١١٩ ، وكذا ابن منظور في (نطق) برواية : « والنوم ينتزع » .
(٢) لأبي النجم العجلي في « أم الرجز » المنشورة بمجلة المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٣٤٧ .
ما عدا ل : « نخشى العصا » تخويف . وانظر ص ٥٨ . وحل : زجر للإبل .
(٣) أنشده في اللسان (غمض) . وذكر قبله : « وغمضت الناقة » ، إذا ردت عن الحوض فحملت
على الذائد مغمضة عينها فوردت » .
١٥ (٤) البازل : الذي يزل نابه ، أي انشق ، وذلك في التاسعة ، وجمعه بزل كركع . والسديس : الذي
أثت عليه السادسة ، وجمعه سدس كرجيف ورغف . ما عدا ل : « هذا وورد » .
(٥) يغلي بها : يشتريها بثمن غال . والمسيم ، من قولهم أسام الإبل : أراعها . وفي القاموس :
« والمرغس ، كمحسن : الذي ينعم نفسه » ، والمراد به هنا الذي ينعم إبله .
(٦) الدلهمس : الجريء الماضي على الليل .
٢٠ (٧) السماطان : الجانبان والصفان . والعفّر ، من القفر ، وهو التراب . والمراد به الطريق .
والمدعس : الطريق الذي دعسته القوام ووطئه وطفا شديداً .
(٨) بشامة بن حزن النهشلي ، ذكره الأمدى في المؤلف والمختلف ٦٦ ، وروى له المقطوعة الحماسية
التي أولها :

إنا محيوك يا سلمى فحيينا وإن سقيت كرام الناس فاسقينا

وإن دعوت إلى جلي ومكرمة يوما سراة كرام الناس فادعينا

إنا بنى نهشل لا ندعى لأب عنه ولا هو بالأبناء يشرينا

قال البغدادي في الخزانة (٣ : ٥١٥) : « ولم أر له ترجمة ، وليس له ذكر في ترجمة الأنساب ،

والظاهر أنه إسلامي » .

فَدَى لِرِعَاءٍ بِالنَّجِيرَةِ ذَبَبُوا بِأَعْصِيهِمُ وَالْمَاءُ بَرْدُ الْمَشَارِبِ (١)
تَأَلَّى نُعِيمٌ لَا تَجُوزُ بِحَوْضِهِ فَقُلْتُ تَحَلَّلْ يَا نُعِيمَ بْنَ قَارِبِ (٢)
فَإِنْ زِيَادًا لَمْ يَكُنْ لِيُرْدَهَا وَسَبْرَةً عَنِ مَاءِ التَّنْضِيعِ الْمُقَارِبِ
أَغْرَكَ أَنْ جَاءَتْ ظِمَاءٌ وَبَاشَرَتْ بِأَعْنَاقِهَا بَرْدَ النَّصَابِ الصُّبَابِ (٣)
تَنَاولُنْ مَا فِي الْحَوْضِ ثُمَّ امْتَرَيْنَهُ بِجَرْعٍ وَأَعْنَاقٍ طَوَالَ الذَّوَابِ (٤)

ويقول : فلان ضعيف العصا ، إذا كان لا يستعمل عصاه . ولذلك قال
الْبَيْعِث :

وَأَنْتَ بِذَاتِ السُّدْرِ مِنْ أُمِّ سَالِمٍ ضَعِيفُ الْعَصَا مُسْتَضَعَفٌ مَتَهَضِّمٌ ١١٧
وَقَالَ آخِرُ (٥) :

وَمَا صَادِيَاتُ حُخْمٍ يَوْمًا وَلَيْلَةً عَلَى الْمَاءِ يَعْشَيْنِ الْعِصَى حَوَانِ (٦)
لَوَائِبُ لَا يَصْدُرْنَ عَنْهُ لَوِجُهُ وَلَا هُنَّ مِنْ بَرْدِ الْحَيَاضِ دَوَانِ (٧)
يَرِينُ حَبَابُ الْمَاءِ وَالْمَوْتُ دُونَهُ فَهِنَّ لِأَصْوَاتِ السَّقَاةِ رَوَانِ (٨)
بِأَوْجَعِ مَنَى جَهْدٍ شَوْقٍ وَغَلَّةٍ إِلَيْكَ وَلَكِنَّ الْعُدُوَّ عَدَانِي (٩)

١٠

١٥

٢٠

٢٥

(١) النجيرة : واد في ديار غطفان . ماعدا ل ، هـ : « بالنجيرة » ، ولم أجده . والتذبيب : الطرد والدفع . والأعصى : جمع العصا .

(٢) تألى : حلف وأقسم . ما عدا ل ، هـ : « مالا نعيم » تحريف . وتحلل فلان من يمينه ، إذا خرج منها بكفارة أو حنث يوجب الكفارة .

(٣) نصاب كل شيء : أصله « عنى أصل الحوض . والنصاب : الغليظ الشديد .

(٤) الامتراء : الاستخراج والاستدرا . وفي الأصول : « امتدنيه » ، ولا وجه له . والذوائب : الأعالي .

(٥) هو جميل ، كما في زهر الأداب ١ : ١٥٩ .

(٦) يعشين العصى : يركبها . انظر ما سيأتى ص ٦٨ س ١١ - ١٣ . ما عدا ل « يخشين »

تحريف . والحوانى : جمع حانية ، وهى التى تحنو على ولدها .

(٧) لوائب من اللوب ، وهو استدارة الحائم حول الماء . ل : « لوائب » ، تحريف .

(٨) روان : مديات النظر . وحباب الماء ، بالفتح : معظمه ، ومنه قول طرفة :

يشق حباب الماء حيزومها بها كما قسم الترب المفايل باليد

(٩) عدانى : صرفنى وشغلنى .

وقال آخر (١) :

فما وجدُ ملوَّاحٍ من الهيمِ حُلَّتْ عن الماءِ حتَّى جوفُها يتصلصلُ (٢)
تحومُ وتُعشَّها العصىُ وحولها أقاطيعُ أنعامٍ تُعلُّ وتُنهلُ
بأعظمَ منى غُلَّةٌ وتعطفاً إلى الوردِ إلَّا أننى أجمَلُ

- ويقال : « ضُرِبَ فلانٌ ضَرْبَ غرائبِ الإبلِ » وهى تُضْرَبُ عند الهَرَبِ (٣) .
وعند الخِلاطِ ، وعند الحوضِ ، أشدَّ الضَّرْبِ . وقال الحارث بن صخرٍ :
بضربٍ يُزيلُ الهامَ عن سَكِناتِهِ كما ذِيدَ عن ماءِ الحياضِ الغرائبُ (٤)
وقال آخر :

- للهامِ ضَرَّابُونَ بالمَنَاصِلِ (٥) ضربُ المُذِيدِ غُرْبَ التَّوَاهِلِ (٦)
وفي جواهر العصا تفاوت . ويقولون : ما هى إلَّا غصن بان (٧) .

(١) الأبيات رويت في الحيوان (٣ : ١٠٤) .

(٢) الملوَّاح من الدواب : السريع العطش ، يقال للذكر والأنثى . والهيم : العطاش ، جمع أهيم وهيماء . حلت : منعت .

(٣) أى عند اضطرار أربابها إلى الهرب .

(٤) السكّنات ، بكسر الكاف : جمع سَكْنَة ، وهى مقر الرأس من العنق . ومثله قول زامل بن مصاد القينى :

بضرب يزيل الهام عن سَكِناتِهِ وطعن كأفواه المزداد المحرق
وقول طفيل :

بضرب يزيل الهام عن سَكِناتِهِ وينقع من هام الرجال المشرب
وقول النابغة :

بضرب يزيل الهام عن سَكِناتِهِ وطعن كإبراغ المخاض الضوَّارب
(٥) المناصل : جمع منصل ، بضم الميم والصاد ، وهو السيف .

(٦) المذيد : المعين لك على ما تذود . والغرب ، بضم التاء : الغريب . والتواهل : العطاش ، فالناهل من الأضداد ، يقال للريان والعطشان . ل : « عزب التواهل » ، تحريف .

(٧) هذه العبارة من ل ، هـ والتيمورية .

وقال ابنُ أحرر :

رُودُ الشَّبَابِ كَأَنَّهَا غُصْنٌ بِحَرَامِ مَكَّةَ نَاعِمٌ نَضُرُّ (١)

وقال آخر :

إِذَا تَرَيْتَنِي قَائِمًا فِي جِلٍّ (٢) جَمَّ الْفُتُوقِ خَلَقِي هِمِلٌ (٣)

مَحَازِرًا أَبْغَضَ عَنْ تَحْتَلِي (٤) عِنْدَ اعْتِلَالِ دَهْرِكَ الْمُعْتَلِ

فَقَدْ أَرَى فِي الْيَلَمَقِ الرَّفْلُ (٥) أَصَوْنَ لِلْأُنْسِ جَمِيلِ الدَّلِّ

* لَدُنَا كَمْحُوطِ الْبَائَةِ الْمَبْتَلِ (٦) *

وتكون العصا محراثًا ، وتكون مخصرة ، وتكون المِخْصِرَةُ قَضِيبَ حَنِيَّةٍ (٧) وَعُودَ سَاجُورٍ ، ثم تكون تَوْدِيَّةً (٨) .

ويقال للرجل إذا كان فيه أبنَةٌ : « فلان يَحْبَا العصا » . وقال الشاعر :

زَوْجُكِ زَوْجٌ صَالِحٌ لَكِنَّهُ يَحْبَا الْعَصَا (٩)

وفي الأمثال : « فَحَذَفْهُ (١٠) بِالْقَوْلِ كَمَا تُحَذَفُ الْأَرْبُ بِالْعَصَا » .

وقال إِيَّاسُ بْنُ قَتَادَةَ الْعَبْشَمِيُّ :

(١) الرود من النساء : الشابة الحسنة ، وأصلها الهمز .

(٢) الجِلُّ ، بالكسر : الكساء ونحوه .

(٣) الخلق : البالي ، ومثله الحمل ، بكسر الهاء والميم وتشديد اللام .

(٤) عن : لغة في « أن » ، وهى ما يسمونه عتنة تميم .

(٥) اليلمق : القباء المخشوش ، وهو بالفارسية « يلمه » . اللسان (لقي) واستينجاس ١٥٣٦ .

والرفل : الواسع .

(٦) الحوط ، بالضم : الغصن الناعم .

(٧) الحنوية : القوس ، أو القوس بلا وتر . وفي هـ : « حيرة » ، وسائر النسخ « حيرة » .

(٨) انظر ما سبق في ص ٤٩ .

(٩) أنشدته الجرجاني في الكنايات ٣٦ نقلًا عن الجاحظ . ووزنه لا يستقيم إلا أن ينشد « يحبا

العصا » بالتسهيل . وهو من مجزوء الرجز .

(١٠) ما عدل ، هـ : « تحذفه » .

سأخبر أولاهما وأحذف بالعصا على إثرها إنني إذا قلت عازم

وقال ابن كُنَاسة ^(١) : في شرط الراعى على صاحب الإبل ^(٢) : « ليس لك أن تذكر أُمِّي بخير ولا شر ، ولك حذقة ^(٣) بالعصا عند غضبك أصبت أم أخطأت ^(٤) ، ولي مقعدى من النار ، وموضع يدي من الحار والقار ^(٥) » .

- وكان العُتْبِيُّ يحدث في هذين بحديثين : أحدهما قوله عن الأعرابي : « وكان إذا خَرَسَت الألسُن عن الرأى حذف بالصَّواب كما تُحذف الأرنب بالعصا » .
 وأما الحديث الآخر فذكر أن قوماً أضلوا الطريق ، فاستأجروا أعرابياً يدلهم على الطريق ، فقال : إنني والله لا أخرج معكم حتى أشرط لكم واشترط عليكم . قالوا : فهات مالك . قال « يدي مع أيديكم في الحار والقار ، ولي موضعي من النار موسّع على فيها ^(٦) ، وذكر والدتي عليكم محرم » . قالوا : فهذا لك فما لنا عليك إن أذنبت ؟ قال : « إعراضة لا تؤدّي إلى عتب ^(٧) ، وهجرة لا تمنع من مجامعة السفرة » . قالوا : فإن لم تُعتب ؟ قال : « فحذقة بالعصا أخطأت أم أصابت » .

وهذان الحديثان لم أسمعهما من عالم ، وإنما قرأتهما في بعض الكتب من

(١) هو محمد بن كناسة ، واسم كناسة عبد الله بن عبد الأعلى الأسدي . شاعر من شعراء الدولة العباسية ، كوفي المولد والنشأة ، قد حمل عنه شيء من الحديث . وكان إبراهيم ابن أدهم الزاهد خاله . وكانت له جارية شاعرة مغنية يقال لها دنانير ، وكان أهل الأدب وذوو المروءة يقصدونها للمذاكرة والمساجلة في الشعر . وله مؤلفات منها « كتاب سركات الكميّ من القرآن » . ولد سنة ١٢٣ وتوفي سنة ٢٠٧ . ابن النديم ١٠٥ والأغانى (١٢ : ١٠٥ - ١١٠) .

(٢) انظر الحيوان (٥ : ١٠٨ - ١٠٩) واللسان (ثمن ٢٣٢) .

(٣) ما عدا ل : « حذق » وهي رواية اللسان .

(٤) وكذا في اللسان وفي ل : أخطأت أم أصبت » .

(٥) وكذا في اللسان . وفيما عدا ه : « من الحار » فقط .

(٦) ما عدا ل : « على ما فيه » .

(٧) ما عدا ل : « إلى تعب وعتب » . لكن في ه : « إلى تعب وعتت » .

كتب المسجدين^(١) .

ولأهل المدينة عِصَى في رعوسها عُجْرٌ^(٢) لا تكاد أكْفُهُم تفارقها إذا
خرجوا إلى ضياعهم ومنتزهاتهم ، ولهم فيها أحاديثُ حسنةٌ ، وأخبار طيبةٌ .
وكان الأفشين^(٣) يقول : « إذا ظفرتُ بالعرب شدختُ رعوس عظمائهم
بالدُّبوس » . والدُّبوس شبيه بهذه العصا التي في رأسها عُجْرَةٌ .

وقال جَحْشَوِيه^(٤) :

يا رجلاً هام بلبّادٍ معتدل كالغصن مَيَّادٍ^(٥)
هام به غَمَّانُ لما رأى أيراً له مثل عصا الحادي
ولم يزل يَهْوَى أبو مالك كُلُّ فتى كالغصن مُنَادٍ^(٦)
يعجبه كُلُّ متين القوَى للطنن في الأدبار معتادٍ

١٠

وقالوا في^(٧) تغميض الناقة عينها ، كى تركب العصا إلى الخوض ، وهو في
معنى قول أُمّی النّجم :

تَغْمِضِ العَصَا وَالزَّجَرَ إِنْ قِيلَ حَلٍ يَرْسُلُهَا التَّغْمِيزُ إِنْ لَمْ تُرْسَلِ^(٨)

(١) المسجديون : طائفة كانت تازم المسجد الجامع بالبصرة ، تقص وتحدث وتروى الأخبار . ما عدا
ل : « من المستحدثين » تحريف . وانظر الحيوان (٣ : ٣٦٠) .

١٥

(٢) العجرة ، بالضم : العقدة في الخشبة ونحوها .

(٣) الأفشين يفتح الهمة وكسرهما ، واسمه خيذر بن كاوس . وخیذر ، بالخاء والذال المعجمتين . وكان
الأفشين من أعظم القواد في جيش المعتصم ، وهو الذي حارب بابك الخرمي حين اشتدت شوكته ، وأجأه
إلى الفرار إلى بلاد الروم ، وهناك أسر وبعث به إلى الأفشين ، فحمله الأفشين إلى المعتصم فقطعه وصلبه .
وكان هذا النصر باعثاً له على الطغيان والتمرد ، فقبض عليه المعتصم واستصفى أمواله وقتله وصلبه . وكان ذلك
سنة ٢٢٦ . الطبري في حوادث سنة ٢٢٠ - ٢٢٦ .

٢٠

(٤) انظر الحيوان (٤ : ١٨١ / ٥ : ٣٤١ / ٦ : ٢٦١) .

(٥) لبّاد ، نسبة إلى عمل اللبد ، كما يقال حداد وصواف . ما عدل ، هـ : « لياد » ولا وجه له .

(٦) المنّاد : المشتى من لينة ونعمته .

(٧) كلمة « في » هذه ، ونظيرتها التالية ساقطتان مما عدل ، هـ .

٢٥

(٨) سبق الرجز في ص ٥٣ .

وهذا مثل قول الهذلي :

- ولأنت أشجع من أسامة إذ شُدُّوا المناطق تحتها الحَلَقُ (١)
حَدُّ السُّيُوفِ على عواتقهم وعلى الأكف ودونها الدِّق (٢)
كغماغم الثَّيْران بينهم ضربٌ تغمضُ دونه الحَدَقُ (٣)

وقال حميد بن ثور الهذلي :

- اليوم تُنتَزِع العصا من رها ويلوكُ ثنَى لسانه المنطيقُ (٤) ١٢٠
ويقال : رجلٌ كالقناة ، وفسٌ كالقناة . وقال الشاعر (٥) :

- مَتَى ما يَجِيءُ يوماً إلى المالِ وارثي يجِدُ جُمعَ كيفٍ غيرِ ملأى ولا صِفِرِ (٦)
يجدُ فرساً مثلَ القناةِ وصارماً حُساماً إذا ما هزَّ لم يرضَ بالهَبْرِ (٧)

* * *

وجاء في الحديث : أجذبت الأرض على عهد عمر رحمه الله حتى ألفت الرِّعاء العصي ، وعُطِلَت النَّعَم ، وكُسِرَ العظم . فقال كعبٌ (٨) : يا أمير المؤمنين ، إنَّ بني إسرائيل كانوا إذا أصابتهم السَّنةُ استسَقَوْا بِعُصْبَةِ الأنبياء . فكان ذلك سببَ استسقاؤه بالعباس بن عبد المطلب (٩) .

١٥

(١) أسامة : علم جنس للأسد .

(٢) الدرق : ضرب من الترسة تتخذ من جلود ، ليس فيها خشب ولا عَقَب .

(٣) أى غماغمهم كغماغم الثيران ، عنى أصوات أبطالهم فى الوحى عند القتال .

(٤) سبق البيت فى ص ٥٣ .

(٥) هو حاتم الطائي . ديوانه ١٢١ والحماسة (٢ : ٣٧٤) .

٢٠

(٦) جمع الكف ، بالضم ، هو قدر أن تجمع أصابعها وتضمها . يقول : لا يجد عندى كثيراً ولا قليلاً ، بل بين بين .

(٧) الهبر : قطع اللحم . يقول : يأتى إلا أن يخالط العظم .

(٨) هو كعب بن ماته الحميرى ، المعروف بكعب الأحبار ، وكان يهودياً وأسلم فى خلافة عمر . وكان يقص فبلغه حديث النبى ﷺ : « لا يقص إلا أمير أو مأثور أو محتال » فترك القصص حتى أمره معاوية فصار يقص بعد ذلك . ومات بمحصر سنة ٣٢ . الإصابة ٧٤٩٠ والمعارف ١٨٩ والجامع الصغير

٢٥

للسيوطى ٩٩٨٤ ، حيث خرج الحديث من مسند أحمد وابن ماجه .

(٩) انظر أيضاً استسقاء عبد المطلب بالرسول الكريم فى الخزانة (١ : ٢٥٧ - ٢٥٨) .

وساورت حية أعرايياً فضرها بعصاه وسليم منها ، فقال :
 لولا الهراوة والكفان أنهلني حوض المنية قتال لمن علقاً (١)
 أصم منهرت الشدقين ملتبداً لم يغذ إلا المنايا مذ لذن خلقة (٢)
 كأن عينيه مسماران من ذهب جلاهما مدوس الألان فائتلقا (٣)

٥

وقال الحجاج بن يوسف لأنس بن مالك (٤) : « والله لأقلعنك قلع الصمغة ، ولأعصبتك عصب السلمة ، ولأضربنك ضرب غرائب الإبل (٥) ولأجرذلك تجريد الضب » .

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله لأبي مريم الحنفى (٦) : « والله لأحبك حتى تحب الأرض الدم المسفوح » . لأن الأرض لا تقبل الدم ، فإذا جف الدم تقلع جلباً (٧) .

ولقد أسرف المتلمس حيث يقول :
 أحارث إنا لو تُسَاط دماؤنا تزايلن حتى لا يمس دم دما (٨)
 وأشد سرفاً منه قول أبي بكر الشيباني ، قال : كنت أسيراً مع بنى عملى

١٥ (١) فى الحيوان (٤ : ٢٤٢) : « والكفات » : جمع كفة ، بالكسر ، وهى من آلات الصيد . والبيتان بعده ساقطان من هـ .

(٢) منهرت الشدقين : واسعهما . وهذا البيت وتاليه من ل فقط .
 (٣) المدوس ، بالكسر : خشبة يشد عليها مسن ، يدوس بها الصيقل السيف حتى يجلوه . والألان ، كذا وردت فى الأصل . ولعلها : « الألاق » .

(٤) سبق ترجمته فى (١ : ٣٠٨) . ٣٠

(٥) مضى بعض هذا القول فى (١ : ٣٧٦) . وجملة « لأضربنك ضرب غرائب الإبل » من ل فقط .

(٦) انظر ما سبق من تحقيق اسمه فى (١ : ٣٧٦) .

(٧) الجلب : جمع جلبية ، بالضم ، وهى القشرة تعلو الجرح عند البرء .

(٨) السوط : الخلط والمزج . والبيت فى أول ديوان المتلمس مخطوطة الشنيطى .

١٢٠ من بنى شيبان ، وفيها من موالينا جماعة في أيدي التغالبة ، فضربوا أعناق بنى عمى وأعناق الموالى على وَهْدَةٍ من الأرض ، فكنث والذى لا إله إلا هو ، أرى دم العرى يناز من دم المولى ، حتى أرى بياض الأرض بينهما ، فإذا كان هجيناً قام فوقه ، ولم يعتزل عنه (١) .

وأنشد الأصمعى :

يُذَدَّنْ وقد أُلْقِيَتْ في قعر حُفْرَةٍ كما ذِيدَ عن حوض العِراكِ غرائِبُهُ (٢)

وقال العباس بن مرداس :

نقاتلُ عن أحسابنا برماحنا فنضربهم ضرب المُزيدِ الخوامِسا (٣)

وقال الفرزدق بن غالب :

١٠ ذَكَرْتُ وقد كادت عصا البين تنشطِي حبالَكَ من سَلَمَى وذو اللَّبِّ ذاكِرُ (٤)

وقال الأسدي (٥) :

إذا المرءُ أولاك الهوانَ فأُولِه هواناً وإن كانت قريباً أوأصره
ولا تظلم المولى ولا تَضَعِ العصا على الجهل إن طارت إليك بواده

(١) هذه الكلمة من ل ، ه فقط . والهجين : ولد العرى من غير العرية .

١٥ (٢) العراك : ازدحام الإبل على الماء .

(٣) البيت من قصيدة له مطلعها ، كما في الخزنة (٣ : ٥١٨) .

لأسماء رسم أصبح اليوم دارسا وأقفر إلا رحرحان وراكسا

وهي من القصائد المنصفات ، التي « أنصف قائلوها فيها أعداءهم ، وصدقوا عنهم وعن أنفسهم فيما اصططلوه من حر اللقاء ، وفيما وصفوه من أحوالهم في إمحاض الإخاء » . وقد اختار منها أبو تمام في الحماسة (١ : ١٦٨) . والمزيد : الذي يعين على ذود الإبل ، وهو طردها ودفعها . والخوامس : التي ترد الخمس ، والخمس بالكسر : أن ترد الإبل يوماً ثم ترعى ثلاثاً ثم ترد في الخامس من يوم وردها . والخوامس من أحرص الإبل على الماء لشدة ظمئها ، فدفعها يلجئ إلى عنف وإلحاح . وانظر الكلام على أظماء الإبل بتفصيل في المخصص (٧ : ٩٥ - ١٠١) . ومثله قوله حسيل بن سجيح الضبي :

وأرهبَت أُولَى القوم حتى تنهبوا كما ذدت يوم الورد هيماً خوامِسا

٢٥ (٤) البيت مما لم يرد في ديوان الفرزدق . ه : خيالك .

(٥) البيت الأول نسب في الحماسة (١ : ٢٦٦) إلى أوس بن حبناء .

وقال جرير بن عطية :

ألا ربّ مصلوب حملت على العصا وباب استه عن منبر المُلْك زائل ^(١)
وقالوا في مدح العصا نفسها مع الأغصان وكرم جَوهَرِ العِصَى والقِصَى :
إذا قامت لسببها تشنّت كأنّ عظامها من خيزران ^(٢)
وقال المؤمّل بن أمّيل ^(٣) :

والقوم كالعيدان يفصل بعضهم بعضا كذاك يفسوق عُودٌ عُودًا
لو تستطيع عن القضاء حيادةً وعن النية أن تُصيب مَحيدا ١٢٢
كانت تقيّد حين تنزل منزلا فاليوم صار لها الكلال قيودا ^(٤)
وقال آخر :

وأسلمها الباكون إلّا حمامة مطوّقة بانث وبان قرينها
تجاوبها أخرى على خيزرانة يكادُ يدّئها من الأرض لينها ^(٥)

(١) البيت من قصيدة له في ديوانه ٤٣٩ يمدح فيها الحجاج بن يوسف . وقبله :

أطيعوا فلا الحجاج مبق عليكم ولا جرير ذو الجناحين غافل

(٢) لبشار بن برد في الأغاني (٣ : ٢٨) برواية : « إذا قامت لمشيئها » . والسبحة ، بالفتح : المرة
من السبح ، وهو التصرف والجيفة والذهاب . وضبطت في هـ بضم السين . وانظر ما كتبت في حواشي أُمالي
الزجاجي ١٢٤ . يروون أن بشارا أنشد قول الشاعر :

ألا إنما ليلى عصا خيزرانة إذا غمزوها بالأكف تلين

فقال : والله لو زعم أنها عصا نح ، أو عصا زيد ، لقد كان جعلها جافية خشنّة بعد أن جعلها عصا . ألا قال كما قلت :

ودعجاء المحاجر من معد كأن حديدها ثمر الجنان

إذا قامت لمشيئها تشنّت كأن عظامها من خيزران ٢٠

(٣) هو المؤمّل بن أمّيل المخاربي الكوفي ، كان شاعراً مجيداً من مخضرمي الأموية والعباسية ، مدح
المهدي وأجازه ، وتوفى في حدود التسعين والمائة . وهو القائل :

شف المؤمّل يوم الحيرة البصر ليت المؤمّل لم يخلق له بصر

الأغاني (١٩ : ١٤٧ - ١٥٠) ونكت الهميان ٢٩٩ والخزانة (٣ : ٥٢٣ - ٥٢٥) .

(٤) يبدو في هذه الأبيات عدم الترابط . وهذا البيت الأخير في صفة ناقة . ٢٥

(٥) وكذا روايته في الحيوان (٣ : ٤٨٧) . وفي شروح سقط الزند ١٨٢ :

* هتوف دعت شجواً على خيزرانة *

وقال آخر :

أَلَا أَيُّهَا الرِّكَبُ الْمُخْبُونَ هَلْ لَكُمْ بِأَخْتِ بَنِي هَنْدٍ عَتِيَّةٌ مِنْ عَهْدِ
أَلَّقْتُ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّ بِهَا النُّوَى بِأَرْضِ بَنِي قَابُوسَ أَمْ ظَلَعْتَ بَعْدِي

وقال آخر :

أَلَا هَتَفْتُ وَرَقَاءً فِي رَوْنِقِ الضُّحَى عَلَى غُصْنِ غَضِّ النَّبَاتِ مِنَ الرَّنْدِ (١)
وقال آخر في امرأةٍ رآها في شَارَةِ وَبَرَةٍ (٢) ، فظنَّ بها جَمَالاً ، فلما
سَفَرَتْ إِذَا هِيَ غُولٌ :

فأَظْهَرَهَا رَبِّي بِمَنْ وَقْدَرَةٍ عَلَى وَلَوْلَا ذَاكَ مُتُّ مِنَ الْكَرْبِ
فلما بدتْ سَبَّحْتُ مِنْ قُبْحِ وَجْهِهَا وَقَلْتُ لَهَا : السَّاجُورُ خَيْرٌ مِنَ الْكَلْبِ (٣)

وقال النبی ﷺ : « يُؤْتَى بِقَوْمٍ مِنْ هَاهُنَا (٤) يُقَادُونَ إِلَى حُظُوظِهِمْ فِي
السَّوَاجِرِ » . وَالسَّاجُورُ يُسَمَّى الزَّمَارَةَ . قالوا : وفي الحديث : « فَاتَى الْحَجَّاجُ
بِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ (٥) ، وفي عنقه زَمَارَةٌ » .

وقال بعض المُسَجِّجِينَ (٦) :

(١) رونق الضحى ، أولها . والرند : الآس ، أو شجر من أشجار البادية طيب الرائحة يستاك به .
(٢) الشارة : الحسن والهيئة واللباس . والبرة : الهيئة واللبسة .
(٣) أى ملبسها خير منها . والساجور : خشية توضع في عنق الكلب .
(٤) ما عدل : « من هنا » وانظر ما سبق في ص ٥٠ .

(٥) هو سعيد بن جبیر بن هشام الأسدي الكوفي ، وكان مولى أسود لبني والبة من بني أسد : كان
كاتباً لعبد الله بن عتبة بن مسعود حين كان على قضاء الكوفة ، ثم كتب لأبي بردة بن أبي موسى ، ثم خرج
مع ابن الأشعث في جملة القراء ، فلما هزم ابن الأشعث هرب إلى مكة فأخذه خالد القسري بعد مدة وبعث
به إلى الحجاج بواسط ، فقتله صبراً سنة ٩٥ ، ثم مات الحجاج بعده بأيام . وكان فقيهاً عابداً ورعاً . وكان
ابن عباس إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه يقول ، ألبس فيكم ابن الدهماء ؟ - يعنى سعيد بن جبیر . تهذيب
التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٤٢) والمعارف ١٩٧ .

(٦) ورد أيضاً في المعارف ١٥٨ : « وأخرج المسججين الذين كانوا بالبصرة » .

ولى مُسْمِعَانِ وَزَمَارَةٌ وظلٌّ مديدٌ وحصنٌ أُمقٌ^(١)
 ولكم عائدٌ لى ولكم زائِرٌ لو أبصرتنى زائراً قد شَهَقَ^(٢)
 المُسْمِعَانِ : قيدان . وسَمَى العُلَّ الذى فى عنقه زَمَارَةٌ .

وأما قولُ الوليد^(٣) :

استقنى يا زُبَيْرُ بالقرقارة
 استقنى إسقنى فإنَّ دُنُوئى
 قد ظمئنا وحنَّتِ الزَّمَارَةُ^(٤)
 قد أحاطت فما لها كَفَّارَةُ

فإنَّ الزَّمَارَةَ ها هنا : المزمار .

وقال أيضاً صاحب الزَّمَارَةِ فى صفة السَّجَنِ :

فبُتُّ بأحصنها منزلاً
 ولستُ بضيف ولا فى كراءٍ
 ثقيلاً على عُقِّ السالكِ
 ولا مستعيرٍ ولا مالكِ
 وليس بَعْصٍ ولا كالرَّهونِ
 ولا يشبه الوقف عن هالكِ
 ولى مُسْمِعَانِ فادناهما
 يغنِّى ويُمنِّيك فى الحالِكِ^(٥)
 وأقصاهما ناظرٌ فى السما
 ءِ عمداً وأوسخُ من عاركِ^(٦)

المُسْمِعَانِ ها هنا أحدهما قيده ، والآخر صاحب الجَرَسِ .

قال : وأخبرنى الكلابىُّ قال : قاتلت بنو عَمِّ لى^(٧) بعضهم بعضاً ، فجعل

(١) أُمقٌ : واسع ، كما فى مجالس ثعلب ٥٤١ عند إنشاد البيت . وأنشده فى اللسان (زمر ٤١٦ سمع ٣٧ مق ٢٣٣) .

(٢) شَهَقَ ، من باى ضرب وعلم : ردد البكاء فى صدره .

(٣) ما عدا هـ : « قول الراجز » .

(٤) القرقارة : إناء ، سميت بذلك لقرقتها . وفى القاموس : « القرقار » بدون هاء . وحنَّتِ الزَّمَارَةُ : صوتت .

(٥) الحالِكُ ، أى الليل الحالِكُ ، وهو الشديد الظلمة .

(٦) العاركُ : الحائض من النساء .

(٧) هذا مثل قوله تعالى : (إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل) . ل : « بنو عمى » .

بعضهم ينضمُّ إلى بعضٍ لإِوَاذاً مَتًى ، وليس لى فى ذلك هِجِيرى ^(١) إِلَّا قولى :

قد جعلت تأوى إلى حَمَانِهَا ^(٢) وكَرَسِهَا العادى من أعطائها ^(٣)

فلَمَّا طلبوا القصاص ، قلت : دونكم يا بنى عمى حَقَّكم ، فأنا اللحم ^(٤) وأنتم الشُّفْرة ؛ إن وهبتم شكرتُ ، وإن اعتقلتم عَقَلْتُ ^(٥) ، وإن اقتصصتم صَبَّرت .

قال : وسألت يونس عن قوله : ﴿ نَسِياً مِّنْسِياً ﴾ ^(٦) ، قال : تقول العرب إذا ارتحلوا عن المنزل ينزلونه : انظروا أنساءكم . وهى العصا ، والقَدَح ، والشُّظَاظ ، والحَبَل . قال : فقلت : إني ظننت هذه الأشياء لا ينساها أربابُها إِلَّا لأنها أهونُ المتاع عليهم . قال : ليس ذلك كذلك ، المتاع الجافى يذكُر بنفسه ، وصغار المتاع تذهبُ عنها العيون . وإِنَّمَا تذهب نفوسُ العامة إلى حفظ كل ثمين وإن صَغُر جسمه ، ولا يقفون على أقدار قَوت الماعون عند الحاجة وفقد المُجَلَّات فى الأسفار .

١٠

وقال يونس : المنسى : ما تقادم العهدُ به وتُسى حيناً لهوانه . ولم تكن مريمُ لتضربَ المثلَ فى هذا الموضع بالأشياء النفيسة التى الحاجةُ إليها أعظم من الحاجة إلى الشيء الثمين فى الأسواق .

١٢٤

(١) الهجير ، كسكيت ، والهجيرى مثله بالألف المقصورة : العادة والدأب والشأن . ما عدا ل :

« هجير » .

(٢) الخمان ، بفتح الخاء وتشديد الميم : ردىء الشجر . ما عدا ل : « جَمَانُها » تحريف

١٥

(٣) الكرسي ، بالكسر : أبواب الإبل والغنم وأبعارها ، يتلبذ بعضها على بعض فى الدار . والعادى : القديم ، كأنه منسوب إلى عاد . والأعطان : جمع عطن ، بالتحريك ، وهو مبرك الإبل حول الحوض .

(٤) ما عدا ل : « فنحن اللحم » .

(٥) أراد باعتقلتم : طلبتم العقل ، وهو الدية . ولم أجد هذا الفعل بهذا المعنى فى معجم .

(٦) قرأ حفص وحمزة بفتح النون ، والباقون بكسرها . إتحاف فضلاء البشر ٢٩٩ .

٢٠

وقال الأشهب بن رُميلة (١) :

قال الأقارب لا تغرك كثرتنا وأغني نفسك عنا أيها الرجل
علّ ينيّ يشدّ الله أعظمهم والتبع يئب قضياناً فيكتهل (٢)

وكان فرس الأخنس بن شهاب (٣) يسمّى « العصا » ، والأخنس فارس

العصا .

وكان لجذيمة الأبرش فرسٌ يقال له « العصا » .

ولبنى جعفر بن كلاب « شحمة » و « الغدير » و « العصا » .
فشحمة : فرس جزيء بن خالد . والعصا : فرس عوف بن الأحوص . والغدير :
فرس شريح بن الأحوص .

والعصا أيضاً : فرس شبيب بن كعب الطائي .

وقال بعضهم أو بعض خطبائهم :

وليس عصاه من عراجين نخلة ولا ذات سيرٍ من عصي المسافر
ولكنها إمّا سألت فتبعت وميراث شيخ من جياذ المخاصر

والرجل يتمنى إذا لم تكن له قوة وهو يجدد مس العجز ، فيقول : « لو كان

في العصا سير » . ولذلك قال حبيب بن أوس :

(١) الأشهب بن رُميلة : شاعر إسلامي مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، أسلم ولم تعرف له صحبة ولا اجتماع بالنبي ﷺ ، ولذا أورده ابن حجر في قسم المخضرمين من الإصابة . ورُميلة أمه ، وكانت أمة لخالد ابن مالك بن رعى بن سلمى بن جندل . وأبوه ثور بن أبي حازمة بن عبد المدان بن جندل بن نهشل بن دارم ابن عمرو بن تميم . وكان الأشهب يهاجى الفرزدق . الإصابة ٤٦٤ والخزانة (٣ : ٥٠٩ - ٥١٠) .

(٢) نهشل بن حري ، كالمسبوب إلى الحر : شاعر مخضرم أدرك معاوية ، وكان معه في حروبه . الإصابة ٨٨٧٨ والخزانة (١ : ١٥١) . وقد نسب البيتان في الحيوان (١ : ١٠٩) إلى الأشهب بن رُميلة .

(٣) الأخنس بن شهاب بن شريق التغلبي ، شاعر جاهلي قديم قبل الإسلام بدهر . الخزانة (٣ :

١٦٩) . وانظر ما كتب في تحقيق اسمه في المفضليات (٢ : ٣) .

ما لك من همّة وعزم لو أنّه في عصاك سِير^(١)

رُبّ قليل جنى كثيراً كم مطر بدؤه مُطِير^(٢)

صبراً على الثائبات صبراً ما صنّع الله فهو خير

وإذا لم يجعل المسافر في عصاه سيراً سقطت إذا نعر من يده .

- وسئل^(٣) عن قوله : ﴿ وَلَيْ فِيهَا مَآرِبٌ أُخْرَى ﴾ ، قال : لستُ أحيط
بجميع مآرب موسى ﷺ ، ولكنني سأنبئكم جُملاً تدخل في باب الحاجة إلى
العصا . من ذلك أنها تُحمَل للحية ، والعقرب ، وللدّئب ، وللفحل الهائج ، ولغير
العانة في زمن هَيْج الفحول ، وكذا فحول الحُجُور في المروج^(٤) . ويتوكأ عليها
الكبير الدالف ، والسّقيم المدنف ، والأقطع الرّجل ، والأعرج ، فإنها تقوم مقام
رجل أخرى .

وقال أعرابيٌّ مقطوعُ الرّجل :

الله يعلم أنّي من رجالِهِمُ وَإِنْ تَحَدَّدَ عَنْ مَتْنِي أَطْمَارِي^(٥)

وإنْ رُزِيْتُ يَدَا كَانَتْ تُجَمِّلُنِي وَإِنْ مَشَيْتَ عَلَى رُجٍّ وَمَسْمَارٍ

والعصا تنوب للأعمى عن قائده ، وهي للقصار والفاشكار^(٦) والدبّاغ .

ومنها الجفاد للملّة^(٧) والمحراك للتثور^(٨) . قال الشاعر :

(١) الأبيات مما لم يرد في ديوان أبي تمام .

(٢) هـ : « حذا كثيراً » .

(٣) المسئول هو يونس بن حبيب .

(٤) الحجر ، بالكسر : الفرس الأنثى ، لم يدخلوا فيه الهاء ، لأنه لا يشركها فيه المذكور .

(٥) اتخذد : التشنج . والأطمار : جمع طمر . بالكسر ، وهو الثوب الخلق .

(٦) سبق تفسيره في (١ : ٦٠) . وفي هامش هـ : « الفاشكار : الحراث » .

(٧) المفاد : الخشبة التي يحرك بها التثور ونحوه . والملة ، بالفتح : الرماد الحار والجرم .

(٨) المحراك : ما تحرك به النار . ل : « والمحراث » ما عدل : « ومحراك » ، الوجه ما أثبت .

إذا كان ضرب الخبز مَسْحاً بِخَرْقَةٍ وَأُخِمِدَ دُونَ الطَارِقِ الْمُنْتَوِّرِ (١)
كَأَنَّهُ كَرِهَ أَنْ يَنْفُضَ عَنْهَا الرُّمَادَ بَعْصاً فَيُسْتَدَلُّ عَلَى أَنَّهُ قَدْ أَنْضَجَ خُبْزَتَهُ .
يَصِفُهُ بِالْبَخْلِ .

وهى لدق الجِصِّ (٢) والجِصِّين (٣) والسَّمْسَم .

وقال الشَّماخ بن ضرار :

وَأَشْعَثَ قَدْ قَدَّ السَّفَارُ قَمِيصَهُ يَجُرُّ شِوَاءً بِالْعَصَا غَيْرَ مُنْضَجٍ (٤)

وَلِحَبْطِ الشَّنَجَرِ ، وَلِلْفَيْجِ وَلِلْمُكَارَى (٥) ، فَإِنِهَا يَتَخَذَانِ الْخَاصِرَ ، فَإِذَا طَالَ الشَّوْطُ وَتَعَدَّتْ الْغَايَةَ اسْتَعَانَا فِي حُضْرِهِمَا وَهَزَوْتَهُمَا فِي أَضْعَافِ ذَلِكَ ، بِالْاعْتِمَادِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ .

وهى تعَدُّلٌ مِنْ مِيلِ الْمَفْلُوجِ ، وَتُقِيمُ مِنْ ارْتِعَاشِ الْمُبْرَسَمِ (٦) ، وَتَتَّخِذُهَا الرَّاعِي لَعْنِمِهِ ، وَكُلُّ رَاكِبٍ لِمَرْكَبِهِ . وَيُدْخَلُ عَصَاهُ فِي عُرْوَةِ الْمِزْوَدِ ، وَيُمْسِكُ بِيَدِهِ الطَّرْفَ الْآخَرَ ، وَرَبِّمَا كَانَ أَحَدُ طَرَفَيْهَا بِيَدِ رَجُلٍ وَالطَّرْفُ الْآخَرُ بِيَدِ صَاحِبِهِ وَعَلَيْهَا حِمْلٌ ثَقِيلٌ .

(١) وَأُخِمِدَ ، أَيْ أَخْمَدَتِ النَّارُ . وَالطَّارِقُ : الَّذِي يَطْرُقُ الْقَوْمَ لَيْلًا . وَالْمُنْتَوِّرُ : الَّذِي يَتَبَصَّرُ النَّاسَ مِنْ بَعِيدِ بَرُوءَةِ النُّورِ أَوْ النَّارِ .

(٢) الْجِصُّ ، بِفَتْحِ الْجِيمِ وَكَسْرِهَا : هَذَا الَّذِي يَطْلَى بِهِ الْجُدَارُ . وَفِي التِّيمُورِيَّةِ : « الْجِسُّ » تَحْرِيفٌ .
(٣) الْجِصِّين ، ذَكَرَهُ دَاوُدُ فِي تَذَكُّرَتِهِ وَقَالَ : « وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ طَلْقٌ لَمْ يَنْضَجْ » قَالَ : « وَمِنْهُ شَدِيدُ الْبَيَاضِ يَعْرِفُ بِإِسْفِنْدَاجِ الْجِصِّ » . وَقَالَ : « وَخَالَصَةُ الْمَعْرُوفِ فِي مِصْرَ بِالْمُصِصِ » . ل : « الْحَشِيشِ » وَمَا عَدَا ل : « الْجَبِينِ » . صَوَاهِبُهَا فِي هـ .

(٤) السَّفَارُ : السَّفَرُ . وَالْبَيْتُ فِي دِيَوَانِ الشَّماخ ٩ .

(٥) الْفَيْجُ ، بِالْفَتْحِ : وَاحِدُ الْفَيْجِجِ ، وَهُوَ الَّذِي يَسْعَى عَلَى رِجْلَيْهِ بِحِمْلِ الْأَخْبَارِ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ . وَلَفْظُهُ فَارِسِيٌّ مَعْرَبٌ ، فَارْسِيَّتُهُ « يِيك » . اسْتِئْجَاسُ ٢٦٨ . وَالْمُكَارَى : الَّذِي يَكْرِيكُ دَابَّتَهُ بِالْأَجْرِ .

(٦) الْمَرْسَمُ : الْمَصَابُ بِالْبِرْسَامِ . وَالْبِرْسَامُ ، بِالْكَسْرِ : عِلَّةٌ يَهْذَى فِيهَا . قُلْتُ : هِيَ بِالْفَارْسِيَّةِ « بِرْسَامٌ » بِالْفَتْحِ ، بِمَعْنَى التَّهَابِ الصَّدْرِ ، مَرْكَبٌ مِنْ « بَر » وَهُوَ الصَّدْرُ ، وَ« سَامٌ » بِمَعْنَى الْإِتِهَابِ . وَهُوَ بِالْمَعْنَى الدَّقِيقِ . التَّهَابُ غِشَاءُ الرِّئَةِ : The Pleurisy .

وتكون إن شئت وتبدأ في حائط ، وإن شئت ركزتها في الفضاء وجعلتها
قبلة ، وإن شئت جعلتها مظلة ، وإن جعلت فيها زُجْجاً كانت عترة ^(١) ، وإن
زدت فيها شيئاً كانت عكازاً ، وإن زدت فيها شيئاً كانت مطرداً ^(٢) ، وإن زدت
فيها شيئاً كانت رُمحاً . ١٢٦

- والعصا تكون سوطاً وسلاحاً . وكان رسول الله ﷺ يخطب بالقضيب ،
وكفى بذلك دليلاً على عظم غنائها ، وشرف حالها . وعلى ذلك الخلفاء وكبراء
العرب من الخطباء .

- وقد كان مروان بن محمد حين أُحيط به دَفَعَ الْبُرْدَ والقضيبَ إلى خادم
له ، وأمره أن يدفنها في بعض تلك الرمال ، ودفع إليه بتأ له ، وأمره أن
يضرب عنقها . فلما أخذ الخادم في الأسرى قال : إن قتلتموني ضاع ميراثُ النبي
ﷺ . فأمنوه على أن يُسلم ذلك لهم . ١٠

وقال الشاعر في صفة قناة :

وأسمر عاترٍ فيه سِنَانٌ شُرَاعِيٌّ كساطعةِ الشَّعَاعِ ^(٣)

وقال آخر :

- هَوْنَةٌ فِي الْعِنَانِ تَهْتَرُ فِيهِ كَاهْتِرَازِ الْقَنَاقَةِ تَحْتَ الْعَقَابِ ^(٤)
ومما يجوز في العصا قول الشاعر :
لِلْهَامِ ضَرَابُونَ بِالْمَنَاصِلِ ضَرَبَ الْمُذِيذِ غَرَبَ التَّوَاهِلِ ^(٥) ١٥

(١) العترة ، بالتحريك : عصا في قدر نصف الرمح أو أكثر شيئاً ، في طرفها الأسفل زج كزج الرمح
يتوكأ عليها الشيخ الكبير .

(٢) المطرد ، بكسر الميم : رمح قصير يطرد به الرمح . ٢٠

(٣) الرمح العاتر : المضطرب من لينه . هـ : « عاتق » وأشير في حواشينا إلى رواية « عاتر » ما عدا
ل ، هـ : « عاتق » تحريف . وروايته في اللسان (شرع) : « عاتك » وهو الذي قدم واحمر . والشراعي :
نسبة إلى رجل كان يعمل الأسنة اسمه « شرع » .

(٤) يصف فرساً . والعقاب : العلم الضخم .

(٥) سبق الرجز في ٥٥ . ل : « عزب » ، تحريف . ٢٥

وقال عباس بن مرداس :

نطاعين عن أحسابنا بمرأحنا ونضربهم ضرب المذيد الخوامسا^(١)

وقال الآخر :

دافع عنها جليبي وحشي^(٢) فهي كعود الثبغة الأجش

وقال نُصَيْب الأسود :

ومن يُبقِ مالا عُدَّةً وصيانةً ولا الدهر مُبقيه ولا الشُّحُ وافرةً
ومن يكُ ذا عودٍ صليبٍ يعدُّه ليكسر عودَ الدهرِ فالدهرُ كاسرُه

وقال آخر^(٣) :

تخيرتُ من نِعْمانَ عودَ أراكِةٍ هنيءٍ فمن هذا يُلْغُه هِنْدًا^(٤)
خليلي عوجا بآركَ الله فيكما وإن لم تكن هنداً لأرضكما قصداً
وقولا لها ليس الضلالُ أجازنا ولكننا جُرنا لتلقاكمُ عَمْدًا^(٥)

وقال آخر :

فتلك ثياني لم تدنس بغدرةٍ ووَرَى زنادي في ذرى المجد ثاقب^(٦)
ولو صادفتُ عوداً سوى عودِ نَبعةٍ وهيأت أفتته الخطوبُ التائب^(٧)

وقال آخر :

عصا شريانةٍ دُھنت بزيْد تدق عظامه عَظْماً فعَظْماً

(١) البيت وعبارة الإنشاد قبله ساقط من ل . وقد سبق البيت في ص ٦١ .

(٢) ل : « حليبي وحشي » ولم أجد للبيت مرجعاً لتحقيقه .

(٣) هو ورد بن عمرو بن ربيعة بن جعدة ، أحد شعراء الجاهلية ، الحماسة (٢ : ١٢٣) . ونسب

الشعر في الأغاني (١٠ : ١٢٢) إلى المرقش الأكبر . وأنشد صاحب اللسان البيت الثاني في اللسان (جور) منسوباً إلى عمرو بن عجلان .

(٤) البيت لم يروه أبو تمام . وفي الأغاني أن المأمون غنى بين يديه بهذا البيت فقال : اطلبوا له ثانياً ،

فلم يعرفوا ، ثم سأل عن صاحبه فلم يعرفه أحد . ثم عرف الشعر وصاحبه من بعد ، إسحاق بن حميد ، فبعث بخبره إلى المأمون . ه : « ولكن من يبلغه هنذا » .

(٥) أجازنا : عدل بنا ، كما في اللسان (جور) .

(٦) الوري : خروج النار من الزند . والزناد : جمع زند .

(٧) أي لو صادفت عوداً غير عود النبع أفتته وحطمته . يفتخر بصلابة عوده .

وليس هذا مثل قول لقيط بن زُرارة ^(١) :

إذا دهنوا رماحهم يَزِيدُ فَإِنَّ رماحَ تَيْمٍ لا تُضَيِّرُ

وقال صالح بن عبد القدوس ^(٢)

لا تدخُلْنَ بَنَمِيمَةَ بين العصا ولحائها

وقال شبيل بن معبد البجلي ^(٣)

بَرَّتْنِي صرُوفُ الدَّهْرِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ كَمَا يُبْتَرَى دُونَ اللَّحَاءِ عَسِيبُ

وقال أوس بن حجر :

لَحُونَهُمْ لَحَوِ الْعَصَا فَطَرَدْنَهُمْ إِلَى سَنَةِ يُجْرِذَانَهُمَا لَمْ تَحْلِمِ ^(٤)

وقال الرقاشي في صفة القناة التي تُبْرَى منها القسي :

مِنْ شَيْقٍ تُحْضِرُ بَرُوصِيَّاتٍ ^(٥) صَفَرِ اللَّحَاءِ وَخُلُوقِيَّاتٍ ^(٦)

جُدِلْنَ حَتَّى إِضْنَّ كَالْحَيَّاتِ رَشَائِقًا غَيْرَ مُؤْنَّاتٍ ^(٧)

١٢٨

(١) لقيط بن زُرارة : شاعر فارس من فرسانهم في الجاهلية . وله خير في يوم رجرحان . وكان من الرؤساء في يوم جبلة ، وقتل في ذلك اليوم ، وجعل يقول عند موته :

يا ليت شعري عنك دختنوس إذا أتاك الخير المرموس

أُتْلِقُ القرون أم تَمِيس لا بل تَمِيس إنها عروس

دختنوس : بنته . وكان جبلة قبل الإسلام بتسع وخمسين سنة . الأغاني (١٠ : ١٩ - ٤٤) .

(٢) ترجم في (١ : ٢٠٦) .

(٣) هو شبيل بن معبد بن عبيد البجلي الأحمسي ، صحابي جليل ، وهو أحد من شهدوا على المغيرة

ابن شعبة . الإصابة ٣٩٥٢ .

(٤) ما عدا هـ : « لحوتهم » فطردتهم « صوابه من هـ والديوان ٢٧ واللسان والمقاييس (حلم) . وقبله :

وبخلجنهم من كل صمد ورجلة وكل غبيط بالمغيرة مفعم

لم تعلم : لم تسمن ، وذلك لشدة الجذب . ويروى : « قرداتها » .

(٥) بروصيات ، كذا وردت مضبوطة في الأصل .

(٦) خلوقيات : لونها لون الخلق ، وهو بالفتح : الزعفران .

(٧) رشائق : جمع رشيقة ، وهي الحسنة القد اللطيفة . ما عدا ل ، هـ : « وشائقا » ، تحريف .

والمؤنات : المعيبات ، والأبنة : العيب في الخشب والعود .

أَفْهَنَ مَطَطَرَاتٍ (١) عمرو بن عُصْفُورٍ عَلَى اسْتِثْبَاتٍ (٢)

وقال محمد بن يَسِير (٣) :

- وَمَشْمَرِينَ عَنِ السَّوَاعِدِ حُسْرٍ عَنْهَا بِكُلِّ رَشِيقَةٍ التَّوْتِيرِ (٤)
 لَيْسَ الَّذِي تُشْرَى يَدَاهُ رَمِيَّةً فِيهِمْ بِمَعْتَذِرٍ وَلَا مَعْذُورٍ (٥)
 عَطِفَ السَّيَّاتِ مَوَانِعَ فِي عَطْفِهَا تُعْزَى إِذَا تُسَبَّتْ إِلَى عُصْفُورٍ (٦)
 ذَهَبَ إِلَى قَوْلِهِ : * فِي كَفِّهِ مُعْطِيَةٌ مُنَوَّعٌ (٧) *
 وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِهِ : * خَرَقَاءُ إِلَّا أَنَّهَا صَنَاعٌ (٨) *
 وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِهِ : * غَادَرَ دَاءً وَنَجَا صَحِيحًا (٩) *
 وَمِثْلُ قَوْلِهِ : * حَتَّى نَجَا مِنْ جَوْفِهِ وَمَا نَجَا (١٠) *

١٠ (١) التأنيف : التحديد . ما عدا هـ : « أفهن » وليس لها وجه . والمتمطرات : السرعات .
 (٢) عمرو بن عصفور : أحد القواسين . وفي الحيوان (٥ : ٢٣٣) « عصفور القواس » ، فلعله
 والده .

(٣) سبقت ترجمته في (١ : ٦٥) . ما عدا هـ : « محمد بن بشير » تحريف . والأبيات رويت في
 الحيوان (٥ : ٢٣٥) . والأغاني (١٢ : ١٣٠) .
 ١٥ (٤) عني بالمشمرين الصيادين بالسهام . والتوتير : شد وتر القوس ونحوها . ووجه روايته :
 « لمشميرين » كما في الأغاني . هـ : « رقيقة التوتير » .

(٥) أشوى الرمية : لم يصب الصيد الذي يرميه .
 (٦) عطف : جمع عطفاء ، وهي الحنية . وسية القوس : ماعطف من طرفها . وقبل البيت في الحيوان :

يتبعون مع الشروق غديَّةً في كل معطية الجذاب تنور

٢٠ (٧) نسب في (١ : ١٤٩) وديوان المعاني (٢ : ٥٩) إلى العكلى . وأنشده في الحيوان (٣ : ٧٢) .
 (٨) سبق في (١ : ١٥٠) وهو في صفة ناقة . قال الجاحظ : « يصف سرعة نقل يديها ورجليها ،
 أنها تشبه المرأة الخرقاء ، وهي الخرقاء في أمرها الطياشة » . وانظر الحيوان (٣ : ٧٢) والعمدة (١ : ١٦٨) .
 (٩) سبق البيت والكلام عليه في (١ : ١٥٠) .

(١٠) « نجا من جوفه » ، أى نفذ سهم الصائد من جوف الحمار ، كما ذكر الجاحظ في الحيوان
 (٣ : ٧٥) . وسبق لإنشاده في البيان (١ : ١٥٠) ، « حتى نجا من شخصه » .

فإذا طال قيام الخطيب صار فيه انحناءً وجناً^(١). وقال الأسدى :

أنا ابنُ الخالدين إذا تلاقى من الأيام يومٌ ذو ضَجَاج^(٢)

كأنَّ اللَّعبَ والحُطباءَ فيه قسِيُ مثْقِفٌ ذاتُ اعوجَاج^(٣)

وعلى هذا المعنى قال الشماخ بن ضِرارٍ :

فأضحت ثَفَالَى بالسُّتار كأنَّها رماحٌ نحاها وجهَةُ الرِّيحِ رَاكِزٌ^(٤)

وقال العُماني :

عابَ يرى ضَرَبَ الرجالِ مَغْتَمًا إذا رأى مُصَدِّقًا تَجَهَّمًا^(٥)

وهَزَّ في الكفِّ ، وأبْدَى البِعصما هِرَاوَةً نَبَّيْعَةً أو سَلَمًا^(٦)

تتركُ ما رام رُفَاتًا رِمَمًا^(٧)

وقال أمية بن الأسكر^(٨) :

هَلَّا سَأَلْتِ بنا إن كنتِ جاهلةً ففى السُّؤالِ من الأتباءِ شافِها^(٩)

١٢٩

(١) الجنأ : ميل في الظهر وحذب .

(٢) الضججاج ، بالفتح والكسر : المشاغبة والمشاورة . والخالدان : خالد بن نضلة ، وخالد بن قيس .

جنى الجنتين ٤٣ .

(٣) اللَّعب ، بالفتح : الكلام الفاسد السيئ . ما عدل ، هـ : « اللَّعب » بالعين المهملة ،

تحريف . ما عدل هـ : « فيها اعوجاج » فيكون فيه الإقواء .

(٤) البيت آخر بيت من قصيدة له في ديوانه ٤٣ وجمهرة أشعار العرب ١٥٤ . وتغالت الحُمُر :

احتكت ، كأن بعضها يملأ بعضها . والستار : موضع . ووجهة الرِّيح : أى في مواجهتها . والراكر : الذى

يغرز الرمح ونحوه فى الأرض . ورواه القرشى فى الجمهرة : « تغالى » بالغين ، وفسرها بقوله : أى تسابق ، تدخل

رأسها بين أخواتها .

٢٠

(٥) المصدق : الذى يتولى جمع الصدقات ، وهى الزكاة ، وكان النزاع دائماً بين المصدقين

والمصدقين . انظر صورة قوية منه فى قصيدة الراعى فى جمهرة أشعار العرب ١٧٥ .

(٦) نبيعة ، من النبع ، وهو شجر تتخذ منه القسي . والسلم : ضرب من الشجر

(٧) الرفات : الحطام من كل شيء تكسر . ما عدل ، هـ : « رفاقا » تحريف .

(٨) أمية بن الأسكر ، شاعر من مخضرمى الجاهلية والإسلام . وهاجر ابنه « كلاب » إلى المدينة ثم

خرج فى بعث إلى العراق فى خلافة عمر ، وكان هو قد كبر ، فبكاه بشعر ، فلما بلغ عمر ذلك أمر برده

إليه . الإصابة ٢٥١ والمعرين ٦٧ - ٦٩ والأغاني (١٨ : ١٥٦) والخزانة (٢ : ٥٠٥) وأسد الغابة .

(٩) ما عدل : « من الإعياء » تحريف .

٢٥

تخبرك عنا معدّ إن هم صدقوا ومن قبائل نجران يمانها
وبالجياذ تجرّ الخيل عابسةً كأنّ منرور ملح في هواذها (١)
قومٌ إذا قدّغ الأقوال طاف بهم ألقى العصي عصي الجهل بارها
قال . والرّجل إذا لم يكن معه عصاً فهو باهل . وناقّة باهل وباهلة ، إذا
كانت بغير صرار (٢) . وقال الراجز :
أبهلها ذائدها وسبّحا (٣) ودقّت المركو حتّى ابلندحا (٤)

* * *

احتجنا إلى أن نذكر ارتفاع بعض الشعراء من العرجان بالعصي ، عند
ذكرنا العصا وتصرفها في المنافع . والذي نحن ذاكروه من ذلك في هذا الموضع
قليل من كثير ما ذكرناه في كتاب العرجان . فإذا أردتموه فهو هناك موجود إن
شاء الله .

قالوا : ولما شاع هجاء الحكم بن عبدل الأسدي (٥) لمحمد بن حسان بن
سعد (٦) وغيره من الولاة والوجوه ، هابه أهل الكوفة ، وأثقى لسانه الكبير
والصغير ، وكان الحكم أعرج لا تفارقه عصاه ، فترك الوقوف بأبوابهم وصار
يكتب على عصاه حاجته ويبعث بها مع رسوله فلا يُحبس له رسول ، ولا يؤخّر

(١) الهوادي : الأعناق . وإذا ييس عرق الخيل ابيض وصار كالملاح . قال طفيل الغنوي :

كأن ييس الماء فوق متونها أشارير ملح في مباءة مجرب

انظر شروح سقط الزند ٤٨ ، ٢٥٤ والمفضليات (٢ : ١٤٣) .

(٢) الصرار ، بالكسر : خيط يشد فوق خلفها لتلا يرضعها ولدها .

(٣) السبح : الفراغ الطويل والتصرف جيئة وذهابا .

(٤) المركو : الحوض الكبير . وابلندح : اتسع وعرض . والبيت في اللسان (بلدح) .

(٥) فيما عدا هـ : « الأزدى » ، تحريف . وهو الحكم بن عبدل بن جبلة ، انتهى نسبه إلى أسد بن

خزيمة . وكان هجاء خبيث اللسان من شعراء الدولة الأموية . ومنزله ومنشؤه الكوفة . وترجمته في الأغاني (٢ :

١٤٤ - ١٥٣) .

(٦) سبقت ترجمته في (١ : ٨٨) .

عنه لقراءة الكتاب ، ثم تأتيه الحاجة على أكثر مما قَدَّر ، وأوفر مما أَمَل ، فقال يحيى بن نوفل :

عَصَا حَكِيمٍ فِي الدَّارِ أَوَّلُ دَاخِلٍ وَنَحْنُ عَنِ الْأَبْوَابِ نَقْصَى وَنُحْجَبُ^(١)

وَأَمَّا قَوْلُ بِشْرِ بْنِ أَبِي خَازِمٍ :

لِلَّهِ دُرٌّ بَنَى الْحَدَاءِ مِنْ نَفَرٍ وَكُلُّ جَارٍ عَلَى جِيرَانِهِ كَلْبُ^(٢)
إِذَا غَدَوْا وَعِصَى الطَّلَحِ أَرْجُلُهُمْ كَمَا تُنْصَبُ وَسَطَ الْبَيْعَةِ الصُّلْبُ

وَأَمَّا يَعْنِي أَنَّهُمْ كَانُوا عُرجَانًا ، فَأَرْجُلُهُمْ كَعِصَى الطَّلَحِ . وَعِصَى الطَّلَحِ معوجة . وكذلك قال مُعْدَانُ الْأَعْمَى ، فِي قَصِيدَتِهِ الطَّوِيلَةِ الَّتِي صَنَّفَ فِيهَا الْغَالِيَةَ وَالرَّافِضَةَ ، وَالتَّمِيمَةَ ، وَالزَّيْدِيَّةَ :

وَالَّذِي طَفَّفَ الْجِدَارَ مِنَ الذُّغْ رٍ وَقَدْ بَاتَ قَاسِمَ الْأَنْفَالِ^(٣)
فَغَدَا خَامِعًا بِوَجْهِ هَشِيمٍ وَبَسَاقٍ كَعُودِ طَلَحٍ بِالِ^(٤)
وَقَالَ بَعْضُ الْعُرجَانِ^(٥) مِمَّنْ جَعَلَ الْعَصَا رِجَالًا :

مَا لِلْكَوَاعِبِ يَا دَهْمَاءَ قَدْ جَعَلْتِ تَزْوُرُ عَنِّي وَتَطْوُرِي دُونِي الْخُبْرُ^(٦)
لَا أَسْمَعُ الصَّوْتِ حَتَّى أَسْتَدِيرَ لَهُ لَيْلًا طَوِيلًا يَنَاقِبُنِي لَهُ الْقَمَرُ
وَكُنْتُ أَمْشِي عَلَى رَجْلَيْنِ مَعْتَدِلًا فَصَرْتُ أَمْشِي عَلَى رَجْلٍ مِنَ الشُّجْرِ

(١) بعده فِي الْأَغَانِي (٢ : ١٤٤) :

وَكَانَتْ عَصَا مُوسَى لِفِرْعَوْنَ آيَةً وَهَذِي لِعَمْرِ اللَّهِ أَدْمَى وَأَعْجَبُ
تَطَاعَ فَلَا تَعْصِي وَيَحْذَرُ سَخَطَهَا وَيَرْغَبُ فِي الْمَرْضَاةِ مِنْهَا وَيَرْهَبُ

(٢) الْبَيْتَانِ فِي الْحَيَوَانَ (١ : ٣١٦ / ٦ : ٤٨٤) .

(٣) طَفَّفَ الْجِدَارَ : عَلَّاهُ وَرَفَعَهُ . وَالْأَنْفَالُ : الْغَنَائِمُ وَالْهَبَاتُ ، جَمْعُ نَفْلٍ بِالتَّحْرِيكِ .

(٤) فِي الْحَيَوَانَ (٦ : ٤٨٥) : « بِأَيْدِي هَشِيمٍ » .

(٥) الشَّعْرُ يَرَوِي لِعَمْرِ بْنِ أَحْمَرَ الْبَاهِلِ ، كَمَا فِي الْمَوْشِحِ ٨٠ . وَانْظُرِ الْخَزَانَةَ (٤ : ٩٤) .

(٦) فِي الْمَوْشِحِ وَالْخَزَانَةِ : « يَا عَيْسَاءَ » . وَفِي هـ : « وَتَلْقَى » .

وقال رجلٌ من بنى عجل :

وشى بى واشى عند ليلى سفاهةً
وخبرها أنى عرُجْتُ فلم تكن
وما بى من عيبِ الفتى غير أننى
فقلت له ليل مقالة ذى عقل^(١)
كورهاء تجتر الملامة للبعل
جعلت العصا رجلاً أقيم بها رجلى

٥ . وقال أبو ضبة^(٢) فى رجله :

وقد جعلتُ إذا ما نمتُ أوجعنى
وكنت أمشى على رجلين معتدلاً
وقال أعرانى من بنى تميم :

وما بى من عيب الفتى غير أننى
ألفتُ قناتى حين أوجعنى ظهري^(٣)

١٠ . قال : ودخل الحَكَم بن عبدل الأَسَدى^(٥) وهو أعرج ، على عبد الحميد
ابن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، وهو أمير الكوفة وكان أعرج^(٦) ، وكان
صاحب شُرطه أعرج ، فقال ابن عبدل^(٧) :

ألقى العصا ودع التخامع والتمسُ عملاً فهذى دولة العُرجان^(٨)
لأميرنا وأمير شُرطتنا معاً لكليهما يا قومنا رجلاً

١٥ (١) الأبيات فى الحيوان (٦ : ٤٨٣) .

(٢) فى الحيوان (٦ : ٤٨٣) والخزانة (٤ : ٩٥) : « أبو حية » .

(٣) الشارف من الإبل : المسن . والظهر : الذى يشتكى ظهره ، كما فى مقاييس اللغة . ورواية
الحيوان : « الشارب السكر » .

٢٠ (٤) الحيوان (٥ : ٤٨٤) .

(٥) ل : « الأزدى » ، صوابه فيما عدا ل .

(٦) ما عدا ل : « وهو أعرج » فقط .

(٧) فى الخبر نقص ، وفى الأغاني (٢ : ١٤٥) أنه لقى سائلاً أعرج وقد تعرض للأمير يسأله .

(٨) التخامع : التعارج . وفى الأصل : « التخادع » ، صوابه من الأغاني (٢ : ٤٠٦) طبع دار

٢٥ (الكتب) . وفى الحيوان (٥ : ٤٨٥) : « ودع التعارج » .

فَإِذَا يَكُونُ أَمِيرُنَا وَوَزِيرُنَا وَأَنَا فَإِنَّ الشَّيْطَانَ ^(١)
ومما يدلُّ على أنَّ للعصا موقعاً منهم ، وأنها تدور مع أكثر أمورهم قولُ مزُرد
ابنِ ضيرار :

فَجَاءَ عَلَى بَكْرٍ ثَقَالٍ يَكْثُهُ عَصَاهُ اسْتُهُ ، وَجَعَّ الْعُجَابِيَّةُ بِالْفَهْرِ ^(٢)

- ويقولون : اعتصى بالسَّيف ، إذا جعل السيف عصاه ، وإِنَّمَا اشْتَقُّوا
للسيف اسماً من العصا ؛ لِأَنَّ عَامَّةَ الْمَوَاضِعِ الَّتِي تَصْلُحُ فِيهَا السُّيُوفُ تَصْلُحُ فِيهَا
العصى ، وليس كلُّ موضعٍ تَصْلُحُ فِيهِ الْعَصَا يَصْلُحُ فِيهِ السَّيفُ .

وقال الآخر :

وَنَحْنُ صَدَعْنَا هَامَةَ ابْنِ مُحَرِّقٍ كَذَلِكَ نَعَصِي بِالسُّيُوفِ الصَّوَارِمِ

وقال عمرو بن الإطنابة ^(٣) :

وَفَتَى يَضْرِبُ الْكَتِيَّةَ بِالسَّيْفِ إِذَا كَانَتْ السُّيُوفُ عَصِيًّا ^(٤)

وقال عمرو بن مُحَرِّزٍ :

نَزَلُوا إِلَيْهِمُ وَالسُّيُوفُ عَصِيَّهُمْ وَتَذَكَّرُوا دِمْنًا لَهُمْ وَذُحُولًا ^(٥)

(١) في هذا البيت إقواء .

(٢) البكر ، بالفتح : الفتى من الإبل . والثقال ، بفتح الثاء وتخفيف الفاء : البطيء الثقيل . عصاه استه ، أى ليس معه عصا فهو يحرك استه على الحمار حتى يسير . انظر مجالس ثعلب ٣٨٠ حيث أنشد عجز هذا البيت . والوجع : الضرب . والعجاية ، بالضم : العصب يضرب حتى يلين . والفهر : بالكسر : الحجر ملغ الكف . ل : العجانة « ما عدل » العجاية « صوابهما ما أثبت من هـ . وانظر الأغاني (١٤ : ٢٠) .

(٣) الإطنابة أمه ، وهو عمرو بن زهد مناة الخزرجي ، شاعر فارس من فرسان الجاهلية . معجم المرزبانى ٢٠٣ - ٢٠٤ . وذكر أبو الفرج في الأغاني (١٠ : ٢٨) أنه كان ملك الحجاز .

(٤) قبله في الأغاني :

إِنْ فِينَا الْقِيَانُ يَعْرِفُنْ بِالِدِ فِ لَفْتِيَانِنَا وَعِيشَانُ رَحِيَا

يَتَبَارِكُنْ فِي النِّعَمِ وَيَصِيبُ مِنْ خِلَالِ الْقُرُونِ مَسْكَ ذَكِيَا

إِنَّمَا هَمَّهَنْ أَنْ يَتَحَلَّى مِنْ سَمُوطٍ وَسَنْبِلَا فَارِسِيَا

مِنْ سَمُوطِ الْمَرْجَانِ فَصِّلْ بِالِدِ رِ فَأَحْسِنْ بِمَجْلِيهِنْ حَلِيَا

٢٥

(٥) الدمن : جمع دمنة ، بالكسر ، وهو الحقد القديم . والذحل : الثأر .

١٣٢

وقال الفرزدق همام بن غالب بن صعصعة :

إِنَّ ابْنَ يَوْسُفَ مُحَمَّدٌ خَلَّائِقُهُ سَيِّانٍ مَعْرُوفُهُ فِي النَّاسِ وَالْمَطَرُ (١)
هُوَ الشُّهَابُ الَّذِي يُرْمَى الْعَدُوُّ بِهِ وَالْمَشْرِفِيُّ الَّذِي تَعَصَّى بِهِ مُضَرٌ
يُقَالُ عَصَى بِالسِّيفِ وَاعْتَصَى بِهِ .

وقال العريان بن الأسود ، في ابن له مات :

وَلَقَدْ تَحِيلَ الْمُشَاةُ كَرِيماً لِّئِنَّ الْعُودَ مَاجِدَ الْأَعْرَاقِ
ذَاكَ قَوْلِي وَلَا كَقَوْلِ نِسَاءٍ مُغُولَاتٍ يَكِينُ بِالْأُرُوقِ (٢)

وكتب عمرو بن العاص إلى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ : « إِنَّ الْبَحْرَ تَخْلُقُ
عَظِيمٌ يَرْكَبُهُ خَلْقٌ صَغِيرٌ : دَوْدٌ عَلَى عُودٍ (٣) » .

وقال واثلة السدوسي (٤) :

رَأَيْتَكَ لَمَّا شَبَّتَ أَدْرَكَكَ الَّذِي يُصِيبُ سَرَاةَ الْأَرْدِ حِينَ تَشِيبُ (٥)
سَفَاهَةً أَحْلَامٍ وَيُخَلُّ بَنَائِلَ وَفِيكَ لَمَنْ عَابَ الْمَزُونُ عُيُوبُ (٦)
لَقَدْ صَبَرْتَ لِلذَّلِّ أَعْوَادُ مِنْبِرٍ تَقُومُ عَلَيْهَا ، فِي يَدِكَ قَضِيبُ
وَقَدْ أَوْحَشَتْ مِنْكُمْ رَزَادِيقُ فَارِسٍ وَبِالْمَصْرِ دُورٌ جَمَّةٌ وَدُرُوبُ (٧)

(١) ابن يوسف هو الحجاج ، كما في ديوان الفرزدق ٤٣٥ .

(٢) الأرواق : أرواق البيوت ، جمع روق بالفتح ، وهو البيت أو ما بين يديه . ل : « بالأرواق ،
ما عدا ل : « للأرواق » ، والوجه ما أثبت .

(٣) سبق هذا الكتاب في (٢ : ١١٣) .

(٤) ل : « واثلة بن الأسقع السدوسي » . وكلمة « الأسقع » مقحمة ، وإنما هو « واثلة بن خليفة
السدوسي » كما سبق في (١ : ٢٩١ / ٢ : ٣١٣) . وأما واثلة بن الأسقع فهو صحابي جليل كان من أهل
الصفقة . توفي سنة ٨٣ في خلافة عبد الملك بن مروان . تهذيب التهذيب والإصابة ٩٠٨٨ . والشعر يقوله في
هجاء عبد الملك بن المهلب .

(٥) سبق تفسير الشعر في الموضعين السالفين .

(٦) في هامش ه : « المزون : أزدعمان » . وهو بفتح الميم كما في اللسان .

(٧) الرزاديق ، هي الرساتيق ، وقد سبق تفسيرها . ما عدا ل : « رساتيق » .

١٥

٢٠

٢٥

وأنشد الأصمعي (١) :

- أعددت للضيّفان كلباً ضارياً وهراوةً مجلوزةً من أرزن (٢)
ومعاذراً كذباً ووجهاً باسراً وتشكياً عَضَ الزمان الألزن (٣)
وشذاةً مرهوبٍ الأذى قاذورةً حشين جوانبه دُلُوطٌ ضيّرَن (٤)
وبكفّ محبوكِ اليدين عن العَلا والباع مسودّ الذراع مُقَحّزَن (٥)
وتجنّياً لهم الذنوبَ وأتقى بغليظ جلد الوجنتين عَشْوَرَن (٦)
- ١٣٣

وقال جرير :

تَصِفُ السِوْفَ وَغَيْرُكُمْ يَعْصَى بِهَا يَا ابْنَ الْقِيُونِ وَذَاكَ فَعَلَ الصَّيْقِلُ (٧)

وقال الراعي :

تبيت ورجلاها إَوَانَانِ لاسْتِهَا عصاها اسْتِهَا حَتَّى يَكُلَّ قَعُودَهَا (٨)

١٠

(١) الشعر لوبر بن معاوية الأُسدي ، كما في حماسة البحتری ٤١٥ . وكان يعامل تجار المعدن ويلوهم بحقوقهم . وانظر إنشاد الشعر في الحيوان (٢ : ٢١٠) والبخلاء ٢٠٠ وعيون الأخبار (٣ : ٢٤٢) .

(٢) جَلَزَ السكين والسوط : حَزَمَ مَقْبِضَهُ وشده بعلباء البعير . ويرى : « وفضل هراوة » . والأرزن : شجر صلب تتخذ منه العصي ، كما في اللسان (رزن) عند إنشاد هذا البيت .

(٣) الباسر : العابس الذي ينظر بكراهة شديدة . والألزن : الضيق ؛ وأصله من الماء الملزون : الذي يزدحم عليه . انظر اللسان (لزَن) حيث أنشد البيت .

(٤) الشذاة : الشر والحدة . والقاذورة : السيء الخلق . والدلوط : أراد به الشديد الدفع . وفي اللسان : « المدلظ : الشديد الدفع » . والضيّرَن : المزاحم .

(٥) الباع : السعة في المكارم . والمقَحّزَن : المصروع .

(٦) العشورن : العسر الخلق .

٢٠

(٧) يهجو الفرزدق من قصيدة في ديوانه ٤٤٢ - ٤٤٨ .

(٨) الإوان من أعمدة الخباء . وأنشد هذا الصدر في اللسان (أَوَن) . وقال : أي رجلاها سندان لاسْتِهَا تعتمد عليهما . ما عدال ، هـ : « أَدَانان » تحريف . وانظر لقوله : عصاها استها ، ما سبق في حواشي ٧٧ . والقعود ، كصبور : ما اتخذ الراعي للركوب من الإبل . وفي شروح سقط الزند ١٦٦٤ : « يريد أن كفلها قليل اللحم عارى العظام ، فإذا أرادت أن تستحث الناقة اعتمدت عليها بكفلها ، فقام ذلك لها مقام العصا ، فأسرعت الناقة بها » .

٢٥

وقال أعرابيٌّ للحُطَيْيئة : ما عندك يا راعي الغنم ؟ قال : عَجْراء من سَلَم^(١) قال : إني ضَيِّف ! قال : للضَيِّفان أعددتُها .

* * *

وقال الشَّماخ بن ضِرار :

إلى بَقَرٍ فِيهِنَّ لِلعينِ مَنْظَرٌ وَمَلْهُىَ لِمَن يَلْهُو بِهِنَّ أَنْيَقُ^(٢)
رَعَيْنَ النَّدى حَتَّى إِذَا وَقَدَ الحَصَى وَلَمْ يَبْقَ مِنْ نَوَى السَّماكِ بُرُوقُ^(٣)
تَصَدَّعَ شَعْبُ الحَيِّ وَانْشَقَّتِ العَصَا كذاكَ النَّوى بَيْنَ الخَلِيطِ شَقُوقُ^(٤)

وقال امرؤ القيس :

قُولاً لِدُودَانَ عَيْبِدِ العَصَا ما غَرَّكُمْ بِالأسَدِ الباسِلِ^(٥)
وقال عليُّ بن الغدير^(٦) :
وَإِذَا رَأَيْتَ المَرْءَ يَشْعَبُ أَمْرَهُ شَعَبَ العَصَا وَيَلْجُ فِي العِصْيَانِ
فَاعِمِدْ لِمَا تَعْلُو فَمَا لَكَ بِالنَّتى لَا تَسْتَطِيعُ مِنَ الْأُمُورِ يَدَانِ^(٧)

(١) العَجْراء : الكثيرة العُجَر ، أى العقد . والسلم ، بالتحريك : شجر . وقد سبق الخبر في (٢ : ١٤٧) .

(٢) قبله في الديوان ٦٢ :

فقلت خليلي انظرا اليوم نظرة لعهد الصبا إذ كنت لست أفيقُ ١٥

(٣) الندى ، أراد ما أنبتته الندى من المرعى . ووقد الحصى : اشتدت حرارته .

(٤) هذا البيت ساقط من ب ، ح . والخليط : القوم الذين أمرهم واحد . وشقوق : وصف من شق ، أى فرق .

(٥) دودان : قبيلة من بنى أسد بن خزيمه . وانظر ديوان امرئ القيس ١٤٨ .

(٦) هو علي بن الغدير الغنوي ، شاعر فارس من شعراء الدولة الأموية ، وله شعر في فتنة ابن الزبير . المؤتلف ١٦٤

٢٠ ومعجم المرزبانى ٢٨٠ . وهو القائل :

وهلُّكَ الفتى ألا يَرَّاحَ إلى الندى وألا يرى شيئا عجيبا فيعجبا
(٧) يقال علا بالأمر : اضطلع به ، كما في اللسان عند إنشاد البيت . وروى المرزبانى من هذه القصيدة :

وَإِذَا سَفَلْتَ الخَيْرَ فاعْلَمْ أَنَّهُ نَعِمَ تَخَصَّ بِهَا مِنَ الرَّحْمَنِ
شِمِّ تَعَلَّقَ فِي الرَّجَالِ وَإِنَّمَا شِمِّ الرَّجَالِ كَهَيْئَةِ الْأَلْوَانِ

وقال الآخر :

وهجهاجة لا يملأ الليل صدره إذا التمس أغصى طرفه غير أروع^(١)
صحيح برىء العود من كل أبتة وجماع نهب الخير في كل مجمع^(٢)

وقال مسكين الدارمي :

تسئو بأعناقٍ وتحبسها عنا عصي الذادة العجر^(٣)

٥

١٣٤

* حباب بن موسى^(٤) ، عن مجالد ، عن الشعبي^(٥) ، عن زحر بن قيس^(٦) قال : قدمت المدائن بعد ما ضرب علي بن أبي طالب رحمه الله ، فلقيني ابن السوداء^(٧) وهو ابن حرب ، فقال لي : ما الخبر ؟ قلت : ضرب أمير المؤمنين ضربة يموت الرجل من أيسر منها ويعيش من أشد منها . قال : لو جئتمونا بدماعه في مائة صرة لعلمنا أنه لا يموت حتى يذودكم بعصاه^(٨) .

١٠

(١) في هامش هـ : « يقال فعل هجهاج ، إذا كان شديد الهدير . » والتكسر ، بالكسر : الرجل الضعيف . والأروع : الذي يرتاع من كل ما رأى وما سمع .

(٢) الأبتة ، بالضم : العيب يكون في العود ونحوه .

(٣) هـ : « عنها » ل والتيمورية : « للعجز » تحريف . والذادة : جمع ذائد ، وهو الذي يذود الإبل

١٥

ويطردها . والعجر : جمع عجرا ، وهي العصا التي فيها عقد .

(٤) المعروف في كتب الرجال « حسان بن موسى » . انظر تهذيب التهذيب .

(٥) ترجمة مجالد بن سعيد في (١ : ٢٤٢) ، وعامر الشعبي في (١ : ١٩٤) .

(٦) هو زحر بن قيس بن مالك بن معاوية بن سعة الجعفي ، وزحر ، بفتح الزاى وسكون الحاء

المهمل . وكان أحد أصحاب علي بن أبي طالب ، أنزله المدائن في جماعة جعلهم هناك رابطة . روى عنه عامر

٢٠

الشعبي ، وحسين بن عبد الرحمن . تاريخ بغداد ٤٦٠٥ حيث أورد الخبر التالي أيضاً . وكان علي إذا نظر إليه

قال : « من سره أن ينظر إلى الشهيد الحى فلينظر إلى هذا » . وكان له أربعة أولاد نجباء : أحدهم فرات ، قتله

الختار . والثاني جبلة ، قتل مع ابن الأشعث وكان على القراء ، فقال الحجاج : ما كانت فتنة قط تنجلي حتى

يقتل عظيم من العظماء . والثالث جهم كان مع قتيبة بن مسلم بخراسان ، وولى جرجان . والرابع حمال ، كان

بالرستاق . الإصابة ٢٩٦٠ .

٢٥

(٧) ابن السوداء هذا هو عبد الله بن سبأ . وكانت أمه سوداء . الطبرى (٥ : ٩٨) والفرق بين

الفرق ٢٢٥ . وكان يهوديا من أهل صنعاء ، أسلم في أيام عثمان وحاول تضليل المسلمين . وهو صاحب

السياسة .

(٨) بعده في تاريخ بغداد : « قال : فوالله ما مكثنا إلا تلك الليلة حتى جاءنا كتاب =

وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَإِذْ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ﴾ الآية . وقال الشاعر :

رَأَيْتُ الْغَانِيَاتِ تَفَرْنَ مَنِيَّ نِفَارَ الْوَحْشِ مِنْ رَامٍ مُفِيقِ (١)
رَأَيْنَ تَغْيِيرِي وَأَرْدَنَ لَدُنَا كَعُصْنِ الْبَانِ ذِي الْفَنَنِ الْوَرِيقِ

وقال أبو العتاهية :

عَرِيتُ مِنَ الشَّبَابِ وَكَانَ غَضًّا كَمَا يَعْرِى مِنَ الْوَرَقِ الْقَضِيبُ (٢)
أَلَا لَيْتَ الشَّبَابَ يَعُودُ يَوْمًا فَأُخْبِرَهُ بِمَا صَنَعَ السَّمِشِيبُ

وقال الآخر (٣) :

وَلَمَنْ عَمِرْتُ لَقَدْ عَمِرْتُ كَأَنَّنِي غُصْنٌ تُثْنِيهِ الرِّيحُ رَطِيبُ (٤)
وَكَذَاكَ حَقًّا مِنْ يُعَمَّرُ يُبْلِيهِ كَرُّ الزَّمَانِ عَلَيْهِ وَالتَّقْلِيبُ
حَتَّى يَعُودَ مِنَ الْبِلَى وَكَأَنَّهُ فِي الْكَفِّ أَفَوْقُ نَاصِلٌ مَعْصُوبُ (٥)
مُرْطُ الْقَذَاذِ فليس فيه مصنَعٌ لَا الرِّيشُ يَنْفَعُهُ وَلَا التَّعْقِيبُ (٦)

= الحسن بن علي : من عبد الله حسن أمير المؤمنين إلى زحر بن قيس . أما بعد فخذ البيعة على مَنْ قبلك . والخبر برواية أخرى في الفرق بين الفرق ، وفرق الشيعة للنوختي ٢٠ .

(١) أفاق الرأى السهم : وضعه في الوتر ليرمى به .

(٢) قبله في ديوانه ٢٣ :

بكيت على الشباب بدمع عيني فلم يغن البكاء ولا النحيب

فيا أسفا أسفت على شباب نعاه الشيب والرأس الحضيبي

١٥

(٣) هو نوبع بن نفع الفقعمسى ، كما في أمالي الزجاجي ١٢٦ - ١٢٩ ولسان العرب (مرط)

حيث القصيدة بتمامها . ويقال بل هو نافع بن نفع ، وقيل نافع بن لقيط الفقعمسى . وقد نسب البيت الأول والرابع في اللسان (فياً ، صنع) منسوباً إلى نافع بن لقيط . والأبيات في ملحقات ديوان لبيد ٤٩ .

(٤) في الديوان واللسان وأمالي الزجاجي : « ولئن كبرت » . وفي هذه المراجع أيضاً : « تغيته

الرياح » ، أى تحركه وتميله يمينا وشمالا .

٢٠

(٥) الأفوق : السهم المنكسر الفوق ؛ والفوق ، بالضم : مشق رأس السهم حيث يقع الوتر .

والناصل : الذى لا نصل له .

(٦) السهم المرط : الذى لا ريش عليه . والقذاذ : جمع قذة ، وهى ريشة السهم . ويقال ليس فيه مصنَع ، أى مافيه

مستلمح . والتعقيب : أن ينكسر فيشده بالعقب ؛ والعقب بالتحريك العصب الذى تعمل منه الأوتار ، وهو عصب =

وقال عروة بن الورد :

أليس ورائي أن أدب على العصا فَيَأْمَنَ أعدائي ويسأمنني أهلي (١)
وأنشد :

عَصُوا بِسُيُوفِ الهند واعتكرت بهم بَرَكَاءُ حرب لا يطير غرابها (٢)

وقال ليبيد :

أليس ورائي إن تراخت مَنَتِي لُزُومُ العصا تُحَنِّي عليها الأصابع (٣)

وقال الآخر :

تُقيم العصا ما كان فيها لدونة وتأتى العصا في يُسبِها أن تُقَوِّمًا

وقال الآخر :

إِنَّ العَصُونَ إِذَا قَوْمَتَهَا اعتدلت ولن تَلِينَ إِذَا قَوْمَتَهَا الحُشْبُ (٤)

وقال جرير :

ما للفرزدق من عَزٍّ يلوذ به إلا بنى العَمَّ في أيديهم الحُشْبُ (٥)
سَيَرُوا بنى العَمَّ فالأهواز منزلَكُم ونهرُ تَيْرِي فَمَا تَدْرِيكُم العرب

وقال جرير في هجائه بنى حنيفة (٦) :

= المتنين والساقين والوظيفين ، ينقى من اللحم ويسوى منه الوتر . وضبط « الریش » في هـ بفتح
الراء ، من راش السهم يريشه .

(١) البيت مطلع قصيدة له في ديوانه ١٠٢ .

(٢) يقال عصا بسيفه يعصو ، وعصى بكسر الصاد يعصى بفتحها : أخذه أخذ العصا . والاعتراك :
الازدحام . والبركاء ، بالفتح : ساحة القتال . لايطير غرابها ، كناية عن كثرة القتلى والجيف .

(٣) ورائي ، بمعنى قدامي . كما في قوله تعالى : (ويذرون وراءهم يوما ثقيلا) . يقول: ليس بعد الحرم
٢٠ إلا أن ألزم العصا وأدب عليها . والبيت في ديوان ليبيد ٢٣ طبع ١٨٨٠ .

(٤) سبق البيت مع قرين له في (٢ : ٢٣٣) .

(٥) مضى البيت والكلام عليه في ص ١٦ من هذا الجزء .

(٦) الأبيات من قصيدة له في ديوانه ٥٩٩ - ٦٠٠ .

- أَصْحَابُ نَخْلٍ وَحَيْطَانٍ وَمِزْرَعَةٍ سَيُوفُهُمْ حُخْشَبٌ فِيهَا مَسَاحِيهَا (١)
 قَطَعُ الدُّبَارِ وَسَقَى النَّخْلَ عَادَتُهُمْ قَدَمًا وَمَا جَاوَزَتْ هَذَا مَسَاعِيهَا (٢)
 لَوْ قِيلَ أَيْنَ هَوَادَى الْخَيْلِ مَا عَرَفُوا قَالُوا لِأَعْجَازِهَا هَذِي هَوَادِيهَا (٣)
 أَوْ قُلْتُ إِنَّ حِمَامَ الْمَوْتِ آخِذُكُمْ أَوْ تُلْجَمُوا فِرْسًا قَامَتْ بِوَآكِيهَا (٤)
 لَمَّا رَأَتْ خَالِدًا بِالْعَرَضِ أَهْلَكَهَا قَتَلًا وَأَسْلَمَهَا مَا قَالَ طَاغِيهَا (٥)
 دَانَتْ وَأَعْطَتْ يَدًا لِلْسِّلَمِ طَائِعَةً مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ سَيْفُ اللَّهِ يُفْنِيهَا (٦)

وقال سلامة بن جندل :

- كُنَّا إِذَا مَا أَتَانَا صَارِخٌ فِرْعٌ كَانَ الصُّرَاخُ لَهُ قَرَعَ الظَّنَائِبِ (٧)
 ويقال للخطاب (٨) إذا كان مرغوباً فيه كريماً : ذاك الفحل الذي لا يقرع أنفه (٩) ؛
 لأن الفحل اللئيم إذا هبَّ على الناقة الكريمة ضربوا وجهه بالعصا .
 وقال الآخر :

- (١) الحيطان : جمع حائط ، وهو البستان من النخل إذا كان عليه جدار . والمسحاة : المحرفة من حديد .
 (٢) الدبار : جمع دبرة بالفتح ، وهى الساقية بين المزارع . وفى الديوان : « وأثر النخل » أى إصلاحه . ل فقط : « هذى » بدل « هذا » .
 (٣) هوادى الخيل : أعناقها لأنها أول شئ فيها . والمادية من كل شئ : أوله . هـ : « ما علموا » .
 وفى الديوان : « قالوا لأذنانها » .
 (٤) ما عدا ل ، هـ : « أو قيل » . وحمام الموت : ما قضى منه وقدر .
 (٥) خالد هذا هو خالد بن الوليد ، الذى فتح الجمامة وقضى على بنى حنيفة سنة ١١ فى أيام أبى بكر الصديق . والعرض ، بالكسر : وادى الجمامة ، كله لبنى حنيفة ، إلا شيئاً منه لبنى الأعرج من بنى سعد ابن زيد مائة . وكتب فى هـ فوق « طاغيا » : « غاويها » رواية أخرى .
 (٦) سيف الله : لقب خالد بن الوليد . الإصابة ٢١٩٧ حيث أورد حديث : « نعم عبد الله ، هذا سيف من سيوف الله » . فى الديوان : « صاغرة » بدل : « طائعة » .
 (٧) سبق البيت والكلام عليه فى ص ٤٥ .
 (٨) ما عدا هـ : « للخطاب » . وأشير فى حاشية التيمورية إلى أنها فى نسخة : « للخطاب » .
 (٩) انظر ما مضى فى حواشى ص ٤٤ .

كَأَنَّهَا إِذْ رُفِعَتْ عَصَاهَا نَعَامَةً أَوْحَدَهَا رَأَالَهَا (١)

وَمَنْ أَضَافُوهُ إِلَى عَصَاهُ: دَاوُدَ مَلِكَيْنِ الْيَشْكُرَى، وَكَانَ وَلَى شُرْطَ الْبَصْرَةِ .
وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ أَفَاضَ مِنْ جَمْعٍ (٢) وَهُوَ يَخْرِشُ
بِعِيره بِمِجْنَه (٣).

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : الْمِجْنَجُنُ : الْعَصَا الْمَعْوِجَةُ .

وَفِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعُ : « أَنَّهُ طَافَ بِالْبَيْتِ يَسْتَلِمُ الْأَرْكَانَ بِمِجْنَه .
وَالْحَرْشُ : أَنْ يَضْرِبَهُ بِمِجْنَه (٤) ثُمَّ يَجْذِبُهُ إِلَيْهِ ، يَرِيدُ بِذَلِكَ تَحْرِيكَهُ .

وَقَالَ الرَّاعِي :

فَأَلْقَى عَصَا طَلِجٍ وَنَعْلًا كَأَنَّهَا جَنَاحُ السَّمَائِي رَأْسُهُ قَدْ تَصَوَّعَا (٥)

وَالْعَصَا أَيْضًا : فَرَسٌ شَبِيبٌ بِنَ كُرَيْبِ الطَّائِي .

أَبُو الْحَسَنِ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ سُلَيْمٍ (٦) قَالَ : كَانَ شَبِيبٌ بِنَ كُرَيْبِ الطَّائِي
يَصِيبُ الطَّرِيقَ فِي خِلَافَةٍ عَلَى بَنِ أُمِّ طَالِبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ أَحْمَرَ بَنَ شُمَيْطِ
الْعَجَلِيِّ وَأَخَاهُ فِي فَوَارِسَ ، فَهَرَبَ شَبِيبٌ وَقَالَ (٧) :

وَلَمَّا أَنْ رَأَيْتَ ابْنَتِي شُمَيْطٍ بِسَكَّةٍ طُيِّءَ وَالْبَابُ دُونِي

(١) الرُّأَلُ : فَرَسٌ النِّعَامَةُ . وَأَوْحَدَهَا : تَرَكَهَا وَحْدَهَا ، كَمَا فِي الْقَامُوسِ .

(٢) جَمْعٌ ، بِالْفَتْحِ ، هِيَ الْمَزْدَلِفَةُ . وَيَوْمٌ جَمْعٌ هُوَ يَوْمُ عَرَفَةَ .

(٣) أَوْرَدَ الْخَبَرَ فِي اللِّسَانِ (خَرَشَ) وَقَالَ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ : « الْخَرْشُ أَنْ يَضْرِبَهُ بِمِجْنَه ثُمَّ يَجْذِبُهُ
إِلَيْهِ ، يَرِيدُ بِذَلِكَ تَحْرِيكَهُ لِلْإِسْرَاعِ . وَهُوَ شَبِيهُ بِالْخَدَشِ » . مَا عَدَلَ ، هـ : « يَخْرِشُ » بِالْخَاءِ الْمَهْمَلَةِ ، وَهِيَ
صَحِيحَةٌ أَيْضًا ، يُقَالُ خَرَشَ الْبَعِيرَ بِالْعَصَا : حَكَ فِي غَارِبِهِ لِيَمْشِيَ .

(٤) جَمَلَةٌ « وَالْخَرْشُ أَنْ يَضْرِبَهُ بِمِجْنَه » مِنْ لَفْظٍ . وَإِسْقَاطُهَا يَفْسِدُ الْكَلَامَ .

(٥) السَّمَائِي : كَحَبَارَى : طَائِرٌ مَعْرُوفٌ يَقْطَعُ مِنَ الشَّمَالِ إِلَى الْجَنُوبِ . تَصَوَّعَ : تَفَرَّقَ شَعْرُهُ .
هـ : « رَأْسُهَا » .

(٦) هـ : « عَلَى بَنِ سُلَيْمَانَ » .

(٧) ل : « فَقَالَ شَبِيبٌ وَهَرَبَ » .

- تَجَلَّلْتُ الْعَصَا وَعَلِمْتُ أَنِّي رَهِينُ مُحَيِّسٍ إِنْ يَتَّقُونِي ^(١)
 وَلَوْ أَنْظَرْتُهُمْ شَيْئاً قَلِيلاً لِسَاقُونِي إِلَى شَيْخٍ بَطِينٍ
 شَدِيدٍ مَجَالِزِ الْكَتِفَيْنِ صُلْبٍ عَلَى الْحَدَثَانِ مَجْتَمِعِ الشُّؤُونِ ^(٢)
- وَقَالَ النَّجَاشِيُّ لَأُمِّ كَثِيرِ بْنِ الصَّلْتِ ^(٣) :
- وَلَسْتُ بِنَهْدِي وَلَكِنْ ضَيْعَةٌ عَلَى رَجُلٍ لَوْ تَعْلَمِينَ مَزِيرٍ ^(٤)
 وَأَعْجَبْتَنِي لِلْسُّوْطِ وَالنُّوْطِ وَالْعَصَا وَلَمْ تَعْجِبِيَنِي خُلَّةً لِأَمِيرٍ ^(٥)
- وَقَالَ أَعْشَى بَنِي رِبِيعَةَ ^(٦) :
- وَكَانَ الْخَلَائِفُ بَعْدَ الرَّسُو لِ اللَّهِ كُلَّهُمْ خَاشِعَا ^(٧)
 وَكَانَ ابْنُ صَخْرٍ هُوَ الرَّابِعَا ^(٨)
 وَكَانَ ابْنُهُ بَعْدَهُ خَامِسَا ^(٩)
 وَمَرَّوَانُ سَادِسُ مَنْ قَدْ مَضَى وَكَانَ ابْنُهُ بَعْدَهُ سَابِعَا ^(١٠)

(١) الْمُحَيِّسُ : السَّجَنُ ، يُقَالُ يَفْتَحُ الْبَاءَ الْمَشْدُودَةَ وَكَسَرَهَا . وَهُوَ أَيْضاً سَجَنٌ لَعَلِيٌّ بَنِي أَبِي طَالِبٍ يَقُولُ فِيهِ :

أَمَّا تَرَانِي كَيْسَا مَكَيْسَا بَنِي بَعْدَ نَافِعٍ مَخْيَسَا

نَافِعٌ : سَجَنٌ بِالْكَوْفَةِ كَانَ غَيْرَ مُسْتَوْتِقٍ الْبِنَاءِ . يَتَّقُونِي : يَظْفَرُونِي .

(٢) الْمَجَالِزُ : مَوَاضِعُ الْجُلُزِ ، وَهُوَ الطَّلِيُّ وَاللِّى .

(٣) مَضَتْ تَرْجُمَةُ النَّجَاشِيِّ فِي (١ : ٢٣٩) . وَأَمَّا كَثِيرُ بْنُ الصَّلْتِ فَصَحَابِي جَلِيلٌ تَرْجَمَ لَهُ فِي

الْإِسَابَةِ ٧٤٧٣ وَطَبَقَاتُ ابْنِ سَعْدٍ (٥ : ٧) .

(٤) الْمَزِيرُ : الشَّدِيدُ الْقَلْبُ الْقَوِيُّ النَّافِذُ .

(٥) النُّوْطُ : التَّعْلِيقُ . وَالْخُلَّةُ ، بِالضَّمِّ : الزَّوْجَةُ . قَالَ جِرَانُ الْعُودِ :

خَذَا حَذْرَا يَا خَلْتَنِي فَأَنْتَنِي رَأَيْتُ جِرَانَ الْعُودِ قَدْ كَادَ يَصْلِحُ

(٦) مَا عَدَلَ ، هـ : « أَعْشَى بْنُ رِبِيعَةَ » ، تَحْرِيفٌ . وَاسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَارِجَةَ بْنِ حَبِيبٍ . وَهُوَ

شَاعِرٌ إِسْلَامِيٌّ مِنْ سَاكِنِي الْكُوفَةِ . وَكَانَ مَرَّوَانِي الْمَذْهَبِ شَدِيدُ التَّعَصُّبِ لِبَنِي أُمَيَّةٍ . انْظُرْ أَخْبَارَهُ مَعَ

عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرَّوَانَ وَالْحِجَّاجِ فِي الْأَغَانِي (١٦ : ١٥٥ - ١٥٧)

(٧) مَا عَدَلَ : « كُلُّهُمْ أَسُوءُ خَاشِعَا » .

(٨) الشَّهِيدَانِ : عَمْرٌ ، وَعُثْمَانُ . وَالصَّدِيقُ : أَبُو بَكْرٍ . وَلَمْ يَعْتَرَفْ بَعْلَى بْنُ أَبِي طَالِبٍ لِعَصْبَتِهِ

الْأُمَوِيَّةِ ، فَجَعَلَ رَابِعَ الْخُلَفَاءِ ابْنَ صَخْرٍ ، وَهُوَ مُعَاوِيَةُ بْنُ صَخْرٍ أَيْ سَفْيَانُ .

(٩) ابْنُهُ هُوَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ .

(١٠) أَسْقَطَ قَبْلَ مَرَّوَانَ بْنِ الْحَكَمِ هَذَا ، مُعَاوِيَةُ بْنُ يَزِيدٍ بْنُ مُعَاوِيَةَ ؛ لِأَنَّ خِلَافَتَهُ =

وبشرٌ يُدافعُ عبدَ العزيز
مضى ثامناً ذا وذا تاسعا (١)
وأيُّهم ما يَكُن سائساً
لها لم يكن أمرها ضائعاً (٢)
فإِما تَرِنِي حليفَ العصا
فما كنت من رَنِيَةِ خامِعا (٣)
فساوَمَنِي الدَّهْرُ حتى اشتري
شبابي وكنت له مانِعا

١٣٧

وقال عوف بن الحرِّع (٤):

ألا أبلغا عني جُرِحةَ آيةٍ
فهل أنت عن ظلم العشيرة مُقَصِّرُ (٥)
وإنَّ ظَنَ الحثيِّ الجَمِيعِ لِطَيِّةٍ
فأمركُ معصيٌ وشريكُ مُغَوِّرُ (٦)
أفي صِرْمَةٍ عشرين أو هي دونها
قشر تم عصاكم فانظروا كيف تُقَشِّرُ (٧)
زعمتم من الهُجَرِ المضِلِّلِ أنكم
سَتَنْصُرُكم عمروٌ علينا ومِنَقَرُ (٨)

١٠ = لم تدم إلا أربعين يوماً أو عشرين يوماً . وموتوه زال الأمر عن آل حرب . ولّى مروان الخلافة في رجب سنة ٦٤ ووليها بعده ابنه عبد الملك في رجب سنة ٦٥ .

(١) لم يبايع بشر بن مروان ولا عبد العزيز بن مروان بالخلافة ، وإنما كان بشر واليا على الكوفة ثم ضمت إليه البصرة . وأما عبد العزيز فكان ولي العهد بعد عبد الملك ، ولم يل الخلافة .

(٢) ل : « وأبيها » .

(٣) ما عدل : « فقد كنت من وثية » تحريف . والرتبة : كل ما يمنع من الانبعاث من وجع أو كبر .

والخامع : الأعرج .

(٤) نسبه إلى جده . وهو عوف بن عطية بن الحرِّع التيمي ، شاعر فارس جاهلي . وانفرد البكري في

السمط ٣٧٧ ، ٧٢٣ بقرله : إنه جاهلي إسلامي . والخرع لقب جده عمرو بن عيس . وفي اللسان (٤ :

٤٤) أن « الخرع » لقب أبيه عطية ، وهو خطأ . قال البغدادي في الخزانة (٣ : ٨٣) : « وله ديوان صغير ، وهو

عندي » . قلت : وله ثلاث قصائد مفضليات رقمها ٩٤ ، ٩٥ ، ١٢٤ . وروى له المرزباني في معجمه ٢٨٦ بعض الأبيات .

(٥) ل : « كريحة » . والآية : العلامة والأمانة والعبوة .

(٦) الجميع : المجتمع . والطيّة ، بالكسر : النية ، أى المنزل الذى يتنوى . والشرب ، بالكسر : مورد

الماء . مغور : غائر ذاهب فى الأرض .

(٧) الصرمة ، بالكسر : القطعة من الإبل . وقشر عصاه : أبدى ما يكن ضميره من عداوة ، هذا

ما فهمت من هذه الكناية عند ما لم أجد لها ذكرا فى معظم المعاجم . ثم وجدت فى أساس البلاغة : « وقشرت له العصا : أبديت له مافى ضميرى » .

(٨) الهجر ، بالضم : الفحش والتخليط والهديان . ل : « من الهجر المغلل ، تحريف .

- فيا شَجَرَ الوادى ألا تنصرونهم
وقد كان بالمرُوتِ رِمثٌ وسَخْبَرٌ^(١)
ألم تجعلوا ئيماً على شُعْبَتَى عَصاً
فما ينطق المعروف إلا معذَرٌ^(٢)
وقال رجلٌ من محارب يري ابنه :
ألم يكُ رطباً يعصِر القومُ ماءه وما عودُه للكاسرين يبابس
وقال حاجبُ بن زُرارة^(٣) : « والله ما القعقاع^(٤) يَرْطَب فيُعَصَّر ،
ولا يابس فيُكْسَر » .
وقال حَمَادٌ عَجْرَدٍ :
وَجَسَرُوا على ما عُدُّوا
ولكلِّ عيدانٍ عُصَاةٌ^(٥)
وقال أيضاً^(٦) :
فَأَنْتَ أَكْرَمُ مَنْ يَمْشِي على قَدَمٍ
وَأَنْضَرُ النَّاسِ عِنْدَ الْمَحَلِّ أَغْصَانَا^(٧)

- (١) شجر الوادى : كناية عن الكثرة . والمرُوت : وادٍ بالعالية كانت به وقعة بين تميم وقشير . انظر معجم البلدان والعقد (٥ : ١٧٩ طبع لجنة التأليف) وكامل ابن الأثير (١ : ٣٨٥) والعمدة (٢ : ١٦١) وأمثال الميداني (٢ : ٣٥٤) . والرِمث : شجر يشبه الغضى من الحمض ، وهو مرعى من مراعى الإبل . والسَخْبَر : شجر إذا طال تدلت رعوته وانغنت . وفي البيت تهكم ظاهر .
(٢) يقال عصا في رأسها شعبتان ، أى طرفان . جعلهم على شعبتى عصا ، أى هم في غير استقرار . والمعذر : الذى يعتذر ولا عذر له .
(٣) حاجب بن زُرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم التميمي ، كان من رؤساء يوم جيلة ، وكان يوم جيلة قبل الإسلام بأربعين سنة ، وهو عام ولد النبي ﷺ ، كما في العقد . وقد عاش حاجب إلى أن وفد على الرسول وأسلم ، وبعثه على صدقات بنى تميم ، وهو الذى رهن قوسه عند كسرى على مال عظيم ووفى به . الإصابة ١٣٥٥ .
(٤) القعقاع هذا ، وهو ابن أخى حاجب بن زُرارة . وهو القعقاع بن معبد بن زُرارة ، له صحبة ، ووفد في بنى تميم . وكان يقال له « تيار الفرات » لسكاته . الإصابة ٧١٢٢ . وقد أولعت هذه الأسرة بالفخر بينها . ويشبه ذلك الفخر الذى سيأتى ، فخر القعقاع نفسه بابنه عوف إذ يقول : « والله لما أرى من شمائل الجن في عوف أكثر مما أرى فيه من شمائل الإنس » . الحيوان (٦ : ٢٣٦) .
(٥) بعد هذا سقط في النسخة التيمورية ينتهى في منتصف ص ٩٢ س ١٢ .
(٦) يقوله في محمد بن أبى العباس السفاح كما في الشعراء ٧٥٦ .
(٧) ب ، ج : « عند الناس » . وبذله في الشعراء :
أرجوك بعد أبى العباس إذ بانا يا أكرم الناس أعراقا وأغصانا

لو مَجَّ عود على قوم عُصَّارته لَمَجَّ عودك فينا المِسْكُ والبانا
وقال آخر (١):

إِنَّا وَجَدْنَا النَّاسَ عَوْدِينَ : طَيِّباً وعوداً خبيثاً ما يَبِضُّ على العَصْرِ (٢)
تُزِينُ الفتى أخلاقه وتُشِينُهُ وتُذَكِّرُ أخلاق الفتى حيث لا يدري (٣)
وقال المؤمل بن أميل :

كانت تَقِيدُ حين تنزل منزلاً فاليوم صار لها الكلالُ قُبُوداً
والنَّاسُ كالْعِيدَانِ يَفْضُلُ بعضهم بعضاً كذاك يفوق عوداً (٤)
وقالت ليلي الأخيَّية (٥) :

نَحْنُ الْأَخْيَالُ لَا يَزَالُ غُلَامُنَا حَتَّى يَدْبُ عَلَى الْعَصَا مَذْكُوراً (٦)

* * *

انظر - أبقاك الله - في كم فنَّ تَصَرَّفَ فيه ذكُرُ العصا من أبواب المنافع
والمرافق ، وفي كم وجه صرْفته الشُّعْرَاءُ وضُرْبُ به المثل . ونحن لو تركنا الاحتجاج
لخاصير البلغاء ، وعَصَى الخطباء ، لم نجد بُدّاً من الاحتجاج لِجَلَّةِ المرسلين ، وكبار
النبيين ؛ لأنَّ الشُّعْبِيَّةَ قد طعنت في جملة هذا المذهب على قضيبِ النبي ﷺ
وعَتَرَتْهُ ، وعلى عصاه ومُخَصَّرَتِهِ ، وعلى عصا موسى ؛ لأنَّ موسى ﷺ قد كان
أَتَّخَذَهَا من قبل أن يَعْلَمَ ما عند الله فيها ، وإلّا لَمْ يَكُنْ صَيُّورَ
أمرها (٧) . أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَمَّا قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَمَا تِلْكَ يَمِينُكَ

(١) هو أبو البلاد الطهوى ، كما سبق في (٢ : ١٠٤) .

(٢) لا يبض : لا يخرج منه ماء .

(٣) ب ، ح ، هـ : « وهو لا يدري » ، كما مضى في (٢ : ١٠٤) .

(٤) سبق في ص ٦٢ : « والقوم كالعيدان » .

(٥) ويقال إن الشعر لأبيها ، كما في اللسان (١٣ : ٢٤٦) .

(٦) جمعت القبيلة باسم الأخيل بن معاوية العقيلي .

(٧) صبور الأمر : متناه وما يصير إليه .

يَا مُوسَى ﴿ ، قال : ﴿ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ﴿ . وبعد ذلك قال : ﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى . فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَبِئَةٌ تَسْعَى ﴿ . وَمَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَدَّعِيَ الْإِحَاطَةَ بِمَا فِيهَا مِنْ مَآرِبِ مُوسَى إِلَّا بِالتَّقَرُّبِ وَذِكْرِ مَا خَطَرَ عَلَى الْبَالِ ؟! وقد كانت العصا لا تُفَارِقُ يَدَ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مَقَامَاتِهِ وَصَلَوَاتِهِ ، وَلَا فِي مَوْتِهِ وَلَا فِي أَيَّامِ حَيَاتِهِ ، حَتَّى جَعَلَ اللَّهُ تَسْلِيطَ الْأَرْضِ عَلَيْهَا وَسُلَيْمَانَ مَيِّتٌ وَهُوَ مَعْتَمِدٌ عَلَيْهَا ، مِنْ الْآيَاتِ عِنْدَ مَنْ كَانَ لَا يَعْلَمُ أَنَّ الْجَنِّ لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ إِلَّا مَا تَعْلَمُ الْإِنْسُ .

ولو علم القومُ أخلاقَ كُلِّ مَلَّةٍ ، وَزَىَّ أَهْلَ كُلِّ لُغَةٍ وَعِلَلَهُمْ فِي ذَلِكَ ، ١٣٩ واحتجاجهم له ، لَقَلَّ شُعْبُهُمْ ، وَكَفَوْنَا مَثُوتَهُمْ . هذه الرُّهْبَانُ تَتَّخِذُ الْعِصَى ، مِنْ غَيْرِ سَقَمٍ وَلَا تُقْصَانٍ فِي جَارِحَةٍ . وَلَا بَدَّ لِلْجَانِّ لِقِ مِنْ قِنَاعٍ وَمِنْ مِظْلَةٍ وَبَرْطَلَةٍ ^(١) ، وَمِنْ عُكَّازٍ وَمِنْ عَصَا ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ الدَّاعِي إِلَى ذَلِكَ كَبِيرًا وَلَا عَجْرًا فِي الْخَلْقَةِ .

وما زال الْمُطِيلُ الْقِيَامَ بِالْمَوْعِظَةِ أَوْ الْقِرَاءَةِ أَوْ التَّلَاوَةِ يَتَّخِذُ الْعَصَا عِنْدَ طَوْلِ الْقِيَامِ ، وَيَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا عِنْدَ الْمَشْيِ . كَانَ ذَلِكَ زَائِدًا فِي التَّكْهِيلِ وَالزَّمَانَةِ ^(٢) ، وَفِي نَفْسِ السُّخْفِ وَالْخِفَّةِ . ١٥

* * *

وَبِالنَّاسِ حَفِظَكَ اللَّهُ أَعْظَمَ الْحَاجَةِ إِلَى أَنْ يَكُونَ لِكُلِّ جَنْسٍ مِنْهُمْ سِيْمَا ، وَلِكُلِّ صَنِيفٍ حَلِيَّةٌ وَسِمَةٌ يَتَعَارَفُونَ بِهَا .

(١) الْجَانِّ لِقِ ، بَفَتْحِ النَّاءِ : رَأْسُ مَنْ رُؤُوسُ النَّصَارَى . وَالْبَرْطَلَةُ ، بَفَتْحِ الْبَاءِ وَضَمِّ الطَّاءِ وَتَشْدِيدِ اللَّامِ : كَلِمَةٌ نَبْطِيَّةٌ وَلَيْسَتْ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ . قَالَ أَبُو حَاتِمٍ : قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : بَرٌّ : ابْنٌ . وَالنَّبِطُ يَجْعَلُونَ الطَّاءَ طَاءً ، وَكَأَنَّهُمْ أَرَادُوا ابْنَ الظِّلِّ . أَلَا تَرَاهُمْ يَقُولُونَ : النَّاطُورُ ، وَإِنَّمَا هُوَ النَّاطُورُ . الْمَرْبُ لِلْجَوَالِقِيِّ ٦٧ - ٦٨ . وَالْمَرَادُ بِالْبَرْطَلَةِ هَا هُنَا : الْقَلَنْسُوءَةُ الَّتِي تَدَارُ عَلَيْهَا الْعِمَامَةُ . انْظُرِ اللِّسَانَ (بَرْطَل) وَمَعْجَمَ اسْتِئْجَاسِ ١٧٥ .

(٢) الزَّمَانَةُ : الْحِلْمُ وَالْوَقَارُ . لَ : « الزَّمَانَةُ » مَا عَدَلَ : « الزَّمَانَةُ » صَوَابُهُمَا مِنْ هـ .

وقال الفرزدق بن غالب :

به نَدَبٌ مما يقول ابنُ غالبٍ يلوح كما لاحت وسومُ المَصْدُقِ (١)

وقال آخر :

أَنَارَ حتى صَدَقَتْ سِمائهُ وظَهَرَتْ من كَرَمِ آيائِهِ

وأنشدني أبو عبيدة :

سقاها ميسمٌ من آل عمرو إذا ما كان صاحبُها جَحِيشاً (٢)

وذكر بعضُ الأعرابِ ضرورياً من الوسم ، فقال :

بِهِنَّ من حُطَّافِنا حَبِطٌ وَسِيمٌ (٣) وَحَلَقٌ في أسفلِ الذُّفْرِ يُنْظَمُ (٤)

مَعَهَا نظامٌ مثلَ حِطِّ بالقَلَمِ وَقُرْمَةٌ ولست أدري من قَرَمِ (٥)

* عَرَضٌ وَحَبِطٌ للمَحْلِيَا المُسَمِّ (٦) *

وقال تبارك وتعالى : ﴿ سَيِّمَاهُمْ في وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾ .

(١) البيت مما لم يرو في ديوان الفرزدق . والنَدَبُ ، بالتحريك : واحد الندوب ، أو جمع الندبة ، والندبة : أثر الجرح إذا لم يرتفع عن الجلد . أراد بذلك وقع هجائه . ويعنى بابين غالب نفسه . والمصدق : الذي يتولى جمع الصدقات . وكانوا يَسِينُونَ إبِلَ الصدقة ، أى يَعْلَمُونَ عليها بالكى .

(٢) الميسم : آلة الوسم ، وهو أيضاً أثر الوسم . يقول : هذه الإبلُ عرفت سمانها الدالة على عزة أصحابها فسمح لها بالسقيا . وصاحبها : راعيها . جحيشا : منفرداً بعيداً . وهذا مثل قوله :

حتى سقوا آبالهم بالنار والنار قد تشفى من الأوار

قال في اللسان (نور) . « أى سقوا لإبلهم بالسمة ، أى إذا نظروا في سمة صاحبه عرف صاحبه فسقى وقدم على غيره ؛ لشرف أرباب تلك السمة » .

(٣) الحطاف : سمة يوسم بها البعير كأنها حُطَّافُ البكرة . والحبيط : ضرب من الوسم يكون في الفخذ أو الوجه . ما عدل : « من خطافها علط وسم » . والعلط : ضرب من الوسم يكون في العنق .

(٤) أراد حلقا من الوسم أيضاً . والذفرى : الموضع الذى يعرق من البعير خلف الأذن .

(٥) القومة ، بالضم والفتح : سمة فوق الأنف ، تسليخ منها جلدة ثم تجمع فوقها .

(٦) العرض : ضرب من الوسم يكون في عرض الفخذ . التحلية . الوصف . والمُسَمُّ ، أى المسمى

من التسمية . ما عدل : « لمحلها الوسم » . وفى هـ : « لمحلها الوسم » .

وكا خالفوا بين الأسماء للتعارف ، قال الله عز وجل : ﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ . فعند العرب العِمةُ وأخذ ١٤٠
المِحصرة من السِّمَا .

وقد لا يلبس الخطيب ^(١) المِلْحفة ولا الجُبَّة ولا القميصَ ولا الرِّداء .
والذى لابد منه العِمةُ والمِحصرة . وربما قام فيهم وعليه إزاره قد خالف بين ٥
طرفيه . وربما قام فيهم وعليه عمامته ، وفي يده مِحصرتَه ، وربما كانت قضيباً وربما
كانت عصاً ، وربما كانت قناة . وفي القنا ما هو أغلظ من السَّاق ، وفيها ما هو
أدق من الخِصِر . وقد تكون مُحكَّكة الكعوب مثقفة من الاعوجاج ، قليلة
الأُبن ^(٢) . وربما كان العود ثبعاً وربما كان من شَوْحِط ، وربما كان من آبنوس ^(٣) ،
ومن غرائب الخشب ومن كرائم العيدان ، ومن تلك المُلس المصفاة . وربما كانت ١٠
لبَّ غصني كَرِيم ؛ فإنَّ للعيدان جواهرَ كجواهر الرِّجال ^(٤) ولولا ذلك لما كانت في
خزائن الخلفاء والملوك . ومنها ^(٥) مالا تُقرِّبه الأرضة ولا تؤثر فيه القوادح ^(٦) .
والعُكَّازة إذا لم يكن في أسفلها رُجٌّ فهي عصاً ^(٧) ؛ لأنَّ أطول القنا أن

(١) ل : « وقد قالوا لا يلبس الخطيب » .

(٢) الأبن ، جمع أبنة ، بالضم ، وهي العقدة .

١٥

(٣) الآبنوس ، لم تعرفه المعاجم العربية ولا كتب المعريات . ولفظه الفارسي : « آبنوس » . استينجاس

١٠ . قال داود في تذكرته : « معرب من العجمية » . وذكر أنه ينبت بالحبشة والهند ، وأن له أوراقاً كأوراق

الصنوبر أو هي أعرض ، لا تسقط . وأن له ثمرًا كالعنب لكنه إلى الصفرة والحلاوة . وذكر أن أجود خشبه

الرزن الشديد السواد الشبيه بالقرون . وأنشد في الأغاني ١١ : ١٣٣ محمد بن يسير :

آبنوس دهماء حالكة اللو ن تُباب من اللطاف الملاح ٢٠

(٤) جوهر كل شيء : ما خلقت عليه جبلته .

(٥) إلى هذه الكلمة يستمر سقط التيمورية الذي بدأ في ص ٨٨ س ٩ .

(٦) القوادح : جمع قادح ، وهو أكال يقع في الشجر .

(٧) يقال عكازة وعكاز أيضاً ، كما في القاموس . ما عدل : « والعكاز إذا لم يكن في أسفله زج

يقال رَمَحَ حَظْلًا ، ثم رَمَحَ بَائِنًا ، ثم رَمَحَ مَخْمُوسًا ، ثم رَمَحَ مَرْبُوعًا ^(٢) ، ثم رَمَحَ مِطْرَدًا ^(٣) ، ثم عَكَازَةً ^(٤) ، ثم عصا .

ثم من العصي نُصِبَ المساحي ^(٥) والمرور ^(٦) والقُدُم ^(٧) والفؤوس والمَعَاوِل ، والمناجِل ، والطَّبْرَزِينَات ^(٨) . ثم يكون من ذلك نُصِبَ السَّكَاكِينِ والسُّيُوفِ والمَشَامِلِ ^(٩) .

وكلُّ سَهَامٍ نَبْعِيَّةٍ ، وغيرُ ذلك من العِيدَانِ ، مما امتدحها أوس بن حجر ^(١٠) أو الشَّعَاخُ بن ضِرَارٍ ، أو أحدٌ من الشعراء ، فإنما هي من عَصَا ^(١١) .

وكلُّ قَوْسٍ بُنْدِيٌّ فَإِنَّمَا جِيءَ بِقَنَاتِهَا مِنْ بَرُوضٍ ^(١٢) ، ومُدْحَ بَيِّنِهَا وصنعتها عصفورُ القَوَاسِ . وقال الرِّقَاشِي ^(١٣) :

- ١٠ (١) ل : « نابر » ماعدل : « نائر » ، كلاهما محرف عما أثبت . وفي اللسان (بين) : « وفي الحديث في صفته ﷺ : ليس بالطويل البائن . أى المفرط طولاً الذى بعد عن قد الرجال الطوال » .
 (٢) الخموس : ما طوله خمس أذرع . والمربوع : ما طوله أربع . مجالس ثعلب ٥٣٩ .
 (٣) المطرد ، بالكسر : ما يطرد به الوحش .
 (٤) يقال عكازة وعكاز ، كما سبق في حواشى ٩٢ . ما عدل : « عكاز » .
 (٥) المساحي : جمع مسحاة ، وهى المجرفة . والنصب ، بضمين : جمع نصاب بالكسر ، وهو القبض .
 (٦) المرور : جمع مر ، بالفتح ، وهو المسحاة .
 (٧) القدم ، بضمين : جمع قدوم ، بالفتح ، وهى التى ينحت بها .
 (٨) الطبرزينات : جمع طبرزين ، وهو فأس يستعمل فى القتال عند الفرس . مركب من كلمتين « تَبَر » بمعنى الفأس و « زِين » بمعنى السرج . لعله سمي بذلك لالتزام وضعه بجانب السرج . امتينجاس ٢٧٠ والمعرّب ١٩٤ والألفاظ الفارسية ١١١ .
 ٢٠ (٩) المشامل : جمع مشمل كمنبر ، وهو سيف قصير دقيق . وفى المحكم أنه سيف قصير يشتمل عليه الرجل فيغطيه بثوبه .
 (١٠) كلمة « نابر » من ل فقط .
 (١١) ما عدل ، هـ : « من كل عصا » . وكلمة « كل » مقحمة .
 ٢٥ (١٢) بروص : موضع لم يذكر فى المعاجم وكتب البلدان المتداولة . وقد جعلها فى الشعر النالى « بروضاء » . وانظر ما سبق فى ص ٧١ س ١٠ . وفى هـ : « بروص » .
 (١٣) هو الفضل بن عبد الصمد الرقاشي : شاعر أديب معاصر لأبى نواس ، وليس من الرقاشين بل هو من مواليتهم . الأغاني (١٥ ، ٣٤) . وقد لجع الهجاء بينه وبين أبى نواس انظر الديوان ١٧٦ - ١٧٩ =

- ١٤١
- جاء بها جالبٌ بَرُوضاءِ أنعتُ قوساً نعتَ ذى انتقاءِ
كافيةً الطُولُ على انتهاءِ بعد اعتيافٍ منه وانتصاءِ ^(١)
سالمَةً من أبنِ السَّيساءِ ^(٢) مجلوزة الأكمبِ فى استواءِ
تأخذ من طوائف اللِّحاءِ ^(٣) * فلم تزل مَساحِلُ البرِّاءِ ^(٤)
ترئو إلى الطَّائرِ فى السَّماءِ حتى بدتْ كالحية الصَّفراءِ
ليست بكحلاء ولا زرقاءِ ^(٥) بمُقنلة سريعة الإقضاءِ ^(٦)

وقال الآخر :

- ١٠
- للرَّمي قد حَسروا له عن أذرعِ ^(٧) قد أغتدى مَلتَ الظَّلامِ بفتيةِ
ما بين مضفورٍ وبينَ مرَّجٍ ^(٨) متنكبِّينَ خرائطاً لبنادقِ
للطَّير قبل تُهوضها للمرَّجِ ^(٩) بأكفهم قُضبانَ بَرُوضَ ، قد غَدَّوا

= والبخلاء ١٩١ . ويبدو أنه هجاء دعابة ؛ فقد كان الفضل من خلطاء أى نواس ونداماه . أخبار أى نواس لابن منظور ١٢٨ - ١٣٣ . وفى هجو أى نواس للرقاشين نعتٌ قدورهم بالنظافة والبياض والصغر ، حتى ضرب بها المثل فقليل « قدر الرقاشى » . ثمار القلوب ٤٩١ والوساطة ٣١٧ .

(١) الاعتيام : الاختيار . وكذلك الانتصاء . يقال انتصى فلان من القوم ، بالبناء للمفعول ، أى اختير من نواصبيهم وأشرافهم . ١٥

(٢) المجلوزة : التى شد عليها الجلائز ، وهى عقبات تلوى على القوس .

(٣) الأبن : العقد . والسياء ، أصله منتظم فقار الظهر .

(٤) المسحل ، كمنبر : المبرد . والبراء : الذى يبرى القوس ونحوها .

(٥) الطوائف : الجوانب . واللحاء : القشر .

(٦) المعروف فى المعاجم « الاقتداء » ، واقتداء الطير : فتحها عينوها ، وتغيبها ، كأنها تحيل بذلك قذاها ؛ ليكون أبصر لها . قال حميد بن ثور فى صفة البرق :

خفى كاقْتِداءِ الطيرِ والليلِ واضع
بأرواقه والصبح قد كاد يلمع

(٧) ملت الظلام : حين يختلط الضوء بالظلمة ، عند العشاء وعند طلوع الفجر .

(٨) تنكب الشيء : علّقه على منكبه . والخريطة : شبه الكيس تكون من الخرق والأدم ؛ تشرح على

٢٥ ما فيها . والبنادق : جمع بندقة ، وهو تلك التى يرمى بها . والمرسع من الترسيع ، وهو أن يخرق الشيء ثم يدخل فيه سيراً ، كما تسوى سيور المصاحف . ل فقط : « مرصع » .

(٩) أراد بالقضبان القسى المتخذة منها . وبروض ، سبق الكلام عليها فى ٩٣ . ما عدال : « بروص » .

تُقَذَى مَيْتَاتُ الطُّيُورِ عِيُونُهَا يَوْمًا إِذَا رَمِدَتْ بِأَيْدِي النَّزْعِ ^(١)
صُفْرُ الْبَطُونِ كَأَنَّ لَيْطَ مَتُونِهَا سَرَقَ الْحَرِيرُ نَوَاضِرًا لَمْ تُسْلَعْ ^(٢)

* * *

وكانت العَنْزَةُ التي تُحْمَلُ بين يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - وَرَبَّمَا جَعَلُوهَا قِبْلَةً
- أَشْهَرُ وَأَذْكَرُ مِنْ أَنْ يُحْتَاجَ فِي تَثْبِيثِهَا إِلَى ذِكْرِ الْإِسْنَادِ .

* * *

وكانت سِيَمَا أَهْلِ الْحَرَمِ إِذَا خَرَجُوا إِلَى الْحِلِّ فِي غَيْرِ الْأَشْهُرِ الْحُرْمِ ، أَنْ يَتَقَلَّدُوا
الْقَلَائِدَ ، وَيَعْلُقُوا عَلَيْهِمُ الْعَلَائِقَ ^(٣) . وَإِذَا أُودِمَ أَحَدُهُمُ الْحَجَّ ^(٤) تَزْيَا بِزَى الْحَاجِّ ،
وَإِذَا سَاقَ بَدَنَةً أَشْعَرَهَا ^(٥) . وَخَالَفُوا بَيْنَ سِيَمَاتِ الْإِبِلِ وَالْغَنَمِ ، وَأَعْلَمُوا الْبَحِيرَةَ بِغَيْرِ
عَلَمِ السَّائِبَةِ ^(٦) ، وَأَعْلَمُوا الْحَامِيَّ بِغَيْرِ عِلْمِ سَائِرِ الْفُحُولِ ^(٧) . وَكَذَلِكَ الْفَرَعُ ^{١٠}
وَالْوَصِيلَةُ وَالرَّجَبِيَّةُ وَالْعَتِيرَةُ مِنَ الْغَنَمِ ^(٨) وَكَذَلِكَ سَائِرُ الْأَعْنَامِ السَّائِمَةِ .

(١) النزع : جمع نازع ، وهو الرامى . أى كلما أوغلت هذه القسي في الضرب زادها ذلك طيشا
فجعلت تضرب في غير هدى .

(٢) صفر : جمع أصفر وصفراء . والليط ، بالكسر : القشر . والسرق ، بالتحريك : أجود الحرير .
تسلع : تشقق . ما عدل : « لم تشبع » تحريف . والبيت في صفة القسي . ^{١٥}

(٣) العلائق : جمع علاقة ؛ بالكسر ، وهو ما يعلق به الشيء .

(٤) أودم الشيء : أوجبه على نفسه .

(٥) البدنة : ناقة أو بقرة تنحر بمكة . وأشعرها : أعلمها .

(٦) البهيرة : الناقة إذا نتجت خمسة أبطن والخامس أنثى يجرها أذنبا أى شقوها ، فكانت الناقة
بذلك حراما على الناس لحمها ولبنها وركوبها . وإذا تابعت الناقة بين عشر إناث لم يركب ظهرها ولم يجز وبرزها
ولم يشرب لبنها إلا ضعيف ، وتركوها مسيبة ومعها السائبة . وقد اختلف اللغويون وكذلك الفقهاء في تفسير
هذه الأسماء اختلافاً بيناً . ^{٢٠}

(٧) كلمة « سائر » من ل فقط . والحامى : الفحل من الإبل يضرب عشرة أبطن ، فإذا بلغ ذلك
قالوا : هذا حام ، أى حمى ظهره ، فيترك فلا ينتفع منه بشيء ، ولا يمنع من ماء ولا مرعى .

(٨) الفرع ، بالتحريك : أول نتاج الإبل والغنم . وكان أهل الجاهلية يذبحونه لأنهم يتبرعون به
والوصيلة : هى الشاة تلد سبعة أبطن عناقين عناقين ، فإن ولدت في الثامنة جديا وعنقا قالوا : وصلت
أخاها ، فلا يذبحون أخاها من أجلها ، ولا يشرب لبنها النساء ؛ وكانت للرجال وجرت مجرى السائبة .
والرجبية : ذبيحة كانوا يذبحونها في رجب . والعتيرة : ذبيحة كانت تذبح للأصنام ويصب دمها على رأسها . ^{٢٥}

وإذا كانت الإبل من حِباء ملكٍ غَرَزُوا في أسنمتها الرِّيش والخِرْق (١) .
ولذلك قال الشاعر :

يَهَبُ الهجان بَرِيشها ورُعائها كاللَّيل قبلَ صَباحه المتبَلِّج (٢)

وإذا بلغت الإبل ألفاً ففتوا عين الفحل ، فإن زادت ففتوا العين الأخرى
فذلك المفقأ والمعمى . وقال شاعرهم :

١٤٢

فَقَأْتُ لها عَيْنَ الفَحِيلِ تَعْيُفاً وفيهن رِعلاءُ المِسامعِ والحامى (٣)

وقال آخر :

وهِبَتْها وَأَنْتَ ذُو امْتِنانٍ يُفَقِّأُ فيها أَعْيُنُ البُعرانِ

قال الآخر :

فكان شُكْرُ القومِ عند المنى كىَّ الصَّحِيحاتِ وفَقَّءَ الأَعْيُنِ ١٠

وإذا كان الفحل من الإبل كريماً قالوا فَحِيل ، وإذا كان الفحل من النخل
كريماً قالوا فُحَال . قال الرَّاعى :

كانت نِجائبٌ منذرٍ ومَحْرَقٌ أَمائُهُنَّ وطَرُقُهُنَّ فَحِيلًا (٤)

* * *

وكان الكاهنُ لا يلبس المِصْبَغ ، والعَرَّافُ لا يدْعُ تذييلَ قميصه وسَحَب
ردائه ، والحَكَمُ لا يفارق الوَيْر . وكان لحرائر النساءِ زِيٌّ ، ولكلِّ مملوكٍ زِيٌّ ، ١٥

(١) انظر الحيوان (٣ : ٤١٧ - ٤١٨) .

(٢) الهجان : الإبل البيض ، والخيار من كل شيء . وفي الحيوان : « الجلاذ » . والرعاء ، بالكسر والضم : جمع راع . جعلها كالليل لما فوق أسنمتها من الريش السود ، كما جعل أبدانها كالصبح تحت الظلام .

(٣) الفحيل : فحل الإبل إذا كان منجبا كريما . وأنشد البيت في الحيوان (١ : ١٧) وقال : ٢٠

« الرعاء : التى تشق أذنها وتترك مدلاة لكرمها » .

(٤) البيت من قصيدة له في جمهرة أشعار العرب ١٧٢ - ١٧٦ والخزانة (١ : ٥٠٢) . وأنشده في

اللسان (طرق) مسبوقة بقوله : « يقال للضارب طَرَّقَ بالمصدر ، والمعنى أنه ذو طرق » . والطرق : الضراب .

ولذوات الرّايات زى^(١) ، وللإماء زى .

وكان الزّيرقان^(٢) يصيغ عمامته بصُفرة . وذكره الشاعر فقال^(٣) :

وأشهد من عوف حُلُولاً كثيرة يحجّون سبب الزّيرقان المزغفرا^(٤)

وكان أبو أحيحة سعيد بن العاص^(٥) إذا اعتَمَّ لم يعتَمَّ معه أحد ، هكذا

في الشعر . ولعلّ ذلك أن يكون مقصوداً في بنى عبد شمس . وقال أبو قيس بن الأسلت :

وكان أبو أحيحة قد علمتم بمكة غير مهتضم ذميم

إذا شدّ العصابة ذات يوم وقام إلى المجالس والخصوم

فقد حرمت على من كان يمشى بمكة غير مدّخل سقيم^(٦)

وكان البَحْثَرِيُّ غداة جَمْع يدافعهم بلقمان الحكيم

بأزهر من سرة بنى لُؤَيٍّ كبدّر الليل راق على النّجوم^(٧)

١٤٣

١٠

(١) كانت البغايا في الجاهلية يجعلن على بيوتهن رايات ليعرفن بها . انظر تفسير الطبري (١٨) :

(٥٧) . وكذلك كان يفعل أصحاب الحانات . اللسان (غيا) . وكذلك البيطرة . الطبري وثمار القلوب . ١٩٣ .

١٥

(٢) سبقت ترجمته في (١ : ٥٣) .

(٣) هو المخبل السعدي ، كما في إصلاح المنطق ٤١١ واللسان (سبب ، حجج) .

(٤) عوف : قبيلة . والحلول : الأحياء المجتمعة ، جمع حال ، كشاهد وشهود : يحجون : يقصدون .

وأشهد ، بالنصب كما حقق ابن بري . وقبل البيت :

ألم تعلمي يا أم عمرة أنني تحاطأني ريب الزمان لأكبرا

٢٠

(٥) سعيد بن العاص ، هذا هو جد سعيد بن العاص بن سعيد المترجم في (١ : ٣١٤) . وقد

أخطأ كثير من المؤلفين في الخلط بينهما . وهذا سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس ، وكنيته أبو أحيحة .

كان من وجوه قريش ولم يدرك الإسلام . وكان قد قدم الشام في تجارة فحبه عمرو بن جفنة ، حبسه مع

هشام بن سعيد العامري ، فقال في ذلك :

قومي وقومك يا هشام قد اجمعوا تركي وتركك آخر الأعصار

٢٥

في أبيات . فاجتمع رأى بنى عبد شمس على أن يفتدوا سعيد بن العاص ، فجمعوا مالا كثيرا فافتدوه

به . الإصابة ٣٧٥٩ .

(٦) المدخل ، أراد به الدعى الذى يدخل في القوم .

(٧) راق عليه : زاد عليه فضلا .

هو البيت الذى بُنيت عليه قريشُ السِّرُّ فى الزمن القديم ^(١)
وسَطَتْ ذوائبُ الفرعَيْنِ منهم فانت لبابُ سيرهم الصَّمِيمِ

وقال غيلان بن خَرْشَة ^(٢) للأحنف : يا أبا بحر ، ما بقاء ما فيه العرب ؟
قال : إذا تقلدوا السيوف ، وشدوا العمام واستجدوا النعال ، ولم تأخذهم حَمِيَّة
الأوغاد . قال : وما حَمِيَّةُ الأوغاد ؟ قال : أن يعدُّوا التَّوَاهِبَ ذُلًّا ^(٣) .

وقال الأحنف : استجدوا النعال ؛ فإنَّها خلاخيل الرِّجال ^(٤) .

والعرب تسمى السيوف بحمائلها أُرْدِيَّة .

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه قولاً أحسن من هذا ، قال : « تمام
جمال المرأة فى حُفِّها ، وتما تمام جمال الرجل فى كُمِّته ^(٥) » .

ومما يؤكد ذلك قول مجنون بنى عامر ^(٦) :

أعقر من جرٍّ كريمَةٍ ناقتسى ووصلى مفروشٍ لوصل مُنازل ^(٧)
إذا جاء قَعَقَعَنَ الحُلَى ولم أكن إذا جئتُ أرجو صوتَ تلك الصَّلَاصِلِ ^(٨)

(١) السر : المحض والأفضل والأوسط .

(٢) غيلان بن خَرْشَة ترجم فى (١ : ٣٤١ ، ٣٩٤) .

(٣) سبق الخبر فى (٢ : ٨٨) .

(٤) مضى هذا القول فى (٢ : ٨٨) .

(٥) الكلمة ، بالضم : القلتسوة . وقد سبق فى رواية إحدى النسخ فى (٢ : ٨٨) : « فى عتمته » .

(٦) كان من قصة الشعر التالى أن المجنون مر بامرأة من بنى عقيل يقال لها « كريمة » ومعها نسوة
صواحب ، ففرقته ودعونه إلى النزول والحديث ، فظل يحدثهن وينشدهن وهن أعجب شئ به فيما يَرى ،
وعقر هن ناقتة فجعلن يشترين ويأكلن إلى أن أمسى ، فأقبل شاب حسن الوجه فجلسن إليه وأقبلن عليه
بوجههن يقلن : كيف ظلمت اليوم يا « منازل » ؟ فلما رأى ذلك من فعلهن غضب وقام وقال هذا الشعر .
انظر الأغاني (١ : ١٦٥ ، ١٧١) .

(٧) مفروش : مبسوط مهياً . ومنازل ، هذا : غريمه .

(٨) فى الأغاني : « أرضى » بدل : « أرجو » . وفى الأغاني وما عدا ل : « تلك الخلاخل » .

ولم تُغنِ سيجان العراقي نقرة ورُقشُ القلنسي بالرجال الأطاول^(١)
والعصابة والعمامة سواء . وإذا قالوا سيّد معمم فإنما يريدون أن كلّ جنابة
يجنيها الجاني من تلك العشيرة فهي معصوبة برأسه .

وقال دريّد بن الصمّة :

أبلغُ نُعيماً وعوفاً إن لقيتهما إن لم يكن كان في سمعيهما صمّم^(٢) ٥
فلا يزال شهابٌ يستضاء به يهدى المقانب ما لم تهلك الصمّم
عارى الأشاجع معصوبٌ بلمته أمرُ الرّعاة في عزينه شَمَم ١٤٤

وقال الكِناني :

تنخبّئها للنسل وهي غريبةٌ فجاءت به كالبدر خرقاً معمّا^(٣)
فلو شاتمَ الفتيان في الحى ظالماً لما وجدوا غير التكدّب مَشْتَمًا^(٤) ١٠

ولذلك قيل لسعيد بن العاصي^(٥) : « ذو العصابة » . وقد قال القائل :

كعابٌ أبوها ذو العصابة وابنه وعثمانُ ما أكفأوها بكثير^(٦)

(١) ل : « سيجان » ه : « سيجان » ، التيمورية « سحان » صوابها في ب ، ح . والسيجان :
الطيالسة السود ، واحدها ساج ، انظر اللسان (سوج) . لم تغن نقرة ، بفتح النون ، أى شيئاً . ولا تستعمل
إلا مع النفي . والرُقش : جمع أرقش ورقشاء ، وهو ما فيه نقط من بياض وسواد . ج : « درفش » ب
والتيمورية : « ورقش » صوابها في ل ، ه . والقلنسي ، بكسر السين وفتحها أيضاً : جمع قلنسوة .
(٢) سبق الكلام على الشعر وتخريجه وتفسيره في (١ : ٢٣١) .

(٣) الحرق ، بالكسر : الظريف في سماحة ونجدة . وأشير في ه إلى رواية : « تنجبتها » .

(٤) مَشْتَمًا ، أى شتمًا . يقول : ليس فيه ما يعاب . وانظر عيون الأخبار (٢ : ٦٧) .

(٥) سعيد بن العاص هذا هو المترجم في (١ : ٣١٤) وهو حفيد سعيد بن العاص المترجم آنفاً في
٩٧ . وقد أخطأ الثعالبي في ثمار القلوب ٢٣١ حيث جعله الجد ، وذكر مع هذا أن خالد بن يزيد بن معاوية
طلق ابنته أمنة بنت سعيد بن العاص فتزوجها الوليد بن عبد الملك فقال خالد فيها هذا الشعر . فكيف
يكون ذلك ، وقد مات سعيد الجد قبل الإسلام وكانت حياة الوليد ما بين سنتي ٥٣ ، ٩٦ . وكيف تكون
« كعابا » حديثة السن في هذا التاريخ . الكعاب : التى كعب ثديها ، أى نهذ .

(٦) في ثمار القلوب : « وابنه أخوها » .

يقولها خالد بن يزيد ^(١) .

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله : « العمائم تيجان العرب ^(٢) » .

وقال : وقيل لأعرابي ^(٣) : إنك لتكثر بُسِ العمامة ؟ قال : إن شيئاً فيه السَّمْعُ والبصر لجدير أن يُوقَى من الحرّ والقرّ .

وذكروا العمامة عند أبي الأسود الدؤلي فقال : « جُنّة في الحرب ، ومَكَنّة من الحرّ ، ومَدْفأة من القرّ ، ووَقَار في النَّدَى ^(٤) ، وواقية من الأحداث ، وزيادة في القامة ، وهي بعدُ عادة من عادات العرب » .

وقال عمرو بن امرئ القيس ^(٥) :

يامال والسَّيِّدُ المعَمَّم قد يُبطره بعدَ رأيهِ السَّرْفُ
نحنُ بما عندنا وأنت بما عندك راضٍ والرأيُ مختلف ^(٦)

وكان من عادة فُرسان العرب في المواسم والجموع ، وفي أسواق العرب ، كأَيام عكاظ وذى المَجَاز وما أشبه ذلك ، التَّقَنُّعُ ، إلّا ما كان من أبي سَلِيط

(١) هو خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، كان يكنى أبا هاشم ، وكان من أعلم قريش بفنون العلم ، وكان يقول الشعر . وهو الذي قالوا إنه شغل نفسه بطلب الكيمياء فأفنى في ذلك عمره . المعارف ١٥٣ - ١٥٤ والأغاني (١٦ : ٨٤ - ٨٨) . ويقال إنه أصاب عمل الكيمياء . الطبري (٧ : ١٦) .
(٢) انظر ما سبق في (٢ : ٨٨ س ٩) .

(٣) الخبر في (٢ : ٨٨) برواية أخرى . وانظر عيون الأخبار (١ : ٣٠٠) .

(٤) الندى : مجلس القوم ومتحدثهم .

(٥) هو عمرو بن امرئ القيس ، من بني الحارث بن الخزرج ، جاهلي . يقول الشعر التالي في مالك بن العجلان النَجَاري . معجم المرزباني ٢٣٣ . وأورد له أبو الفرج في الأغاني (٢ : ٤٠) خيراً مع علقمة بن عدى ، وعدى بن زيد . وكان أحد حكامهم في الجاهلية ، حكم في حرب سمير بين الأوس والخزرج . الأغاني (٢ : ١٧٠) وكان ذلك الحكم سبباً لغضب مالك بن العجلان ورد قضائه .

(٦) في معجم المرزباني : « والأمر يختلف » . وقصيدة عمرو بن امرئ القيس رويت في جمهرة أشعار العرب ١٢٧ - ١٢٨ . على أن هذه القصيدة تختلط أبياتها بأبيات قصيدة لقيس بن الخطيم في ديوانه ١٦ - ٢٠ وأخرى لمالك بن العجلان في الجمهرة ١٢٢ . وانظر شاهد هذا الخلط ، في معاهد التنصيص ، في شواهد ترك المسند .

طَريف بن تميم ^(١) ، أحد بنى عمرو بن جُنْدَب ؛ فإنه كان لا يتَقَنَع ولا يبالى أن تُثَبَّت عينه جميعُ فرسان العرب ، وكانوا يكرهون أن يُعرَفوا فلا يكونَ لفرسان عدوِّهم همٌ غيرهم .

ولما أقبلَ حَمَاصَةُ الشَّيبَانِي يتَأَمَّل طَريفاً قال طَريف :

١٤٥ أو كلِّما وردت عكاظُ قبيلةً بعثوا إلى عريفهم يتوسَّم
فتوسَّموني إني أنا ذاكمُ شاكٍ سلاحي في الحوادث مُعلِّمُ
تحتي الأغرُّ وفوق جِلْدِي نثرةٌ زَغَف تردُّ السَّيف وهو مُثَلَّمُ ^(٢)
ولكلِّ بكريٍّ إلى عداوةٍ وأبو ربيعة شائءٌ ومُحلَّمُ

فكان هذا من شأنهم . وربما مع ذلك أَعْلَم نفسه الفارسُ منهم بسيما .
كان حمزة يوم بدرٍ مُعلِّماً بريشةً نعاميةً حمراء . وكان الزُّبيرُ مُعلِّماً بعمامةٍ صفراء .
ولذلك قال درهم بن زيد ^(٣) :

١٠ إنك لاق غداً غواة بنى الملد كءٍ فانظر ما أنت مُزْدِهِفُ ^(٤)
يمشون في البيض والدُّروع كما تمشي جمالٌ مصاعبٌ قُطْفُ ^(٥)

(١) كان طريف بن تميم بن نامية ، من بنى عدى بن جندب بن العنبر - وكان يسمى ملقى القناع - قد قتل شراحيل الشيباني ، أختاً حمصية ، وكان حَمَاصَةُ قد وافى عكاظ ، فعرف طريفاً وتوعده . فقال طريف الشعر التالي . والأبيات في الأصمعيات ٦٧ ليسك ومعاهد التنصيص (١ : ٧١) والعقد وكامل ابن الأثير والخيل لابن الأعرابي ٦٣ . ثم قتله حمصية بعد ذلك في يوم (مُبَايَض) . انظره في معجم البلدان والعقد والكامل والميداني (٣ : ٣٦٣) .

(٢) الأغر : فرس طريف . والأغر أيضاً : فرس عنترة بن عمرو بن معاوية ، وآخر لضبيعة بن الحارث . الخيل لابن الأعرابي ٦٩ ، ٧١ . والنثرة : الدرع الواسعة . والزغف : اللينة .

٢٠ (٣) درهم بن زيد بن ضبيعة ، وهو أخو سمير ، من بنى عوف . وكان سمير قد قتل جاراَ لمالك بن العجلان ، فأبى مالك إلا أن يقتله به . فقال درهم هذا الشعر بحاماة لأخيه سمير ، غناطياً بذلك مالك بن العجلان . الأغاني (٢ : ١٦١ - ١٦٢) .

(٤) ل : « بنى مالك » ، التيمورية : « ابني ملكاء » هـ : « بنى ملكاء » . وأثبت ما في ب ، ح . وفي الأغاني (٢ : ١٦٢) : « بنى عمى » . والازدهاف : التقحيم في الشر .

٢٥ (٥) المصاعب : جمع مصعب ، وهو الفحل الذي يودع من الركوب والعمل . والقطف : جمع قطف ، وهو الذي يقارب الخطو في سرعة .

فأبَد سِيَمَاكَ يَعْرِفُوكَ كَمَا يُبْدُونَ سِيَمَاهُمْ فَتُعْتَرَفُ^(١)

وكان المقتنع الكندي الشاعر ، واسمه محمد بن عمير^(٢) ، كان الذَّهَر مقتنعا .

والقِنَاع من سِيَمَا الرُّؤَسَاء . والدَّلِيل على ذلك والشاهد الصادق ، والحجة القاطعة ، أن رسول الله ﷺ كان لا يكاد يُرى إلا مقتنعا . وجاء في الحديث : « حتى كأنَّ الموضع الذي يصيب رأسه من ثوبه ثوبُ دَهَانٍ^(٣) » .

وكان المقتنع الذي خرج بخراسان^(٤) يدَّعي الرُّبُوبِيَّة ، لا يدَّعِ القِنَاع في حالٍ من الحالات . وجَهِل بادِّعاءِ الرُّبُوبِيَّة من طريق المناسخة^(٥) ، فادَّعَاها من الوجه الذي لا يختلف فيه الأحمر والأسود ، والمؤمن والكافر ، أن باطله مكشوفٌ

(١) روى هذا البيت في معجم المرزباني ٣٣٤ منسوباً إلى عمرو بن امرئ القيس . وفي الأغاني : « معنى قوله : فأبَد سِيَمَاكَ ، أن مالك بن العجلان كان إذا شهد الحرب يغير لباسه ويتنكر لئلا يعرف فيقصد » .

(٢) اسمه محمد بن ظفر بن عمير . وهو شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية . وكان له محل كبير وشرف ومروءة وسودد في عشيرته . ويزعم المؤرخون أن العلة في لزومه القناع ما كان يخاف على نفسه من العين ، فقد كان أحسن الناس وجهاً ، وأمدهم قامة ، وأكملهم خلقاً ، فكان إذا سافر أصابته أعين الناس فيمرض ويلحقه غنت . الأغاني (١٥ : ١٥١) . ما عدا هـ : « محمد بن عميرة » وقد كتب فوق « عمير » في هـ : « عميرة » .

(٣) في هامش هـ : « وفي رواية : ثوب زيات لأن رسول الله (ﷺ) كانت له لمة » .
(٤) خرج المقتنع على المهدي بخراسان سنة ١٦١ . وكان أعور قصاراً من قرية يقال لها كازه كيمردان ، وكان قد عرف شيئاً من الهندسة والحيل والثيرنجيات ، فادعى لنفسه الإلهية عن طريق التناسخ ، واحتجب عن الناس بربقع من حرير ، ودامت فنتته على المسلمين أربع عشرة سنة أباح لهم فيها كثيراً من المحرمات ، فوجه إليه المهدي عدو من قواده ، وجعل المقتنع يجمع الطعام عدة للحصار في قلعته بكش . وقد تمكن سعيد الحرشي من تشديد الحصار عليه ، فلما أحس بالهلكة شرب سما وسقاه نساء وأهله فماتوا جميعاً . ودخل المسلمون قلعته سنة ١٦٣ واحتزوا رأسه ووجهوا به إلى المهدي . الطبري سنة ١٦١ - ١٦٣ والفرق بين الفرق ٢٤٣ - ٢٤٥ والآثار الباقية للبيروني ٢١١ وشرح سقط الزند ١٥٤٥ .

(٥) في الأصول : « وجَهِل ادعاء الرُّبُوبِيَّة » . وكان المقتنع قد زعم أنه الإله ، وأنه قد كان قد تصور في صورة آدم ثم نوح ، ثم إبراهيم ثم سائر الأنبياء إلى محمد ، ثم في صورة على وأولاده ، ثم في صورة أي مسلم صاحب دولة بنى العباس ، ثم في صورته هو . الفرق بين الفرق .

كالتَّهَار . ولا يعرف في شيء من الملل والتَّحَلُّ القول بالتَّناسُخ إلا في هذه الفرقة من الغالية . وهذا المَفْتَع كان قَصَّاراً من أهل مرو ، وكان أَعَوْرَ الْكَن . فما أدرى أيُّهما أعجب (١) ، أَدْعَوَاهُ بِأَنَّهُ رَبٌّ ، أو إِيْمَانٌ مِّنْ آمَنَ بِهِ وَقَاتَلَ دُونَهُ ؟! وكان اسْمُهُ عَطَاء (٢) . ١٤٦

وقال الآخر :

إذا المرءُ أثرى ثم قال لقومه أنا السيّد المُفَضَّلِيّ إليه المعتم (٣)
ولم يعطهم شيئاً أبوا أن يسودهم وهان عليهم رُغْمُهُ وهو ألوم (٤)

وقال الآخر :

إذا كشف اليومُ العِمَّاسُ عن أسنانه فلا يَرْتَدِي مثلي ولا يَتَعَمَّم (٥)

١٠ قال : وكان مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ يَعْتَمُّ الْقَفْدَاءَ (٦) ، وهو أن يعقد العمامة في القفا . وكان محمد بن سعيد بن أبي وقاص (٧) ، الذي قتله الحجاج ، يعتَمُّ المِثْلَاءَ .

وقال الفرزدق :

ولو شهد الخيلُ ابنُ سعيدٍ لَقَتَعُوا عِمَامَتَهُ المِثْلَاءَ عَضْباً مَهْنِداً (٨)

(١) ل : « أيما أعجب » .

١٥ (٢) في الفرق بين الفرق أن اسمه « هشام بن حكيم » .

(٣) البيتان للمغيرة بن حبناء في المجتنى ٨٢ وأمالى الزجاجي ٢٦ . وهما في الحيوان (٣ : ٨٣) وعيون الأخبار (١ : ٢٤٨) وحماسة ابن الشجرى ١٤٠ بدون نسبة . وفي عيون الأخبار والحماسة : « المعظم » .

(٤) في الحماسة : « فقده » ، وفي الحماسة والعيون : « وهو أظلم » . والرغم : الذل .

(٥) العِمَّاس ، بالفتح : الشديد . وقد روى البيت ثعلب في مجالسه ٢٥٤ وضبط فيها خطأ . وهو

٢٠ في اللسان (عمس) .

(٦) القفداء ، بفتح القاف وسكون الفاء . ويقال أيضا « القفد » بالتحريك . ما عدا ل :

« العقداء » تحريف ، صوابه في اللسان (قفد) حيث أورد هذا الخبر وتاليه . وفي هـ : « يتعمم » .

(٧) محمد بن سعيد بن أبي وقاص القرشي الزهري ، كان قد خرج مع ابن الأشعث وشهد وقعة دير الجماجم ، ووقعة مسكن بعدها ، فأُتِيَ به الحجاج فقتله سنة ٨٣ . انظر خبر مصرعه في الطبري (٨ : ٣٤) . وكان يلقب « ظل

٢٥ الشيطان » لشدة كبره . الحيوان (٦ : ١٧٨) وثمار القلوب ٥٩ . أو لقصوره ، كما في تقريب التهذيب . وانظر مخاطبة الحجاج له بهذا اللقب في الطبري والحيوان وثمار القلوب . وترجم له في تهذيب التهذيب والمعارف ١٠٧ والخلاصة ٢٨٨ .

(٨) البيت مما لم يرو في ديوان الفرزدق .

وقال شَمْعَلَةُ بْنُ أَخْضَرِ الضَّبِّيِّ (١) :

جلينا الخيلَ مِنْ أَكْثافِ فَلَجٍ ترى فيها من العزْوَ اقورارا (٢)
بكلِّ طِمْرَةٍ وبكلِّ طَرْفٍ يَزِينُ سَوَادُ مَقْلَتِهِ العِدَارا (٣)
حَوَالِي عَاصِبٍ بِالتَّاجِ مِنَّا جَبِينٌ أَغْرَ يَسْتَلِبُ الدُّوَارا (٤)
رئيسٌ ما يَنَازِعُهُ رَئِيسٌ سَوَى ضَرْبِ القِدَاحِ إِذَا اسْتَشَارا (٥)

وَأَنشُد :

إِذَا لَبَسُوا عَمَائِمَهُمْ لَوَّهَافَا عَلَى كَرَمٍ وَإِنْ سَفَرُوا أَنَارُوا
يَبِيعُ وَيَشْتَرِي لَهُمْ سِوَاهُمْ وَلَكِنْ بِالطَّعَانِ هُمْ تَجَارُ
إِذَا مَا كُنْتَ جَارَ بَنِي تَمِيمٍ (٦) فَأَنْتَ لِأَكْرَمِ الثَّقَلَيْنِ جَارُ

وَأَنشُد : ١٠

وَدَاهِيَةَ جَرَّهَا جَارِمٌ جَعَلْتَ رِدَاءَكَ فِيهَا خِمَارا

وَلِذِكْرِ العَمَائِمِ مَوَاضِعَ . قَالَ زَيْدُ بْنُ كَثُوفِ العَنَبَرِيِّ (٧) :

١٤٧

(١) شَمْعَلَةُ بْنُ أَخْضَرِ بْنِ هَيْبَةَ الضَّبِّيِّ ، شاعر فارس جاهلي . يقول الشعر التالي في مصرع بسطام ابن قيس الشيباني في يوم شقيقة الحسنيين ، وكان لبني ضبة على بني شيبان . المؤتلف ١٤١ . والعقد (٥) : ٢٠٤ لجنة التأليف . ١٥

(٢) فَلَجٌ : واد بين البصرة وحمى ضرية . والاقورار : الضمور .

(٣) الطمرة : الفرس الوثابة . والظرف ، بالكسر : الفرس الكريم الطرفين : الأبوين .

(٤) عاصب جبين أغر ، أى عاصب جبين نفسه ، وهذا مايسمونه التجريد . والأغر : الأبيض الوجه . والدوار كالدوران يأخذ في الرأس . يقول : إنه يشفى رعوس أعدائه بضربها بالسيف . ومثله قول القائل في الخخص (٦ : ١٨) : ٢٠

ومأثور من الهندي يشفى به رأس الكمي من الصداع

قال ابن سيده : « أى يشفى به جهله . وهو مثل » .

(٥) كانوا يضربون بالقداح يستشيرونها فيما يصنعون ، يسمون بعضها الأمر وبعضها الناهي ، وكتب على الأول : أمرتني ربي ، وعلى الثاني : نهاني ربي . اللسان (قسم) والميسر والأزلام ٦٤ - ٦٨ . سوى ضرب ، أى سوى صاحب الضرب الموكل به . ٢٥

(٦) هـ : « بنى لؤى » .

(٧) سبقت ترجمته في (١ : ١٦٣) .

مَنَعْتُ مِنَ الْعَهَّارِ أَطْهَارَ أُمَّهِ وَبَعْضُ الرِّجَالِ الْمُدَّعِينَ زِنَاءَ^(١)
فَجَاءَتْ بِهِ عَبْلُ الْقَوَامِ كَأَنَّمَا عِمَامَتُهُ فَوْقَ الرِّجَالِ لَوَاءُ^(٢)

لَأَنَّ الْعِمَامَةَ رُبَّمَا جَعَلُوهَا لَوَاءً . أَلَا تَرَى أَنَّ الْأَخْنَفَ بْنَ قَيْسٍ ، يَوْمَ مَسْعُودِ
ابْنِ عَمْرٍو^(٣) ، حِينَ عَقَدَ لِعَبْسٍ بِنِ طَلْقٍ^(٤) اللَّوَاءَ ، إِنَّمَا نَزَعَ عِمَامَتَهُ مِنْ رَأْسِهِ
فَعَقَدَهَا لَهُ .

وَرُبَّمَا شَدُّوا بِالْعِمَائِمِ أَوْسَاطَهُمْ عِنْدَ الْمَجْهَدَةِ ، وَإِذَا طَالَتِ الْعُقْبَةُ^(٥) .
وَلِذَلِكَ قَالَ شَاعِرُهُمْ^(٦) :

فَسِيرُوا فَقَدْ جَنَّ الظَّلَامُ عَلَيْكُمْ فَبَاسَتْ أَمْرِي يَرْجُو الْقُرَى عِنْدَ عَاصِمٍ^(٧)
دَفَعْنَا إِلَيْهِ وَهُوَ كَالذِّبْحِ خَاطِئاً تَشُدُّ عَلَى أَكْبَادِنَا بِالْعِمَائِمِ^(٨)

١٠ (١) الطهر : الأيام بين الحيضتين . والزنا ، ممدود : الزنى . وإذا قرئت بفتح الزاى كانت بمعنى القصير . قال أبو ذؤيب :

وتولج في الظل الزنا رعوسها وتحسبها هيماً وهن صحائح

(٢) العبل : الضخم . وفي اللسان (سبط) : « فجاءت به سبط العظام » .

(٣) سبقت ترجمة مسعود بن عمرو في (٢ : ٦٨) . وكان الشر قد هاج بين بنى تميم بزعماء
الأحنف ، وبين الأزد بزعماء مسعود بن عمرو . وقد أراد الأحنف في أول الأمر أن يعقد القيادة لعباد بن
حصين ، فلما لم يجده عقدها لعبس بن طلق بن ربيعة بن عامر بن بسطام بن الحكم بن ظالم بن صريم بن
الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد . قال الطبري في (٧ : ٢٧) : « فانتزع معجراً في رأسه ثم جثا على
ركبتيه فعقده في رمح ثم دفعه إليه فقال : سر » . وكان الأزد وحلفاؤهم من ربيعة قد أخذوا بأفواه السكك
سكك البصرة ، ثم أجلوا عنها وقاموا على باب المسجد ، ودلفت التميمية إليهم فدخلوا المسجد ومسعود يخطب
على المنبر وبحض ، فاستنزله وقتلوه في شوال سنة ٦٤ .
(٤) انظر التنبيه السابق .

(٥) العقبة ، بالضم : قدر مايسيره الرجل .

(٦) هو مصعب بن عمير الليثي ، كما في البخلاء ١٨٥ .

(٧) جن عليه الليل ، بفتح الجيم ، أى أظلم . ومعنى جن : ستر . في اللسان (سته) : « يقال

للقوم إذا استنزلوا واستخف بهم : باست بنى فلان . وهو شتم للعرب .

(٨) في اللسان : « دفع إلى المكان ودفع ، كلاهما انتمى » . والذبح ، بالكسر : الذكر من الضباع .

والخاطي : الغليظ الصلب .

وقال الفرزدق :

بنى عاصم إن تُلجِئوها فإِنَّكم ملاجِئٌ للسُّوءاتِ دُسمُ العمامِ (١)

وقال الآخر :

خليلي شُدا لي بفضلِ عمامتي على كبدٍ لم يبق إلا صميمُها

العرب تُلَهِّجُ بذكر النعال ، والفُرس تلهج بذكر الخفاف .. وفي الحديث المأثور : « أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا ينهون نساءهم عن لبس الخفاف الحمر والصُّفُر ، ويقولون : هو من زينة نساء آل فرعون » .

وأما قولُ شاعرهم :

إذا اخضرت نعالُ بنى غُرابٍ بعوا ووجدتُهم أُشْرَى لثاما (٢)

فلم يرد صفة النعل ، وإنما أراد أنهم إذا اخضرت الأرض وأخصبوا طعوا وبعوا . كما قال الآخر (٣) :

وأطولُ في دار الحفاظ إقامةً وأوزن أحلاما إذا البقلُ أجْهَلا (٤) ١٤٨

(١) ما عدل ، هـ : « إن تلحبوها » . والبيت مما لم يرو في ديوان الفرزدق . دسم : جمع أَدَسَم ، وهو الدنس . ١٥

(٢) النعال : جمع نعل ، وهو ما غلظ من الأرض . وفي الحديث : « إذا ابتلت النعال ، فالصلاة في الرخال » . قال البكري في التنبيه ١٩ : « وإذا أخصبت النعال فما ظنك بالدماء » . وأنشد :

قوم إذا اخضرت نعالهم يتناهقون تناهق الحُمر وأشرى : جمع أشر ، كما يقال زمن وزمني ، أو جمع أشران ، كما يقال سكران وسكري في جمعه ، موافقا لفظه لفظ إحدى مؤنثات سكران ، وهي سكرانة وسكري وسكرة . انظر مع الموامع (٢ : ١٧٨) والقاموس (أشر ، سكر) ، والأشُر : المرح والنشاط . ٢٠

(٣) هو خراشة بن عمرو العبيسي : من قصيدة في المفضليات (٢ : ٢٠٤) .

(٤) دار الحفاظ : التي يقيمون فيها صبرا عليها لعزمهم . وفي المفضليات : « وأربط أحلاما » . أجْهَلم ، أى حملهم على أن يجْهَلوا . وذلك إنه إذا كان الربيع وأمكنت المياه والبقل ، تذكروا الذحول وطلبوا الأوتار . هـ : « إذا البقل أخضلا » . ٢٥

ومثل قوله :

يا ابن هشام أهلك الناس اللّبن فكلهم يسعى بسيف وقرن^(١)

وأما قول الآخر :

وكيف أرجى أن أسود عشيرتي وأمى من سلمى أبوها وخالها
رأيتكم سوداً جعاداً ، ومالكٌ مخصرةً بيضٌ سباطٌ نعالها^(٢)

فلم يذهب إلى مدح النعال في أنفسها ، وإنما ذهب إلى سبابة أرجلهم وأقدامهم ، ونفى الجعودة والقصر عنهم .

وقال النابغة :

رقاق النعال طيبٌ حُجْراتهم يُحيون بالريحان يوم السباسب^(٣)
يصوئون أجساداً قديماً نعيمها بخالصة الأردن خضر المناكب^(٤)

قال : وبنو الحارث بن سدوس لم ترتبط جماراً قط ، ولم تلبس نعلأ قط إذا نَقِبَتْ . وقد قال قائلهم :

وئلقى النعال إذا نُقِبَتْ ولا نستعينُ بأخلاقها^(٥)
ونحن الذُّوابةُ من وائل إلينا تمدُّ بأعناقها

١٥ (١) الرجز في الصحاح واللسان والتاج (قرن) ، وتنبيه البكرى ١٩ . والقرن ، بالتحريك : الجعبة من جلود تكون مشقوقة ثم تحرز . وإنما تشق لتصل الريح إلى الريش فلا يفسد .

(٢) النعل المخصرة : التي لها خصران مستدقان .

(٣) ديوان النابغة ٩ . رقاق النعال ، أراد أنهم ملوك لا يخصفون نعالهم ، وإنما يخصف من يمشى . والحجزة ، بالضم : الوسط . يقول : هم أعقاء . والسباسب : يوم السعائين ، وهو من أعياد النصارى ، وكان المددوح - وهو عمرو بن الحارث الأعرج - نصرانياً .

٢٠

(٤) الرذن ، بالضم : مقدم كم القميض . وفي اللسان (خلص) : « الأصمعي هو لباس يليسه أهل الشام ، وهو ثوب مخمل أخضر المنكبين وسأثره أبيض . والأردان أكمامه . ويقال لكل شيء أبيض : خالص » . وفي شرح الديوان : « قال خالد بن كلثوم خضر المناكب من أثر السلاح » .

(٥) نقبت : خرقت . والأخلاق : جمع خلق ، وهو البالي . ويروى : أنقبت ، كما في هامش هـ .

وهم رهط خالد بن المعمر^(١) ، الذى يقول فيه شاعرهم :

مُعَاوِيَ أَمَرَ خَالِدَ بْنَ مَعْمَرٍ فَإِنَّكَ لَوْلَا خَالِدٌ لَمْ تُؤْمَرْ
وَقَاتِلْهُمْ الَّذِى يَقُولُ :

أَغَاضِبُهُ عَمْرُو بْنُ شَيْبَانَ أَنْ رَأَتْ عَدِيدَيْنِ مِنْ جُرْثُومَةٍ وَدَخِيسٍ^(٢) ١٤٩
فَلَوْ شَاءَ رُبِّي كَانَ أَيْرُ أَبِيكُمْ طَوِيلًا كَأَيْرِ الْحَارِثِ بْنِ سَدُوسٍ^(٣) ٥

وكان عمر جعل رئاسة بكرٍ لمجزأة بن ثور^(٤) ، فلما استشهد مجزأة جعلها
أبو موسى لخالد بن المعمر ، ثم ردها عثمان إلى شقيق بن مجزأة بن ثور ، فلما خرج
أهل البصرة إلى صفين تنازع شقيق وخالد الرئاسة ، فصيرها عند ذلك على إلى
حُضَيْنِ بن المنذر^(٥) ، فرضى كل واحد منهما وكان يخاف أن يصيرها إلى
تخصمه ، فسكنت بكر وعرف الناس صحة تدبير على في ذلك . ١٠

وَأَمَّا قَوْلُ الْآخِرِ^(٦) :

(١) هو خالد بن المعمر بن سليمان بن الحارث بن شجاع بن الحارث بن سدوس السدوسى . وكان
رئيس بكر بن وائل في عهد عمر . وذكر ابن مأكولا أن معاوية أمره على أرمينية فوصل إلى نصيبين فمات
بها . الإصابة ٢٣١٧ ، ووقعة صفين في مواضع كثيرة . وقد أنشد له نصر بن مزاحم شعراً .
(٢) الجرثومة : أصل كل شيء ومجتمعه . والدخيس : العدد الكثير المجتمع . ١٥
(٣) ل : د ولوداً . قال ابن قتيبة في المعارف ٤٥ : د وكان له واحد وعشرون ذكراً .
(٤) هو مجزأة بن ثور بن عفير بن زهير بن عمرو بن كعب بن سدوس السدوسى . له ذكر في
الفتوح . الإصابة ٧٧٢٤ . وأنشد له في وقعة صفين ٣٤٤ :

أَضْرِبْهُمْ وَلَا أَرَى مُعَاوِيَةَ الْأَبْرَجَ الْعَيْنَ الْعَظِيمَ الْحَاوِيَةَ
هَوَتْ بِهِ فِي النَّارِ أُمُّ هَاوِيَةَ جَاوَرَهُ فِيهَا كَلَابُ عَاوِيَةَ
أَغْرَى طَغَامًا لَا هَدَنَهُ هَادِيَةَ

(٥) سبقت ترجمته وتحقيق اسمه في (٢ : ١٦٩) .
(٦) هو أبو المقدم ، واسمه جساس بن قطب ، كما في اللسان (وقع) . وانظر الحيوان (٦ : ٤٤٦)
والبخلاء ١٥٧ ، وأمالى القائل (١ : ١١٥) ، وجهرة الأمثال ٢٢٠ والميلداني (٢ : ٧٤) والعقد (١ : ٨٠) ،
٢٥ (٢٨٠) .

يا ليت لى نعلين من جلد الصَّبْعِ وشُرْكَاً من استها لا تنقِطِعْ (١)

* كُلُّ الحذاءِ يَحْتَذِى الخافى الوقْعَ *

فهذا كلامٌ محتاج ، والمحتاجُ يتجوَّز .

وأما قول النَّجاشِي لهند بن عاصم :

• إذا الله حيًّا صالحاً من عباده كريماً فحياً الله هند بن عاصم
وكلُّ سلولَى إذا ما لقيته سريعٌ إلى داعى التدى والمكارم
ولا يأكلُ الكلبُ السَّرُوقُ نعالهم ولا تَنْتَقِى المَخُّ الذى فى الجماجم (٢)
وقال يونس : كانوا لا يأكلون الأدمغة ، ولا يتنعلون إلا بالسَّبْتِ .

وقال كَثِيرٌ :

١٠ إذا بُذِتْ لم تَطَّبِ الكلبُ رِيحُها وإن وُضِعَتْ فى مجلس القوم شُمَّتْ (٣)

وقال عُتَيْبَةُ بن مرداس ، وهو ابن فَسْوَة (٤) :

إلى معشر لا يَخْصِفُونَ نعالهم ولا يلبسون السَّبْتِ ما لم يَخْصُرِ (٥)

(١) الشرك ، بضمين : جمع شرك ، بالكسر ، وهو سير النعل .

(٢) أنشده فى الخزانة (٤ : ١٤٧) وقال : « إنما يأكل الكلب الفطير من النعال ، وأما السبت

١٥ فلا » . الفطير : الذى لم يدبغ ، والسبت ، بالكسر : المدبوغ بالقرظ .

(٣) البيت فى الحيوان (١ : ٢٦٦) وصدوره فى الخزانة (٤ : ١٤٧) . أى هى طيبة الريح ليست بفطير ؛ لأن النعل إذا كانت غير مدبوعة وظفر بها الكلب أكلها .

(٤) فى الأصول : « عتبية بن الحارث » تحريف . وقد قوى التحريف فى ل إذ جعلت « عتبية بن

٢٠ الحارث بن شهاب » ، والصواب ما أثبت . وعتبية هذا هو أحد بنى عمرو بن كعب بن عمرو بن تميم ،

شاعر مقل مخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام . وكان هجاء خبيث اللسان . ووفد على ابن عباس بالبصرة فلم

يصله بل أخرجه عنها ، فوفد إلى المدينة بعد مقتل على ، فلقى الحسن وعبد الله بن جعفر فسألا عن خبره

مع ابن عباس فأخبرهما ، فوصلاه بما أرضاه ، فصنع قصيدة طويلة يمدحهما فيها ويلوم ابن عباس ، روى

كثيراً من أبياتها أبو الفرج فى الأغاني (١٩ : ١٤٤) وابن قتيبة فى الشعراء ٨٢ . وقبل البيت التالى :

فلت قلوصى عريت أو رحلتها إلى حسن فى داره وابن جعفر

٢٥ إلى ابن رسول الله يأمر بالتقى وللدين يدعو والكتاب المطهر

وانظر تعليل لقبه بابن فسوة فى الأغاني والشعراء .

(٥) البيت فى الحيوان (٣ : ١١٢) . وتخصير النعل : أن يجعل لها خصران دقيقان .

وإذا مدح الشاعر النعل بالجودة فقد بدأ بمدح لإيسها قبل أن يمدحها .

قال الله تبارك وتعالى لموسى (١) : ﴿ اخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى ﴾ . وقال بعض المفسرين : كانت من جلد غير ذكى . وقال الزبيرى : ليس كما قال ، بل أعلمه حقّ المقام الشريف ، والمدخل الكريم . ألا ترى أنّ الناس إذا دخلوا إلى الملوك ينزعون نعالهم خارجاً .

قال : وحدثننا سلام بن مسكين (٢) قال : ما رأيت الحسن إلاّ وفي رجله النعل . رأيته على فراشه وهى فى رجله ، وفى مسجده وهو يصلى وهى فى رجله . وكان بكر بن عبد الله (٣) تكون نعله بين يديه فإذا نهض إلى الصلاة لبسها .

وروى ذلك عن عمرو بن عُبيد ، وهاشم الأوقص (٤) ، وحوشب (٥) ، وكلاب (٦) ، وعن جماعة من أصحاب الحسن .

وكان الحسن يقول : « ما أعجب قوماً يروون أنّ رسول الله ﷺ صلى فى نعليه فلمّا انفتل من الصلاة علم أنّه قد كان وطئاً على كذا وكذا ، وأشباهاً لهذا الحديث ، ثم لا ترى أحداً منهم يصلى منتعلاً » .

(١) بدل هذه الكلمة فى ل : « يا موسى » وهو خطأ فى التلاوة . والآية هى الثانية عشرة من سورة طه ، وتلاوتها هى وما قبلها : (فلما أتاهما نودى يا موسى - إلى أن أريك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى) .

(٢) هو سلام بن مسكين بن ربيعة الأزدي التميمي البصري . قال أبو داود : سلام لقب ، واسمه سليمان . وكان ثقة من أعبد أهل زمانه . توفى سنة ١٦٧ . تهذيب التهذيب (٤ : ٢٨٦) والخلاصة ١٣٦ .

(٣) بكر بن عبد الله المزني . ترجم فى (١ : ١٠٠) .

(٤) ل : « وهشام الأوقص » . وقد سبق ذكر هاشم فى أسماء الصوفية فى (١ : ٣٦٦) .

(٥) هو حوشب بن عقيل الجرهمي البصري . روى عن الحسن ، وقتادة ، وبكر بن عبد الله . وكان من الثقات . تهذيب التهذيب .

(٦) كلاب بن جري ، سبق ذكره وترجمته فى (١ : ٣٦٦) .

وأما قوله (١) :

وقامَ بناقٍ بالنُّعالِ حواسرا
فإنَّ النساءِ ذواتِ المصائبِ إذا قمنَ في المناحاتِ كنَّ يضرينَ صدورهنَّ
بالنُّعالِ .

وقال محمد بن يسير (٣) :

كم أرى من مستعجبٍ من نعالٍ ورضائي منها بلْبُسِ البَوالي
كلَّ جرداءٍ قد تحيِّفُها الحَصْصُ فُفْ بأقطارها ، بسردِ النُّعالِ (٤)
لا تُدائِي وليس تُشْبِهُ في الخِلْدِ حِقَّةٌ إنَّ أُبرِزْتُ نعالَ الموالِي
لا ولا عن تقادِمِ العهدِ منها بَلِيثٌ ، لا ، ولا لكَرِّ اللَّيالي
ولقد قلتُ حينَ أُوتِرَ ذا الو دُ عليها بثروني وبمالي
من يُغالي من الرِّجالِ بنعل فَسَوَّائِي إذا بهنَّ يُغالي (٥)
أو بَغَاهُنَّ للجمالِ فإِنِّي في سواهنَّ زينتني وجمالي
في إِيحائي وفي وفائي ورأى وعفافي ومنطقي وفعالي (٦)
ما وقائي الحَفَى وبلغني الحَا جةً منها ، فَإِنِّي لا أبالي (٧)
وقال خلفُ الأحمر :

سقى حُجَّاجَنَا نَوءُ الثَّريَّا على ما كان من مَطْلٍ ويُبخلُ (٨)

(١) هو أبو ذؤيب الهذلي . ديوانه ١٢٢ واللسان (حسر) .

(٢) حواسرا : قد حسرن عن وجوهن وصدورهن وأيديهن . وفي اللسان : « ضرب السبت » .
والسبت : النعال المدبوجة بالقرظ .

(٣) ترجم في (١ : ٦٥) ، وبعض أبياته التالية في الأغاني (١٢ : ١٣٣) .
(٤) تحييف الشيء : أخذ من جوانبه ونقصه . والخصف : مطارقة النعل لإصلاحها . والسرد : خرز
الأديم بالسرد : والنقال : جمع نعل ، بالفتح والكسر والتحريك ، وهي النعل الخلق . ما عدال ، هـ : « بسرو
النعال » ، وفي الأغاني : « بسود النعال » ، صوابهما ما أثبت .

(٥) سَوَّاهُ ، بفتح السين ، أى غيره .

(٦) الرء : الرأى . وفي هـ والأغاني : « ورأى » .

(٧) أى ما وقائي الحفا منها فإنني لا أبالي بغيره .

(٨) الأبيات أنشدتها في الحيوان (٥ : ٢٨٤) والشعراء ٧٦٤ بتحقيق الشيخ أحمد شاكر وعيون
الأخبار (٣ : ٣٨) . وفي العيون : « من بخل ومطل » . والنوء : المطر الذى ينزل موافقا لسقوط نجم في =

هُمُ جَمَعُوا النَّعَالَ فَأَحْرَزُوهَا وَسَدُّوا دُونَهَا بَاباً بِقِفْلٍ
 إِذَا أَهْدَيْتُ فَاكْهَةً وَشَاةً وَعَشَرَ دَجَائِجَ بَعَثُوا بِنَعْلٍ ^(١)
 وَمِسْوَاكِينَ طَوْلَهُمْ ذِرَاعٌ وَعَشْرَ مَنْ رَدَى الْمُقْلَ خَشِلَ ^(٢)
 فَإِنْ أَهْدَيْتُ ذَاكَ لِيَحْمِلُونِي عَلَى نَعْلٍ فَدَقَّ اللَّهُ رِجْلِي ^(٣)

وقال كثير :

كَأَنَّ ابْنَ لَيْلَى حِينَ يَدُو فَيَنْجَلِي سُجُوفُ الْخَبَاءِ عَنْ مَهِيبِ مَشْمَتٍ ^(٤)
 مُقَارِبُ خَطْوٍ لَا يَغْيِّرُ نَعْلَهُ رَهِيفُ الشَّرَاكِ سَهْلَةُ الْمَتَسْمَتِ ^(٥)
 إِذَا طُرِحَتْ لَمْ تَطْبِ الْكَلْبَ رِيحُهَا وَإِنْ وُضِعَتْ فِي مَجْلِسِ الْقَوْمِ شَمَّتِ
 وقال بشّار :

إِذَا وُضِعَتْ فِي مَجْلِسِ الْقَوْمِ نَعْلُهَا تَضْوَعُ مَسْكَاً مَا أَصَابَتْ وَعَبْرُهَا

ولما قال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه لصعصعة بن صُوحان في المنذر
 ابن الجارود ما قال ، قال صعصعة « لئن قلتَ ذاك يا أمير المؤمنين إِنَّهُ لَتَنْظَارٌ فِي
 عِطْفِيهِ ، ثَقَالٌ فِي شِرَاكِيهِ ، تُعْجِبُهُ حُمْرَةُ بُرْدِيهِ ^(٦) » .

= مغربه عند الفجر . والثرثا غزيرة النوء . وفي اللسان : « والثريا من الكواكب ، سميت لغزارة نوبتها » .

(١) في عين الأخبار : « فَإِنْ أَهْدَيْتُ فَاكْهَةً وَجَدِيَا » .

(٢) ردى : مسهل ردىء . والمقل : تمر الدوم . والخشل : السخيف اليابس الخفيف .

(٣) ما عدل ، هـ : « لتحميلوني » . والدق : الكسر والرض .

(٤) ابن ليلى ، هو عبد العزيز بن مروان . وفي الأغاني (١ : ١٣١) : « حدث ابن كناسة قال :

ليلى أم عبد العزيز كلبية . وبلغنى أنه قال : لا أعطى شاعراً شيئاً حتى يذكرها فى مدحى ، لشرفها .
 والمتسمت : المدعو له بالخير .

(٥) لا يغير نعله ، أى لا يتعهدها بخصف أو صبغ ، وذلك لكثرة نعاله . رهيف الشراك ، أى
 شراكها رهيف ، فذكر الوصف لمراعاة المضاف إليه ، كما يقولون : رجل حسنة العين . والمتسمت : القصد .

(٦) مضى الخير فى (١ : ٩٩) .

وذمَّ رجلٌ ابنَ التَّوأمِ (١) فقال : « رأيتُه مشحُمَ النُّعلِ ، دَرَنَ الجَوْرِبِ ، مُعْضَنَ الحُفِّ ، دَقِيقَ الجِرْبَانِ (٢) » .

وقال الهيثم : يمينٌ لا يحلف بها الأعرابيُّ أبداً : أن يقول لا أوردَ لك الله صادراً ولا أصدر لك وارداً ، ولا حَطَطْتُ رَحْلَكَ ، ولا نَحَلْتُ نَعْلَكَ . ١٥٢

وقال آخر :

عَلِقَ الفَوَادُ بِرَبِّقِ الجهلِ وَأَبْرَّ واستعصى على الأهلِ (٣)
وصبا وقد شابت مفارقه سَفَهَاً وكيف صباية الكهل
أدركت مُعْتَصِرِي وأدركني جِلْمِي وَيَسَّرَ قَائِدِي نَعْلِي (٤)

رجع الكلام إلى القول في العصا (٥)

١٠ قال ابن عباس رحمه الله في تعظيم شأن عصا موسى عليه السلام : « الدَّابَّةُ ينشَقُّ عنها الصِّفَا (٦) ، معها عصا موسى ، وخاتم سليمان ، تَمْسَحُ المؤمن بالعصا وتختيم الكافر بالخاتم » .

وجعل الله تبارك وتعالى أكبر آدابِ النبي عليه السلام في السَّوَاكِ ، وحضُّ عليه ﷺ . والمِسْوَاك لا يكون إلا عصاً .

١٥ (١) سبقت ترجمته في (١ : ٢٠٥) . وفي عيون الأخبار (١ : ٢٩٩) أن ابن التوأم هو الذي ذم الرجل .

(٢) الجربان بكسرتين وبضمتين مع تشديد الباء فيهما : جيب القميص ، مغرب من الفارسية « گریبان » . اللسان والقاموس (جرب) ومعجم استنجاس ١٠٨٦ .

(٣) رَبِّقُ الشَّيْءِ : أوله وأفضله .

٢٠ (٤) المعتصر : العمر والمهرم . وقيل معناه أن ما كان في الشباب من اللهو أدركته وهوت به ، من الاعتصار ، وهو الإصابة للشيء والأخذ منه . اللسان (عصر ٢٥٦ - ٢٥٧) .

(٥) ما عدل : « ثم رجع الكلام إلى القول في العصا » .

(٦) هي الدابة الواردة في قوله تعالى : « وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون » . وهي الآية ٨٢ من سورة النمل .

وقال أبو الوجيه ^(١) : قُضبان المساويك البَشَام ، والضَّرَو ^(٢) ، والعَتَم ^(٣) ، والأَرَاك ، والعُرجون ، والجريد ، والإسجِل .

وقد يلبس الناس الخِفاف والقَلَانِسَ في الصَّيف كما يلبسونها في الشتاء ، إذا دخلوا على الخلفاء وعلى الأمراء ، وعلى السَّادة والعظماء ؛ لأنَّ ذلك أشبه بالاحتفال ، وبالتعظيم والإجلال ، وأبعدُ من التبدُّل والاسترسال ، وأجدُرُ أن يفصلوا بين مواضع أنسِيهم في منازلهم ومواضع انقباضهم .
وللخلفاء عِمَّةٌ ، وللفقهاء عِمَّةٌ ، وللبقَّالين عِمَّةٌ ^(٤) ، وللأعراب عِمَّةٌ ، وللصوص عِمَّةٌ ، وللأنباء عِمَّةٌ ^(٥) ، وللرُّوم والنصارى عِمَّةٌ ، ولأصحاب التَّشاجي عِمَّةٌ ^(٦) .

ولكلِّ قوم زِيٌّ : فللقضاة زِيٌّ ، ولأصحاب القضاة زِيٌّ ، وللشُّرط زِيٌّ ، وللكتَّاب زِيٌّ ، ولكتَّاب الجُنْد زِيٌّ ، ومن زِيَّهم أن يركبوا الحمير وإن كانت الهماليج لهم مُعْرِضة ^(٧) .

وأصحاب السلطان وَمَن دَخَلَ الدار على مراتب : فمنهم من يلبس المبطنَّة ،

(١) هو أبو الوجيه العكلى ، أحد فصحاء الأعراب . كان معاصراً للجاحظ وأبى عبيدة ، وروى له الجاحظ أخباراً في الحيوان (١ : ٣٠٠ / ٤ : ٢٩٤ / ٦ : ٥٩) .

(٢) الضرو ، بالفتح والكسر . شجر طيب الريح ، يستاك به ويجعل ورقة في العطر .

(٣) العتم ، بضمة ، وبضمتين ، ويفتحين : شجر الزيتون البرى . ل « العتم » ما عدل : « العتم » صوابهما ما أثبت من هـ . انظر الحيوان (٥ : ٤٥٣ - ٤٥٤) .

(٤) ما عدل ، هـ : « وللبقالين » .

(٥) الأنباء ، هم أبناء قوم من فارس أرسلهم كسرى مع سيف بن ذى يزن لما جاء يستجدهم على الحبشة فنصروه وملكوها وتزوَّجوا في العرب ، فقبل لأولادهم الأنباء ، وغلب عليهم هذا الاسم ، لأن أمهاتهم من غير جنس آبائهم . اللسان (بنو) . وفي التنبيه والإشراف ٢٢٦ أنهم الذين ساروا مع خنزاد بن نرسی بن جاماسب أخى قباد بن فيروز . وفي ص ٢٤١ : أنهم الذين شخصوا مع وهرز إلى اليمن . ويبدو أن جميع الذين اجتذبتهم الحروب من الفرس إلى جزيرة العرب كان العرب يسمونهم الأنباء .

(٦) التشاجي : التمتع والتحاظن ؛ من الشجى ، وهو الحزن . تشاجت : تمتعت وتحازنت . اللسان (١٩) :

(١٥٢) وفيه : « قال عمرو بن بحر : قلت لابن دبوقة : أى شيء أول التشاجي ؟ قال : التباهر والقرمطة في المشي » .

(٧) الهمالج : البرذون الحسن السير في سرعة وبخثرة .

ومنهم من يلبس الدُّرَاعَةَ ^(١) ومنهم من يلبس القَبَاءَ ، ومنهم من يلبس البازيكند ^(٢) ويعلق الخنجر ، ويأخذ الجُرْز ^(٣) ، ويتخذ الجُمَّة ^(٤) .

١٥٣

وزي مجالسي الخلفاء في الشتاء والصَّيف ^(٥) فُرْش الصُّوف . وترى أنَّ ذلك أكمل وأجزل وأفخم وأنبل . ولذلك وضعت ملوك العجم على رؤوسها التَّيجان ، وجلست على الأسيِّرة ، وظاهرت بين الفُرْش . وهل يملأ عيون الأعداء ويرعب قلوب المخالفين ، ويحشُّو صدور العوام إفراط التعظيم إلَّا تعظيم شأن السلطان ، والزَّيادة في الأقدار ، وإلَّا الآلات . وهل دواؤهم إلَّا في التَّهويل عليهم ؟ وهل تُصلحهم إلَّا إخافتك إيَّاهم ؟ وهل يتقادون لما فيه الخطُّ لهم ويُسلِّسون بالطاعة التي فيها صلاح أمورهم إلَّا بتدبير يجمع المهابة والمحبة ^(٦) .

وكانت الشعراء تلبس الوشَّى والمقطَّعات ^(٧) والأردية السُّود ، وكلُّ ثوب مُشَهَّر . وقد كان عندنا منذ نحو خمسين سنة شاعرٌ يترنَّأ بزيِّ الماضين ، وكان له بُرْدٌ أسود يلبسه في الصَّيف والشتاء ، فهجاه بعض الطَّيَّاب من الشعراء ^(٨) فقال في قصيدة له :

(١) الدراعة : جبة مشقوقة المقدم .

(٢) يبدو أنه كساء يلقى على الكتف . و « باز » بالفارسية بمعنى الكتف .

(٣) الجرز ، بضمة وبضمين : ضرب من السلاح ، وهو عمود من حديد ، كما في اللسان . وفي

حواشي هـ والتمورية : « آلة للضرب كالقرع من حديد » .

(٤) الجمة من شعر الرأس : ما سقط على المنكبين .

(٥) ما عدل : « في الصيف والشتاء » .

(٦) ما عدل : « المحبة والمهابة » .

(٧) المقطعات من الثياب : شبه الجباب ونحوها من الخز ، وقيل كل ما يفصل ويخاط ، من قميص

وجباب وسراويلات .

(٨) الطيَّاب ، بالكسر : جمع طيب ، وهو الفكه المزاج . انظر الحيوان (٣ : ٢٧ / ٦ :

٤٣٩) . وجاء في سيويه (٢ : ٢١١ س ٤ - ٥) : « وقالوا طيب وطياب ، وجيد وجياد ، كما قالوا

جياع ونجار » . وأنشد في اللسان (طيب) قول جندل بن المثنى :

• هزت براعم طيَّابٍ البسر •

ثم قال : « إنما جمع طيَّاباً ، أو طيَّاباً » .

بِغ بُرْدِكَ الْأَسْوَدَ قَبْلَ الْبَرْدِ فِي قُرَّةِ تَأْتِيكَ صَمًّا صَرْدٌ ^(١)
 وَكَانَ لَجُرْبَانَ ^(٢) قَمِيصِي بِشَارِ الْأَعْمَى وَجُبَّتُهُ لِبَنَتَانِ ، فَكَانَ إِذَا أَرَادَ نَزَعَ شَيْءَ
 مِنْهَا أَطْلَقَ الْأَزْزَارَ فَسَقَطَتِ الْثِيَابُ عَلَى الْأَرْضِ ، وَلَمْ يَنْزِعْ قَمِيصَهُ مِنْ جِهَةِ رَأْسِهِ قَطَّ .
 وَقَدْ وَثِقَهُ ^(٣) الْعَدَوِيُّ الشَّحَاجِيُّ ^(٤) ، لَمْ يَلْبَسْ قَطَّ قَمِيصًا ، وَهُوَ الْيَوْمَ
 حَيٌّ ، وَهُوَ شَيْخُهُمْ ، وَهُوَ شَيْخٌ كَبِيرٌ ^(٥) .

وَسَعِيدُ بْنُ الْعَاصِي الْجَوَادُ الْخَطِيبُ ^(٦) ، لَمْ يَنْزِعْ قَمِيصَهُ قَطَّ . فَقَدْ وَثِقَهُ
 الشَّحَاجِيُّ ضِدًّا سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِي الْأُمَوِيُّ . وَقَالَ الْخَطِيبَةُ :
 سَعِيدٌ فَلَا يَفْرُكُ قَلَّةَ لَحْمِهِ تَحُدُّدَ عَنْهُ اللَّحْمُ فَهُوَ صَلِيبٌ ^(٧)
 وَكَانَ شَدِيدَ السَّوَادِ نَحِيفًا .

وَمِنْ شَأْنِ الْمُتَكَلِّمِينَ أَنْ يُشِيرُوا بِأَيْدِيهِمْ وَأَعْنَاقِهِمْ وَحَوَاجِبِهِمْ . فَإِذَا أَشَارُوا
 بِالْعَصَى فَكَأَنَّهُمْ قَدْ وَصَلُوا بِأَيْدِيهِمْ أَيْدِيًا أُخْرَى . وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ
 الْأَنْصَارِيِّ ^(٨) حَيْثُ يَقُولُ :

وَسَارَتْ لَنَا سَيَّارَةٌ ذَاتُ سُودٍ يَكُومُ الْمَطَايَا وَالْخُيُولُ الْجَمَاهِرَ ^(٩)

١٥٤

(١) الصماء : الشديدة . والصرد : البرد والبارد . قال رؤبة :

• بمطر ليس يثلج صرد •

(٢) الجربان : جيب القميص ، كما سبق في ص ١١٣ . واللينة : رقعة تعمل موضع جيب

القميص .

(٣) كذا ورد ضبطه في هـ ، وضبط في ل يفتح القاف وسكون الدال .

(٤) الشحاجي : نسبة إلى بني شحاج ، وهم بطنان في الأزدي ، كما في القاموس .

(٥) هذه الجملة من ل فقط .

(٦) ترجم في (٢ : ٢٩٥) .

(٧) ديوان الخطيب ٤٢ . وقد سبق البيت في (١ : ٣١٥) .

(٨) هو صفوان الأنصاري . انظر القصيدة في (١ : ٢٥ - ٢٦) . وقد سبقت الأبيات في

(١ : ٣٧١) .

(٩) الكوم : جمع كوماء ، وهي الناقة العالية السنام . والجماهر : جمع جمهرة ، وهي المجتمع

الكثير . وفي (١ : ٣٧١) : ذات سورة •

١٥

٢٠

٢٥

يُؤْمِنُونَ مُلْكَ الشَّامِ حَتَّى تَمَكَّنُوا ملوكاً بأرض الشام فوق المناير
يُصِيبُونَ فَصْلَ الْقَوْلِ فِي كُلِّ خُطْبَةٍ إذا وصلوا أيمانهم بالمخاصر

وقال الكميّ بن زيد :

وَنُزُورَ مَسْلَمَةَ الْمَهْدِ مَذْبَحَ الْمُؤَيَّدَةِ السَّوَاثِرِ ^(١)

بِالْمُذْهَبَاتِ الْمُعْجِبَا بِمَفْحِمٍ مِّنَّا وَشَاعِرِ
أَهْلَ التَّجَاوُبِ فِي الْحَا فَلِ الْمَقَاوِلِ بِالْمَخَاصِرِ

وأيضاً إنّ حَمَلَ العصا والمخصرة دليلٌ على التأهُّب للخطبة ، والتهيؤ للإطناب والإطالة ، وذلك شيءٌ خاصٌّ في خطباء العرب ، ومقصودٌ عليهم ، ومنسوبٌ إليهم . حتى إنّهم ليذهبون في حوائجهم والمخاصر بأيديهم ، إلغاً لها ، وتوقعاً لبعض ما يوجب حملها ، والإشارة بها .

١٠

وعلى ذلك المعنى أشار النّساء بالمآلى ^(٢) وهُنَّ قِيَامٌ فِي الْمَنَاحَاتِ ، وعلى ذلك المثاليّ ضرّين الصّدور بالتعال .

وإنما يكون العجزُ والدّلة في دخول الحَلَل والنقص على الجوارح ، وأما الزيادة فيها فالصوابُ فيه . وهل ذلك إلّا كتعظيم كور العمامة ^(٣) ، واتّخاذ القضاة القلانسَ العظامَ في حَمَارَةِ الْقَيْظِ ^(٤) ، واتّخاذ الخلفاء العمائم على القلانس ، فإن كانت القلانسُ مكشوفةً زادوا في طولها وجِلْدَ رُعُوسِهَا ، حتى تكونَ فوقَ قلانس جميع الأئمة .

١٥

(١) سبق إنشاد الأبيات في (١ : ٣٧١) .

(٢) المآلى : جمع مثلاة ، وهى خرقة تمسكها المرأة عند النوح .

(٣) كور العمامة ، بفتح الكاف : كل دارة من داراتها .

(٤) حمارة القيظ ، بتخفيف الميم وتشديد الراء : شدته .

وكذلك القناع ، لأنه أهيب . وعلى ذلك المعنى كان يتقنع العباس بن محمد ^(١) وعبدُ الملك بن صالح ^(٢) ، والعباس بن موسى ^(٣) وأشباههم . وسليمان ابن أبي جعفر ^(٤) ، وعيسى بن جعفر ^(٥) ، وإسحاق بن عيسى ^(٦) ، ومحمد بن ١٥٥ سليمان ^(٧) ، ثم الفضل بن الربيع ، والسندی بن شاهك وأشباههما من الموالي . لأن ذلك أهيب في الصدور ، وأجل في العيون .

والمقنع ^(٨) أروغ من الحاسر ، لأنه إذا لم يفارقة الحجاب وإن كان ظاهراً في الطرق ^(٩) كان أشبه بمباينة العوام وسياسة الرعية .

وطرح القناع مُلابسةً وابتذالاً ، وموانسةً ومقاربة . والدليل على صواب هذا العمل من بنى هاشم ، ومن صنائعهم ورجال دعوتهم ، وأنهم قد علموا حاجة الناس إلى أن يهابوهم ، وأن ذلك هو صلاح شأنهم - أن رسول الله ﷺ كان أكثر الناس قناعاً . ١٠

(١) هو العباس بن محمد بن عبد الله بن عباس ، وهو أخو أبي العباس السفاح . ولّى الجزيرة لأبي جعفر ثم للرشد ، وكان الرشيد يحله إجلالاً عظيماً . وكان على الهمة ، قال رجل له : إني أتيتك في حاجة صغيرة . قال : فاطلب لها رجلاً صغيراً . توفي سنة ١٨٦ . المعارف ١٦٤ وتاريخ بغداد ٦٥٨٠ . وفيه يقول القائل : ١٥

لو قيل للعباس يا ابن محمد قل : لا وأنت مخلد ، ما قالها

(٢) ترجم في (١ : ٣٣٤) .

(٣) هو العباس بن موسى الهادي ، ذكره الطبري في أولاد موسى الهادي (١٠ : ٣٨) .

(٤) هو سليمان بن أبي جعفر المنصور ، ذكره الطبري في أولاد المنصور (٩ : ٣١٨) . وأمه

فاطمة بنت محمد ، من ولد طلحة بن عبد الله . ٢٠

(٥) هو عيسى بن جعفر بن أبي جعفر المنصور ، ولّى البصرة وكورها وفارس والأهواز والجماعة

والسند . ومات بدير بين بغداد وحلوان سنة ١٨١ . المعارف ١٦٣ - ١٦٤ وتاريخ بغداد ٥٨٤٦ . وقد ورد

الاسم محرفاً في الأخير ؛ إذ ليس لأبي جعفر ولد يدعى « عيسى » بل ولد عيسى هو جعفر بن أبي جعفر .

(٦) يبدو أنه ولد عيسى بن جعفر . انظر الحيوان (٣ : ٣١ / ٤ : ٤٢٣) .

(٧) ترجم في (١ : ٢٩٥) .

(٨) ل : « والمقنع » .

(٩) ل : « في الطريق » . ٢٥

والدليل على أن ذلك قد كان شائعاً في الأسلاف المتبوعين ، أننا نجد رؤساء جميع أهل الملل ، وأرباب التحل ، على ذلك . ولذلك اتَّخذوا في الحروب الرايات والأعلام ، وإنما ذلك كله يَحرق سُود وحُمر وصُفر ويبيض . وجعلوا اللواء علامةً للعقد^(١) والعلم في الحرب مرجعاً لصاحب الجولة . وقد علموا أنها وإن كانت خرقاً على عصي أن ذلك أهيب في القلوب وأهول في الصدور ، وأعظم في

العيون . ولذلك أجمعت الأمم رجالها ونسائها على إطالة الشعور ؛ لأنَّ ذا الجمّة أضخم هامةً وأطول قامةً ، وأنَّ الكاسي أفخم من العاري . ولولا أن خلق الرأس طاعةً وعبادةً ، وتواضعً وخضوعاً ، وكذلك السعي ورمي الجمار ، كما فعلوا ذلك .

وفي الحديث أنه لا يفتح عمورية^(٢) إلا رجال ثيابهم ثياب الرهبان ، وشعورهم شعور النساء .

١٠ وكل ما زادوه في الأبدان ، ووصلوه بالجوارح ، فهو زيادة في تعظيم تلك الأبدان .

والعصى والخاصر مع الذي عددناه ، ومع ذلك الذي ذكرناه وتريد ذكره^(٣) من خصال منافعها ، كله باب واحد .

والمعنى قد يوقع بالقضيب على أوزان الأغاني ، والمتكلم قد يشير برأسه ويده على أقسام كلامه وتقطيعه . ففرّقوا ضروب الحركات على ضروب الألفاظ

١٥ وضروب المعاني . ولو قبضت يده ومنع حركة رأسه ، لذهب ثلثا كلامه .

وقال عبد الملك بن مروان : لو ألقيت الخيزرانة من يدي لذهب شطر

كلامي .

(١) لعله يعني عقد العدد . انظر ماضى في (١ : ٧٦) .

(٢) عمورية من بلاد الروم ، فتحها المعتصم سنة ٢٢٣ .

(٣) ما عدل ، هـ : « ونريد ذكره » .

وأراد معاويةً سبحانه واثيل على الكلام ، وكان قد اقتضبه اقتضاباً ^(١) فلم ينطق حتى أتوه بمخصرة ، فرطلها بيده ^(٢) فلم تعجبه حتى أتوه بمخصرة ^(٣) من بيته .

والمثل المضروب بعصا الأعرج ، يقولون : « أقرب من عصا الأعرج »
 ويضربون المثل بعصا التهدي . قال علقمة بن عبدة في صفة فرس أنثى :
 سَلَاةٌ كَعَصَا التَّهْدِيِّ غُلَّ لها مَنْظَّمٌ مِنْ نَوَى قُرَّانٍ مَعْجُومٍ ^(٤)
 ويضربون المثل برُميح أبي سعد . وكان أبو سعيدٍ أعرج ، وقد في وفد عاد ^(٥) . قال ذو الإصبع العدواني :
 إِنْ تَكُنْ شَيْكَتِي رُمِيحَ أَبِي سَعْدٍ يَدٌ فَقَدْ أَحْمَلُ السَّلَاحَ مَعَا ^(٦)

١٠ (١) اقتضب الكلام : ارتجله وتكلم به من غير تهية .

(٢) رطل الشيء : رازه ووزنه ليعلم كم وزنه .

(٣) ما عدل ، هـ : « بمخصرته » .

(٤) البيت في ديوانه ١٣١ والحيوان (٢ : ٢٣٦) والمفضليات (٢ : ٢٠٤) واللسان (سلا ، غلل ، فيا ، قرر ، عجم) . السلاة : شوكة النخل ، شبه فرسه بها لإرهاق صدرها وتما عجزها .
 ١٥ التهدي ، أراد شيخاً من نهد قد كبر وطال عمره واملاست عصاه . غل : أدخل . أراد أدخل لها في باطن الحافر في موضع النسور . وشبه النسور بنوى قران لأنها صلاب . أو عني أنه أدخل جوفها نوى من نوى نخيل قران حتى اشتد لحمها . وقران : قرية بالجمامة . معجوم : معضوض ملوك لم يطبخ فيلين . ورواية « منظم » واردة في اللسان (غلل) . وفي الديوان والمفضليات : « ذو فيفة » .

(٥) كان القحط قد توالى ثلاث سنين على عاد ، وكان القوم إذا جهدهم القحط فزعوا إلى البيت الحرام يستسقون الغيث ؛ فخرجت عاد إلى البيت يستسقون ، فاخترأوا سبعين رجلاً على رأسهم أربعة منهم ، وهم : قبل بن عتر ، ولقمان بن عاد صاحب النسور ، وأبو سعد مرثد بن سعد وهو خيرهم وأعظمهم إيماناً ، وجلهمة بن الخيرى . وقال جلهمة في أبي سعد :

أبا سعد كأنك من قبيل سوى عاد وأملك من ثمود

انظر أخبار عبيد بن شربة ٣٢٧ - ٣٣٤ .

(٦) البيت من قصيدة في المفضليات (١ : ١٥١ - ١٥٣) . وقيل أبو سعد هو لقمان الحكيم ،
 ٢٥ كبر حتى مشى على عصا . وقيل لقيم بن لقمان . وقيل أبو سعد كنية الكبر . شرح المفضليات واللسان (ربح) .

وقال عباس بن مرداس :

جَزَى اللهُ خَيْراً خَيْرَنَا لصديقه وزوده زَاداً كزادِ أُمِّي سعدِ
وزوده صِدْقاً وِيراً ونائلاً وما كان في تلك الوفاة من حمِدِ
وقال الآخر :

قَابَ بِجَدْوَى زَامِلٍ وَابْنِ زَامِلٍ عَدُوُّكَ ، أَوْ جَثْوَى كَلِيبِ بْنِ وَائِلٍ ٥
ويقولون : « لو كان في العصا سَيْر » . ويقولون : « ما هو إِلَّا ابْنَةُ عَصَا ،
وعُقْدَةُ رِشَاءٍ ^(١) » . ويقولون : أخرج عودَه كعصا البَقَار ^(٢) ، وأخرج أيضاً
عُودَه كعصا الحَادِي .

وكان أبو العتاهية أهدى إلى أمير المؤمنين المأمون عصا تُبْع ، وعصا
شِيرِيان ، وعصا آبنوس ^(٣) ، وعصاً أخرى كريمة العيدان ، شريفة الأغصان ،
وأردية قَطْرِيَّة ^(٤) ، وركاء يمانِيَّة ^(٥) ، ونعلاً سَيْبِيَّة ^(٦) ، فقبل من ذلك عصاً
واحدة وردَّ الباقي .

وبعث إليه مرّةً أخرى بنعل وكتب إليه في ذلك :

نَعْلٌ بَعِثْتُ بِهَا لِتَلْبَسَهَا تَسْعَى بِهَا قَدَمٌ إِلَى الْمَجْدِ ^(٧)

١٥٧

(١) انظر ما سبق في ٥١ - ٥٢ .

(٢) انظر ما سبق في ١٢ س ٥ و ٥١ س ١٤ .

(٣) انظر ما سبق في حواشي ص ٩٢ .

(٤) الثياب القطرية حمراء لها أعلام فيها بعض الخشونة . وفي معجم البلدان : « قال أبو منصور : في
أعراض البحرين على سيف الخط بين عمان والعقير قرية يقال لها قطر ، وأحسب الثياب القطرية تنسب
إليها » .

(٥) الركاء : جمع ركوة ، وهو بثليث الرء : زق صغير . ويقال يمان ويمانى بتشديد الياء .

(٦) السبت ، بالكسر : الجلد المدبوغ بالقرظ .

(٧) الشعر والشعراء ٧٦٧ - ٨٦٨ .

لو كنتُ أقدرُ أنْ أشركها خذى جعلتُ شراكها خذى^(١)
فقبلها^(٢) .

الكلبي عن أبي صالح^(٣) ، عن ابن عباس ، أن الشجرة التي نُودِيَ منها
موسى عليه السلام عوسج ، وأنه نُودِيَ من جوف العوسج ، وأن عصاه كانت
من آسِ الجنة ، وأنها كانت من العود الذي في وسط الورقة ، وكان طولها طول
موسى عليه السلام . وقالوا : من العليق .

وقال الآخر :

صفراء من بُعِ كلون الورس أبدوها بالذهن قبل نفسى

وأنشد الأصمعي عن بعض الأعراب :

ألا قالت الخنساء يوم لقيتها : كبرت ولم تجزع من الشيب مجزعا
رأت ذا عصاً يمشى عليها وشيبة تقنع منها رأسه ما تقنعا
فقلت لها : لا تهزئي بي فقلما يسود الفتى حتى يشيب ويصلعا
وللقارحُ اليعسوبُ خيرٌ علالة من الجدع المجرى وأبعد منزعا^(٤)

وقال إسحاق بن سويد^(٥) :

(١) شرك النمل : جعل لها شراكا ، وهو أحد سيور النمل التي تكون على وجهها . وتعدية هذا
الفعل إلى اثنين ليست مروية . على أن رواية الأغاني لا شوب فيها ، وهى : « لو كان يصلح أن أشركها
خدى » ، أى لو كان يصلح خدى لتشريكها .

(٢) الخبر برواية أخرى في الأغاني (٣ : ١٦٠) حيث ذكر أن هدية النمل كانت إلى الفضل بن

الربيع .

(٣) أبو صالح ذكوان السمان ، سبقت ترجمته في (١ : ٤٠٣) .

(٤) القارح : الفرس في سنته الخامسة . واليعسوب : الطويل السريع . والعلالة بالضم : الجرى

الثاني ، ويقال للجرى الأول بداهة . والجدع من الخيل : ما استم سنتين ودخل في الثالثة .

(٥) هو إسحاق بن سويد بن هيرة العلوى التميمي البصرى . كان ثقة فاضلا يقول الشعر .

توفى في الطاعون في أول خلافة أئى العباس سنة ١٣١ . تهذيب التهذيب .

في رداء النبي أقوى دليل ثم في القعب والعصا والقضيبي^(١)
وقال أبو الشيص الأعمى^(٢) في هارون الرشيد :

يا بني هاشم أفيقوا فإن الـ حُلك منكم حيث العصا والرداء
ما لهارون في قريش كفي وقريش ليست لهم أكفاء
وقال آخر^(٣) :

١٥٨

على خشبات الملك منه مهابة وفي الحرب عبّل الساعدين قروغ
يشقّ الوغى عن رأسه فضّل نجدة وأبيض من ماء الحديد وقيع^(٤)
وبما يجوز في العصا قول أبي الشيص :

أنعى فتى الجود إلى الجود ما مثل من أنعى بوجود
أنعى فتى مصّ الثرى بعده بقيّة الماء من العود^(٥)
ومن هذا الباب قول عبد الله بن جُدعان :

- (١) ما عدل ، هـ : « في القعب » تحريف . والقعب : قدح إلى الصغر يروى الرجل .
(٢) هو محمد بن رزين . وفي نكت الحميان وتاريخ بغداد : محمد بن عبد الله بن رزين . وأبو
الشيص لقب غلب عليه ، والشيص : ردء البحر . وهو عم دعلج بن علي بن رزين الخزاعي ، أو ابن
١٥ عمه ، على الخلاف السابق . وقد صحح الخطيب أنه ابن عمه . وعمّي أبو الشيص في آخر عمره ، وله
مراث في عينيه قبل ذهابهما وبعده . وكان أحد شعراء الرشيد ، معاصراً لأبي نواس ومسلم بن الوليد ،
فأخلاً ذكره . الأغاني (١٥ : ١٠٤ - ١٠٨) والشعر والشعراء ، ونكت الحميان ٢٥٧ ومعاهد
التنصيص (٢ : ١٤٢) وتاريخ بغداد ٢٩١٨ . والبيتان التاليان في الشعر والشعراء .
(٣) هو بشار بن برد . المختار من شعر بشار ٢٧ .
(٤) أي إن سيفه في الحرب يكشف عن نجده . الأبيض : السيف . من ماء الحديد ، وصف
٢٠ الأبيض ، كما في الخزانة (٣ : ٤٨٥) وأمالى المرتضى (١ : ٦٤) والإنصاف ٩٨ . ومثله قول الآخر :
وأبيض من ماء الحديد كأنه شهابٌ بدا والليل داج عساكره
الخزانة (٣ : ٤٨٥) . وقول زيد الخيل :
ولما دعاني الخيري أجيت به بأبيض من ماء الحديد صقيل
حماسة البحرى ٥٨ . وقول أبي الأبيض العبسي :
٢٥ . ومالي مال غير درع ومغفر .
بلوغ الأرب (١ : ١١٣) . والوقيع : المشحوذ المحدد .
(٥) في الشعر والشعراء ٥٦٣ - ٥٦٤ أن الشعر لأشجع السلمى في رثاء محمد بن زياد . وقد
روى منه سبعة أبيات .

فلم أرَ مثلهم حَيِّنَ أبقي على الحَدَثَانِ إن طرقت طُرُوقاً^(١)
وأضربَ عند ضنكِ الأمرِ منهم وأسلكُهم لأخزَنه طريقاً^(٢)
شريتُ صلاحَهم بِتِلَادِ مالى فعاد الغصنُ مُعْتَدِلاً وريقاً^(٣)

ويقولون للرجُل إذا أثرى وأفادَ وكثرت نعمته : « ضَعُ عصاك » ، و « قد وضع عصاه » .

وقال أبو الأعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل^(٤) :
وَنَجُرُّ الأذيَالِ فى نِعمَةٍ رَزُو لِ تقولان ضَعُ عصاك لَدَهْرٍ^(٥)
ويقولون للمستوطن فى البلد والمستطيب للمكان : « قد ألقى عصاه » .
وقال زهير بن أبى سُلَمى :
فلَمَّا ورَدَنَ المَاءَ زُرْقاً جِمَامُهُ وضَعَنَ عَصَى الحَاضِرِ المَتَخِيْمِ^(٦)

انقضى الكلام فى العصا^(٧)

★ ★ ★

(١) الحدَثَانِ ، بالتحريك : نوب الدهر وحوادثه ، ولفظه مذكر . قال الأزهري : وربما أنثت العرب الحدَثَانِ ، يذهبون به إلى الحوادث . وقال الفراء : تقول العرب : أهلكتنا الحدَثَانِ . وأخطأ صاحب القاموس فى ضبطه بالكسر . طرُوقاً ، أى بليل ؛ يقول أتاناً فلان طرُوقاً ، إذا جاء بليل .

(٢) أحزَنهُ ، أى أشده حزونة وخشونة .

(٣) التِلَادِ والتَلِيدِ : القديم الذى ولد عندك .

(٤) سبقت ترجمته فى (١ : ٢٣٥) .

(٥) الزول : العجب . وقد سبق البيت فى (١ : ٢٣٥) مع تخریج مقطوعته .

(٦) البيت من معلقته المشهورة . والجمام : جمع جم ، وهو معظم الماء . والحاضر : المقيم على

الماء .

(٧) هذه العبارة فى ل فقط .

بسم الله الرحمن الرحيم

نبدأ على اسم الله وعونه ^(١) بشيء من كلام التَّسَاك في الزَّهْد ، وبشيء من ذِكر أخلاقهم ومواعظهم .

- عوف ^(٢) ، عن الحسن قال : « لا تزول قدما ابن آدم حتى يُسأل عن ثلاث :
- شبابه فيما ^(٣) أبلاه ، وعمره فيما أفناه ، وماله من أين كسبه ، وفيما أنفقه » .
- قالوا : وقال يونس بن عبيد ^(٤) : سمعت ثلاث كلمات لم أسمع بأعجب منهن . قول حسان بن أبي سنان ^(٥) : ما شيء أهون من ورع ، إذا رابك شيء فدعه . وقول ابن سيرين : ما حسدت أحداً على شيء قط . وقول مُورِّق العجلاني ^(٦) : لقد سألت الله حاجة منذ أربعين سنة ، ما قضاها ولا يثبث منها .
- فقل لمُورِّق : ما هي ؟ قال : ترك ما لا يعنيني ^(٧) .

(١) ما عدل : « نبدأ باسم الله وعونه » .

(٢) هو عوف بن أبي جميلة البصري المترجم في (٢ : ٣٧) .

(٣) ما عدل : « فم » في المواضع الثلاثة . وهي اللغة الغالبة . وبغيرها قرأ عكرمة وعيسى : (عما يتساءلون) . وقال حسان :

على ما قام يشتمني لئيم كخنزير تمرغ في رماد

المغنى والخزانة (٢ : ٥٣٧) .

(٤) سبقت ترجمته في (٢ : ٢٢٠) .

(٥) هو حسان بن أبي سنان البصري ، كان صدوقاً عابداً ، ترجم له في تهذيب التهذيب . وانظر

صفة الصفوة (٣ : ٢٥٤ - ٢٥٧) . والخير في تهذيب التهذيب ومجالس ثعلب ٣١٢ ، ٤٧٨ وصفة الصفوة (٣ : ١٧٤) . على أن هذا القول روى في عيون الأخبار (٢ : ٣٧٤) منسوباً إلى ابن سيرين .

(٦) ترجم في (١ : ٣٥٣) .

(٧) في صفة الصفوة : « أمر أنا في طلبه منذ عشرين سنة لم أقدر عليه ، ولست بتارك طلبه أبداً .

قالوا : وما هو يا أبا المعتمر ؟ قال : الصمت عما لا يعنيني » .

وقال أبو حازم الأعرج ^(١) : إن عوفينا من شر ما أُعطينا لم يضرنا ما رُويَ عنا ^(٢) .

وقال أبو عبد الحميد ^(٣) : لم أسمع أعجب من قول عمر : « لو أن الصبر والشكر بغيران ما باليتُ أيهما أركب ^(٤) » .

وقال ابن ضُبارة : إنا نظرنا فوجدنا الصبر على طاعة الله أهون من الصبر على عذاب الله .

وقال زياد ^(٥) عبد [عبد الله بن ^(٦)] عيَّاش بن أبي ربيعة : أنا من أمتع الدُّعاء أخوف من أن أُمْنَع الإجابة ^(٧) .

وقال له عمر بن عبد العزيز : يا زياد ، إنني أخاف الله مما دخلتُ فيه . قال : لستُ أخاف عليك أن تخاف ، وإنما أخاف عليك ألا تخاف .

وقال بعض النساك : كفى موعظةً أنك لا تموت إلا بحياة ، ولا تحيا إلا بموت .

وهو الذي قال : اصحب مَنْ ينسى معروفه عندك .

(١) ترجم في (١ : ٣٦٤) .

(٢) صفة الصفوة (٢ : ٨٩) . « إن وقينا شر ما أُعطينا لم نبال ما فاتنا » .

(٣) يبدو أنه أحد القصاص الزهاد . وقد أورد له في الحيوان (٦ : ٥٠٨) خبراً في أثناء أخبار بعض الزهاد . قال : « وكان أبو عبد الحميد المكفوف يتمثل في قصصه بقوله :

يا راقداً الليل مسروراً بأوله
إن الحوادث قد يطرقن أسحارا »

(٤) ما عدل : « أيهما ركبت » .

(٥) هو زياد بن أبي زياد ميسرة المخزومي المدني ، مولى عبد الله بن عيَّاش بن أبي ربيعة . كان من العباد الزهاد ، ويقال إنه كان من الأبدال - والأبدال فيما يزعمون : سبعون رجلاً ، أربعون بالشام ، وثلاثون بغيرها ، لا يموت أحدهم إلا قام مكانه آخر من سائر الناس ، كما في القاموس (بدل) - وكان عمر بن عبد العزيز يحبه ويكرمه . وبعث إلى مولاه ليبيعه إياه ، فأبى وأعتقه . توفي سنة ١٣٥ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٢ : ٥٩) .

(٦) التكملة من المرجعين السابقين .

(٧) روى هذا القول في عيون الأخبار (٢ : ٢٨٦) منسوباً إلى أبي حازم .

وهو الذى قال : « لا تجعل بينك وبين الله مُنعماً ، وعُدَّ النِّعمَ منه عليك مَغْرماً » .

ودخل سالم بن عبد الله ^(١) ، مع هشام بن عبد الملك البيت ، فقال له هشام : سلنى حاجتك . فقال : أكره أن أسأل فى بيتِ الله غيرَ الله .

- وقيل لرابعة القيسية ^(٢) : لو كلمت ^(٣) رجالَ عشيرتك فاشترؤا لك خادماً تكفيك مهنةَ بيتك ^(٤) ؟ قالت : « والله إني لأستحي أن أسأل الدنيا من يملك الدنيا فكيف أسألهما من لا يملكها ؟ » . ١٦٠

وقال بعضُ التَّسَّاك : ديارُكم أمامكم ، وحيائُكم بعد موتكم .

وقال السَّمَوَال بن عادي اليهودي :

- مِيتاً خُلِقْتُ ولم أكن من قبلها شيئاً يموت فمِتُ حينَ حَيِّتُ ١٠

وقال أبو الدرداء : « كان الناس ورَقاً لا شوك فيه ، وهم اليوم شوك لا ورقَ فيه ^(٥) » .

الحسن بن دينار قال : رأى الحسنُ رجلاً يَكِيدُ بنفسه ^(٦) ، فقال : « إنَّ امرأَ هذا آخرُهُ لجدير أن يُزهد في أوْلِهِ ، وأنَّ امرأَ هذا أوْلُهُ لجدير أن يُخاف آخرُهُ » .

- قال أبو حازم ^(٧) : الدنيا غرَّتْ أقواماً فَعَمِلُوا فيها بغير الحقِّ ، فلَمَّا جاءَهم الموتُ خَلَفُوا ما لهم ^(٨) لمن لا يحمدُهم ، وصاروا إلى من لا يعذرهم . وقد خَلَفْنَا ١٥

(١) سالم بن عبد الله بن عمر ، ترجم في (٢ : ٢٩١) .

(٢) رابعة القيسية العدوية ، ترجمت في (١ : ٣٦٤) .

(٣) ما عدل : « لو كلمنا » .

(٤) المهنة ، بالفتح والكسر والتحريك وككلمة : العمل والحذق به . ٢٠

(٥) نسب في (٢ : ١٩٧) إلى أنى ذر الغفارى . ومثله ما روى عنه في عيون الأخبار (٢ :

١) : « وجدت الناس اخبر ثقله » .

(٦) يكيد بنفسه . يجود بها عند الاحتضار .

(٧) أبو حازم الأعرج ، سبقت ترجمته في (١ : ٣٦٤) .

(٨) ما عدل : « ففاجأهم الموت فخلفوا ما لهم » . ٢٥

بَعْدَهُمْ ، فَيَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَنْظُرَ إِلَى الَّذِي كَرِهْنَاهُ مِنْهُمْ فَتَجْتَنِبَهُ ^(١) ، وَإِلَى الَّذِي غَبَطْنَاهُمْ بِهِ فَتُسْتَعْمَلَهُ ^(٢) .

مُوسَى بْنُ دَاوُدَ ^(٣) ، رَفَعَ الْحَدِيثَ قَالَ : « النَّظَرُ إِلَى خَمْسَةِ عِبَادَةٍ : النَّظَرُ إِلَى الْوَالِدَيْنِ ، وَالنَّظَرُ إِلَى الْبَحْرِ ، وَالنَّظَرُ إِلَى الْمَصْحَفِ ، وَالنَّظَرُ إِلَى الصَّخْرَةِ ^(٤) ، وَالنَّظَرُ إِلَى الْبَيْتِ » . ٥

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَدَّادٍ ^(٥) ، قَالَ : « أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَقَدْ بَرِيَءٌ مِنَ الْكِبَرِ : مَنْ اعْتَقَلَ الْبَعِيرَ ^(٦) ، وَرَكَبَ الْحِمَارَ ، وَلَبَسَ الصُّوفَ ، وَأَجَابَ دَعْوَةَ الرَّجُلِ الدُّنُونِ » .

وَذَكَرَ عِنْدَ أَتْسِي الصُّومُ فَقَالَ : « ثَلَاثٌ مِنْ أَطَاقِهِنَّ فَقَدْ ضَبَطَ أَمْرَهُ : مَنْ تَسَحَّرَ ، وَمَنْ قَالَ ^(٧) ، وَمَنْ أَكَلَ قَبْلَ أَنْ يَشْرَبَ » . ١٠

(١) ل : « أَنْ تَجْتَنِبَهُ » .

(٢) ل : « أَنْ نُسْتَعْمَلَهُ » .

(٣) هُوَ مُوسَى بْنُ دَاوُدَ الضُّبِّيُّ ، كَانَ ثِقَةً صَاحِبَ حَدِيثٍ ، وَلِيَ قِضَاءَ الْمَصْبِصَةِ ثُمَّ طَرَسُوسَ ، وَمَاتَ بِهَا سَنَةَ ٢١٧ . ذَكَرَ الْجَاحِظُ أَنَّهُ كَانَ فَصِيحاً خَطِيباً فَاضِلاً . تَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ وَتَارِيخُ بَغْدَادَ . ٦٩٩٠ ١٥

(٤) هِيَ صَخْرَةُ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ ، بِهَا أَثَرُ قَدَمِ النَّبِيِّ ﷺ . مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ (الْمُقَدَّسِ) .

(٥) تَرْجَمَ فِي (٢ : ١١٣) .

(٦) الْبَعِيرُ : الْجَمَلُ الْبَازِلُ ، وَهُوَ الَّذِي اسْتَكْمَلَ الثَّامِنَةَ وَطَعَنَ فِي التَّاسِعَةِ ، وَقَبْلَ هُوَ الْجَذَعُ ، وَهُوَ الَّذِي اسْتَكْمَلَ الرَّابِعَةَ وَدَخَلَ فِي الْخَامِسَةِ . قَالَ الْجَوْهَرِيُّ : « يُقَالُ لِلْجَمَلِ بَعِيرٌ وَلِلنَّاقَةِ بَعِيرٌ » ، وَالْمُرَادُ هُنَا النَّاقَةُ . وَفِي حَدِيثِ عُمَرَ : « مَنْ اعْتَقَلَ الشَّاةَ وَحَلَبَهَا وَأَكَلَ مَعَ أَهْلِهِ فَقَدْ بَرِيَءٌ مِنَ الْكِبَرِ » . اعْتَقَلَ شَاتَهُ : وَضَعَ رِجْلَهَا بَيْنَ سَاقَيْهِ وَخَذَهُ فَحَلَبَهَا . وَهَذَا غَيْرُ مُتَّصِرٍ فِي النَّاقَةِ . فَالْمُرَادُ بِالْإِعْتِقَالِ هُنَا إِعْتِقَالَ الرَّجُلِ ، وَهُوَ أَنْ يُثْنِيَ الرَّائِبَ رِجْلَهُ فَيُضَعُّهَا عَلَى الْمَوْرِكِ . وَفِي هَامِشِ التَّيْمُورِيَةِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهَا فِي نَسَخَةٍ : « اكْتَفَلَ » . اكْتَفَلَ الْبَعِيرَ ، إِذَا أَدَارَ عَلَى سَنَامِهِ ، أَوْ عَلَى مَوْضِعٍ مِنْ ظَهْرِهِ ، كَسَاءٍ وَرَكَبَ عَلَيْهِ . ٢٠

(٧) قَالَ مِنَ الْقِيُولَةِ ، وَهِيَ النَّوْمُ فِي الْقَائِلَةِ ، أَيْ الظُّهْرَةِ . وَالْمُرَادُ إِطَاقَةُ هَذِهِ الْأُمُورِ مَعَ حَالِ الصُّومِ . ٢٥

وقال أبو سعيد ، عبد الكريم العُقَابِيُّ (١) : من أَّخِرَ السُّحُورِ وَقَدَّمَ
الْفَطُورَ ، وَأَكَلَ قَبْلَ أَنْ يَشْرَبَ ، وَشَرَبَ ثُمَّ لَمْ يَأْكُلْ ، فَقَدْ ضَبَطَ أَمْرَهُ (٢) .
وقال الجَمَّاز (٣) : لَيْسَ يَقْوَى عَلَى الصَّوْمِ إِلَّا مَنْ كَبَّرَ لَقْمَهُ ، وَأَطَابَ
أُذْمَهُ (٤) .

مجالد بن سعيد (٥) ، عن الشعبي ، قال : حَدَّثَنِي مُرَّةُ الْهَمْدَانِي (٦) -
قال مجالد : وَقَدْ رَأَيْتُهُ - وَحَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ (٧) أَنَّهُ لَمْ يَرِ مِثْلَ مُرَّةٍ قَطَّ :
كَانَ يَصِلِي فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ خَمْسَمِائَةِ رَكْعَةٍ .

وكان مُرَّةٌ يَقُولُ : لَمَّا قُتِلَ عَثْمَانُ رَحِمَهُ اللَّهُ : حَمِدْتُ اللَّهَ أَلَّا أَكُونَ دَخَلْتُ
فِي شَيْءٍ مِنْ قَتْلِهِ ، فَصَلَّيْتُ مِائَةَ رَكْعَةٍ . فَلَمَّا وَقَعَ الْجَمَلُ وَصِفِّينَ حَمِدْتُ اللَّهَ أَلَّا أَكُونَ
دَخَلْتُ فِي شَيْءٍ مِنْ تِلْكَ الْحُرُوبِ ، وَزِدْتُ مِائَةَ رَكْعَةٍ . فَلَمَّا كَانَتْ وَقَعَةُ الشَّهْرَوَانِ (٨)

(١) العقابي : نسبة إلى عقابة ، بالضم ، وهم بطن من حضرموت . السمعاني ٣٩٤ . وفي هـ ،
والتيمورية : « الفغاري » . وهذا الإسناد وما بعده من الكلام إلى « يشرب » ساقط من ب ، ح .
(٢) في التيمورية : « ضبط أمره نفسه » بدون حرف نسق .

(٣) الجماز ، لقب له ، ومعناه الوثاب . واسمه محمد بن عمرو بن عطاء بن ريسان . شاعر أديب
بصري ، وكان ماجناً خبيث اللسان ذا نادرة ، وكان أكبر سنّاً من أبي نواس . دخل بغداد في أيام الرشيد
والتوكل ، وقد أعجب به المتوكل يوماً فأمر له بعشرة آلاف درهم ، فأخذها وانحدر فمات فرحاً بها . تاريخ
بغداد ١١٤٣ .

(٤) ما عدل : « كثر لقمه » . واللقم ، بالفتح : سرعة الأكل ، وبضم ففتح : جمع لقمة .
والأدم ، بالضم : الإدام ، وهو ما يؤكل بالخيز .

(٥) ترجم في (١ : ٢٤٢) .

(٦) هو مرة بن شراحيل الهمداني الشكسكي ، المعروف بمرة الخير ، ومرة الطيب ، لقب بذلك
لعبادته . روى عن أبي بكر وعمر وعلي ، وتوفي سنة ٧٦ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ١٧) .
(٧) هو إسماعيل بن أبي خالد البجلي الأحمسي ، كوفي عابد ثقة . وكان يسمى « الميزان » ، وكان
طحاناً . توفي سنة ١٤٦ . تهذيب التهذيب والخلاصة ٢٨ .

(٨) النهروان ، بفتح النون . قال ياقوت : وأكثر مايجرى على الألسنة بكسر النون .

حَمِدْتُ اللَّهَ إِذْ لَمْ أَشْهَدْهَا ، وَزِدْتُ مِائَةَ رَكْعَةٍ . فَلَمَّا كَانَتْ فِتْنَةُ ابْنِ الزَّيْرِ حَمِدْتُ اللَّهَ إِذْ لَمْ أَشْهَدْهَا ، وَزِدْتُ مِائَةَ رَكْعَةٍ .

وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَغْفِرَ لِمُرَّةٍ . عَلَى أَنَا لَا نَعْرِفُ لِبَعْضٍ مَا قَالَ وَجْهًا ؛ لِأَنَّكَ لَا تَعْرِفُ فَقِيهًا مِنْ أَهْلِ الْجَمَاعَةِ لَا يَسْتَحِلُّ قِتَالَ الْخَوَارِجِ ، كَمَا أَنَا لَا نَعْرِفُ أَحَدًا مِنْهُمْ لَا يَسْتَحِلُّ قِتَالَ اللَّصُوصِ . وَهَذَا ابْنُ عُمَرَ ^(١) ، وَهُوَ رَئِيسُ الْجُلُوسِيَّةِ ^(٢) بِزَعْمِهِمْ ، قَدْ لَبِسَ السِّلَاحَ لِقِتَالِ نَجْدَةٍ ^(٣) .

وَقِيلَ لِشَرِيحٍ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَلَّمَكَ مِنَ الْقِتَالِ فِي شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْفِتَنِ . قَالَ : فَكَيْفَ أَصْنَعُ بِقَلْبِي وَهَوَايَ .

وَقَالَ الْحَسَنُ : قَتَلَ النَّاقَةَ رَجُلٌ وَاحِدٌ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ عَمَّ الْقَوْمَ بِالْعَذَابِ ، لِأَنَّهُمْ عَمُّوه بِالرُّضَا ^(٤) .

وَسُئِلَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ قَتْلِ عُثْمَانَ وَخِاذِلِيهِ وَنَاصِرِيهِ فَقَالَ : تِلْكَ دِمَاءُ كَفَّ اللَّهُ يَدَيَّ عَنْهَا ، فَأَنَا لَا أَحِبُّ أَنْ أَغْمِسَ لِسَانِي فِيهَا .

(١) هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ . انْظُرْ أَيْضًا تَهْدِيدَهُ لِمَصْعَبِ بْنِ الزَّيْرِ فِي الطَّبَرِيِّ (٧ : ١٥٨) .

(٢) الْجُلُوسِيَّةُ ، مِنْ قَوْلِهِمْ : فَلَانٌ جَلَسَ بَيْتَهُ ، أَيْ لَا يَبْرَحُهُ . وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْقَاعِدُونَ الَّذِينَ لَا يَنْفِرُونَ

إِلَى الْقِتَالِ . ل : « الْجُلُوسِيَّةُ » تَحْرِيفٌ . وَفِي حِوَاثِي هـ وَالتَّيْمُورِيَّةُ : « فِي بَعْضِ الْكُتُبِ يُقَالُ فَلَانٌ جَلَسَ بَيْتَهُ ، أَيْ مَلَأَهُ لَه » .

(٣) هُوَ نَجْدَةُ بْنُ عَامِرٍ - وَقِيلَ عَاصِمٌ - الْحَنْفِيُّ ، كَانَ مِمَّنْ خَرَجَ مَعَ ابْنِ الزَّيْرِ ، ثُمَّ فَارَقَهُ هُوَ وَنَافِعُ ابْنِ الْأَرَزَقِ مِنَ الْخَوَارِجِ ، فَصَارَ نَافِعٌ إِلَى الْبَصْرَةِ وَنَجْدَةُ إِلَى الْبَغْدَادِ ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ ٦٤ . الْمَلِلُ وَالنَّحْلُ (١ :

١٦٥) وَالطَّبَرِيُّ (٧ : ٥٦ - ٥٧) . ثُمَّ صَارَ إِلَى الطَّائِفِ فَوَجَدَ ابْنَةَ لَعْمَرُو بْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ قَدْ وَقَعَتْ

فِي السَّبْيِ فَاشْتَرَاهَا مِنْ مَالِهِ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَبَعَثَ بِهَا إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ ، ثُمَّ سَارَ إِلَى الْبَحْرَيْنِ وَوَجَّهَ إِلَيْهِ

مَصْعَبُ بْنُ الزَّيْرِ بِخَيْلٍ بَعْدَ خَيْلٍ فَهَزَمَهُمْ . وَقَدْ ظَلَّ خَمْسَ سِنَوَاتٍ هُوَ وَعَمَالُهُ بِالْبَحْرَيْنِ وَبِالْبَغْدَادِ وَعُمَانٍ وَهَجَرَ

وَالْعُرُضَ ، فَلَمَّا نَقِمَتْ عَلَيْهِ الْخَوَارِجُ خَلَعُوهُ - وَكَانَ يُسَمَّى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - وَأَقَامُوا أَبَا فَدْيِكَ الْمُرْتَجِمَ فِي (٢ :

٢٠٤) وَذَلِكَ سَنَةَ ٧٢ . الطَّبَرِيُّ (٧ : ١٩٤) . فَغَلَبَ أَبُو فَدْيِكَ عَلَى الْبَحْرَيْنِ وَقَتَلَ نَجْدَةَ فِي تِلْكَ السَّنَةِ .

وَالِيهِ تَنَسَّبَ فِرْقَةُ النُّجْدَاتِ . انْظُرْ آرَاءَهُمْ فِي الْمَلِلِ ، وَالْفَرْقِ بَيْنَ الْفَرْقِ ٦٧ وَالْمَوَاقِفِ ٦٢٩ .

(٤) أَيْ بِالرُّضَا عَنْ قِتَالِ النَّاقَةِ وَعَدَمِ اسْتِكْرَاهِمَ لَذَلِكَ .

ودخل أبو الدرداء على ^(١) رجل يعود ، فقال له : كيف تجدك ؟ فقال :
أفرق من الموت . قال : فممن أصبت الخير كله ؟ قال : من الله . قال : فلم
تفرق ممن لم تصب الخير كله إلا منه ؟!

ولما قذف إبراهيم عليه السلام في النار قال له جبريل عليه السلام : ألك
حاجة يا خليل الله ؟ قال : أمّا إليك فلا .

قال : ورأى بعض النساك صديقاً له من النساك مهموماً ، فسأله عن
حاله ذلك ، فقال : كان عندي يتيمٌ أحسبُ فيه الأجر ، فمات . قال : فاطلب
يتيماً غيره فإن ذلك لا يُعِدُّكَ إن شاء الله ^(٢) . قال : أخاف أن لا أصيب
يتيماً في سوء خلقه . فقال : أما إنى لو كنت مكائك لم أذكر سوء خلقه .

قال : ودخل بعض النساك على صاحب له وهو يكيّد بنفسه ، فقال له :
طِبْ نفساً فإنك تلقى رباً رحيماً . قال : أمّا ذنوبى فإنى أرجو أن يغفرها الله لى ،
وليس اغتنامى إلا لمن أدع من بناتى . قال له صاحبه : الذى ترجوه لمغفرة ذنوبك
فارجّه لحفظ بناتك . ١٦٢

قال : وكان مالك بن دينار يقول : لو كانت الصحف من عندنا لأقللنا
الكلام .

وقال يونس بن عُبيد : لو أمرنا بالجزع لصبرنا ^(٣) .

وكان يقول : كسبت فى هذه السوق ستين ألف درهم ، ما منها درهم ^(٤)
إلا وأنا أخاف أن أسأل عنه .

قال : وسمع عمرو بن عُبيد ، عبد الرحيم بن صديقة ^(٥) يقول : قال الحطيمية :

(١) الكلام بعده إلى كلمة « وكان إذا قرئ » فى ص ١٣٤ ، ساقط من التيمورية .

(٢) يقال : أعدمنى الشيء ، إذا لم أجده .

(٣) وكذا فى عيون الأخبار (٢ : ٢) . وفى الحيوان (١ : ١٦٧) : « لو أخذنا » .

(٤) ما عدل : « ما فيها درهم » .

(٥) هـ ، ب ، ج : « عبد الرحمن بن حذيفة » . وفى هـ أيضاً : « حذيفة » .

إِنَّمَا أَنَا حَسَبُ مَوْضُوعٍ ! فَقَالَ عَمْرُو : كَذَبَ تُرَّحَهُ اللَّهُ ^(١) ، ذَلِكَ التَّقْوَى .
 وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ : نَعَمْ صَوْمَعَةُ الْمُؤْمِنِ مَنْزِلٌ يَكْفِي فِيهِ نَفْسَهُ وَبَصَرَهُ وَفَرْجَهُ .
 وَإِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي هَذِهِ الْأَسْوَاقِ ، فَإِنَّهَا تُلْغِي وَتُلْهِى ^(٢) .

* * *

وَقَالَ الْحَسَنُ ^(٣) : يَا ابْنَ آدَمَ ، بَغِ دُنْيَاكَ بِأَخْرَجْتَكَ تَرْبَحُهَا جَمِيعاً ،
 وَلَا تَتَّبِعْ آخِرَتَكَ بِدُنْيَاكَ فَتُخْسِرَهَا جَمِيعاً . يَا ابْنَ آدَمَ ، إِذَا رَأَيْتَ النَّاسَ فِي الْخَيْرِ
 فَنَافِسْهُمْ فِيهِ ، وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ فِي الشَّرِّ فَلَا تَغْبِطْهُمْ بِهِ . التَّوَّاءُ هَا هُنَا قَلِيلٌ ، وَالْبَقَاءُ
 هُنَاكَ طَوِيلٌ . أُمْتُكُمْ آخِرُ الْأُمَمِ وَأَنْتُمْ آخِرُ أُمَمَتِكُمْ ، وَقَدْ أُسْرِعَ بِخِيَارِكُمْ فَمَاذَا
 تَنْتَظِرُونَ ؟ أَلَمَعَايِنَةَ ؟ فَكُنْ قَدْ . هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ ، ذَهَبَتِ الدُّنْيَا بِحَالِهَا ^(٤) ،
 وَبَقِيَتِ الْأَعْمَالُ قَلَائِدَ فِي أَعْنَاقِ بَنِي آدَمَ ، فَيَالِهَا مَوْعِظَةً لَوْ وَافَقَتْ مِنَ الْقُلُوبِ ١٠
 حَيَاةً ! أَمَّا إِنَّهُ وَاللَّهِ لَا أَمَّةَ بَعْدَ أَمَّتِكُمْ ، وَلَا نَبِيَّ بَعْدَ نَبِيِّكُمْ ، وَلَا كِتَابَ بَعْدَ
 كِتَابِكُمْ . أَنْتُمْ تَسُوقُونَ النَّاسَ وَالسَّاعَةَ تَسُوقُكُمْ ، وَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوْلَكُمْ أَنْ يَلْحَقَ
 آخِرُكُمْ . مَنْ رَأَى مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ رَأَاهُ غَادِيًا رَاحِلًا ^(٥) ، لَمْ يَضَعْ لَبْنَةً عَلَى لَبْنَةٍ ،
 وَلَا قَصَبَةً عَلَى قَصَبَةٍ . رُفِعَ لَهُ عِلْمٌ فَشَمَّرَ إِلَيْهِ . فَالْوَحَاءُ الْوَحَاءُ ، وَالتَّجَاءُ النِّجَاءُ .
 ١٥
 عَلَامٌ تَعْرِجُونَ . أُتِيتُمْ رَبَّ الْكَعْبَةِ . قَدْ أُسْرِعَ بِخِيَارِكُمْ وَأَنْتُمْ كُلُّ يَوْمٍ تَرْدُلُونَ ^(٦) ،
 فَمَاذَا تَنْتَظِرُونَ . إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعَثَ مُحَمَّدًا عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى عِلْمٍ مِنْهُ ،

(١) ترحه : أحزنه . والترح : نقيض الفرح .

(٢) أراد بالإلقاء أنها تحمل المرء على اللغو ، وهو مالا يعتد به من الكلام وغيره .

(٣) الخطبة في عيون الأخبار (٢ : ٣٤٤) وابن أبي الحديد (١ : ٤٦٩) .

(٤) أى حال الخير والشر . وهذا ما ورد في ابن أبي الحديد حيث صرح بنقله عن البيان والبيان .

وفي الأصول : « بحال يالها » ولا وجه له . وفي عيون الأخبار : « بحال بما لها » بإهمال الكلمة الأولى . وفي حاشية هـ أنها في نسخة « بمخافيرها » .

(٥) أى في كسب الضرورى من العيش .

(٦) ردل يردل : صار ردلا ، وهو الردىء من كل شيء .

٥

١٠

١٥

٢٠

- اختاره لنفسه ، وبعثه برسالته ، وأنزل عليه كتابه ، وكان صفوته من خلقه ، ورسوله إلى عباده ، ثم وضعه من الدنيا موضعاً ينظر إليه أهل الأرض ، وآتاه منها قوتاً وبلغه ، ثم قال : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ ، فرغب أقوامٌ عن عيشه ، وسخطوا ما رضى له ربه ، فأبعدهم الله وأسحقهم .
- يا ابن آدم ، طأ الأرض بقدميك فإنها عما قليل قبرك ، واعلم أنك لم تنزل في هدم عُمرك مذ سقطت من بطن أمك . فرجم الله رجلاً نظَرَ فتفكر ، وتفكر فاعتبر ، واعتبر فأبصر ، وأبصر فصبر . فقد أبصر أقوامٌ فلم يصبروا فذهب الجزع بقلوبهم ولم يدركوا ما طلبوا ، ولم يرجعوا إلى ما فارقوا . يا ابن آدم ، اذكر قوله : ﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً ﴾ . اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً .
- حسب نفسك . خذوا صفاء الدنيا وذروا كدرها ؛ فليس الصفو ما عاد كدراً ، ولا الكدر ما عاد صفواً . دَعُوا ما يُرِيكُمْ إلى ما لا يُرِيكُمْ^(١) . ظهر الجفاء وقلت العلماء ، وعفت السنة وشاعت البدعة . لقد صحبت أقواماً ما كانت صحبتهم إلا قرة العين ، وجلاء الصدر . ولقد رأيت أقواماً كانوا من حسناتهم^(٢) أشفق من أن تُرد عليهم ، منكم من سيئاتكم أن تُعذبوا عليها ، وكانوا فيما أحل الله لهم من الدنيا أزهد منكم فيما حرم عليكم منها . مالى^(٣) أسمع حسيباً ولا أرى أنيساً . ذهب الناس وبقي النسناس^(٤) . لو تكاشفتهم

(١) يقال رابه الأمر ، إذا علم منه الرية ، وأرابه ، إذا أوهمه الرية . وباللغتين روى الحديث : « دع ما يريك إلى ما لا يريك » ، يروى بفتح الياء وضمها .

(٢) ما عدل ، هـ : « لحسناتهم » . وانظر ما سيأتى في ص ١٥٥ س ٨ - ٩ .

(٣) هذه الكلمة من هـ ، ب ، جـ وابن أى الحديد . وبها في عيون الأخبار : « إلى » .

(٤) النسناس ، بفتح النون وكسرهما : خلق على صورة الإنسان . وقد عني به الذين يتشبهون بالناس .

ما تدافنتم ^(١) . تهاديتم الأطباق ولم تتهادوا النصائح . قال ابن الخطّاب : رحم الله امرأ أهدى إلينا مساوينا . أعدوا الجواب فإنكم مسئولون . المؤمن لم يأخذ دينه عن رأيهِ ولكن أخذه من قِبَل رَبِّهِ . إنَّ هذا الحقَّ قد جَهِدَ أهله وحال بينهم وبين شهواتهم ، وما يصير عليه إلَّا مَنْ عَرَفَ فضله ، وربَّجَا عاقبته . فَمَنْ حَمِدَ الدُّنْيَا ذَمَّ الآخِرَةَ ، وليس يكره لقاء الله إلَّا مقيم على سخطه . يا ابن آدم ، ليس الإيمان بالتحلى ولا بالتمنى ^(٢) ، ولكنه ما وَقَرَ في القلوب ، وصدَّقته الأعمال .

* * *

وكان إذا قرئ ^(٣) : ﴿ أَهْلَكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ قال : عَمَّ أَهْلَكُم ؟! أَهْلَكُم عن دار الخلود ، وجَنَّة لا تبيد . هذا والله فَضَحَ القوم ، وهتَكَ السُّرَّ وأَبْدَى العُورَ ^(٤) . ١٦٤
تنفق مثل دِينِكَ في شهواتك سرفاً ، وتمنع في حقِّ اللهِ درهماً . ستعلم يالكع ^(٥) . ١٠
الناس ثلاثة : مؤمن ، وكافر ، ومنافق . فأما المؤمن فقد أجمه الخوفُ ، ووقمه ذكر العَرَضِ ^(٦) . وأما الكافر فقد قمعه السيِّف ، وشرَّده الخوف ، فأذعن بالجزية ، وأسمع بالضَّريبة . وأما المنافق ففي الحجرات والطُّرقات ، يُسرون غير ما يعلنون ، ويُضيمرون غير ما يظهرون . فاعتبروا إنكارهم ربَّهم بأعمالهم الخبيثة . ١٥
ويلك ! قتلت وليَّه ثم تتمنى عليه جَنَّتَه !

وكان يقول : رَحِمَ اللهُ رجلاً خلا بكتابِ الله فعَرَضَ عليه نفسه ، فإن وافقه

(١) رواه في اللسان (دفن) . وقال : « أى لو تكشف عيب بعضكم لبعض » . وذكر قبله : « التدافن : التكاثر » . ورواه في (كشف) وقال : « ابن الأثير : أى لو علم بعضكم بسريرة بعض لاستنقل تشيع جنازته ودفنه » . وقد سبق الحديث في (٢ : ٢٣) وذكر الجاحظ أنه مما روى لأقوام شتى .

(٢) عند ابن أئى الحديد : « بالتمنى ولا بالتشهى » . وانظر ما سيأتى في ص ١٤٤ .

(٣) تما عدل : « قرأ » . وإلى هنا ينتهى سقط التيمورية الذى بدأ في ص ١٣١ س ١ .

(٤) العوار ، بتثليث العين : العيب .

(٥) اللكع : اللقيم ، والأحقق .

(٦) وقمه : ردة أشد الرد . ما عدل ، هـ : « وقومه » تحريف .

حَمْدَ رَبِّهِ وَسَأَلَهُ الزُّيَادَةَ مِنْ فَضْلِهِ ، وَإِنْ خَالَفَهُ اعْتَبَ وَأَنَابَ ^(١) ، وَرَجَعَ مِنْ قَرِيبٍ . رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا وَعَظَ أَخَاهُ وَأَهْلَهُ فَقَالَ : يَا أَهْلِي ، صَلَاتُكُمْ صَلَاتُكُمْ ، زَكَاتُكُمْ زَكَاتُكُمْ ، جِيرَانُكُمْ جِيرَانُكُمْ ، إِخْوَانُكُمْ إِخْوَانُكُمْ ، مَسَاكِنُكُمْ مَسَاكِنُكُمْ ، لَعَلَّ اللَّهَ يَرْحَمُكُمْ . فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَثْنَى عَلَى عِبْدِهِ مِنْ عِبَادِهِ ^(٢) .
 فَقَالَ : ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾ . يَا ابْنَ آدَمَ :
 كَيْفَ تَكُونُ مُسْلِمًا وَلَمْ يَسْلَمْ مِنْكَ جَارُكَ ، وَكَيْفَ تَكُونُ مُؤْمِنًا وَلَمْ يَأْمُنْكَ النَّاسُ .

وكان يقول : لا يستحقُّ أحدٌ حقيقةَ الإيمانِ حتَّى لا يعيبَ النَّاسُ بعيبٍ هو فيه ، ولا يأمرُ بإصلاحِ عيوبهم حتَّى يبدأ بإصلاحِ ذلك من نفسه ؛ فَإِنَّهُ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ يُصْلَحْ عِيْبًا إِلَّا وَجَدَ فِي نَفْسِهِ عِيْبًا آخَرَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُصْلِحَهُ . فَإِذَا وَشَرُّهُ ^(٣) ، فَلَا تَحْقِرَنَّ شَيْئًا مِنَ الْخَيْرِ وَإِنْ صَغُرَ ؛ فَإِنَّكَ إِذَا رَأَيْتَهُ سَرَّكَ مَكَائِهِ . وَلَا تَحْقِرَنَّ شَيْئًا مِنَ الشَّرِّ وَإِنْ صَغُرَ ؛ فَإِنَّكَ إِذَا رَأَيْتَهُ سَاءَكَ مَكَائِهِ .

وكان يقول : رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً كَسَبَ طَيِّبًا وَأَنْفَقَ قَصْدًا ، وَقَدَّمَ فَضْلًا . وَجْهُوا
 ١٦٥ هَذِهِ الْفَضُولَ حَيْثُ وَجَّهَهَا اللَّهُ ، وَضَعُوهَا حَيْثُ أَمَرَ اللَّهُ ؛ فَإِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ
 ١٥ كَانُوا يَأْخُذُونَ مِنَ الدُّنْيَا بِلَاغِهِمْ وَيُؤَثِّرُونَ بِالْفَضْلِ . أَلَا إِنَّ هَذَا الْمَوْتَ قَدْ أَضْرَّ
 بِالدُّنْيَا فَقَضَحَهَا ، فَلَا وَاللَّهِ مَا وَجَدَ ذُو لَبٍّ فِيهَا قَرَحًا . فَإِيَّاكُمْ وَهَذِهِ السُّبُلُ

(١) اعتب ، أى رجع من أمر كان فيه إلى غيره وانصرف عنه . ما عدل : « أعتب » ، أى عمل بطاعة الله . والوجه « اعتب » .

(٢) هو إسماعيل عليه السلام . وقبل الآية التالية ، وهى ٥٥ من سورة مريم : (واذكر فى الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا) .

(٣) ناظر ، أى ستنظر يوم الحساب ، ما عدل ، هـ : « بوزن » موضع : « بوزن » - تحريف .

المتفرقة ، التى جماعها الضلالة وميعادها النار . أدركت من صدر هذه الأمة قوماً كانوا إذا أجنَّهم الليل فقياماً على أطرافهم ، يفتشون وجوههم ، تجرى دموعهم على خدودهم ، يناجون مولاهم فى فكاك رقابهم ^(١) . إذا عملوا الحسنة سرَّتهم وسألوا الله أن يتقبلها منهم ، وإذا عملوا سيئة ساءتهم وسألوا الله أن يفرَّها لهم . يا ابن آدم ، إن كان لا يُغنيك ما يكفيك فليس ها هنا شيء يُغنيك ، وإن كان يُغنيك ما يكفيك فالقليل من الدنيا يغنيك . يا ابن آدم ، لا تعمل شيئاً من الحقِّ رياء ، ولا تتركه حياء .

وكان يقول : إنَّ العلماء كانوا قد استغنوا بعلمهم من أهل الدنيا ، وكانوا يقضون بعلمهم على أهل الدنيا ما لا يقضى أهل الدنيا بدنياهم فيها ، وكان أهل الدنيا يذلون دنياهم لأهل العلم رغبةً فى علمهم ، فأصبح أهل العلم اليوم يذلون علمهم لأهل الدنيا رغبةً فى دنياهم ، فرغب أهل الدنيا بدنياهم عنهم ، وزهدوا فى علمهم لما رأوا من سوء موضعه عندهم .

وكان يقول : لا أذهب إلى من يُوارى عني غناه ويُبدى لى فقره ، ويُغلق دونه بابَه ويمنعنى ما عنده ، وأدع من يفتح لى بابَه ويُبدى لى غناه ويدعونى إلى ما عنده . وكان يقول : يا ابن آدم ، لا غنى بك عن نصيبك من الدنيا ، وأنت إلى نصيبك من الآخرة أفقر .

موثمن مُتهم ^(٢) ، وعِلجٌ أغمتم ^(٣) ، وأعرأى لا فِقه له ، ومنافقٌ مكذِّب ،

(١) الفكاك ، بفتح الفاء وكسرهما . وفك الرقبة : تخليصها من إسار الرق . أى تخليصهم من إسار الدنيا وشهواتها ، أو مما يرتقبهم من جزاء لا يرضونه .

(٢) ما عدا ل : « مهتم » . ومثل هذا الأسلوب ما ورد فى خطبة على فى (٦ : ٥٠ س ٦) حين عدد أنواع الناس ولم يذكر ما يشعر بذلك .

(٣) العِلج : الرجل من كفار العجم . والأغمتم : الذى لا يفصح شيئاً . والغنمة : عجمة فى المنطق .

ودنياوى مُتَرَفٌ^(١) ، نَعَقَ بِهِم نَاعِقٌ فَأَتَبَعُوهُ ، فَرَأَشُ نَارٍ^(٢) وَذَبَّانُ طَمَعٍ . والذى
 نَفْسُ الْحَسَنِ بِيَدِهِ مَا أَصْبَحَ فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ مُؤْمِنٌ إِلَّا وَقَدْ أَصْبَحَ مَهْمُومًا حَزِينًا^(٣) ،
 وَلَيْسَ لِلْمُؤْمِنِ رَاحَةٌ دُونَ لِقَاءِ اللَّهِ . وَالنَّاسُ مَا دَامُوا فِي عَاقِيَةِ مُسْتَوْرُونَ ، فَإِذَا نَزَلَ بِهِم
 بَلَاءٌ صَارُوا إِلَى حَقَائِقِهِمْ ، فَصَارَ الْمُؤْمِنُ إِلَى إِيْمَانِهِ ، وَالْمُنَافِقُ إِلَى نِفَاقِهِ . أَيْ قَوْمٌ ، ١٦٦
 إِنَّ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ أَفْضَلُ مِنْ أَعْمَالِكُمْ ، فَسَارِعُوا إِلَى رَبِّكُمْ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لِلْمُؤْمِنِ
 رَاحَةٌ دُونَ الْجَنَّةِ ، وَلَا يَزَالُ الْعَبْدُ بِخَيْرٍ مَا كَانَ لَهُ وَاعْظُ مِنْ نَفْسِهِ ، وَكَانَتْ الْحَاسِبَةُ
 مِنْ هَمِّهِ .

وَقَالَ الْحَسَنُ فِي يَوْمِ فِطْرِ^(٤) ، وَقَدْ رَأَى النَّاسَ وَهِيَاتِهِمْ : إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ
 وَتَعَالَى جَعَلَ رَمَضَانَ مِضْمَارًا لِخَلْقِهِ^(٥) يَسْتَبِقُونَ فِيهِ بِطَاعَتِهِ إِلَى مَرْضَاتِهِ ، فَسَبَقَ
 أَقْوَامٌ فَفَازُوا ، وَتَخَلَّفَ آخَرُونَ فَخَابُوا . فَالْعَجَبُ مِنَ الصَّاحِكِ اللَّاعِبِ فِي الْيَوْمِ ١٠
 الَّذِي يَفُوزُ فِيهِ الْمُحْسِنُونَ ، وَيُخْسِرُ فِيهِ الْمُبْطِلُونَ . أَمَّا وَاللَّهِ أَنْ لَوْ كُشِفَ الْغَطَاءُ
 لِشُغْلِ مُحْسِنٍ بِإِحْسَانِهِ ، وَمُسِيءٍ بِإِسَاءَتِهِ ، عَنْ تَرْجِيلِ شَعْرٍ^(٦) ، وَتَجْدِيدِ ثَوْبٍ .

* * *

وَحَدَّثَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ :

-
- ١٥ (١) يُقَالُ فِي النِّسْبَةِ إِلَى الدُّنْيَا : دُنْيَاوِي ، وَدُنْيَوِي ، وَدُنْيَى .
 (٢) أَيْ كَالْفِرَاشِ الَّذِي يَتَهَافَتُ عَلَى النَّارِ ، يَعْجِبُهُ حَسَنُهَا وَلَا لَؤُوهَا وَفِيهَا حَتْفُهُ .
 (٣) انْظُرْ قَوْلَهُ هَذَا فِي زَهْرِ الْآدَابِ (٢ : ٢٥٩) . وَفِي الْكَامِلِ ٥٧ : « وَنَظَرَ الْحَسَنُ إِلَى النَّاسِ فِي
 مَصَلَى الْبَصْرِ يَضْحَكُونَ وَيَلْعَبُونَ فِي يَوْمِ عِيدٍ » .
 (٤) لَ فَقَطْ : « وَهَيْتَهُمْ » ، وَأَثْبَتَ مَا فِي سَائِرِ النُّسخِ وَزَهْرُ الْآدَابِ .
 ٢٠ (٥) الْمِضْمَارُ : الْأَيَّامُ الَّتِي تَضْمُرُ فِيهَا الْخَيْلُ لِلْسَبَاقِ ، وَقَدَرَهَا أَرْبَعُونَ يَوْمًا . وَتَضْمِيرُ الْخَيْلِ : أَنْ
 يَظَاهِرَ عَلَيْهَا بِالْعَلْفِ حَتَّى تَسْمَنَ ، ثُمَّ لَا تَعْلَفُ إِلَّا الْقَوْتَ ، وَهُوَ قَدَرُ مَا يَمْسِكُ الرِّمَقُ .
 (٦) تَرْجِيلُ الشَّعْرِ : تَسْرِجُهُ وَتَنْظِيفُهُ . وَفِي الْكَامِلِ وَاللِّسَانِ (رَطْلٌ) : « تَرْطِيلٌ » . وَالتَّرْطِيلُ : تَلْيِينُ
 الشَّعْرِ بِالذَّهْنِ وَمَا أَشْبَهَهُ .

الناس طالبان : فطالب يطلب الدنيا فارفضوها في نحره ، فإنه ربّما أدرك
الذى طلب منها فهلك بما أصاب منها ، وربّما فاتته الذى طلب منها فهلك بما
فاتته منها . وطالب يطلب الآخرة ، فإذا رأيتم طالب الآخرة فنافسوه .

* * *

وَحَدَّثَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ (١) :

يَأْتِيهَا النَّاسُ ، إِنَّهُ أَتَى عَلَى حِينٍ وَأَنَا أَحْسِبُ أَنَّهُ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ إِنَّهُ إِنَّمَا يَرِيدُ
بِهِ اللَّهُ وَمَا عِنْدَهُ . أَلَا وَقَدْ خُيِّلَ إِلَيَّ أَنَّ أَقْوَامًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ يَرِيدُونَ بِهِ مَا عِنْدَ
النَّاسِ . أَلَا فَأَرِيدُوا اللَّهَ بِقِرَاءَتِكُمْ ، وَأَرِيدُوا بِأَعْمَالِكُمْ ، فَإِنَّمَا كُنَّا نَعْرِفُكُمْ إِذِ
الْوَحْيُ يَنْزِلُ ، وَإِذِ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا (٢) ؛ فَقَدْ رُفِعَ الْوَحْيُ وَذَهَبَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ
السَّلَامُ ، فَإِنَّمَا أَعْرِفُكُمْ بِمَا أَقُولُ لَكُمْ (٣) . أَلَا فَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا خَيْرًا ظَنَّنَا بِهِ خَيْرًا
وَأَتَيْنَا عَلَيْهِ ، وَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا شَرًّا ظَنَّنَا بِهِ شَرًّا وَأَبْغَضْنَاهُ عَلَيْهِ . اقْدَعُوا هَذِهِ النَّفُوسَ
عَنْ شَهَوَاتِهَا (٤) ، فَإِنَّهَا طُلَعَةٌ (٥) ، وَإِنَّكُمْ إِلَّا تَقْدَعُوهَا تَنْزِعَ بِكُمْ إِلَى شَرِّ غَايَةٍ .
إِنَّ هَذَا الْحَقَّ ثَقِيلٌ مَرِيءٌ ، وَإِنَّ الْبَاطِلَ خَفِيفٌ وَبِئْسَ (٦) ، وَتَرَكَ الْخَطِيئَةَ خَيْرٌ مِنْ
مُعَاجَلَةِ التَّوْبَةِ . وَرُبَّ نَظَرَةٍ زَرَعَتْ شَهْوَةً ، وَشَهْوَةً سَاعَةٍ أَوْرَثَتْ حُزْنًا طَوِيلًا .

* * *

وَكَتَبَ الْحَسَنُ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ (٧) أَمَّا بَعْدُ فَكَأَنَّكَ بِالدُّنْيَا لَمْ تَكُنْ ١٦٧

(١) الخطبة في صبح الأعشى (١ : ٢١٤) والعقد (٤ : ٦٣ - ٦٤) .

(٢) بعده في العقد : « بيننا عن أخباركم » .

(٣) في العقد : « بالقول » .

(٤) القدح : الكف والمنع . وانظر ما سبق في (١ : ٢٩٧) من نسبه إلى الحسن .

(٥) الطلعة : الكثير التطلع إلى الشيء ، الكثيرة الميل إلى هواها .

(٦) أى إن الحق عاقبته حميدة والباطل وخيم العاقبة . وكلمة « مريء » ساقطة من ل .

(٧) في الشعراء ٥٥٣ ليسك أن الكتاب لعمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله .

وكأنك بالآخرة لم تزل (١) .

وقال أبو حازم الأعرج (٢) : وجدت الدنيا شيئين : شيئاً هو لى لن أعجله دون أجله ولو طلبته بقوة السموات والأرض ، وشيئاً هو لغيرى لم أنله فيما مضى ولا أناله فيما بقى . يُمنع الذى لى من غيرى (٣) ، كما مُنِعَ الذى لغيرى مِنّى . ففى أى هذين أفنى عمرى ، وأهلك نفسى .

ودخل على بعض الملوك من بنى مروان فقال : أبا حازم ، ما المخرج مما نحن فيه ؟ قال : تنظر إلى ما عندك فلا تَضَعه إلّا فى حقه ، وما ليس عندك فلا تأخذه إلّا بحقه . قال : ومن يطيق ذلك يا أبا حازم ؟ قال : فمن أجل ذلك مُلكت جهنم من الجنة والناس أجمعين . قال : ما مآلك ؟ قال : مالان . قال : ما هما ؟ قال : الثقة بما عند الله ، واليأس مما فى أيدي الناس . قال : ارفع حوائجك إلينا . قال : هيات هيات ، قد رفعتها إلى من لا تُخْتَزَل الحوائج دونه (٤) ، فإن أعطانى منها شيئاً قبلت ، وإن زوى عني منها شيئاً رضىت .

* * *

وقال الفضيل بن عياض (٥) : يا ابن آدم ، إنما يفضلك الغنى بيومك (٦) أمس قد خلا ، وغد لم يأت ، فإن صبرت يومك أحمدت أمرك ، وقويت على غدك . وإن عجزت يومك أذمت أمرك ، وضعفت عن غدك . وإن الصبر يورث البرء ، وإن الجزع يورث السقم ، وبالسقم يكون الموت ، وبالبرء تكون الحياة .

* * *

(١) وذكر ابن قتيبة أن على بن جبلة أخذ معنى ما فى الكتاب فقال :

شباب كأن لم يكن وشيب كأن لم يزل

(٢) ترجم فى (١ : ٣٦٤) .

(٣) كلمة « من غيرى » ساقطة مما عدل ، هـ ، وإسقاطها يضعف المعنى .

(٤) تختزل : تقطع .

(٥) ترجم فى (١ : ٢٥٨) .

(٦) أى أن تكون غنيا بيومك ، عاملاً فيه ما يسمعك .

وقال الحسن : أيا فلان ، أكرضى هذه الحال التى أنت عليها للموت إذا نزل بك ؟ قال : لا . قال : أفتحدث نفسك بالانتقال عنها إلى حال ترضاها للموت إذا نزل بك ؟ قال : حديثاً بغير حقيقة . قال : أبعده الموت داراً فيها مُستعْتَب^(١) ؟ قال : لا . قال : فهل رأيت عاقلاً رضى لنفسه بمثل الذى رضىت به لنفسك ؟

* * *

قال عيسى بن مريم عليه السلام : « أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . الَّذِينَ نَظَرُوا إِلَى بَاطِنِ الدُّنْيَا حِينَ نَظَرَ النَّاسُ إِلَى ظَاهِرِهَا ، وَإِلَى آجَلِ الدُّنْيَا حِينَ نَظَرَ النَّاسُ إِلَى عَاجِلِهَا ، فَأَمَاتُوا مِنْهَا مَا خَشَوْا أَنْ يُمِيتَ قُلُوبَهُمْ ، وَتَرَكُوا مِنْهَا مَا عَلِمُوا أَنْ سَيَتَرَكُهُمْ » .

ورأوه يخرج من بيت مومسة ، فقيل له : يا رُوحَ الله ما تصنع عند هذه ؟ قال : « إِنَّمَا يَأْتِي الطَّبِيبُ الْمَرْضَى^(٢) » .

وقال حين مرَّ ببعض الخلق فشتموه ، ثم مرَّ بآخرين فشتموه ، فكلما قالوا شراً قال خيراً ، فقال له رجلٌ من الحواريين : كلما زادوك شراً زدّتهم خيراً حتى كأنك إنما تُغريهم بنفسك ، وتحثهم على شتمك ! قال : « كُلُّ إِنْسَانٍ يَعْطِي مِمَّا عِنْدَهُ^(٣) » .

وقال : « وِيلَكُمْ يَا عِبِيدَ الدُّنْيَا ، كَيْفَ تَخَالَفُ فِرْعَوْنَكُمْ أَصُولَكُمْ ، وَعَقُولَكُمْ أَهْوَاءَكُمْ . قَوْلُكُمْ شِفَاءٌ يَبْرِئُ الدَّاءَ ، وَعَمَلُكُمْ دَاءٌ لَا يَقْبَلُ الدَّوَاءَ . لَسْتُمْ كَالْكَرْمَةِ الَّتِي حَسُنَ وَرْقُهَا ؛ وَطَابَ ثَمَرُهَا ، وَسَهْلُ مَرْتَقَاهَا ، بَلْ أَنْتُمْ كَالسَّمُرَةِ الَّتِي قُلَّ وَرْقُهَا وَكَثُرَ شَوْكُهَا ، وَصَعْبُ مَرْتَقَاهَا . وِيلَكُمْ يَا عِبِيدَ الدُّنْيَا ، جَعَلْتُمُ الْعَمَلَ تَحْتَ

(١) مستعْتَب : استرضاء . وذلك لأن الأعمال تبطل عنده وينقضى زمانها ، ويبدأ زمان الجزاء .

(٢) مثله ما ورد في إنجيل مرقس (٢ : ١٧) حين رآه الكتبة والفريسيون يأكل مع العشاريين والخطاة

فقالوا : ما باله يأكل معهم ؟ فقال : « لَا يَحْتَاجُ الْأَصْحَاءُ إِلَى طَبِيبٍ ، بَلِ الْمَرْضَى » . اقرن هذا بما ورد في لوقا

(١٥ : ١) . وانظر قول المسيح عليه السلام في عيون الأخبار (٢ : ٣٧٠) .

(٣) الخبر في عيون الأخبار (٢ : ٣٧٠) . وقد سبق في ٢ : ١٧٧ .

أقدامكم ، مَنْ شاء أخذه ، وجعلتم الدنيا فوق رؤوسكم لا يُستطاع تناولها ، لا عبيدٌ أتقياء ، ولا أحرارٌ كرام . ويلكم أجراء السوء ، الأجر تأخذون ، والعمل تُفسدون . سوف تُلْقَوْنَ ما تحذرون . يوشيك ربُّ العمل أن ينظر في عمله الذى أفسدتم ، وفى أجره الذى أخذتم . ويلكم غرماء السوء تَبْدُءُونَ بالهدية قبل قضاء الدَّيْنِ ، بالتوافل تَطْوَعُونَ ، وما أُمِرتم به لا تؤدُّون . إِنَّ رَبَّ الدَّيْنِ لا يقبل الهدية حتى يُقضى دَيْنُهُ .

* * *

وكان أبو الدرداء يقول : « أَقْرَبُ ما يكون العبدُ من غضب الله إذا غضب ، واحذر أن تظلم مَنْ لا ناصرَ له إلا الله » .

١٠ وقال وَزَّرَ الْعَبْدُ :

لعمري أى المملوك ماعاش إنَّه وإن أعجبته نفسه للذليل يُرى الناس أنصاراً عليه وماله من الناس إلا ناصرون قليل

شيخٌ من أهل البادية قال ^(١) : المُعْرَضُ بالناس ^(٢) اتقى صاحبه ولم يتق ربّه .

وكان بكر بن عبد الله ^(٣) يقول : « اطفئوا نار الغضب بذكر نار جهنم » .

١٦٩

١٥ وقال : « مَنْ كان له من نفسه واعظٌ عارضه ساعة الغفلة ، وحين الحمية » .

وقال على للأشتر : « انظر فى وجهى » ، - حين جرى بينه وبين الأشعث

ابن قيس ما جرى .

وكانت العجم تقول : « إذا غضبَ الرَّجُلُ فليستلقِ ، وإذا أعيا فليرفع

رِجْلَيْهِ » .

٢٠ وقال أبو الحسن : كان لرجل من التَّسَاك شاة ، وكان مُعجِباً بها ، فجاء يوماً

(١) ما عدل : « وقال شيخ من أهل البادية » . هـ : « وقال شيخ من أهل المدينة » .

(٢) يقال عرض له وعرض به ، إذا عابه ولم يصرح .

(٣) بكر بن عبد الله المزنى ترجم فى (١ : ١٠٠) .

فوجدناها على ثلاثِ قوائمٍ فقال : مَنْ صنَعَ هذا بالشاة ؟ قال غلامه : أنا . قال : ولم ؟ قال : أردت أن أغمِّك . قال : لا جرمَ لأُغمِّنَ الذى أمرك بغمي ، اذهب فأنت حرٌّ .

سعيد بن عامر ^(١) ، عن محمد بن عمرو بن علقمة ^(٢) ، قال سمعت
 ٥ عمر بن عبد العزيز يخطب الناس وهو يقول : ما أنعم الله على عبدٍ نعمةً فانتزعها
 منه فعاضةً من ذلك الصبرِ إلّا كان ما عاضه الله أفضلَ مما انتزع منه . ثم قرأ
 ﴿ إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ .

أخبرنا أبو الحسن على بن محمد ^(٣) عن أصحابه قالوا : حضرت عمرو بن
 عبّيد الوفاة فقال لعديله : نزل في الموت ولم أتأهّب له . اللهم إنك تعلم أنه لم
 يستنح لي أمران لك في أحدهما رضاً ولى في الآخر هوىً إلّا اخترت ^(٤) رضاك
 ١٠ على هواي ، فاغفر لي .

ولما خبر أبو حازم ^(٥) سليمان بن عبد الملك بوعيد الله للمؤمنين ، قال
 سليمان : فأين رحمة الله ؟ قال أبو حازم : قريبٌ من الحسين .

قال : وخرج عثمان بن عفان رحمه الله من داره فرأى في دهليزه أعرابياً في
 ١٥ بَتٍّ ، أشغى ^(٦) ، غائر العينين ، مشرف الحاجبين ، فقال يا أعرابي : أين رُبُّك ؟

(١) هو أبو محمد سعيد بن عامر الضبعي البصري ، ثقة من أئمة محدثي البصرة روى عن خاله جويرية بن
 أسماء ، وشعبة ، وابن أبي غروبة ، ومحمد بن عمرو بن علقمة ، وأبان بن أبي عياش وغيرهم . وكان مولده سنة ١٢٢
 ووفاته ٢٠٨ . وذكر الخرجي في خلاصة التهذيب ١١٩ أن وفاته سنة « ثمان وثمانين » صوابها « ثمان ومائتين » .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي المدني ، ذكره ابن حبان في الثقات ،
 ٢٠ وروى عنه مالك في الموطأ . توفي سنة ١٤٤ . تهذيب التهذيب . والخلاصة ٢٩٣ .

(٣) هو أبو الحسن على بن محمد المدائني ، المترجم في (٢ : ١٨٠) .

(٤) ما عدل : « أثرت » .

(٥) أبو حازم الأعرج سبقت ترجمته (١ : ٣٦٤) . والخبر في عيون الأخبار (٢ : ٣٧٠) .

(٦) الأشغى : الذى تختلف زينة أسنانه بالكبر والصغر ، والدخول والخروج . وفي عيون الأخبار

(٢ : ٣٧٠) : « رأى شيخنا نطاً » .

قال : بالمِرْضاد . وكان الأعرابي عامر بن عبد قيس ^(١) ، وكان ابنُ عامر ^(٢) سَيِّره إليه .

قال : وغدا أعرابيٌّ من طَيِّيءٍ مع امرأةٍ له ، فاحتلبا لبناً ثم قعدا يتمجَّعان ^(٣) ، فقالت امرأته : أئنحن أنعم عيشاً أم بنو مروان ؟ قال : هم أطيب طعاماً منّا ، ونحن أردأُ كُسوةً منهم ؛ وهم أنعمُ منّا نهاراً ، ونحن أظهرُ منهم ليلاً .
 قال : وعَظَّ عُمَرُ بن الخطَّاب رجلاً فقال : لا يُلهِك الناسُ عن نفسك ؛ فَإِنَّ الأَمْرَ يصير إليك دونهم ! ولا تَقْطعَ النهارَ سادراً ^(٤) فإنه محفوظٌ عليك ما عملت . وإذا إسأتُ فأَحْسِنْ ؛ فَإِنِّي لم أر شيئاً أشدَّ طلباً ولا أسرعَ دَرَكَاً من حسنةٍ حديثةٍ لذنبٍ قديم .

قال : كان هلالُ بن مسعودٍ يقول : زاهدٌ كم راغب ، ومجتهدٌ كم مقصِّر ، وعالمُكم جاهل ، وجاهلكم مُقْتَرٌّ .

مسلمة بن محارب قال : قال عامر بن عبد قيس : الدنيا والدَةُ للموت ، ناقضةٌ للمُبَرَّم ، مرتجعةٌ للعَطِيَّة ، وكلُّ من فيها يجري إلى ما لا يدري ، وكلُّ مُسْتَقِرٍّ فيها غيرُ راضٍ بها ، وذلك شهيدٌ على أنها ليست بدارٍ قرار .

قال الحسن : مَنْ أُيْقِنَ بالخَلْفِ جَادَ بالعَطِيَّة .

وقال أسماء بن خارجة ^(٥) : إِذَا قَدُمْتَ المودَّةَ سَمَّجَ الثَّنَاء .

وقال عمر بن عبد العزيز لمحمد بن كعب ^(٦) القرظي : عِظْنِي . قال : لا أرضى نفسي لك ، إني لأصَلِّي بين الفقير والغني فأميل على الفقير وأوسِّع للغني

(١) ترجم في (١ : ٨٣) . وانظر ما سيأتي في ص ١٧٤ .

(٢) عبد الله بن عامر ، ترجم في (١ : ٣١٨) . وكان من ولادة عثمان .

(٣) التمجع : أن يأكل التمر ويشرب عليه اللبن .

(٤) السادر : الذي لا يهتم لشيء ولا يبال ما صنع .

(٥) أسماء بن خارجة ، ترجم في (٢ : ٨٢) . وانظر عيون الأخبار (٣ : ٥٦) .

(٦) ترجم في (٢ : ٣٤ ، ٣٠٠) . والخبر في عيون الأخبار (٢ : ٣٧٠) .

قال : وقال الحسن : ما أطال عبدُ الأملِ إلا أساءَ العمل .

قال : كان أبو بكر رحمه الله إذا قيل له : مات فلان ، قال « لا إله إلا الله » . وكان عثمان يقول : « فلا إله إلا الله ^(١) » .

وركب سليمان بن عبد الملك يوما في زِيٍّ عجيب ، فنظرت إليه جارية له فقالت : إنك لمعنى بيتي الشاعر . قال : وما هما ؟ فأنشدته :

أنتَ نِعَمَ المتاعِ لو كنتَ تَبْقَى غير أن لا بقاءَ للإنسانِ
ليس فيما بدا لنا منك عيبٌ كان في الناس غير أنك فإن

قال : ويلك نعيمٌ إلى نفسي .

قال : صام رجلٌ سبعين سنة ، ثم دعا إلى الله بحاجة فلم يستجب له ، فرجع لنفسه فقال : « منك أثبتٌ » . فكان اعترافه أفضل من صومه .

وقال : مَنْ تذكَّرَ قُدْرَةَ الله لم يستعمل قدرته في ظلم عبادِ الله .

وقال الحسن : إذا سرك أن تنظر إلى الدنيا بعدك فانظر إليها بعد غيرك .

وكان الحسن يقول : ليس الإيمانُ بالتحلِّي ولا التمَنِّي ، ولكن ما وقَر في القلوب ، وصدَّقته الأعمال ^(٢) .

قال : مات ذرُّ بن أبي ذرٍّ الهمداني ، من بنى مُرهبة ^(٣) ، وهو ذرُّ بن

عُمَر بن ذر ^(٤) فوقف أبوه على قبره فقال : يا ذرُّ ، والله ما بنا إليك من فاقةٍ ، ١٧١
وما بنا إلى أحد سوى الله من حاجة . يا ذرُّ ، شغلنى الحزنُ لك عن الحزن

(١) زيد بعد هذا فيما عدل ، هـ : « وكان أبو بكر رضى الله تعالى عنه كثيرا ما ينشد :

لا تزال تنعى ميتا حتى تكونه وقد يرجو الفتى الرجا فيموت دونه »

وهذا النص مقحم على الكتاب ، والشعر فيه مختل . وانظر الخزانة ٤ : ٤٧ - ٤٨ .

(٢) ما عدل : « وصدقه العمل » . وانظر ما سبق في ص ١٣٤ .

(٣) بنو مرهبة بن عامر بن مالك بن معاوية . الاشتقاق ٢٥٦ ونهاية الأرب (٢ : ٣٢٠) .

(٤) ل فقط : « ذر بن عمرو بن ذر » ، وأثبت ما في سائر النسخ وعيون الأخبار (٢ : ٣١٣)

حيث ورد الخبر .

عليك . ثم قال : اللهم إنك وعدتني بالصبر على ذرّ صلواتك ورحمتك . اللهم وقد وهبت ما جعلت لي من أجرٍ على ذرّ لذرّ فلا تُعرفه قبيحاً من عمله . اللهم وقد وهبت له إساءته إلى فهب لي إساءته إلى نفسه ؛ فإنك أجود وأكرم .
فلما انصرف عنه التفت إلى قبره وقال : يا ذرّ ، قد انصرفنا وتركناك ، ولو أقمنا ما نفعناك !

سُحيم بن حفص قال : قال هانيء بن قبيصة ، لحُرقة بنت الثعمان ، وراها تبكي : مالك تبكين ؟ قالت : رأيت لأهلك غَضارة ^(١) ، ولم تمتلئ داراً قطُّ فرحاً إلاّ امتلأت حَزناً .

قال : ونظرت امرأة أعرابية إلى امرأة حولها عشرة من بنينا كأنهم الصقور ، فقالت : لقد وَلَدْتَ أُمُكُمْ حُزناً طويلاً ^(٢) .

وقال النبي ﷺ لأزواجه : « أسرعكن لي لحاقاً أطولكن يداً ^(٣) » . فكانت عائشة تقول : أنا تلك ، أنا أطولكن يداً . فكانت زينب بنت جحش ^(٤) ، وذلك أنها كانت امرأة كثيرة الصدقة ، وكانت صنّاعاً تصنع بيديها وتبيعه وتتصدق به . قال الشاعر ^(٥) :

وما إن كان أكثرهم سواماً ولكن كان أطولهم ذراعاً

قال : كان الحسن يقول : ما أنعم الله على عبدٍ نعمة إلاّ وعليه فيها تبعه ، إلاّ ما كان من نعمته على سليمان عليه السلام ؛ فإن الله عز وجلّ قال عند ذكره : ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أُمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ .

(١) الغضارة : النعمة وسعة العيش . ل : « لأهلى غضارة » . وسيأتي في ص ١٦١ . « غضارة في

أهلكم » .

(٢) الخبر في عيون الأخبار (٢ : ٣٧٠) .

(٣) ما عدا ل : « أسرعكن لحاقاً لي » .

(٤) أي فكانت أسرعن لحاقاً به زينب . وانظر شروح سقط الزند ١٠٧ ص ١ .

(٥) هو أبو زياد الأعرابي الكلابي ، كما في الحماسة (٢ : ٢٦٨) .

قال : باع عبدُ الله بن عُتبة بن مسعود أرضاً بثمانين ألفاً ، فقليل له : لو اتَّخَذْتَ لولدك من هذا المال ذُخْراً . قال : « إِنَّمَا أَجْعَلُ هذا المالَ ذُخْراً لى عند الله ، وأجعل الله ذُخْراً لولدى » . وقسَمَ المال .

وقال رجلٌ : صحبت الربيع بن خُثَيم ^(١) سنتين فما كلمنى إلا كلمتين ، قال لى مَرَّة : أُمِّك حَيَّة ؟ وقال لى مَرَّةً أخرى : كم فى بنى تميم من مسجد ؟

وقال أبو فروة : كان طارقٌ صاحبُ شُرْطِ خالد بن عبد الله القسرى مرَّ ١٧٢ بابن شُبْرمة ^(٢) ، وطارقٌ فى موكبه ، فقال ابن شُبْرمة :

فإن كانت الدنيا تُحِبُّ فإنَّها سحابةٌ صيفٍ عن قليل تَقْشَعُ ^(٣)

اللهم لى دينى ولهم دنياهم . فاستعمل ابنُ شبرمة بعد ذلك على القضاء فقال ابنه : أتذكرُ قولك يومَ مرَّ طارقٌ فى موكبه ؟ فقال : يا بنى ، إنَّهم يجدون مثل أبليك ، ولا يجدُ أبوك مثلهم . يا بُنَى ، إنَّ أباك أكل من حلوائهم وخطَّ فى أهوائهم .

قال الحسن : مَنْ خاف الله أخاف الله منه كلَّ شيء ، ومَنْ خاف النَّاس أخافه الله من كل شيء .

وقال الحسن : ما أُعْطِيَ رجلٌ من الدُّنيا شيئاً إلا قيل له خُذْهُ ومثله من الحرص .

قال : مرَّ مروانُ بن الحكم فى العام الذى بُويع فيه بزرارة بن جُزَيٍّ ^(٤) الكلابى ، وهم على ماءٍ لهم ^(٥) ، فقال : كيف أنتم آل جُزَيٍّ ؟ قالوا : بخير

(١) التيمورية « حنيم » ، وما عداها « نخيم » ، لكن صوابه بتقديم الراء على الياء كما أثبت . وقد ترجم فى (١ : ٣٦٣) .

(٢) عبد الله بن شبرمة ، ترجم فى (١ : ٩٨) .

(٣) هذه رواية ل . وفى سائر النسخ وكذا فى عيون الأخبار (١ : ٥٦) :

أراها وإن كانت تحب كأنها سحابة صيف عن قريب تقشع

(٤) يقال جزى ، وجزء أيضاً ، كما فى الإصابة ٢٧٨٨ . وقد مضت ترجمة زارة فى (١ : ١٤٧) .

(٥) ما عدل ، هـ : « على ما لهم » ، وهى صحيحة إن قرئت بالرسم القديم .

زَرَعْنَا اللَّهَ فَأَحْسَنَ زَرْعَنَا ، وَحَصَدْنَا فَأَحْسَنَ حَصَادَنَا .
 وقال الحسن : يا ابن آدم ، إِنَّمَا أَنْتَ عَدَدٌ ، فَإِذَا مَضَى يَوْمٌ فَقَدْ مَضَى
 بَعْضُكَ .

- وقال الحسن ^(١) : يا ابن آدم ، إِنْ كَانَ يُغْنِيكَ مِنَ الدُّنْيَا مَا يَكْفِيكَ فَأَدْنَى
 مَا فِيهَا يَغْنِيكَ ، وَإِنْ كَانَ لَا يَغْنِيكَ مِنْهَا مَا يَكْفِيكَ فَلَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ يُغْنِيكَ .
 قال : نَزَلَ الْمَوْتُ بَفْتًى وَكَانَ فِيهِ رَمَقٌ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَإِذَا أَبَوَاهُ يَبْكِيَانِ عِنْدَ
 رَأْسِهِ ، فَقَالَ : مَا لَكُمَا تَبْكِيَانِ ؟ قَالَا : تَخَوُّفًا عَلَيْكَ مِنَ الذِّى كَانَ مِنْ إِسْرَافِكَ
 عَلَى نَفْسِكَ . فَقَالَ : لَا تَبْكِيَا ، فَوَاللَّهِ مَا يَسُرُّنِي أَنَّ الذِّى بِيَدِ اللَّهِ بِأَيْدِيكُمَا .
 أَبُو الْحَسَنِ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقُرَشِيِّ ^(٢) قَالَ : قَالَ قَتَادَةُ : يُعْطَى اللَّهُ
 الْعَبْدَ عَلَى نِيَّةِ الْآخِرَةِ مَا شَاءَ مِنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ^(٣) ، وَلَا يُعْطَى عَلَى نِيَّةِ الدُّنْيَا إِلَّا الدُّنْيَا .
 عَوَانَةُ قَالَ : قَالَ الْحَسَنُ : قَدِمَ عَلَيْنَا بِشَرُّ بَنِي مُرْوَانَ أَخُو الْخَلِيفَةِ وَأَمِيرِ
 الْمِصْرَيْنِ ، وَأَشْبُ النَّاسِ ، فَأَقَامَ عِنْدَنَا أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ طُعِنَ فِي قَدَمَيْهِ ^(٤) فَمَاتَ ،
 فَأُخْرِجْنَاهُ إِلَى قَبْرِهِ ، فَلَمَّا صِرْنَا إِلَى الْجَبَّانِ ^(٥) إِذَا نَحْنُ بِأَرْبَعَةِ سُودَانٍ يَحْمِلُونَ
 صَاحِبًا لَهُمْ إِلَى قَبْرِهِ ، فَوَضَعْنَا السَّرِيرَ فَصَلَّيْنَا عَلَيْهِ ، وَوَضَعُوا صَاحِبَهُمْ فَصَلَّوْا
 عَلَيْهِ ، ثُمَّ حَمَلْنَا بِشَرًّا إِلَى قَبْرِهِ وَحَمَلُوا صَاحِبَهُمْ إِلَى قَبْرِهِ ، وَدَفَنَّا بِشَرًّا وَدَفَنُوا
 صَاحِبَهُمْ ، ثُمَّ انْصَرَفُوا وَانْصَرَفْنَا ، ثُمَّ التَفَقُّتُ التَّفَاتَةَ فَلَمْ أَعْرِفْ قَبْرَ بَشَرٍ مِنْ قَبْرِ
 الْحَبَشِيِّ . فَلَمْ أَرْ شَيْئًا قَطُّ كَانَ أَعْجَبَ مِنْهُ .

(١) ما عدل : « مسلمة : قال الحسن » .

(٢) هو علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي المدني . ولد ليلة قتل علي في
 رمضان سنة ٤٠ . وكان يدعى « السَّجَاد » لكثرة صلاته : كان يصلي كل يوم ألف ركعة فيما زعموا . وكانت
 وفاته بالبلقاء من أرض الشام سنة ١١٨ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٢ : ٥٩) والخلاصة ٢٣٣ .
 (٣) هذه الكلمة من ل ، ه فقط .

(٤) ما عدل : « في قدمه » .

(٥) الجبان والجبانة : الصحراء ، وتسمى بهما المقابر لأنها تكون في الصحراء ، تسمية للشئ باسم
 موضعه . ما عدل ، ه : « الجبانة » . وكتب فوقها في ه « الجبان » .

وقال عبد الله بن الزُّبَيْرِ (١) :

وَالْعَطِيَّاتُ خِصَاسٌ بَيْنَنَا وَسَوَاءٌ قَبْرٌ مُثَرٍّ وَمُقِلٌّ (٢)

وتقول الحكماء : ثلاثة أشياء يستوى فيها الملوك والسُّوقَة ، وَالْعِلْيَة والسُّفْلَة : الموت ، وَالطَّلَق ، وَالتَّرْع .

وقال الهيثم بن عَدِيٍّ ، عن رجاله : بَيْنَا حُدَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ وَسَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ (٣) يَتَذَكَّرَانِ أَعَاجِيبَ الزَّمَانِ ، وَتَغْيِيرَ الْأَيَّامِ ، وَهُمَا فِي عَرَصَةِ إِيْوَانَ كِسْرَى ، وَكَانَ أَعْرَاسِيٌّ مِنْ غَامِدٍ يَرْمِي شَوْبَهَاتٍ لَهُ نَهَارًا ، فَإِذَا كَانَ اللَّيْلُ صَيَّرَهُنَّ إِلَى دَاخِلِ الْعَرَصَةِ ، وَفِي الْعَرَصَةِ سَرِيرٌ رَخَامٍ كَانَ كِسْرَى رُبَّمَا جَلَسَ عَلَيْهِ ، فَصَعِدَتْ غُنَيْمَاتُ (٤) الْغَامِدِيِّ عَلَى سَرِيرِ كِسْرَى ، فَقَالَ سَلْمَانُ : وَمَنْ أَعْجَبَ مَا تَذَاكُرْنَا صُعُودَ غُنَيْمَاتِ الْغَامِدِيِّ عَلَى سَرِيرِ كِسْرَى .

قال : لَمَّا انْصَرَفَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ صِفِّينَ مَرًّا بِمَقَابِرَ فَقَالَ :

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ الْمُوَحِّشَةِ ، وَالْمَحَالِّ الْمُقْفِرَةِ ، مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ، وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ . أَنْتُمْ لَنَا سَلَفٌ فَارِطٌ ، وَنَحْنُ لَكُمْ تَبَعٌ ، وَبِكُمْ عَمَّا قَلِيلٍ لَاحِقُونَ . اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلَهُمْ ، وَتَجَاوَزْ بِعَفْوِكَ عَنَّا وَعَنْهُمْ . الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْأَرْضَ كِفَاتًا (٥) ، أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَعَلَيْهَا يُحْشَرُكُمْ ، وَمِنْهَا يَبْعَثُكُمْ ، وَطَوَّيَ لِمَنْ ذَكَرَ الْمَعَادَ ، وَأَعَدَّ لِلْحِسَابِ ، وَقَنَعَ بِالْكَفَافِ .

(١) ترجم في (١ : ١٠٨) .

(٢) انظر القصيدة في السيرة ٦١٦ جوتنجن . وبعض أبياتها في الحيوان (٥ : ٥٦٤) . وقد أنشد هذا البيت ابن فارس في المقائيس (خس) ، وقال : « ويقال هذه الأمور خِصَاسٌ بينهم ، أى دول » . وضبطها صاحب القاموس ، ككتاب . ولم تذكر هذه الكلمة في اللسان .

(٣) ترجم حذيفة في (٢ : ١٤٠) وسلمان في (٢ : ١٠٢) . والخبر في عيون الأخبار (٢ : ٣٧١) .

(٤) بعد هذه الكلمة سقط في التيمورية ينتهى في السطر السادس من ص ١٥٧ .

(٥) أى تكفت الناس ، تحفظهم أحياء على ظهورها في دورهم ، وأموأتاً في بطنها .

وقال عمر رحمه الله « استَغْزِرُوا الدَّمْعَ بالتذكُّر ^(١) » .

وقال الشاعر ^(٢) :

سَمِعَنُ بِهِيْجَا أَوْجَفَتْ فَذَكَرْتُهُ وَلَا يَبْعُثُ الْأَحْزَانَ مِثْلَ التَّذْكَرِ ^(٣)

وقال أعرابي :

لَا تُثْشِرْفَنَ يَفَاعاً إِنَّهُ طَرَبٌ وَلَا تُغْنِ إِذَا مَا كُنْتَ مُشْتَاقاً ^(٤)

* * *

قال ابن الأعرابي : سمعتُ شيخاً أعرابياً يقول : إني لأَسْرُّ بالموت ، لا دَينَ

ولا بنات .

١٧٤

على بن الحسن قال : قال صالح المري ^(٥) دخلت دار المورياني ^(٦) ،

- ١٠ فاستفتحت ثلاث آيات من كتاب الله ، استخرجتها حين ذكرت الحال ، فيها قوله عز وجل : ﴿ فِتْلِكَ مَسَاكِينُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ ؛ وقوله : ﴿ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ ﴾ ؛ وقوله : ﴿ فِتْلِكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا ﴾ . قال : فخرج إلى أسود من ناحية الدار فقال : يا أبا بشر ، هذه سَخْطَةُ المخلوق ، فكيف سَخْطَةُ الخالق ^(٧) !

١٥ (١) ومثله في عيون الأخبار (٢ : ٢٩٨) . وفي البيان (١ : ٢٩٧) : « لا تستغزروا الدموع إلا بالتذكُّر » .

(٢) هو ليلي الأحملي ترضى توبة بن الحمير ، من قصيدة في الأغاني (١٠ : ٧٢ - ٧٣) وقد سبق البيت في (١ : ٢٩٨) .

(٣) اقتصر في ل على إنشاد عجزه .

(٤) في اللسان : « يقال أشرفت الشيء : علوته » .

٢٠ (٥) هو صالح بن بشير المري ، المترجم في (١ : ١١٢) .

(٦) هو سليمان بن غنم ، المكنى بأبي أيوب . ونسبته إلى « موريان » قرية من قرى الأهواز . وكان وزير المنصور العباسي بعد خالد بن برمك جد البرامكة . وكان في أول أمره مقرباً لدى المنصور ، ثم نقم عليه فأوقع به وعذبه ، وأخذ أمواله . وتوفي سنة ١٥٧ . وفيات الأعيان (١ : ٢١٥ - ٢١٦) .

(٧) ما عدا ل ، هـ : « هذا سخط الخلق فكيف سخط الخالق » .

قال : وأصاب ناساً مطرٌ شديد وظلمة وريح ^(١) ، ورعدٌ وبرق ، فقال رجلٌ من النَّسَّاك : اللهم إني قد أَرَيْتُنَا قَدْرَتَكَ فَأَرِنَا رَحْمَتَكَ .

عَوَانة قال : قال عبد الله بن عمر : فَازَ عمر بن أبى ربيعة بالدُّنيا والآخرة : غَزَا في البحر فَأَحْرَقُوا سَفِينَتَهُ فَأَحْتَرَقَ .

قال : وطلَّق أبو الخندق امرأته أُمَّ الخندق ، فقالت : أَتَطْلُقْنِي بعد طول الصُّحبة ؟ فقال : ما دهاكِ عندي غَيْرُهُ .

وكان أبو إسحاق ^(٢) يقول : ما الْأَمَّهَا من كلمة .

قال : مرَّ عمر بن الخطاب رحمه الله بقوم يَتَمَنُّونَ ، فلما رَأَوْهُ سَكَتُوا ، قال : فيم كنتم ؟ قالوا : كُنَّا نَتَمَنَّى . قال : فَتَمَنُّوا وَأَنَا أَتَمَنَّى معكم ^(٣) . قالوا :

فَتَمَنِّ . قال : أَتَمَنَّى رجالاً ملءَ هذا البيت مثل أبى عبيدة بن الجراح ^(٤) ، وسالم مولى أبى حذيفة ^(٥) . إِنَّ سَالماً كَانَ شديد الحُبِّ لله ، لو لم يخف الله ما عصاه ^(٦) . وقال رسول الله ﷺ : « لكل أمة أمينٌ ، وأمينُ هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح » .

(١) ما عدا ل : « وريح وظلمة » .

(٢) يعنى إبراهيم بن سيار النظام .

(٣) ل : « وأنا معكم » .

(٤) أبو عبيدة بن الجراح الفهري ، أحد العشرة السابقين ، واسمه عامر بن عبد الله بن الجراح ، اشتهر بكنيته والنسبة إلى جده . وقد ضرب المثل العالي في قيادته للمسلمين في فتح الشام . وتوفي في طاعون عَمَواس سنة ١٨ . الإصابة ٤٣٩٣ وصفة الصفوة (١ : ١٤٢) .

(٥) هو سالم مولى أبى حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، أحد السابقين الأولين ترجم له في الإصابة ٣٠٣٦ .

(٦) لو ، في مثل هذا الأسلوب ، هي التي يذكر النحاة أنها لتقرير الجواب وجد الشرط أو فقد ، ولكنها مع فقدته أولى . أى إن عدم عصيانه يتحقق إذا لم يكن منه خوف الله ، فما بالك إذا كان منه الخوف . وقد روى ابن هشام في المغنى (في باب لو) ، أن عمر قال : « نعم العبد (صهيبي) لو لم يخف الله لم يعصه » .

شُعبة ، عن عمرو بن مَرَّة^(١) قال : قَدِمَ وفدٌ من أهل اليمن على أُمِّ بَكْرٍ رَحِمَهُ اللهُ ، فقرأ عليهم القرآن فبكوا ، فقال أبو بكر : هكذا كُنَّا ، حَتَّى قَسَتْ القلوب .

وقال أبو بكر : « طوى لمن مات في نائاة الإسلام^(٢) » .

قال سَعْدُ بن مالك^(٣) ، أو مُعَاذُ^(٤) : « ما دخلت في صلاةٍ فَعَرَفْتُ مَنْ عن يميني ولا مَنْ عن شمالي ، وما شِيعَتُ جَنَازَةً قطُّ إِلَّا حَدَّثْتُ نَفْسِي بما يُقال له وما يقول^(٥) » ، وما سمعت رسول الله ﷺ قال شيئاً قطُّ إِلَّا عَلِمْتُ أَنَّهُ كما قال .

قال أبو الدَّرْدَاءِ : أَضْحَكُنِي ثَلَاثٌ وَأَبْكَاَنِ ثَلَاثٌ : أَضْحَكُنِي مُؤْمَلُ الدُّنْيَا والمَوْتُ يطلبه ، وغافلٌ ولا يُغْفَلُ عنه ، وضاحكٌ مِلءَ فيه ولا يدرى أَسَاخِطُ رِيَّهُ أم راضٍ . وَأَبْكَاَنِ هَوْلُ المَطْلَعِ^(٦) ، وانقطاعُ العَمَلِ ، وموقفى بين يَدَيِ اللهِ لا يُدْرَى^(٧) أَيَأْمُرُنِي إلى الجَنَّةِ أم إلى النار .

سُحَيْمُ بن حفص ، قال : رأى إِيَّاسُ بن قَتَادَةَ العَبْشُمِيَّ^(٨) شَيْبَةً في

(١) هو عمرو بن مرة عبد الله بن طارق الجملى الماردى ، روى عنه شعبه والثورى والأعمش وغيرهم .

وفيه يقول شعبه : « ما رأيت عمرو بن مرة في صلاة قط إلا ظننت أنه لا يتنقل حتى يستجاب له » . توفي سنة ١١٦ تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٥٩) .

(٢) النائاة : العجز والضعف . يعنى أول الإسلام قبل أن يقوى ويكثر أهله وناصره والداخلون فيه ، فهو عند الناس ضعيف .

(٣) سعد بن مالك بن أهيب ترجم في (١ : ٢٦١) .

(٤) هو الصحابى الجليل معاذ بن جبل ، ترجم في (١ : ٢٤) .

(٥) الجنائزة ، بالفتح : الميت نفسه . وبالكسر : السرير الذى يحمل عليه . وهو يشير بالقول هنا إلى سؤال الملكين .

(٦) المطلع : ما يشرف عليه من أمر الآخرة عقيب الموت . والخبر فى عيون الأخبار (٢ : ٣٥٩) .

(٧) هـ : « لا أدرى » .

(٨) إِيَّاسُ بن قَتَادَةَ العبشمي ، ابن أخت الأحنف بن قيس . وكذا جاءت نسبته فى البيان

« العبشمي » . والصواب أنه مجاشع تميمى . انظر الكامل ٨٢ ليسك وصفة الصفوة (٣ : ١٤٤) حيث ترجم له ابن الجوزى . ومجاشع ، هو ابن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم .

لحيته ^(١) ، فقال : « أرى الموت يطلبني ، وأراي لا أفوته . أعوذ بك من فجاءات الأمور ^(٢) ويَقْتَاتِ الحوادث . يا بني سعد ، إني قد وهبت لكم شبابي فهبوا لي شَيْبَتِي » . ولِزِمَ بيته ، فقال له أهله : تَمُوتَ هُزْلاً ^(٣) ! قال : « لَأَنْ أَمُوتَ مُؤْمِناً مهزولاً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَمُوتَ مُنَافِقاً سَمِيناً » .

وذكر قومٌ إبليس فلعنوه وتغيظوا عليه ، فقال أبو حازم الأعرج :
وما إبليس ؟! لقد عُصِيَ فما ضَرَّ ، وأطِيعَ فما نَفَعَ .

قال : وقال بكر بن عبد الله المُرْزِي : الدنيا ما مَضَى منها فُحْلُمُ ، وما بَقِيَ منها فَأَمَانَتِي .

قال : ودخل أبو حازم مسجدَ دِمَشْقَ ، فوسَّسَ إليه الشيطانُ ، إنَّكَ قد أَحْدَثْتَ بعد وضوئِكَ . قال : أَوْ قَدْ بَلَغَ هذا من نصيحتِكَ !

قال بعض الطِّيَابِ ^(٤) :

عجبت من إبليس في كِبَرِهِ وَخُبِّثَ ما أَبَدَاهُ مِنْ نِيَّتِهِ
تَاةً عَلَى آدَمَ فِي سَجْدَةٍ وَصَارَ قَوَّاداً لِدُرِّيَّتِهِ

قال : فَأَنْشَدْتَهَا ^(٥) مِسْمَعُ بْنُ عَاصِمٍ فقال : وأبيكَ لقد ذَهَبَ مَذْهَباً .

الفضل بن مُسْلِمٍ قال : قال مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّحَّيرِ ^(٦) : لا تنظروا

(١) فيما عدل ، هـ : « شِيبَةُ لحيته » . والخبر في صفة الصفوة بتفصيل ، وعيون الأخبار (٢) :
(٣٢٤) مع خلاف في الرواية فيها .

(٢) ل : « أعوذ من فجأة الأمور » . وفي عيون الأخبار : « أعوذ بك يارب من فجاءات الأمور » .

(٣) الهزل ، يفتح الهاء وضمها : الهزل ، نقيض السمن .

(٤) الطيَّاب ، بالكسر : جمع طيب ، مثل جيد وجياد . انظر الحيوان (٣ : ٢٦) وسيبويه (٢ :

٢١١) ، وما سبق في ص ١١٥ .

(٥) ما عدل ، هـ : « فَأَنْشَدْتَهَا » .

(٦) ترجم في (١ : ١٠٣ ، ٣٥٣) .

إلى خَفَضَ عَيْشِهِمْ ، وَلَيْنَ لِبَاسِهِمْ ، وَلَكِنْ انظُرُوا إِلَى سُرْعَةِ طَعْنِهِمْ وَسُوءِ مُنْقَلَبِهِمْ .
 قَالَ أَبُو ذَرٍّ : لَقَدْ أَصْبَحْتُ وَإِنَّ الْفَقْرَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْغِنَى ، وَالسُّقْمَ
 أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الصَّحَّةِ ، وَالْمَوْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْحَيَاةِ . قَالَ دَهْنَمُ ^(١) : « لَكُنِّي
 لَا أَقُولُ ذَلِكَ . قَالَ : قَالَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : اللَّهُمَّ لَا صِحَّةَ تُطْغِينِي ، وَلَا مَرَضاً
 يُضْنِينِي ، وَلَكِنْ بَيْنَ ذَيْنِكَ » .

قَالَ الْحَسَنُ : إِنَّ قَوْماً جَعَلُوا تَوَاضُعَهُمْ فِي ثِيَابِهِمْ ، وَكِبَرَهُمْ فِي صُدُورِهِمْ ،
 حَتَّى لَصَّاحِبُ الْمِدْرَعَةِ يَمْدُرَعَتَهُ ^(٢) ، أَشَدُّ فَرْحاً مِنْ صَاحِبِ الْمُطَرَفِ بِمُطَرَفِهِ ^(٣) . ١٧٦

قَالَ : وَقَالَ دَاوُدُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « إِنَّ اللَّهَ سَطَوَاتٍ وَتَقَمَاتٍ » . فَإِذَا
 رَأَيْتُمُوهَا فِدَاؤُوا قُرُوحَكُمْ بِالْذُّعَاءِ ^(٤) ، فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ : « لَوْلَا رِجَالٌ
 خُشَّعٌ ، وَصِيْبَانٌ رُضَّعٌ ، وَبَهَائِمٌ رُتَّعٌ ، لَصَبَّيْتُ عَلَيْكُمْ الْعَذَابَ صَبًّا » . ١٠

قَالَ : اشْتَرَى صَفْوَانُ بْنُ مُحَرَّزٍ ^(٥) بَدَنَةً بِتِسْعَةِ دَنَانِيرَ ^(٦) ، فَقِيلَ لَهُ :
 أَتَشْتَرِي بَدَنَةً بِتِسْعَةِ دَنَانِيرَ وَلَيْسَ عِنْدَكَ غَيْرُهَا ؟ قَالَ : سَمِعْتُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى
 يَقُولُ : ﴿ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ﴾ .

وَقِيلَ لِمُحَمَّدِ بْنِ سُوْقَةَ ^(٧) : تَحُجُّ وَعَلَيْكَ دَيْنٌ ؟ قَالَ : هُوَ أَقْضَى لِلدَّيْنِ .

١٥ (١) هُوَ دَهْنَمُ بْنُ قُرَّانِ الْعَمَلِيِّ . رَوَى عَنْ أَبِيهِ وَيَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ ، وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عِيَّاشٍ ، وَمُرْوَانَ
 ابْنَ مَعَاوِيَةَ الْفَزَارِيِّ . تَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ . مَا عَدَلَ : « وَهَشَمٌ » تَحْرِيفٌ .
 (٢) الْمِدْرَعَةُ ، بِالْكَسْرِ : ثَوْبٌ مِنَ الصُّوفِ .
 (٣) الْمُطَرَفُ ، كَمَكْرَمٍ وَمَنْبَرٍ : رِءَاءٌ مِنْ خَزَرٍ مَرْبُوعٍ ، لَهُ أَعْلَامٌ . وَالْخَبَرُ بِرَوَايَةِ أُخْرَى فِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ
 (٢ : ٣٧٢) .

٢٠ (٤) مَا عَدَلَ : « قَرَحَكُم » . وَالْحَدِيثُ الثَّلَاثِي سَبَقَ فِي (٢ : ٢٤) .
 (٥) سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي (١ : ٣٦٣) . مَا عَدَلَ : « مُحَرَّزُ بْنُ صَفْوَانَ » تَحْرِيفٌ .
 (٦) الْبَدَنَةُ : نَاقَةٌ أَوْ بَقْرَةٌ تَنْحَرُ بِمَكَّةَ ، سَمِيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَسْمِنُونَهَا فَنَبْدَنَ .
 (٧) هُوَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ سُوْقَةَ الْغَنَوِيُّ الْكُوفِيُّ الْعَابِدُ ، مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَثِقَاتِهِمْ ، رَوَى عَنْ
 أَنَسٍ وَنَافِعِ جَمَاعَةٍ ، وَرَوَى عَنْهُ الثَّوْرِيُّ وَابْنُ الْمُبَارَكِ وَعَطَاءٌ وَغَيْرُهُمْ . قَالَ سَفِيَّانٌ : « كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ سُوْقَةَ
 لَا يَحْسِنُ أَنْ يَعْصِيَ اللَّهَ » . تَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ وَصِفَةُ الصَّفْوَةِ (٣ : ٦٥) . ٢٥

قال : ولقى ناسكاً ناسكاً ومعه خُفٌّ فقال : ما تصنع بهذا ؟ قال : عُدَّةٌ للشتاء . قال : كانوا يستحيون من هذا .

قال أبو ذرٍّ : تَخْضَمُونَ وَتَقْضَمُ (١) ، والموعِدُ الله .
قال الزُّبَيْرُ : يكفينَا من خَضَمِكُم الْقَضَمُ (٢) ومن نَصَّكُمْ الْعَنْقُ (٣) .
وقال أيمن بن خُرَيْمٍ (٤) :

رَجَوْا بِالشَّقَاقِ الْأَكَلَ خَضَمًا فَقَدْ رَضُوا

أخيراً مَنْ أَكَلَ الْخَضَمَ أَنْ يَأْكُلُوا قَضَمًا (٥)

وقال عمرو لمعاوية : مَنْ أَصْبِرُ النَّاسُ ؟ قال : مَنْ كَانَ رَأْيُهُ رَادًّا لِهَوَاهُ .
وتواصَّفُوا حَالَ الزَّاهِدِ بِحَضْرَةِ الزُّهْرِيِّ ، فقال الزُّهْرِيُّ : « الزَّاهِدُ مَنْ لَمْ يَغْلِبِ الْحَرَامُ صَبْرَهُ ، وَلَا الْحَلَالُ شُكْرَهُ » (٦) .

قال : وَذُكِرَ عِنْدَ أَعْرَابِيٍّ رَجُلٌ بِشِدَّةِ الْجَهْدِ ، وَكَثْرَةِ الصَّوْمِ ، وَطُولِ الصَّلَاةِ ، فَقَالَ : هَذَا رَجُلٌ سَوِيٌّ ، أَوْ مَا يَظُنُّ هَذَا أَنَّ اللَّهَ يَرْحُمُهُ حَتَّى يَعَذِّبَ نَفْسَهُ هَذَا التَّعْذِيبَ .

قال أبو بكر (٧) : مَا ظَنُّكَ بِخَالِقِ الْكَرَامَةِ لِمَنْ يَرِيدُ كِرَامَتَهُ وَهُوَ عَلَيْهِ قَادِرٌ ؟
وَمَا ظَنُّكَ بِخَالِقِ الْهَوَانِ لِمَنْ يَرِيدُ هَوَانَهُ وَهُوَ عَلَيْهِ قَادِرٌ ؟

(١) الخضم : الأكل بجميع الغم ، والقضم بأطراف الأسنان . وفي اللسان (خضم) : وفي حديث أبي هريرة أنه مر بمروان وهو يبنى بنياناً له ، فقال : ابنوا شديداً ، وأملوا بعيداً ، واخضموا فستقضم .
(٢) من خضمكم ، أى يدل خضمكم .

(٣) النص : أن تستخرج من الدابة أقصى سيرها . والعنق : ضرب من السير .
(٤) هو أيمن بن خريم بن الأحمري بن عمرو بن فاتك ، من شعراء الدولة الأموية ، ولأبيه صحبة برسول الله ورواية عنه . وقد جعله أبو الفرج في الأغاني (٢١ : ٥) شيعياً ، ولكن المسعودي في التنبيه والإشراف ٢٥٣ عدة عثمانياً . وبذلك يكون قد اضطرب بين التيارين .

(٥) ما عدل : « القضا » .

(٦) سبق هذا الخبر والذي قبله في (٢ : ١٨٨) .

(٧) لعله أبو بكر الهذلي الخطيب القاص . انظر ترجمته في (١ : ٣٥٧) .

وزعم أبو عمرو الزعفراني ، قال : كان عمرو بن عُبيد عند حَفْص بن سالم ، فلم يسأله أحدٌ من أهله وحَشَمه حاجةً إلَّا قال : لا . فقال عمرو : أَقُلَّ من قول لا ، فإنه ليس في الجنة لا ^(١) .

قال : وقال عمرو : كان رسول الله ﷺ إذا سئل ما يَجِدُ أعطى ، وإذا سئل ما لا يجد قال : يصنع الله ^(٢) .

قال : وقال عمر بن الخطاب رحمه الله : « أَكْثَرُوا لَهُنَّ من قول لا ، فَإِنْ نَعَمْ يُضَرِّبْنَ عَلَى الْمَسْأَلَةِ » . قال : وإنما يخصُّ بذلك عمر النساء ^(٣) .

قال الحسن : أدركتُ أقواماً كانوا من حسناتهم أشفقَ من أن تُردَّ عليهم ، منكم من سيئاتكم أن تعذبوا عليها ^(٤) .

قال أبو الدرداء : من يشتري منى عاداً وأموالها بدرهم ^(٥) .

ودخل عليُّ بن أبي طالب رضى الله عنه المقابرَ فقال : « أُمَّا الْمَنَازِلُ فَقَدْ سَكِنَتْ ، وَأُمَّا الْأَمْوَالُ فَقَدْ قَسِمَتْ ، وَأُمَّا الْأَزْوَاجُ فَقَدْ نُكِحَتْ . هذا خَيْرُ ما عندنا فما خَيْرُ ما عندكم ؟ ثم قال : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أُذِنَ لَهُمْ فِي الْكَلَامِ لَأَخْبَرُوا أَنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى » .

قال أبو سعيد الزاهد : غَيَّرَتِ الْيَهُودُ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ﷺ الْفَقْرَ فَقَالَ : « مِنَ الْغِنَى أُتِيتُمْ » .

وقال آخر : لو لم يُعْرِفْ من شرف الفقر إلا أنَّك لا ترى أحداً يعصى الله ليفتقر ^(٦) . وهذا الكلام بعينه مدخول .

(١) في عيون الأخبار (٣ : ١٣٧) : « فَإِنْ لَا لَيْسَتْ فِي الْجَنَّةِ » .

(٢) كلمة طيبة يرد بها السائل . والصنع : الرزق . اللسان (صنع ٨٠) . وانظر عيون الأخبار

(٣ : ١٣٧) وما سبق في (٢ : ١٩٠) . وعمرو هذا هو عمرو بن عبيد .

(٣) مضى الخبر في (٢ : ١٩٠) .

(٤) سبق هذا القول في ص ١٣٣ من هذا الجزء .

(٥) انظر النصَّ بكمالهِ وصحته في خطبته في عيون الأخبار (٢ : ٣٣١) .

(٦) كذا ورد القول في جميع النسخ . أى لكفاه ذلك شرفاً .

قال : سأل الحجاج أعرابياً عن أخيه محمد بن يوسف ، كيف تركته ؟ فقال : تركته بَصْطاً عظيماً سمينا . قال : لستُ عن هذا أسألك : قال تركته ظَـلُوماً غَشُوماً . قال : أو ما علمت أنه أخى ؟ قال : أترأه بك أعزَّ مَنى بالله !
وقال بعضهم : نجد في زُبُور داود : « من بَلَغَ السَّبْعِينَ اشْتكى من غير عِلَّة ^(١) » .

جعفر بن سليمان قال : قال محمد بن حَسَّان النبطي : لا تسأل نفسك العامَ ما أعطتك في العام الماضي ^(٢) .

أبو إسحاق بن المبارك قال : قيل لخالد بن يزيد بن معاوية : ما أقربُ شيء ؟ قال : الأجل . قيل : فما أبعدُ شيء ؟ قال : الأمل . قيل : فما أَوْحَشُ شيء ؟ قال : الميت . قيل : فما آنسُ شيء ؟ قال : الصَّاحِبُ المواتي .

وقال آخر : نَسِيَ عامرُ بن عبد الله بن الزُّبير عطاءه في المسجد ، فقبل له : قد أخذ . فقال : سُبْحَانَ اللَّهِ ، وهل يأخذ أحدٌ ما ليس له ^(٣) .

جرير بن عبد الحميد ^(٤) ، عن عطاء بن السائب ، عن عبدة الثقفي ^(٥) قال : لا يشهد على اللَّيْلِ بنوم أبداً ، ولا يشهد على النَّهَارِ بأكل أبداً ^(٦) . فبلغ ذلك عُمَرَ بن الخطاب فعزم عليه ، فكان يُفْطِر في العيدين وأيام التشريق .

وقال الحسنُ بن أُنَى الحسن : يكون الرَّجُلُ عالماً ولا يكون عابداً ، ويكون

(١) عيون الأخبار (٢ : ٣٢٠) .

(٢) عيون الأخبار (٢ : ٣٢٠) .

(٣) ل : « يأخذ أحد » . وقد سبق الخبر في (٢ : ٣٤٩) .

(٤) هو جرير بن عبد الحميد بن قرط الضبي الرازي القاضي ، وكان من الثقات العباد أصحاب

الليل . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٤ : ٦٨) .

(٥) عبدة بن هلال الثقفي ، ذكره في صفه الصفوة (٣ : ٣٠) ، وروى له الخبر التالي .

(٦) في صفه الصفوة : « الله على أن لا يشهد على ليل بنوم ، ولا شمس بأكل » .

- ١٧٨ عابداً ولا يكون عاقلاً . وكان مسلم بن يسار ^(١) عالماً عابداً عاقلاً ^(٢) .
- وقال عبادة بن الصامت : من الناس من أوتى علماً ولم يؤت حِلماً .
وشُدَّاد بن أوس ^(٣) أوتى علماً وحلماً .
- قال إبراهيم : كان عمرو بن عُبيد عالماً عاقلاً عابداً ، وكان ذا بيان ،
وصاحبَ قرآن .
- إبراهيم بن سعد ، عن ^(٤) أنى عبد الله القيسي قال : قال أبو الدرداء :
لا يُحرز المؤمن من شِرار الناس إلا قبره .
- وقال عيسى بن مريم صلوات الله عليه : « الدنيا لإبليس مزرعة ، وأهلها له
حرَّاثون » .
- عبد الملك بن عمير ^(٥) ، عن قبيصة بن جابر ^(٦) قال : « ما الدنيا في
الآخرة إلا كنفجة أرنب ^(٧) » .
- قال عمر رحمه الله : « لولا أن أسير في سبيل الله ، وأضع جبهتي لله ، وأجالسَ

(١) سبقت ترجمته في (١ : ٣٤٢) . ما عدل : « مسلم بن بدر » تحريف .

(٢) مضى الخبر في (١ : ٢٣٢) .

(٣) سبقت ترجمته وخبر له مع عبادة بن الصامت في (١ : ١٩١) .

(٤) إلى هنا ينتهي سقط التيمورية الذي بدأ في ص ١٤٨ س ٩ .

(٥) سبقت ترجمته في (١ : ٥٦) . وفي النسخ « عبد الله بن عمير » تحريف صوابه في الحيوان
(٦ : ٣٥٢) حيث الخبر .

(٦) هو قبيصة بن جابر بن وهب بن مالك بن عميرة الأسدي ، روى عن جماعة من الصحابة .
وعنه : الشعبي ، وعبد الملك بن عمير ، والريان بن الهيثم وغيرهم . وفي تهذيب التهذيب : « قال
عبد الملك بن عمير : عن قبيصة بن جابر ، ألا أخبركم بمن صحبت ؟ صحبت عمرو بن العاص فما رأيت
أتم ظرفاً منه ، وصحبت معاوية فما رأيت أكثر حلماً منه ، وصحبت زياداً فلم أر أكرم جليساً منه ،
وصحبت المغيرة فلو أن مدينة لها أبواب لا يخرج من كل باب منها إلا بالمرح للخرج من أبوابها كلها » .

(٧) فيما عدل : « الأرنب » . وفي اللسان : « نفج الأرنب ، إذا ثار » . وقد روى هذا الحديث
فيه بلفظ « عند الآخرة » . وعقب عليه بقوله : « أى كوثيته من مجثمه يريد تقليل مدتهم » .

أقواماً ينتقون أحسنَ الحديث كما يُنتقى أطايبُ الثمر ، لم أبال أن أكون قد مُتُّ ^(١) .
 قال عامرُ بنُ عبد قيس ^(٢) : ما آسى من العراق إلا على ثلاث : ظمياً
 الهواجر ، وتجاوب المؤذنين ، وإخوانٍ لى منهم الأسود بن كلثوم ^(٣) .
 قال موزّق العجلي ^(٤) : ضاحكٌ معترفٌ بذنبه خيرٌ من بالكٍ مُدَلٍّ على ربِّه
 وقال : خيرٌ من العُجب بالطاعة ، أن لا تأتي بطاعة .
 قالوا : كان الربيع بن خثيم ^(٥) يقول : لا تطعم إلاً صحيحاً ، ولا تكسُ
 إلاً جديداً ، ولا تُعتق إلاً سويّاً .

قال بعض الملوك لبعض العلماء : ذمّ لى الدنيا . فقال : أيها الملك ،
 الآخذة لما تعطى ، المؤرثة بعد ذلك التدم ، السالبة ما تكسو ، المُعقبة بعد
 ذلك الفُضوح ، تُسدُّ بالأراذل مكانَ الأفاضل ، وبالعجزة مكانَ الحزمة . تجد
 فى كِلٍّ من كِلِّ خَلْفاً ، وترضى من كِلِّ بَكِلٍّ بدلاً . تُسكن دارَ كلِّ قَرْنٍ قرناً ،
 وتطعم سُورَ كلِّ قومٍ قوماً .

وكان سعيد بن أبى عروبة ^(٦) يُطعم المساكين السكر ^(٧) ، ويتأول قوله عزّ
 وجلّ : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ ﴾ .

قال . وكان محمد بن عليّ ^(٨) إذا رأى مبتلى أخفى الاستعاذة . وكان

(١) الخبر فى عيون الأخبار : (١ : ٣٠٨) .

(٢) سبق ترجمته فى (١ : ٨٣) . والخبر فى عيون الأخبار (١ : ٣٠٨) .

(٣) مضت ترجمته فى (١ : ٣٦٣) كما سبق الخبر فى (٢ : ١٩٦) .

(٤) ترجم فى (١ : ٣٥٣) ومضى قول موزق (فى ٢ : ١٩٨) .

(٥) ترجم فى (١ : ٣٦٣) . وفى الأصل : « خثيم » ، وصواب اسمه « خثيم » .

(٦) سعيد بن أبى عروبة ، ترجم فى (١ : ٣٦٩) .

(٧) مثله ما روى عن الربيع بن خثيم ، أنه كان إذا أتاه سائل قال : أطعموه سكرًا فإنى أحب

السكر صفة الصفوة (٣ : ٣٥) .

(٨) محمد بن على بن الحسين بن على أبو جعفر الباقر ، ترجم فى (٢ : ٢٦٢) ، والخبر فى عيون

الأخبار : (٢ : ٢٠٨) .

لا يُسَمَّع من داره : يا سائل^(١) بُورِكَ فيكَ ، ولا ياسائلُ خُذْ هذا . وكان يقول :
سمُّوهم بأحسنِ أسمائهم^(٢) .

- ١٧٩ قال : ومَتَّى قومٌ عند يزيدَ الرَّقَاشِيَّ^(٣) ، فقال يزيد : سأمتنِّي كما تمنَّيتم . قالوا : تَمَنَّ . قال : ليتنا لم نُخْلَقْ ، وليتنا إذ خُلِقنا لم نمت ، وليتنا إذ مُتُّنا لم نُبْعَثْ ، وليتنا إذ بُعِثنا لم نُحَاسَبْ ، وليتنا إذ حُوسِبنا لم نُعَذَّبْ ، وليتنا إذ عُدِّبنا لم نُخْلَدْ .
- قال : وقال رجلٌ لأُمِّ الدَّرَداءِ^(٤) : إني أجد في قلبي داءً لا أجد له دواءً ، وأجدُ قسوةً شديدةً ، وأملًا بعيداً . قالت : اطلِّع القُبُورَ ، واشهد الموتى .
- ابن عَوْن قال : قلت للشَّعْبِيِّ : أين كان علقمةُ^(٥) من الأسود^(٦) ؟ قال : كان الأسود صَوَّاماً قَوَّاماً ، وكان علقمة مع البطيء وهو يسبق السريع^(٧) .
- قال : وقيل لغالب بن عبد الله الجَهْضَمِيِّ : إِنَّا نَخَافُ على عينيك العمى من طُول البكاء . قال : هو لهما شهادة^(٨) .

(١) ما عدل ، هـ : « للسائل » .

(٢) في عيون الأخبار : « ويقول : سموهم بالحسن الجميل عباد الله . فتقولون يا عبد الله بورك فيك » .

(٣) يزيد بن أبان الرقاشي ، المترجم في (١ : ٢٠٤) .

(٤) سبقت ترجمتها في (١ : ٣٦٥) .

(٥) هو علقمة بن قيس بن عبد الله النخعي الكوفي ، ولد في حياة الرسول ، وكان ناس من الصحابة يسألونه ويستفتونه . ويروى أنه قرأ القرآن في ليلة . وقد شهد صفين وغزا خراسان وأقام بخوارزم سنتين ، ودخل مرو فأقام بها مدة . وهو عم الأسود وعبد الرحمن ابني يزيد بن قيس ، وكانا أسن منه . توفي سنة ٦٢ . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٣ : ١٣ - ١٤) والإصابة ٦٤٤٨ .

(٦) الأسود بن يزيد بن قيس ، وهو ابن أخى علقمة ، كما سبق القول . وكان من العباد ، يروى أنه كان يصوم الدهر ، وذُهب لإحدى عينيه من الصوم . توفي سنة ٧٤ . الإصابة ٤٥٧ وتهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٣ : ١١) .

(٧) انظر مفاضلة أخرى بينهما في تهذيب التهذيب (٧ : ٢٧٧) .

(٨) الخبر في عيون الأخبار (٢ : ٢٩٦) .

محمد بن طلحة بن مُصَرِّف^(١) ، عن محمد بن جُحَادَة^(٢) ، قال : لَمَّا قُتِلَ الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَتَى قَوْمُ الرِّبِيعِ بْنِ خُثَيْمٍ فَقَالُوا : لَنَسْتَخْرِجَنَّ الْيَوْمَ مِنْهُ كَلَاماً . فقالوا : قُتِلَ الْحُسَيْنُ . قال : اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ . وأُتِيَتْهُ بُنْيَّةٌ لَهُ فَقَالَتْ : يَا أَبُيْ ، أَذْهَبُ أَلْعَبُ ؟ قال : اذْهَبِي فَقُولِي خَيْراً وَافْعَلِي خَيْراً .

وقال أَبُو عُبَيْدَةَ : اسْتَقْبَلَ عَامِرَ بْنَ عَبْدِ قَيْسٍ رَجُلٌ فِي يَوْمِ حَلْبَةِ ، فَقَالَ : مَنْ سَبَقَ يَا شَيْخُ ؟ قال : الْمُقَرَّبُونَ^(٣) .
عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمٍ ، قال : قِيلَ لِلرِّبِيعِ بْنِ خُثَيْمٍ^(٤) : لَوْ أَرَحْتَ نَفْسَكَ ؟ قال : رَاحَتَهَا أُرِيدُ ، إِنَّ عَمَرَ كَانَ كَيْساً^(٥) .

وقال أَبُو حَازِمٍ : لَيَتَّقِ اللَّهُ أَحَدَكُمْ عَلَى دِينِهِ ، كَمَا يَتَّقَى عَلَى نَعْلِهِ .
جعفر بن سُلَيْمَانَ الضُّبَيْعِيُّ^(٦) ، قال : أَتَى مُطَرِّفَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ ، فَجَلَسَ مَجْلِسَ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ وَقَدْ قَامَ ، فَقَالَ أَصْحَابُهُ : لَوْ تَكَلَّمْتَ ؟ قال : هَذَا ظَاهِرٌ حَسَنٌ ، فَإِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُوراً .

-
- ١٥ (١) ما عدال : « بن مضرب » تحريف . وهو محمد بن طلحة بن مصرف اليامي الكوفي ، روى عن الأعمش وحيد الطويل . توفي سنة ١٧٦ . تهذيب التهذيب ، وخلاصة التهذيب ٢٨٢ والسمعاني ٥٩٧ .
(٢) محمد بن جحادة الإيامي الكوفي ، روى عن أنس وغطاء ونافع ، وكان زاهداً يلبس الخلقان يغسلها ، وكان يغلو في التشيع . توفي سنة ١٣١ . تهذيب التهذيب وخلاصة التهذيب ٢٨١ والسمعاني ٥٤ . والإيامي نسبة إلى إيام : وهو بطن من همدان ، ويقال لهم أيضاً « يام » كما نص السمعاني . وإيام ، ضبط في القاموس ككذاب ، أي بكسر الهمة وتشديد الياء .
٢٠ (٣) وكذا نسب الخبر في عيون الأخبار (٢ : ٣٧٠) إلى عامر بن عبد قيس ، لكن سبقت نسبته في (٢ : ٢٨٢) إلى بلال مولى أبي بكر .
(٤) ماعدا هـ : « خثيم » وكذا خلاصة التهذيب . والصواب « خثيم » . قال ابن دريد في الاشتقاق ١١٢ : « وخثيم تصغير أخثم - يريد تصغير ترخيم - والأخثم : العريض الأنف . ومنه اشتقاق خثيمة » . وقد ضبطه كذلك ابن حجر في تقريب التهذيب .
(٥) الخبر في عيون الأخبار (٢ : ٣٧١) .
٢٥ (٦) سبقت ترجمته في (٢ : ١٧٣) .

وقال رجلٌ لآخرٍ وباع ضيعةً له :أما والله لقد أخذتها ثقيلةً المِئونة قليلة المِئونة . فقال الآخر : وأنت والله لقد أخذتها بطيئةً الاجتماع ، سريعة التفرُّق . واشترى رجلٌ من رجلٍ داراً فقال لصاحبه : لو صبرتَ لاشتريتَ منك الذراعَ بعشرةِ دنانير . قال : وأنت لو صبرتَ لبعثتكَ الذراعَ بدرهم .

ورأى ناسكٌ ناسكاً في المنام فقال له : كيف وجدتَ الأمرَ يا أخي ؟
١٨٠ قال : وجدنا ما قدَّمنا ، ورَبَحنا ما أنفقنا ، وخسرنا ما خَلَفنا .

وقال بكرٌ بن عبد الله المُزَنِّي : اجتهدوا في العمل ، فإنَّ قَصَرَ بكم ضعفٌ فكفُّوا عن المعاصي .

قال : وقال أعرابيٌّ : إنه ليقُتلُ الحُبَارَى جُوعاً ظَلُمَ الناسَ بعضهم لبعضٍ (١) .

قال : قيل لمحمد بن عليٍّ (٢) : مَنْ أشدُّ الناسَ زُهداً ؟ قال : مَنْ لا يُبالي الدُّنيا في يَدِ مَنْ كانت .

وقيل له : مَنْ أخسرُ الناسَ صَفَقَةً ؟ قال : مَنْ باعَ الباقيَ بالفاني .

وقيل له : مَنْ أعظمُ الناسَ قدراً ؟ قال : مَنْ لا يرى الدُّنيا لنفسه قدراً .

١٥ الأصمعيّ ، عن شيخٍ من بكر بن وائل ، أنَّ هانيءَ بنَ قبيصة (٣) ، أتى حُرقة بنتَ النُّعمان وهي باكية ، فقال لها : لعلَّ أحداً آذاك ؟ قالت : لا ، ولكنِّي رأيتُ غَضارةً في أهلِكُم (٤) ، وقلَّما امتلأت دَارُ سروراً إلَّا امتلأت حزنًا . وقالوا : يَهْرَمُ ابنُ آدمَ وتَشِبُّ لَهُ خَصَلتان (٥) : العِرْصُ والأمل .

(١) في الحيوان (٥ : ٤٤٤) : « هزلاً » بدل « جوعاً » . وقد فسر الجاحظ الخبر بقوله : « يقول :

٢٠ إذا كثرت الخطايا منع الله عز وجل در السحاب . وإنما تصيب الطير من الحب ومن الثمر على قدر المطر » .

(٢) هو محمد بن علي بن الحسين بن علي ، أبو جعفر الباقر ، المترجم في (٢ : ٢٦٢) .

(٣) هانيء بن قبيصة الشيباني ، كان شريفاً عظيماً القدر ، وكان نصرانياً ، وأدرك الإسلام فلم يسلم ، ومات بالكوفة . الاشتقاق ٢١٦ .

(٤) الغضارة : النعمة والسعة في العيش . وقد سبق الخبر في ١٤٥ ، برواية : « رأيت لأهلك غضارة » .

٢٥ (٥) هـ : « خلتان » .

الأصمعي ، قال : قال محمد بن واسع ^(١) : ما آسى من الدنيا إلا على ثلاث : بُلْغَةً من عيشٍ ليس لأحد فيها على مَنَّة ولا لله فيها على تبعه ، وصلاة في جَمْع ^(٢) أَكْفَى سَهْوَهَا وَيُدْخِر لى أَجْرُهَا ، وأخ في الله إذا ما اعوججت قَوْمِي .
وقال آخر : ما آسى من العراق إلا على ثلاث : ليل الحَزِين ^(٣) ، ورُطْب السُّكَّر ، وحديث ابنِ أُمى بكرة ^(٤) .

وقال آخر : إذا سمعتَ حديثَ أُمى نُضْرَةَ ^(٥) ، وكلامَ ابنِ أُمى بكرة ، فكأنك مع ابنِ لسانِ الحُمرة ^(٦) .

وقال أبو يعقوب الخرمي الأعور ^(٧) : تَلَقَّانِي مع طُلُوع الشَّمْس سعيْدُ

(١) محمد بن واسع الأزدي ، ترجم في (١ : ٣٥٣) .

(٢) يعني صلاة الجماعة . وفي صفة الصفوة ٣ : ١٩٤ : « وصلاة في جماعة يحمل عني سهوها ، وأفوز بفضلها » . ١٠

(٣) ما عدل : « الحريق » تحريف . وفي هامش هـ ، ب والتميمورية : « حكى الجاحظ في كتاب الأمثال : بالبصرة موضع يقال له الحريق (صوابه الحزير) لم ير الناس قط هواء أعدل ، ولا نسيما أرق ، ولا سماء أطيب من ذلك الموضع » .

(٤) سبق الخبر في (٢ : ١٩٦) . وقد أورده ابن قتيبة في عيون الأخبار (١ : ٣٠٨) . وابن أُمى بكرة هذا ، هو عبيد الله ، المترجم في (١ : ١٧٣) حيث قال الجاحظ عند الكلام على ابن الزبير : « وكيف يكون هذا وقد ذكروا أنه كان من أحسن الناس حديثاً ، وأن أبا نضرة وعبيد الله بن أُمى بكرة إنما كانا يحكيانه » . ١٥

(٥) أبو نضرة ، سبقت ترجمته في (١ : ١٧٣) .

(٦) ابن لسان الحمرة ، اسمه عبيد الله بن الحصين ، أو ورقاء بن الأشعر ، كما في القاموس والمعارف ٢٣٣ . وفي الفهرست ١٣٢ : « وقاء » وهو تحريف . وكان يكنى أبا كلاب ، كما في الحيوان (٢ : ٢٠٠) . وهو أعزاني من بني تيم الله بن ثعلبة ، وكان من علماء زمانه . قال ابن قتيبة : « وكان أنسب العرب وأعظمهم بَصراً » . دخل الكوفة وعليها المغيرة بن شعبة ، فسأله المغيرة عن طبائع قبائل من العرب ، وعن خلق النساء ، فأجاب أجوبة ممتعة ، سردها أبو الفرج في الأغاني (١٤ : ١٣٨) . وسأله معاوية يوماً فقال له : بم يَلِكُ العلم ؟ قال : بلسان ستول ، وقلب عقول . انظر حياة الحيوان للدميري في ترجمته « الحمرة » . ٢٥

(٧) ترجم أبو يعقوب الخرمي في (١ : ١١ ، ١١٥) . والخبر في عيون الأخبار (٢ : ١٢٨) .

ابن وهب ، فقلت : أين تريد ؟ قال : أدور على المجالس فلعلني أسمع حديثاً حسناً .
ثم لم أجاوز بعيداً حتى تلقاني أنس بن أبي شيخ ^(١) ، فقلت له : أين تريد ؟
قال : عندي حديث حسن فأنا أطلب له إنساناً حسن الفهم ، حسن الاستماع .
قال : قلت : حدّثني فأنا كذلك ^(٢) . قال : أنت حسن الفهم ردي الاستماع ،
وما أرى لهذا الحديث إلا إسماعيل بن غزوان ^(٣) .

٥

هشام ، قال : أخبرني رجل من أهل البصرة قال : وُلد للحسن بن أبي
الحسن غلامٌ ، فقال له بعض جلسائه : بارك الله لك في هبته ، وزادك في
أحسن نعمته . فقال الحسن : الحمد لله على كل حسنة ، وأسأل الله الزيادة في
كل نعمة ، ولا مرحباً بمن إن كنت عائلاً أنصبنى ^(٤) ، وإن كنت غنياً أذهلني ،
لا أرضى بسعيي له سعيًا ، ولا بكدي له في الحياة كدًا ، حتى أشفق عليه
من الفاقة بعد وفاتي ، وأنا في حال لا يصل إلى من همّه خزّن ، ولا من فرحه
سرور .

١٨١

قال الحسن للمغيرة بن مخرّاش التميمي : إن من خوفك حتى تلقى
الأمن ، خير لك ممن أمنتك حتى تلقى الخوف .

وقال عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود : ما أحسن الحسنه في إثر
الحسنه ، وأقبح السيئه في إثر السيئه .

الحسن قال : ما رأيْتُ يقيناً لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من أمر
نحن فيه .

(١) ترجم في (٢ : ٢٥٢) .

(٢) ل : « كذلك » .

(٣) إسماعيل بن غزوان هذا من ردد الجاحظ ذكرهم في كتابه « البخلاء » وكثيراً ما يقرنه بسهولة

ابن هارون . وكان ممسكاً شديد البخل . انظر البخلاء ١٣٠ .

(٤) العائل : الفقير . والعيلة : الحاجة وال فقر . ل : « أتعبنى » . أنصبه : أتعبه .

قال : وكان الحسن إذا ذكر الحجاج قال : يتلو كتاب الله على لخم
وجذام ، ويعط عِظَةَ الأزارقة ، ويبطش بطش الجبارين .

وكان يقول : اتقوا الله ؛ فإن عند الله حجاجين كثيراً .

وقال سنان بن سلمة بن قيس ^(١) : اتقوا الله ؛ فإن عند الله أياماً مثل

شوال ^(٢) .

وقال خالد بن صفوان : بث ليلتي كلها أتمنى ، فكبست ^(٣) البحر
الأخضر بالذهب الأحمر ، فإذا الذي يكفيني من ذلك رغيغان ، وكوزان ،
وطمران ^(٤) .

وكان الحسن يقول : إنكم لا تنالون ماتحبون إلا بترك ماتشتهون ،
ولا تدركون ما تؤملون إلا بالصبر على ما تكرهون .

ودخل قوم على عوف بن أبي جميلة ^(٥) في مرضه ، فأقبلوا يشنون عليه ،
فقال : دعونا من الشئ ، وأمدونا بالدعاء .

وقال أبو حازم : نحن لا نريد أن نموت حتى نتوب ، ونحن لا نتوب حتى
نموت .

وكان الحسن يقول : يا ابن آدم ، نهارك ضيفك فأحسب إليه ؛ فإنك إن
أحسنست إليه ارتحل بحمدك ، وإن أنت أسأت إليه ارتحل بدمك . وكذلك ليلاك .

وقيل لبعض العلماء : من أسوأ الناس حالاً ؟ قال : عبد الله بن عبد الأعلى ١٨٢

(١) ما عدل : « وكان سنان بن سلمة بن قيس يقول » .

(٢) إشارة خاصة إلى الطاعون الجارف الذي حصل بالعراق في شوال سنة تسع وستين . النجوم
الزاهرة ١ : ١٨٢ - ١٨٣ والمعارف ٢٥٩ - ٢٦٠ . وجاء في كتاب التعازي والمراني للمبرد بعد أن تكلم
على الطاعون الجارف في شوال سنة ٦٩ : ثم خف الطاعون وخليفة مصعب بن الزبير على البصرة سنان بن
سلمة الهمداني ، فخطب الناس فقال : اتقوا الله أيها الناس فإن عند الله أياماً مثل شوال .

(٣) هـ : « فكسبت » وفي سائر النسخ ماعدا ل : « فكسبت » تحريف ، وفي هامش التيمورية :

« فملأت . نسخة ، فكسوت . نسخة » .

(٤) الطمر ، بالكسر : الثوب الخلق .

(٥) ترجم في (٢ : ٣٧) .

الشَّيْبَانِيَّ ، القائلُ عند موته : دخلْتُها جاهلاً ، وأقمتُ فيها حائراً ، وأُخرجتُ مِنْها كارهاً - يعنى الدنيا .

وقيل لآخر : مَنْ أسوأُ النَّاسِ حالاً ؟ قال : مَنْ قويتْ شهوته وبُعِدتْ همته ، واتَّسعتْ معرفته وضاقَتْ مقدّرتُه .

- وقيل لآخر : مَنْ شرُّ النَّاسِ ؟ قال : مَنْ لا يبالي أن يراه النَّاسُ مسيئاً .
وقيل لآخر : مَنْ شرُّ النَّاسِ ؟ قال : القاسى . فقليل : أيُّما شرٌّ ،
الوَقَاحُ ^(١) أم الجاهل ، أم القاسى ؟ قال : القاسى .

- وذَكَرَ أبو صفوان ، عن البَطَّالِ أبى العلاء ، من بنى عمرو بن تميم قال :
قيل له قبل موته : كيف تَجِدُكَ يا أبَا العلاء ؟ قال : أَجِدُنِي مَغْفُوراً لِي . قالوا :
قُلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . قال : قد شاءَ اللَّهُ . ثم قال :
١٠

أَوْصِيكُمْ بِالْجِلَّةِ التَّلَادِ ^(٢) فَإِنَّمَا حَوْلَكُمْ الْأَعَادِي

- قال ابن الأعرابى : كان العبّاس بن زفر ^(٣) لا يكلم أحداً حتّى تنبسط
الشمس ، فإذا انفتل عَنْ مُصَلَّاهُ ضَرَبَ الْأَعْنَاقَ ، وَقَطَعَ الْأَيْدِيَّ وَالْأَرْجُلَ . وكان
جريرُ بن الحُطَفَيِّ لا يتكلم حتّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ ، فإذا طَلَعَتْ قَذَفَ الْمُحْصَنَاتَ .
قال : ومَرَّتْ به جِنَازَةٌ فبكى وقال : أَحَرَقْتَنِي هَذِهِ الْجَنَائِزُ ^(٤) ! قيل : فلم
تَقْدِفِ الْمُحْصَنَاتَ ؟ قال : يبدو لى ولا أصبر .
١٥ وكان يقول : أنا لا أبتدى ولكن أعتدى ^(٥) .

(١) الوقاح ، كسحاب : القليل الحياء .

(٢) الجلة : المسان من الإبل . والتلاد : كل مال قديم يورث عن الآباء .

(٣) كان للعباس بن زفر صلة بالمؤمن قبل الخلافة . انظر الأغاني (١٢ : ٢٠ - ٢١) .

(٤) ما عدل ، هـ : « الجنازة » بالافراد .

(٥) فى الحيوان (٣ : ٩٩) . « ولكنى أعتدى » . والنص فى الحيوان مسبوقة بقوله : « وقيل لجرير :

إلى كم تهجو الناس ؟ » . والاعتداء هنا بمعنى المجازاة ، مثله فى قوله الله : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » . وفى العقد ٥ : ٢٩٦ : « لست بمبتدى » ولكنى معتد . يريد أنه يسرف فى

القصاص . وفى التمثيل والمحاضرة ١٨٤ : « ولكن أقتدى » .

الحسن بن الربيع الكِنْدِي بِإِسْنَادٍ لَهُ ، قَالَ : قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَسَلَّمَ :
دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا أُنِيتُ أَهْبَنِي اللَّهُ وَأَحْبَبَنِي النَّاسَ . قَالَ : « أَزْهَدْ فِي الدُّنْيَا
يُحِبُّكَ اللَّهُ ، وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ » .

قَالَ : وَبَلَغَنِي عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُخَيَّمَةَ الْهَمْدَانِيِّ (١) ، أَنَّهُ قَالَ : إِنِّي لِأَغْلُقَ
بَابِي فَمَا يُجَاوِزُهُ هَمِّي (٢) .

وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ : وَجُدَ فِي حَجَرٍ مَكْتُوبٌ : يَا ابْنَ آدَمَ ، لَوْ أَنَّكَ رَأَيْتَ
يَسِيرَ مَا بَقِيَ مِنْ أَجْلِكَ لَزَهَدْتَ فِي طَوْلِ مَا تَرْجُو مِنْ أَمْلِكَ ، وَلَرَغِبْتَ فِي الزَّيَادَةِ
فِي عَمَلِكَ ، وَلَقَصُرْتَ مِنْ حِرْصِكَ وَحِيلِكَ . وَإِنَّمَا يَلْقَاكَ غَدَاً نَدْمُكَ ١٨٣
لَوْ قَدْ زَلَّتْ بِكَ قَدَمُكَ ، وَأَسْلَمَكَ أَهْلُكَ وَحَشَمُكَ ، وَتَبَرَّأَ مِنْكَ الْقَرِيبُ ،
وَانصَرَفَ عَنْكَ الْحَبِيبُ ، فَلَا أَنْتَ إِلَى أَهْلِكَ بَعَائِدٍ ، وَلَا فِي عَمَلِكَ بَزَائِدٍ . ١٠

وَقَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ : « تَعْمَلُونَ لِلدُّنْيَا وَأَنْتُمْ تُرْزَقُونَ فِيهَا
بِفَيْرِ الْعَمَلِ ، وَلَا تَعْمَلُونَ لِلْآخِرَةِ وَأَنْتُمْ لَا تُرْزَقُونَ فِيهَا إِلَّا بِالْعَمَلِ » .

قَالَ : أَوْحَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى الدُّنْيَا : مَنْ خَدَمَنِي فَاخْدُمِيهِ ، وَمَنْ
خَدَمَكَ فَاسْتَخْدُمِيهِ (٣) .

وَقَالَ : مِنْ هَوَانِ الدُّنْيَا عَلَى اللَّهِ أَنَّهُ لَا يُعْصَى إِلَّا فِيهَا ، وَلَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ
إِلَّا بِتَرْكِهَا . ١٥

(١) مخيمرة ، ضبطه في الخلاصة بضم الميم الأولى وفتح الثانية . لكن قواعد التصغير تقتضي كسر
ما بعد الياء في مثله . وهو بالخاء المعجمة . وفيما عدل : « مخيمرة » بالهملة ، تحريف . وهو أبو عروة
القاسم بن مخيمرة الهمداني الكوفي ، كان معلماً بالكوفة ثم سكن الشام . روى عن عبيد الله بن عمرو بن
العاص ، وأبي سعيد الخدري ، وشريح بن هانئ وغيرهم . وتوفي سنة مائة . تهذيب التهذيب ، وخلاصة
التهذيب ٢٦٧ وصفة الصفوة (٣ : ٥٢) . ٢٠

(٢) في صفة الصفوة : « قال القاسم بن مخيمرة : ما اجتمع على مائدتي لوان من طعام واحد ،
ولا أغلقت بابي ولى خلفه هم » .

(٣) انظر عيون الأخبار (٢ : ٣٢٩) .

قال : مرَّ عيسى بن مريم عليه السلام بقوم ييكون ، فقال : ما بالهم ييكون ؟ فقالوا : على ذنوبهم . قال : « اتركوها يُغْفَرْ لكم ^(١) » .

قال : وقال زياد بن أبي زياد ، مولى [عبد الله بن] عَيَّاش بن أبي ربيعة ^(٢) : دخلت على عمر بن عبد العزيز ، فلما رآني تَزَجَّلَ عن مجلسه ^(٣) وقال : إذا دخل عليك رجلٌ لا ترى لك عليه فضلاً فلا تأخُذْ عليه شرفَ المجلس .
وقال الحسن : « إِنَّ أَهْلَ الدُّنْيَا وَإِنْ دَقَقْتُ بِهِمُ الْهَمَالِيَجَ ^(٤) ، وَوُطِئَ النَّاسُ أَعْقَابَهُمْ ، فَإِنَّ ذَلِكَ الْمَعْصِيَةَ فِي قُلُوبِهِمْ » .

قالوا : وكان الحجاج يقول إذا خطب : « إِنَّا وَاللَّهِ مَا خُلِقْنَا لِلْفَنَاءِ ، وَإِنَّمَا خُلِقْنَا لِلْبَقَاءِ ، وَإِنَّمَا نَنْتَقِلُ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ » . وهذا من كلام الحسن .
ولما ضَرَبَ عبد الله بن عليٍّ ^(٥) تلك الأعناق قال له قائل : هذا والله جَهْدٌ

(١) ما عدا ل : « تغفر لكم » .

(٢) التكملة مما سبق من التحقيق في ص ١٢٦ . وفيما عدا ل ، ه : « بن ربيعة » تحريف والخبر في عيون الأخبار (١ : ٣٠٧) .

(٣) ترحل عن مجلسه : تنحى وتباعد . ل : « ترحل » وفي التيمورية « ترحل » صوابهما ما أثبت من ه ، ب ، ح . وفي عيون الأخبار : « رحل » .

(٤) الدققة : حكاية أصوات حوافر الدواب في سرعة ترددها . والهماليج : جمع هملج ، وهو البؤذون الحسن السير في سرعة وبخبرة .

(٥) هو عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس ، عم أبي العباس السفاح وأبي جعفر المنصور . ولأبى العباس حرب مروان بن محمد ، فسار إليه حتى قتله وأستولى على بلاد الشام . ولم يزل أمراً عليها مدة خلافة السفاح ، فلما ولي المنصور خالف عليه ودعا إلى نفسه ، فوجه إليه المنصور أبا مسلم صاحب الدولة فحاربه بنصيبين ، فانهزم عبد الله بن علي واختفى وصار إلى البصرة ، فأشخصه سليمان بن علي والى البصرة إلى بغداد ، فحبسه جعفر ، ولم يزل في حبسه ببغداد حتى وقع عليه البيت الذي حبس فيه فقتله ، وذلك سنة ١٤٧ . تاريخ بغداد ٥١١٨ والمعارف ١٦٣ - ١٦٤ . وذكر المسعودي في التنبيه والإشراف ٢٨٥ أن عبد الله بن علي قتل من الأمويين على نهر أبي فطرس بفلسطين نحواً من ثمانين رجلاً مُثْلَةً ، واحتذى أخوه داود ابن علي بالحجاز فعله ، فقتل نحواً من هذا العدد بأنواع المثل .

البلاء؟ فقال عبد الله: ما هذا وشُرْطَةُ الْحَجَّامِ إِلَّا سَوَاءٌ: وإِنَّمَا جَهْدُ الْبَلَاءِ فَقَرُّ مُدَقِّعٍ بَعْدَ غِنَى مُوسَى .

وقال آخر: أَشَدُّ مِنَ الْخَوْفِ الشَّيْءُ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ يَشْتَدُّ الْخَوْفُ .
وقال آخر: أَشَدُّ مِنَ الْمَوْتِ مَا يُتَمَنَّى لَهُ الْمَوْتُ ، وَخَيْرٌ مِنَ الْحَيَاةِ مَا إِذَا فَقَدْتَهُ أَبْغَضْتَ لَهُ الْحَيَاةَ . ٥

وقال أهل النار: ﴿ يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾ ، فَلَمَّا لَمْ يُجَابُوا إِلَى الْمَوْتِ قَالُوا: ﴿ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ ﴾ .
وقالوا: ليس في النار عذابٌ أَشَدُّ عَلَى أَهْلِهِ مِنْ عِلْمِهِمْ بِأَنَّهُ لَيْسَ لِكُرْهِهِمْ تَنْفِيسٌ ، وَلَا لِضَيْقِهِمْ تَرْفِيَةٌ ، وَلَا لِعَذَابِهِمْ غَايَةٌ . وَلَا فِي الْجَنَّةِ نَعِيمٌ أَبْلَغُ مِنْ عِلْمِهِمْ أَنَّ ذَلِكَ الْمُلْكُ لَا يَزُولُ . ١٠

قالوا: قَارَفَ الزُّهْرِيُّ ذَنْباً ، فَاسْتَوْحَشَ مِنَ النَّاسِ وَهَامَ عَلَى وَجْهِهِ ، فَقَالَ ١٨٤
لَهُ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ: يَا زُهْرِيُّ ، لَقُنُوطُكَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ أَشَدُّ عَلَيْكَ مِنْ ذَنْبِكَ ! فَقَالَ الزُّهْرِيُّ: ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ^(١) ﴾ .
فَرَجَعَ إِلَى مَالِهِ وَأَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ .

قال ابن المبارك: أَفْضَلُ الزُّهْدِ أَخْفَاهُ . ١٥

الأَوْزَاعِيُّ ، عَنْ مَكْحُولٍ قَالَ: إِنْ كَانَ فِي الْجَمَاعَةِ الْفَضِيلَةُ فَإِنَّ فِي الْعُزْلَةِ السَّلَامَةَ .

إِسْمَاعِيلُ بْنُ عِيَّاشٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ ^(٢) ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ الْعَبَثَ فِي الصَّلَاةِ ، وَالرَّفَثَ فِي الصِّيَامِ ، وَالضَّحِكَ فِي الْمَقَابِرِ » .

٢٠ (١) مِنَ الْآيَةِ ١٢٤ فِي الْأَنْعَامِ . وَهَذِهِ قِرَاءَةُ جُمْهُورِ الْقُرَّاءِ . وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَحَفْصُ بْنُ أَبِي مَيْمُونٍ :

(رِيسَالَتُهُ) بِالْإِفْرَادِ . إِتْحَافٌ فَضْلَاءُ الْبَشَرِ ٢١٦ .

(٢) سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ وَتَرْجُمَةُ إِسْمَاعِيلِ فِي (٢ : ٢٣) حَيْثُ سَلَفَ الْخَيْرُ .

وقال أَرْدَشِيرُ خُرَّهَ^(١) : اَحْذَرُوا صَوْلَةَ الْكَرِيمِ إِذَا جَاعَ ، وَاللَّيْمَ إِذَا شَبِعَ .

قال واصل بن عطاء : الْمُؤْمِنُ إِذَا جَاعَ صَبَرَ ، وَإِذَا شَبِعَ شَكَرَ .

وقيل لعامر بن عبد قيس : مَا تَقُولُ فِي الْإِنْسَانِ ؟ قَالَ : مَا عَسَى أَنْ أَقُولَ

فِيمَنْ إِذَا جَاعَ ضَرَعَ ، وَإِذَا شَبِعَ طَغَى .

قال : وَنَظَرَ أَعْرَابِيٌّ فِي سَفَرِهِ إِلَى شَيْخٍ قَدْ صَحِبَهُ ، فَرَأَاهُ يَصَلِّي فَسَكَنَ

إِلَيْهِ ، فَلَمَّا قَالَ : أَنَا صَائِمٌ ، ارْتَابَ بِهِ ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

صَلَّى فَأَعْجَبَنِي وَصَامٌ فَرَأَيْتِي نَحَّ الْقُلُوصَ عَنِ الْمَصَلَّى الصَّائِمِ^(٢)

وهو الذي يقول :

لَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ مَسْجُونًا تُسْأَلُهُ مَا بَالُ سَجْنِكَ إِلَّا قَالَ : مَظْلُومٌ^(٣)

* * *

الثوري ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ^(٤) ، عَنْ يَحْيَى بْنِ جَعْفَةَ^(٥) ، قَالَ :

كَانَ يَقَالُ : اَعْمَلْ وَأَنْتَ مُشْفِقٌ ، وَدَعْ الْعَمَلَ وَأَنْتَ تَحْبُهُ .

(١) كذا . والمعروف أن « أَرْدَشِيرَ خُرَّهَ » اسم كورة من كور فارس ، ومعناه بهاء أَرْدَشِير . معجم البلدان ، واستينجاس ٣٥ . فلعل كلمة « خره » مقحمة ، أو محرفة عن كلمة « مَرَّة » . وأردشير بن بابك معروف بالحكمة ، وقد اختار ابن قتيبة طائفة من أقواله في عيون الأخبار .

(٢) القلوص : الفتية من الإبل . ما عدل : « عَدَّ الْقُلُوصَ » . وانظر الأشرة لابن قتيبة ٧٧ .

(٣) وكذا في الحيوان (٢ : ١٠٦) . وفي عيون الأخبار (١ : ٧٩ / ٢ : ١١٦) .

ما يدخل السجن إنسان فتسأله ما بال سجنك إلا قال مظلوم

(٤) هو حبيب بن أبي ثابت قيس بن دينار الأسدي الكوفي . روى عن ابن عمر ، وابن عباس ، وأنس وغيرهم ، وروى عنه : الأعمش ، والثوري ، وشعبة وغيرهم . توفي سنة ١١٩ . تهذيب التهذيب وصفة الصفة (٣ : ٥٩) .

(٥) يحيى بن جعدة بن هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشي المخزومي . روى عن أبي الدرداء ، وابن مسعود ، وأبي هريرة وغيرهم .

قال : وقيل للرابعة القيسية ^(١) : هل عملت عملاً قط تُرَيْنَ أَنَّهُ يُقْبَلُ منك ؟ قالت : إِنْ كَانَ شَيْءٌ فَخَوْفِي مِنْ أَنْ يُرَدَّ عَلَيَّ .

وقال محمد بن كعب القُرَظِيُّ ^(٢) ، لَعُمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَنْظُرَنَّ إِلَى سِلْعَةٍ قَدْ بَارَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكَ تَرِيدُ أَنْ تُجَوِّزَ عَنْكَ ^(٣) .

الحسن قال : كَانَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَرْقَ مِنْكُمْ قُلُوباً وَأَصْفَقَ ثِيَاباً ، وَأَنْتُمْ أَرْقَ مِنْهُمْ ثِيَاباً وَأَصْفَقَ مِنْهُمْ قُلُوباً ^(٤) .

عبد الله بن المبارك قال : كَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى الْجَرَّاحِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَكَمِيِّ :

« إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَدَعَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ مَا يَكُونُ حَاجِزاً بَيْنَكَ وَبَيْنَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكَ فَافْعَلْ ؛ فَإِنَّهُ مَنْ اسْتَوْعَبَ الْحَلَالَ كُلَّهُ تَأَقَّتْ نَفْسُهُ إِلَى الْحَرَامِ » .

وقال أبو بكر الصديق رحمه الله لخالد بن الوليد حين وجهه : « احْرِصْ عَلَى الْمَوْتِ تُوَهَّبَ لَكَ الْحَيَاةُ » .

وقال رجل : أَنَا أَحَبُّ الشَّهَادَةِ . فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ النَّسَاكِ : أَحَبُّهَا إِنْ وَقَعَتْ عَلَيْكَ ، وَلَا تَحِبَّهَا حُبٌّ مَنْ يَرِيدُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهَا .

وقال رجلٌ ^(٥) لداود بن نصير الطائِي العابد ^(٦) : أَوْصِنِي . قَالَ : اجْعَلْ

(١) مضت ترجمتها في (١ : ٣٦٤) .

(٢) ترجم في (٢ : ٣٤ ، ٣٠٠) .

(٣) في عيون الأخبار (٢ : ٣٤٣) : « وَلَا تَذْهَبَنَّ إِلَى سِلْعَةٍ قَدْ بَارَتْ عَلَى غَيْرِكَ تَرْجُو جَوَازَهَا عَنْكَ » .

(٤) ما عدل : « وَأَصْفَقَ قُلُوباً » .

(٥) هو عبد الله بن إدريس ، كما في صفة الصفوة (٣ : ٧٥) .

(٦) داود بن نصير الطائِي الكوفي الفقيه الزاهد . ومما يروى من أخباره أَنَّهُ دُفِنَ كَتَبِهِ . توفى سنة

١٦٥ . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة .

الدنيا كيومِ صُمتِه ، واجعل فِطْرَكَ الموت ، فكأنَّ قَدْ ، والسلام . قال : زِدْنِي .
قال : لا يَرِكَ الله عند ما نهاك عنه ، ولا يَفْقِدُكَ عند ما أَمَرَكَ به . قال : زِدْنِي .
قال : ارضَ باليسير مع سلامة دينك ، كما رَضِيَ قومٌ بالكثير مع هلاك دينهم .

قال رجل ليوثس بن عبيد ^(١) : أتعلم أحداً يعمل بعمل الحسن ؟ قال :
والله ما أعرفُ أحداً يقول بقوله ، فكيف يعمل بمثل عمله ؟ قال : صِفْهُ لنا .
قال : كان إذا أقبل فكأنه أقبل من دفن حميمه ، وكان إذا جلس فكأنه أسير قد
أُمر بضرب عنقه ، وكان إذا ذُكِرَت النار عنده فكأنها لم تُخلق إلا له .

وهيب بن الورد ^(٢) قال : بينا أنا أدور في السوق إذ أخذَ آخِذٌ بقفائِ
فقال لي : يا وهيب ، أثق الله في قُدْرته عليك ، واستحى الله في قُربه منك ^(٣) .

وقال عبد الواحد بن زيد ^(٤) لأصحابه : ألا تستحيون من طول مالا
تستحيون !

الهيثم قال : كان شيخٌ من أعرابِ طحِيءٍ كثيرَ الدَّعاءِ بالمغفرة ، فقليل له في
ذلك ، فقال : والله إنَّ دعائِي بالمغفرة مع قُبْحِ إصراري لِلْظُّومِ ، وإنَّ تركي الدعاءِ
مع قوَّة طمعي لَعَجَزَ .

قال أبو بشر صالح المُرِّي ^(٥) : إن تكن مصيبتُك في أخيك أحدثت لك

(١) ترجم في (٢ : ٢٢٠) . وكان من أثبت الناس في الحسن . والخبر في عيون الأخبار (٢ :
٣٥٥ - ٣٥٦) .

(٢) وهيب لقب له ، واسمه عبد الوهاب بن الورد بن أبي الورد القرشي . كان من العباد
المتجربين لترك الدنيا . توفي سنة ١٥٣ . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٢ : ١٢٣ - ١٢٨) .

(٣) في صفه الصفوة : قال : بينا أنا واقف في بطن الوادي إذا أنا برجل قد أخذ بمنكى فقال :
يا وهيب ، خف الله لقدرته عليك ، واستحى منه لقربه منك . قال : فالتفت فلم أر أحداً .

(٤) سبقت ترجمته في (١ : ٣٦٤) .

(٥) ترجم في (١ : ١١٣) . ما عدل ، هـ : « أبو بشر » تحريف .

خشيةً فنعلم المصيبة مصيبتك ، وإن تكن مصيبتك بأخيك أحدثت لك جزعاً
فبئس المصيبة مصيبتك ^(١) .

١٨٦

وقال عمرو بن عبيدٍ لرجلٍ يعزّيه : كان أبوك أصلك ، وابنتك فرعك ، فما
بقاء شيء ذهب أصله ولم يبق فرعُه .

وقال الحسن : إنّ امرأً ليس بينه وبين آدم إلا أبٌ ميّت ^(٢) لمُعزّق في
الموت ^(٣) .

وقالوا : أعظمُ من الذنب اليأسُ من الرحمة ، وأشدُّ من الذنب المماطلة بالتوبة .

ابن لهيعة ^(٤) ، عن سيّار بن عبد الرحمن ^(٥) ، قال : قال لي بُكيرُ بن
الأشج ^(٦) : ما فعل خالك ؟ قلت : لزم بيته . فقال : أما لعن فعل لقد لزم قومٌ

من أهل بدرٍ بيوتهم بعد مقتل عثمان رحمه الله ، فما خرجوا منها إلا إلى قبورهم .

وقال الحسن : إنّ الله ترائك في خلقه ، لولا ذلك لم يتتفع النبيون وأهلُ
الانقطاع إلى الله بشيء من أمر الدنيا : وهى الأمل ، والأجل ، والتسنيان .

وقال مطرّف بن عبد الله ^(٧) لابنه : يا بني لا يلهيتك النَّاسُ عن نفسك ؛
فإنَّ الأمر خالصٌ إليك دونهم . إنك لم تر شيئاً هو أشدَّ طلباً ولا أسرعُ ذرْكَاً من

توبةٍ حديثة لذنبٍ قديم .

وفي الحديث أنّ أبا هريرة مرَّ بمروان ^(٨) وهو يبنى داره ، فقال:

(١) الخبر برواية أخرى في عيون الأخبار (٣ : ٥٣) .

(٢) ما عدل : « إلا أب قد مات » .

(٣) في اللسان (عرق ١١٢) : « لمعرق له في الموت ، أى إن له فيه عرقا ، وإنه أصيل في الموت » .

(٤) هو عبد الله بن لهيعة بن عقبة ، المترجم في (١ : ٣٦٢) .

(٥) سيّار بن عبد الرحمن الصدقي المصري . روى عن عكرمة ، وحنش ، وبكير وغيرهم .

وروى عنه الليث ، وابن لهيعة ، وحيوة بن شريح . تهذيب التهذيب ، وخلاصة التهذيب ١٣٦ .

(٦) هو بكير بن عبد الله بن الأشج القرشي مولاهم ، نزل مصر . قالوا : لم يكن بالمدينة بعد كبار

التابعين أعلم من ابن شهاب ، ويحيى بن سعيد ، وبكير بن عبد الله بن الأشج . خرج قديماً إلى مصر فنزل

بها . وتوفي سنة ١٢٠ . تهذيب التهذيب وخلاصة تهذيب الكمال ٤٤ .

(٧) مطرّف بن عبد الله بن الشخير ، ترجم في (١ : ١٠٣ ، ٣٥٣) .

(٨) هو مروان بن الحكم ، المترجم في (١ : ٣٧٧) .

٥

١٠

١٥

٢٠

٢٥

يا أبا عبد القدوس^(١) ، ابن شديداً وأمل بعيداً ، وعيش قليلاً وكل خضماً ،
والموعد الله^(٢) .

قال : كان عمرو بن حوالة ، أبو سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص -
وأمه حوالة من المسامعة^(٣) - وكان ناسكاً يجتمع إليه القراء والعلماء يوم
الخميس ، وقال الشاعر فيه :

وأصبح زورك زور الخميس إليك كمرعية وأرده

وقال الآخر في ابن سيرين :

فأنت بالليل ذئب لا حریم له وبالنهار على سم ابن سيرين^(٤)

وقال ابن الأعرابي : قال بعض الحكماء : لا يغلبن جهل غيرك بك علمك
بنفسك .

قال : وصلى محمد بن المنكدر^(٥) ، على عمران بقرة^(٦) ، ف قيل له في
ذلك ، فقال : إني لأستحي من الله أن أرى أن رحمته تعجز عن عمران بقرة .

(١) لم يعرف من أولاد مروان من يدعى « عبد القدوس » . انظر المعارف لابن قتيبة ومروج
الذهب (٣ : ٩٨) . وقد ذكر فيهما أنه كان له من الولد أحد عشر ذكراً وثلاث بنات ، ليس من بينهم
عبد القدوس .

(٢) الخضم : الأكل بجميع الفم . انظر ما سبق في ص ١٥٤ . وقد روى هذا الخبر في اللسان
(خضم) برواية : « فقال ابنا شديدا ، وأملوا بعيدا ، واخضموا فسقطضم » .

(٣) المسامعة ، أبوه مسمع بن شهاب بن عمرو بن عياد بن ربيعة بن جحدر بن ربيعة بن
ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب على بن بكر بن وائل . وقيل فيهم مسامعة ، كما قيل في
المهلبين مهالبة . وللمسامعة محلة بالبصرة . انظر معجم البلدان .

(٤) أنشده الجاحظ في الحيوان (٣ : ٤٩١) والثعالبي في ثمار القلوب ٧٠ والسمت : الطريق وهيئة
أهل الخير . قال الثعالبي : « لما لم يستقم له أن يقول : على ورع ابن سيرين ، أقام السميت مقامه وأحسن » .

(٥) هو أبو عبد الله محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير بن عبد العزيز التيمي ، من جلة التابعين ،
وكان من سادات القراء والمحدثين . توفي سنة ١٣٠ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٢ : ٧٩) .

(٦) في هامش هـ والتميمورية : « عمران بقرة : لقب لرجل كان مسرفاً على نفسه » .

وقال محمد بن يسير :

كأنه قد قيل في مجلس قد كنت آتيه وأغشاه
محمد صار إلى ربه يرحمنا الله وإياه

وقال الآخر :

لَقُلْ عَاراً إِذَا ضَيَّفَ تَضَيَّفَنِي ما كان عندي إذا أعطيْتُ مجهودِي^(١)
فَضْلُ الْمُقِلِّ إِذَا أَعْطَاهُ مُصْطَبِراً ومُكثِرٍ فِي الْغَنَى سَيَّانٍ فِي الْجُودِ^(٢)
لَا يَعْلَمُ السَّائِلُونَ الْخَيْرَ أَفْعَلُهُ إِمَّا تَوَالِي وَآمَّا حُسْنَ مَرُودِي
وكان الربيع بن خثيم ، إذا قيل له : كيف أصبحت يا أبا يزيد ؟ قال :
أصبحنا ضعفاءً مذنبين ، نأكل أرزاقنا ، وننتظر آجالنا .
وقال ابن المقفع : الجود بالمجهود مُنتهى الجود .

قال مطرف بن عبد الله : كان يُقال : لم يلتق مؤمنان إلا كان أحدهما
أشدَّهما حباً لصاحبه . وكنت أرى إني أشدُّ حباً لمذعور بن طفيل^(٣) منه لي ،
فلما سِيرَ لِقَينِي لَيْلاً فَحَدَّثَنِي فَقُلْتُ : ذَهَبَ اللَّيْلُ ! قال : ساعة . ثم قلت :
ذَهَبَ اللَّيْلُ ! فقال : ساعة . فعلمتُ أَنَّهُ أَشَدُّ حُبّاً لِي مِنِّي . فلما أصبحَ سِيرَهُ
ابنُ عامرٍ مع عامرٍ^(٤) .

(١) في عيون الأخبار (٣ : ١٧٩) : « وما أبالي إذا ضيف تضيفني » .
(٢) في عيون الأخبار : « جهد المقل » . والشعر لابن يسير كما سيأتي في ص ٣٣٣ .
(٣) ذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٣ : ١٧٦) ولم يذكر والده ، ولكنه مع ذلك روى
خبره مع مطرف بن عبد الله .
(٤) ابن عامر ، هو عبد الله بن عامر المترجم في (١ : ٣١٨) . وعامر ، هو عامر بن عبد قيس
المترجم في (١ : ٨٣) . وقد سير مذعور من العراق إلى الشام كما في صفة الصفوة . وسير عامر بن
عبد قيس أيضاً إليها حين وشى به إلى عثمان ، فأمر أن ينفي إلى الشام على قتب ، فأنزله معاوية الخضراء
فرأى منه خيراً ، فكتب معاوية إلى عثمان بحاله فأمره أن يصله ويدينه . الإصابة ٦٢٨٠ . وقد سبق في
١٤٣ خبر تسير ابن عامر لعامر بن عبد قيس إلى عثمان بن عفان .

قال : وقالوا لعيسى بن مريم : من تُجالس ؟ قال : مَنْ يُذَكِّرُكَ اللهَ رُؤْيَاهُ ،
ويزيد في علمكم منطقهُ ، ويرغبكم في الآخرة عمله .

إسحاق بن إبراهيم قال : دخلنا على كَهمس العابد (١) ، فجاءنا بإحدى
عشرة بسرة حمراء . فقال : هذا الجُهد من أخيكُم ، والله المستعان .

- الأصمعي ، عن السُّكْن الحرثي (٢) قال : اشتريتُ من أوى المنهال سيار
ابن سلامة ، شاةً بستين درهماً ، فقلت : تكون عندك حتى آتيك بالثمن . قال :
ألسنَ مُسلماً ؟ قلت : بلى . قال : فخذها . فأخذتها ثم انطلقتُ بها ، ثم أتيتها
بالستين ، فأخرج منها خمسة دراهم وقال لي : اعلفها بهذه . ١٨٨

وقال مساورُ الوراق لابنه (٣) :

- ١٠ شمر قميصك واستعد لقاتل واحكك جبينك للقضاء بثوم (٤)
واجعل صحابك كل حبر ناسك حسن العهد للصلاة صوم (٥)

(١) هو أبو عبد الله كهمس بن الحسن التميمي البصري ، أحد الثقات الزهاد . توفي سنة ١٤٩
بمكة . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٣٢٤) . والخبر في صفة الصفوة .

(٢) ل : « الحرثي » .

- (٣) وكذا جاءت النسبة في العقد (٣ : ٢١٦ ، ٦ : ٣٦٦ لجنة التأليف) والأغانى (١٦ : ١٦٢) .
ونسب في شرح الشريشي لمقامات الحريري (١ : ٢٠٦) إلى محمود الوراق بقوله لابن أخيه . وورد في
الحيوان (٣ : ٤٦٧) بنون نسبة . ومساور هذا ، هو مساور بن سوار بن عبد الحميد ، من آل قيس بن
مضر ، ويقال إنه مولى جديلة من عدوان ، كوفي قليل الشعر ، من أصحاب الحديث ورواته . وقد روى
عن صدر من التابعين ، وروى عنه وجوه أصحاب الحديث . وهو القاتل في أوى حنيفة وأصحابه :

- ٢٠ كنا من الدين قبل اليوم في سعة حتى بلينا بأصحاب المقائيس
قوم إذا اجتمعوا ضجوا كأنهم ثعالب ضبحت بين النواويس

وله أخبار أخرى مع أوى حنيفة . الأغاني وتهذيب التهذيب .

(٤) لقاتل ، أى لمن يمدحك أو يذمك . وفي الأغاني . « للعهد » بدل « للقضاء » . والجبين إذا
حك بالثوم ظهرت فيه سمة سمراء توهم الأغرار أن صاحبها عريق في التقوى ، كثير السجود . ولا يزال
بعض المتظاهرين بالتقوى يفعلون ذلك في عصرنا .

- (٥) الصحاب ، بالكسر : جمع صاحب . والخبر ، بكسر الحاء وفتحها : العالم ، أو الصالح .
صوم : كثير الصوم .

مِنْ ضَرْبِ حَمَادٍ هُنَاكَ وَمِسْعَرٍ وَسِمَاكِ الْعَبْسِيِّ ، وَابْنِ حَكِيمٍ ^(١)
وعليك بالعنوي فاجلسْ عنده حتى تصيبَ وديعةً ليتيم
وقال : بينا سليمانُ بنُ عبدِ الملكِ يتوضأُ ، ليس عنده غيرُ خاله والغلامُ
يصبُ عليه الماءَ ، إذ خَرَّ الغلامُ مَيِّتاً ، فقال سليمان :

قُرْبُ وَضُوءِكَ يَا حَصِينُ فَإِنَّمَا هَذِي الْحَيَاةُ نَعْلَةٌ وَمَتَاعُ ^(٢) ٥
ونظر سليمانُ في مِرَاقٍ فقال : أنا الملكُ الشاب ! فقالت جارية له :
أَنْتَ نِعَمَ الْمَتَاعُ لو كنتَ تَبْقَى غيرَ أَنْ لَا بَقَاءَ لِلْإِنْسَانِ ^(٣) !

قال : قيل لسعيد بن المسيَّب : إِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ طَلْحَةَ ،
سَقَطَ عَلَيْهِ حَائِطٌ فَقَتَلَهُ . فقال : إِنَّ كَانَ لَوْصُولاً لِرَجُلِهِ ، فكيف يموتُ مَيِّتَةً سَوْءًا !
وقال أَسْمَاءُ بْنُ خَارِجَةَ : ١٠

عَبَّرْتَنِي خَلْقًا أَبْلَيْتُ جِدَّتَهُ وَهَلْ رَأَيْتُ جَدِيدًا لَمْ يُعَدِّ خَلْقًا
قال : وَمَثَلُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ :
وَكُلُّ جَدِيدٍ يَا أُمَيْمَ إِلَى يَلَى وَكُلُّ امْرِئٍ يَوْمًا يَصِيرُ إِلَى كَانَ ^(٤)
وقال آخر :

فَاعْمَلْ عَلَى مَهْلٍ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ وَاكْذَخْ لِنَفْسِكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ ١٥
فَكَأَنَّ مَا قَدْ كَانَ لَمْ يَكْ إِذْ مَضَى وَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ قَدْ كَانَ

قال : وكان عثمانُ بنُ عفَّانَ رحمه الله يقول : « إِنِّي لِأَكْرَهُ أَنْ يَأْتِيَ عَلَيَّ يَوْمٌ ١٨٩
لَا أَنْظُرَ فِيهِ إِلَى عَهْدِ اللَّهِ » ، يعنى المُصْحَف .

(١) الضرب : المثل والنظير . ومسعر ، هو مسعر بن كدام ، المترجم في (١ : ٤٠٠) وفيه يقول ابن المبارك :

مَنْ كَانَ مَلْتَمِسًا جَلِيسًا صَالِحًا فَلْيَأْتِ حَلَقَةَ مَسْعَرِ بْنِ كَدَامَ

٢٠ ما عدال : « وسمِع » تحريف وأشير في هـ إلى رواية « مسعر » . و « العبسي » هي في الأغاني
« العنكي » .

(٢) النعلة : ما يتعلل به ويتلهى .

(٣) بعده في الأغاني (٩ : ٩٤) : « فَأَعْرَضَ بَوَجْهِهِ ، فَلَمْ تَلْزُ عَلَيْهِ الْجُمُعَةُ إِلَّا وَهُوَ فِي قَبْرِهِ » .

(٤) ل : « وَكُلُّ فَنَى يَوْمًا يَصِيرُ إِلَى كَانَا » . وانظر الطبري ٧ : ١٩١ .

قال : وكان عثمان حافظاً ، وكان حجره لا يكاد يفارق المصحف ، ف قيل له في ذلك فقال : « إني مبارك جاء به مبارك ! » .

ولما مات الحجاج خرجت عجزه من داره وهي تقول :

اليوم يرحمنا من كان يعطينا واليوم تتبع من كانوا لنا تبعا ^(١)

٥ . حدثني بكر بن المعتمر ^(٢) ، عن بعض أصحابه قال أبو عثمان النهدي ^(٣) : أتت علي ثلاثون ومائة سنة ، ما مني شيء إلا وقد أنكرته ، إلا أمني فإنه يزيد ^(٤) . قال مسور بن مخرمة ^(٥) لجلسائه : لقد وارت الأرض أقواماً لو رأوني معكم لاستحييت منهم .

وأنشدني أعرابي :

١٠ . ما منع الناس شيئاً جئت أطلبه إلا أرى الله يكفي فقد ما منعوا

قال : جزع بكر بن عبد الله ^(٦) على امرأته ، فوعظه الحسن ، فجعل يصِف فضلها ، فقال الحسن : عند الله خير منها ، فتزوج أختها ! فلقبه بعد ذلك فقال : هي يا أبا سعيد خير منها ! وأنشده :

(١) انظر رسائل الجاحظ (١ : ٣٧٢) . وفيها : « من كان يحسدنا » .

(٢) بكر بن المعتمر : أحد كتاب الأمين ، كتب له كتابا إلى المأمون سنة ١٩٣ . انظر تاريخ الطبری .

(٣) هو أبو عثمان عبد الرحمن بن مل بن عمرو بن عدى النهدي ، عاش في الجاهلية ستين سنة ، وسكن الكوفة ، ولما قتل الحسين تحول إلى البصرة وقال : لا أسكن بلداً قتل فيه ابن بنت رسول الله . وقد أسلم على عهد الرسول ولم يلقه ، وحج ستين ما بين حج وعمره . وروى عنه أنه قال : « كنا في الجاهلية إذا تحملنا حملنا حجراً على بعير ، فإذا رأينا أحسن منه ألقيناه وأخذنا الآخر ، فإذا سقط عن البعير قلنا : سقط إلهكم فاتهمسوا غيره » . توفي أبو عثمان سنة ١٠٠ . ومل ، بفتح الميم ويجوز ضمها وكسرهما ، ولامه مشددة . الإصابة ٦٣٧٥ وتهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٣ : ١٢٥) .

(٤) الخبر في تهذيب التهذيب وصفة الصفوة ، وصدره في الإصابة .

(٥) هو المسور بن مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري . كان مولده بعد الهجرة بستين ، وقتل في حصار ابن الزبير الأول من الجيش الذي أرسله يزيد بن معاوية سنة ٦٥ . الإصابة ٧٩٨٧ وتهذيب التهذيب .

(٦) بكر بن عبد الله المزني ، ترجم في (١ : ١٠٠) .

يُؤْمَلُ أَنْ يُعَمَّرَ عُمَرُ نُوحٍ وَأَمْرُ اللَّهِ يَحْدُثُ كُلَّ لَيْلَةٍ (١)

* * *

عوف (٢) ، عن الحسن قال : قال ﷺ : « للمسلم على أخيه ست خصال : يسلم عليه إذا لقيه ، وينصح له إذا غاب ، ويعوده إذا مرض ، ويشيع جنازته إذا مات ، ويحييه إذا دعاه ، ويشمته إذا عطس » .

وقال أعرابي :

تُبَصِّرُنِي بِالْعَيْشِ عِرْسِي كَأَنَّمَا تُبَصِّرُنِي الْأَمْرَ الَّذِي أَنَا جَاهِلُهُ
يَعِيشُ الْفَتَى بِالْفَقْرِ يَوْمًا وَبِالْغِنَى وَكُلًّا كَأَن لَمْ يَلَقَ حِينَ يُزَايِلُهُ

وأنشد أبو صالح (٣) :

ومشيئد داراً ليسكن داره سكن القبور ، وداره لم يسكن

١٩٠

وكان صالح المري أبو بشر (٤) ينشد في قصصه :

وبات يروى أصول الفسيل فعاش الفسيل ومات الرجل (٥)

وقال الآخر :

إذا أبقت الدنيا على المرء دينه فما فاته منها فليس بضائر

١٥ (١) البيت مع سابق له في الحيوان (١١٣ : ٣) وعيون الأخبار (١ : ٢١١ ، ٣١٤) والأغاني (١٨ : ٢٠٦) . وهو :

ألم تر حوشياً أضحى يئس قصوراً نفعا لبنى بقيله

ل : « تؤمل أن نمر » ، والوجه ما في سائر النسخ . ما عدل : « يطرق كل ليلة » . وسائر المصادر على الرواية المثبتة .

٢٠ (٢) هو عوف بن أبي جميلة ، المترجم في (٢ : ٣٧) .

(٣) هو أبو صالح مسعود بن قند الفزاري . روى عنه الجاحظ في الحيوان (٥ : ١٥٧) .

(٤) سبقت ترجمته في (١ : ١١٣) .

(٥) أنشده في الحيوان (٦ : ٥٠٨) . والفسيل : جمع فسيلة ، وهي الصغيرة من النخل . وفي

الحيوان وما عدل : « فبات يروى » بالفاء .

فلن تعدل الدنيا جناح بعوضة ولا وزن زف من جناح لطائر^(١)
فما رضى الدنيا ثواباً لمؤمن ولا رضى الدنيا عقاباً لكافر^(٢)

وقال الآخر (٣) :

أبعد بشر أسيراً في بيوتهم يرجو الحفارة منى آل ظلام^(٤)
فلن أصالهم مادمت ذا فرس واشتد قبضاً على السيلان إبهامى^(٥)
فاتما الناس ، يا لله أمهم أكائل الطير أو حشو آرام^(٦)
هم يهلكون ويتقى بعد ما صنعوا كأن آثارهم خطت بأقلام

وأنشد لمحمد بن يسير :

عجباً لى ومن رضى بحال أنا منها على شفا تغير
عالم لا أشك أنى إلى عد ن إذا مت أو عذاب السعير^(٧)
كلما مررى على أهل ناد كنت حيناً بهم كثير المرور
قيل : من ذا على سرير المنايا قيل : هذا محمد بن يسير

وأنشد :

لكل أناس مقبر يفنائهم فهم ينقصون والقبور تزيد^(٨)

١٥

(١) الزف ، بالكسر : الصغير من الريش .

(٢) أى ما رضى الله ذاك .

(٣) هو الزبيرقان بن بدر السعدى ، كما فى حماسة البحرى ٣٦ . والبيت الثانى من هذه المقطوعة أنشده صاحب اللسان فى (سيل) منسوباً إليه .

(٤) الحفارة ، بثلاث الحاء : الأمان .

٢٠

(٥) السيلان ، بالكسر : ما يدخل من السيف والسكين فى النصاب .

(٦) أكائل : جمع أكيلة ، وهى الفريسة . والآرام : جمع إرم ، مثل ضلع وأضلاع ، وهى حجارة تنصب علماً فى المغارة ، عنى بها رجم القبر . ويروى : « أريام » كما فى حواشى هـ ، جمع ريم ، وهو القبر .

(٧) ما عدل : « أنى إذا مت إلى عدن » .

(٨) المقبر : موضع القبر ، وهو الدفن . والشعر لعبد الله بن ثعلبة الحنفى ، كما فى اللسان (قبر)

٢٥

والحماسة (١ : ٣٦٨) . وأنشده فى عيون الأخبار (٣ : ٦٦) بلون نسبة =

فدانٍ ولكنَّ اللقاءَ بعيدٌ ^(١)

هُم جيرة الأحياء أمّا محلُّهم

وقال أبو العتاهية :

مَخَضَتْ بَوَجْهِ صَبَاحِ يَوْمِ الْمَوْقِفِ ^(٢)

سُبْحَانَ ذِي الْمَلَكُوتِ آيَةُ لَيْلَةٍ

مَا فِي الْفِرَاقِ مُصَوِّرًا لَمْ تَطْرِفِ ^(٣)

لَوْ أَنَّ عَيْنًا وَهَمَّتْهَا نَفْسُهَا

وقال أبو العتاهية أيضاً :

تَنَحَّ عَنْ خِطْبَتِهَا تَسْلِمٌ ^(٤)

يَا خَاطِبَ الدُّنْيَا إِلَى نَفْسِهَا

قَرِيْبَةُ الْعُرْسِ مِنَ الْمَائِمْ ^(٥)

إِنَّ الَّتِي تُحْطَبُ غَرَارَةٌ

وقال الآخر :

بَيْنَهُمَا الزَّيْمَانُ فَاسْرَعَا ^(٦)

نَادَاهُمَا بِفِرَاقٍ بَيْنَ

نُ مُفْرَقًا مَا جَمَعَا

وَكَذَاكَ لَمْ يَزَلْ الزَّيْمَانُ

وقال آخر :

أَكُلْ حَيَّ فَوْقَهَا تَصْرَعُ

يَا وَيْحَ هَذِي الْأَرْضُ مَا تَصْنَعُ

= وقبل هذا البيت في اللسان :

سَوَى رَمْسٍ أَحْجَارٍ عَلَيْهِ رُكُودُ

أُزُورُ وَأَعْتَادُ الْقُبُورِ وَلَا أَرَى

وَبَيْنَ هَذَا الْبَيْتِ وَتَالِيهِ فِي الْحِمَاسَةِ وَعَيُونِ الْأَخْبَارِ :

١٥

وَبَيْتٌ لَمِيتٌ بِالْفَنَاءِ جَدِيدُ

وَمَا إِنْ يَزَالُ رَسْمُ دَارٍ قَدْ اخْلَقَتْ

(١) لَ قَطْعُ : « وَهُمْ جِيرَةُ الْأَحْيَاءِ » . وَفِي الْحِمَاسَةِ وَعَيُونِ الْأَخْبَارِ : « وَأَمَّا الْمُنْتَقَى فَبَعِيدٌ » .

(٢) أَرَادَ مَوْقِفَ الْقِيَامَةِ . وَفِي الدِّيَوَانِ ١٦٥ :

مَخَضَتْ صَبِيحَتَهَا يَوْمَ الْمَوْقِفِ

لِلَّهِ دَرُ أَيْبِكَ آيَةُ لَيْلَةٍ

(٣) أَرَادَ بِالتَّوْهِيمِ التَّخِيلَ وَتَوْجِيهِ الْوَهْمِ . وَفِي الدِّيَوَانِ :

يَوْمَ الْحَسَابِ تَمَثَّلَا لَمْ تَطْرِفِ

لَوْ أَنَّ عَيْنًا شَاهَدَتْ مِنْ نَفْسِهَا

(٤) الْبَيْتَانِ لَمْ يَرُويَا فِي دِيَوَانِ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ .

(٥) مَا عَدَا لَ : « سَرِيعَةُ الْعُرْسِ » تَحْرِيفٌ .

(٦) لَ : « فَاسْرَعَا » . وَالْوَجْهَ مَا أُثْبِتَ مِنْ سَائِرِ النُّسخِ .

٢٠

تُزْرِعُهُمْ حَتَّى إِذَا مَا اسْتَوَوْا عَادَتْ لَهُمْ تَحْصِيدُ مَا تَزْرَعُ^(١)
وقال الآخر (٢) :

ذَكَرْتُ أَبَا أَرَوَى فَبِتُّ كَأَنَّنِي بَرَدُ الْأُمُورِ الْمَاضِيَاتِ وَكَيْلُ
لِكُلِّ اجْتِمَاعٍ مِنْ خَلِيلَيْنِ فُرْقَةٍ وَكُلُّ الَّذِي قَبْلَ الْفِرَاقِ قَلِيلُ^(٣)
وإنَّ افْتِقَادِي وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ لَا يَدُومُ خَلِيلُ ٥

وقال محمد بن المنتشر (٤) : « إِذَا أُيسِّرَ الرَّجُلُ ابْتُلِيَ بِهِ أَرْبَعَةٌ : مَوْلَاهُ

١٩٢ الْقَدِيمُ يَنْتَفِي مِنْهُ ، وَامْرَأَتُهُ يَتَسَرَّى عَلَيْهَا ، وَدَارُهُ يَهْدُمُهَا وَيَبْنِي غَيْرَهَا ، وَدَابَّتُهُ
يَسْتَبْدِلُ بِهَا » . وقال الآخر :

يَجْدُدُ أَحْزَانًا لَنَا كُلُّ هَالِكٍ وَنُسْرِعُ نِسْيَانًا وَلَمْ يَأْتِنَا أَمْنٌ
فَانًا ، وَلَا كُفْرَانٌ لِلَّهِ رَبِّنَا لِكَالْبُذْنِ مَا تَذَرِي مَتَى يَوْمُهَا الْبُذْنُ ١٠

الأوزاعي^(٥) ، عن مكحول^(٦) قال : « إِنْ كَانَ فِي الْجَمَاعَةِ فَضْلٌ فَإِنَّ فِي

الْعُزْلَةِ سَلَامَةٌ » .

(١) ما عدل : « حتى إذا ما أتوا » . وأشير في حواشي هـ إلى رواية « إذا أُنِعُوا » .

(٢) في هامش هـ ، والتميمورية : « ذكر ابن الأنباري أن هذه الأبيات لعلي بن أبي طالب كرم الله

١٥ وجهه ، حين دفن فاطمة رضي الله عنهما . وقال ابن الأعرابي : إنها لشقراة السلاماني » . وفي الكامل
٧٢٤ ليسك أن الشعر تمثل به علي بن أبي طالب عند قبر فاطمة . وقد روى البحترى في حماسه ٢٣٣
البيتين الأخيرين .

(٣) ما عدل : « دون الممات » . وفي الكامل : « وإن الذي دون الفراق » . وفي حماسة

البحترى : « وكل الذي دون الفراق » .

(٤) هو محمد بن المنتشر بن الأجدع بن مالك الحمداني الكوفي ، روى عن عمه مسروق وابن

عمر وعائشة ، وكان من ثقات المحدثين . تهذيب التهذيب .

(٥) الأوزاعي : نسبة إلى الأوزاع ، وهم بنو مرثد بن زيد ، من همدان . وقيل الأوزاع قرية بدمشق ،

أو موضع مشهور بدمشق سكنه في صدر الإسلام بقايا من قبائل شتى . وهو عبد الرحمن بن عمرو بن أبي

عمرو الشامي الفقيه . ولد سنة ٨٨ . وكان من فقهاء أهل الشام وقرائهم وزهادهم ، ونزل بيروت في آخر

٢٥ عمره فمات بها مرابطا . وكانت الفتيا تدور بالأندلس على رأي الأوزاعي إلى زمن الحكم بن هشام المتوفى سنة

٢٥٦ . وكان فصيحا ذار سائل مأثورة . توفي سنة ١٥٥ . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٤ : ٢٢٨) .

(٦) مكحول الشامي سبقت ترجمته في (٢ : ٣٦) .

أبو جَنَابِ الكَلْبِيِّ ^(١) ، عن أُمِّي المَحْجَلِ ^(٢) ، عن ابن مسعود قال :
 « ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ : مَنْ إِذَا عَرَفَ حَقَّ اللَّهِ عَلَيْهِ لَمْ يُؤَخِّرْهُ ، وَكَانَ
 عَمَلُهُ الصَّالِحَ فِي الْعِلَاقَةِ عَلَى قَوَامٍ مِنَ السَّرِيَّةِ ^(٣) ، وَكَانَ قَدْ جَمَعَ مَا قَدْ عَمِلَ
 صَلَاحَ مَا يُؤْمَلُ » .

وقال : « كَفَى مَوْعِظَةً أَنَّكَ لَا تَحْيَا إِلَّا بِمَوْتٍ ، وَلَا تَمُوتُ إِلَّا بِحَيَاةٍ » .

وقال أبو نُوَّاسٍ :

شَاعَ فِي الْفَنَاءِ سُفْلًا وَعُلُوًّا وَأَرَانِي أَمُوتُ عُضْوًا فَعُضْوًا
 ذَهَبَتْ جِدَّتِي بِطَاعَةِ نَفْسِي وَتَذَكَّرْتُ طَاعَةَ اللَّهِ نِضْوًا ^(٤)

وقال الآخر :

وَكَمْ مِنْ أَكَلَةٍ مَنَعَتْ أَخَاهَا بِلَذَّةٍ سَاعَةٍ أَكَلَاتِ ذَهْرَ
 وَكَمْ مِنْ طَالِبٍ يَسْتَعِي لَشَيْءٍ وَفِيهِ هَلَاكُهُ لَوْ كَانَ يَدْرِي

وقال الآخر :

كُلُّ أَمْرٍ مُصْبِحٌ فِي أَهْلِهِ ^(٥) وَالْمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ

وقال الآخر :

اسْتَيْقَنِي فِي ظُلَمِ الْبُيُوتِ أَنَّكَ إِنْ لَمْ تَقْتُلْ تَمُوتُ

(١) هو أبو جناب يحيى بن أبي حبة الكلبي الكوفي ، روى عن أبيه والضحاك ابن مزاحم والحسن البصري وجماعة ، وعنه السفينان ، والحسن بن صالح ، ووکیع وغيرهم توفي سنة ١٤٧ . تهذيب التهذيب والخلاصة .

(٢) لم أعثر له على ترجمة فيما لدى .

(٣) قوام الأمر بالكسر : نظامه .

(٤) النضو ، بالكسر : البعر المهنول من كثرة السير ، شبه نفسه به .

(٥) مصبح : مأتى بالموت صباحا . وقد أنشده في اللسان (صبح) مسبوقا بقوله : « وفي حديث

أبي بكر » .

وقال عنترة بن شداد :

بَكَرْتُ تُخَوِّفُنِي الْحَتُوفَ كَأَنِّي
فَأَجَبْتُهَا إِنَّ الْمَنِيَّةَ مَنَهْلٌ
فَأَفَنِي حَيَاءَكَ لَا أَبَالِكَ وَاعْلَمِي
إِنَّ الْمَنِيَّةَ لَوْ تُصَوِّرُ صَوَّرَتْ

١٩٣

وقال أبو العتاهية (٢) :

أُذِّنْ حَتَّى تَسْمَعِي
عِشْتُ تِسْعِينَ حِجَّةً
أَنَا رَهْنٌ بِمَصْرَعِي
لَيْسَ زَادٌ سِوَى التَّقَى

وَاسْمَعِي ثُمَّ عَمِي وَعَمِي
ثُمَّ وَافَيْتُ مَضْجَعِي (٣)
فَاَحْذَرِي مِثْلَ مَصْرَعِي
فَمُحِذِي مِنْهُ أَوْ دَعِي (٤)

١٠

وقال الخليل بن أحمد :

عَشْ مَا بَدَا لَكَ قَصْرُكَ الْمَوْتَ
بَيْنَا غَنَى بَيْتٍ وَهَجَّتْهُ

لَا مَهْرَبٌ مِنْهُ وَلَا قَوْتُ (٥)
زَالَ الْغِنَى وَتَقَوَّضَ الْبَيْتُ (٦)

وقال أبو العتاهية :

اسْمَعْ فَقَدْ أَسْمَعَكَ الصَّوْتُ
نِلْ كُلِّ مَا شِيتَ وَعَشْ نَاعِمًا

١٥

إِنْ لَمْ تَبَادِرْ فَهُوَ الْفَوْتُ
آخِرُ هَذَا كُلِّهِ الْمَوْتُ

(١) قنَى الحياء ، بكسر النون ، يقناه قنياناً بضم القاف : لزمه وحفظه . والأبيات في ديوان عنترة ١٨٠ .

(٢) الأبيات التالية أمر أبو العتاهية أن تكتب على قبره . انظر الأغاني (٣ : ١٧٥) والعقد (٣ : ٢٤٨) .

(٣) في الأغاني : « اسلمتني لمضجعي » .

(٤) قبل هذا البيت في الأغاني :

كَمْ تَرَى الْحَيَّ ثَابِتًا فِي دِهَارِ التَّرْعُزِ

(٥) البيتان في اللسان (قصر) بدون نسبة . والقصر ، بالفتح : الغاية .

(٦) ما عدل : « آل الغنى » .

٢٠

وقال الوزيري :

وأَعْلَمُ أَنَّنِي سَأَصِيرُ مَيِّتًا إِذَا سَارَ التَّوَجُّعُ لَا أُسِيرُ ^(١)
وقال السائلون مَنِ الْمَسْجِي فقال المُخْبِرُونَ لَهُمْ : وَزِيرُ ^(٢)

وقال أبو العتاهية :

الْحَقُّ أَوْسَعُ مِنْ مُعَا لَجَّةِ الْهَوَى وَمَضِيقِهِ
لَا تَعْرِضَنَّ لِكُلِّ أَمْرٍ بِرِ أَنْتِ غَيْرُ مُطِيقِهِ
وَالْعَيْشُ يَصْلُحُ إِنْ مَرَّ جَنَّتْ غَلِيظُهُ بِرَقِيقِهِ
لَا يَخْدَعَنَّكَ زُخْرُفُ الْـ لُدُنِيَا بِحُسْنِ بَرِيقِهِ
وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّأْيَ مَضَى طَرِيقاً فَخُذْ بِوَيْقِهِ
وَلَرُبَّمَا غَصَّ الْبَخِيبُ لُ إِذَا اسْتَبِيلَ بِرِيقِهِ ^(٣)

وقال أيضاً :

مَنْ أَجَابَ الْهَوَى إِلَى كُلِّ مَا يَدُ عُوهَ مِمَّا يَضِلُّ ضَلُّ وَتَاهَا
مَنْ رَأَى عِبْرَةً فَفَكَّرَ فِيهَا آذَنَتْهُ بِالْيَتْنِ حِينَ يَرَاهَا ^(٤)
رُبَّمَا اسْتَغْلَقَتْ أُمُورٌ عَلَى مَنْ كَانَ يَأْتِي الْأُمُورَ مِنْ مَاتَاهَا
وَسَيَاوَى إِلَى يَدِ كُلِّ مَا تَأُ تَبَى وَتَأْوَى إِلَى يَدِ حُسْنَاهَا ^(٥)
قَدْ تَكُونُ التَّجَاةُ تَكْرَهَهَا النَّفْسُ سُسُ وَتَأْتِي مَا كَانَ فِيهِ أَذَاهَا ^(٦)

(١) التَّوَجُّعُ : جمع تاجع ، فهو من إخوان الفوارس . يقال نجع الراعي الأرض : طلب كلاًها ومساقط الغيث فيها .

(٢) المسجي : الميت يسجي عليه الثوب ، أى يمد .

(٣) استبيل : طلب نواله . له : « إذا استبيل » .

(٤) ل : « آذنته بالشئ » .

(٥) ما عدل ، هـ : « وهياذى إلى يد كل ما » ، تحريف .

(٦) ما عدل : « وفيه رداها » .

وقال أيضا :

لو أن عبداً له خزانٌ ما في الأرض ماعاشَ خَوْفَ إِمْلَاقٍ
يا عجباً كلنا يَحِيدُ عن الحَيِّ من وكلَّ لِحَيْنِهِ لاقِي
كأنَّ حَيًّا قد قام نادِبُه والتفت السَّاقُ مِنْهُ بالسَّاقِ (١)
واستلَّ منه حياته ملكُ المو ت خفياً وقيل : مَنْ رَاقِ (٢)

وقال السَّمَوَالُ بن عاديء اليهودي :

١٩٥ تُعَيِّرُنَا أَنَا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا فقلتُ لها : إِنَّ الكرامَ قَلِيلٌ (٣)
وما قَلَّ مَنْ كانت بقاياهُ مثلنَا شبابٌ تَسَامِي للعلَى وكُهول
وما ضَرَبْنَا أَنَا قَلِيلٌ وجارُنَا عزيزٌ وجارُ الأَكْثَرِينَ ذَلِيلٌ (٤)
فنحنُ كِأَمْ المَزْنِ مافي نِصابنا كَهَامٍ ولا فينا يُعَدُّ بِخَيْلٍ (٥)
وأسيافنا في كلِّ شَرِقٍ ومَغْرِبٍ بها من قِرَاعِ الدَّارَعِينَ فُلُولٌ (٦)

(١) اقتباس من الآية ٢٩ من سورة القيامة . وهو كناية عن شدة كرب الدنيا في آخر يوم منها ، وشدة كرب الآخرة في أول يومٍ منها . وقال ابن المسيب والحسن : هي حقيقة ، والمراد ساقا الميت عند مالفا في الكفن . وقال الشعبي وقتادة : التفافهما لشدة المرض لأنه يقبض وييسط ، ويركب هذه على هذه . تفسير أن حيان (٨ : ٣٩٠) .

١٥

(٢) اقتباس من الآية ٢٧ من سورة القيامة . وذلك إذا مرض الرجل طلبوا له من يرق ويطب ويشفى ، وهو استفهام حقيقة ، أو استفهام إبعاد وإنكار ، وذلك حين اليأس من حياته . ومن المحتمل أن يكون القائل الملائكة ، أى من يرق بروحه إلى السماء ، أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب . وقد وقف حفص على « من » سكنا لطيفا ، كما وقف في « بل ران » ولم يدر وجه قراءاته إلا أن يكون أراد أن يشعر أنهما كلمتان .

٢٠

(٣) الأبيات في ديوان الحماسة (١ : ٢٧) ، والأغاني (٦ : ٧٦ ، ٧٩ ، ٨٠) ، وأمالى القائل (١ : ٢٦٩ - ٢٧٠) . وانظر عيون الأخبار (٣ : ١٧٣) حيث نسب بيتين من القصيدة إلى دكين الراجز .
(٤) الأكثرون : الذين كثر عددهم .

(٥) النصاب : الأصل ، وقد أراد به العدد ، ولم تصرح المعاجم بهذا المعنى . وإنما ذكرت نصاب الزكاة ، وهو استعمال إسلامي . والنصاب : القدر الذي تجب فيه الزكاة . والكهام : كسحاب : البطيء عن النصره والحرب .

٢٥

(٦) الدارِع : لابس الدرع . والفلول : جمع فل ، وهو الثلم .

مَعُودَةٌ أَلَّا تُسَلَّ نَصَالُهَا فُتْغَمَدَ حَتَّى يَسْتَبَاحَ قَتِيلُ
سَلِي، إِنْ جَهِلَتْ، النَّاسَ عَنَّا وَعَنَهُمْ وَلَيْسَ سَوَاءَ عَالِمٌ وَجْهٌ هَوُلُ

وقال الرِّبِيعُ بن أبي الحَقِيق (١) :

وَمَنْ يَكُ غَافِلًا لَمْ يَلَقْ بُوسًا يُنْخَ يَوْمًا بِسَاحَتِهِ الْقَضَاءُ (٢)
تَعَاوَرَهُ بَنَاتُ الدَّهْرِ حَتَّى تُثْلِمَهُ كَمَا تُثْلِمُ الْإِنَاءُ
وَكُلُّ شَدِيدَةٍ نَزَلَتْ بِحَيٍّ سَيَأْتِي بَعْدَ شِدَّتِهَا رَحَاءُ
وَبَعْضُ خَلَائِقِ الْأَقْوَامِ دَاءٌ كَدَاءِ الشَّيْخِ لَيْسَ لَهُ شِفَاءُ (٣)

وَأَنشُد :

قَدْ حَالَ مِنْ دُونِ لَيْلٍ مَعَشَرٌ قَزَمَ وَهُمْ عَلَى ذَاكَ مِنْ دُونِ مَوَالِيهَا (٤)
وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَتَى إِنْ نَأَتْ حَجَجَا أَوْ حِيلَ مِنْ دُونِهَا أَنْ لَسْتُ نَاسِيهَا (٥)

وَأَنشُد :

وَلَيْلٌ يَقُولُ النَّاسُ مِنْ ظُلُمَاتِهِ سَوَاءٌ بِصِيْرَاتِ الْعُيُونِ وَعُورِهَا (٦)
كَأَنَّ لَنَا مِنْهُ بَيُوتًا حَصِينَةً مُسُوْحٌ أَعَالِيهَا وَسَاجٌ كُسُورُهَا (٧)

(١) سبقت ترجمته في (١ : ٢١٣) . والبيت الأخير في الحيوان (٣ : ٦٨) .

(٢) في الأصول : « ومن يك غافلا » .

(٣) في حواشي هـ : « كداء البطن » في نسخة . وبعده في الحيوان :

وبعض القول ليس له عتاج كمخض الماء وليس له إثناء

(٤) القزم ، بفتحتين ، وصف يستوى فيه الواحد والجمع ، والمذكر والمؤنث ، ومصدره القزم أيضا ، وهو في الناس : صغر الأخلاق ، وفي المال : صغر الجسم . موالها ، أى عصباتها وأنصارها .
(٥) ب ، جـ : « أنت حجج » مع أثر تصحيح في ب لكلمة « حجج » . وفي التيمورية « أنت حججا » وهذه الأخيرة محرفة .

(٦) البيتان لمضرس بن رباعي الأسدي ، كما في حماسة ابن الشجرى ٢١٠ .

(٧) ما عدل : « مسوحا أعاليها وساجا » ، وفي رواية صحيحة نص عليها في اللسان (سوج) عند إنشاد البيتين ، قال : « إنما نعت بالاسمين لأنه صيرهما في معنى الصفة ، كأنه قال : مسودة أعاليها مخضرة كسورها . كما قالوا : مررت بسرّج خز ، نعت بالخز وإن كان جوهرًا لما كان في معنى لين » .
والمسوح : جمع مسح ، بالكسر ، وهو كساء من شعر والساج : الطليسان الأخضر . والكسور : جمع كسر ، بكسر الكاف ، وهو جانب البيت .

وقالوا : أتى سعيد بن عبد الرحمن بن حسان ، أبا بكر بن محمد بن عمرو ابن حزم^(١) ، وهو عامل سليمان بن عبد الملك ، فسأله أن يكلم سليمان في حاجة له فوعده أن يقضيها ولم يفعل ، وأتى عمر بن عبد العزيز فكلّمه فقضى حاجته ، فقال سعيد :

- ١٩٦ ذُمْتُ وَلَمْ تُحَمَّدْ وَأَدْرَكْتُ حَاجَتِي تَوَلَّى سِوَاكُمْ شُكْرَهَا وَاصْطِنَاعَهَا^(٢) ٥
أَتَى لَكَ فَعَلَ الْخَيْرَ رَأَى مُقْصِرٌ وَنَفْسٌ أَضَاقَ اللَّهُ بِالْخَيْرِ بَاعَهَا
إِذَا هِيَ حَثْنَتْ عَلَى الْخَيْرِ مَرَّةً عَصَاهَا وَإِنْ هَمَّتْ بِشَرٍّ أَطَاعَهَا
سَتَكْفِيكَ مَا ضَيَّعْتَ مِنْهُ ، وَإِنَّمَا يُضَيِّعُ الْأُمُورَ سَادِرًا مِنْ أَضَاعَهَا^(٣)
وَلَايَةُ مَنْ وَلَّاكَ سُوءَ بِلَائِهَا وَوَلَّى سِوَاكَ أَجْرَهَا وَاصْطِنَاعَهَا
- وَأَنْشُد :
- ١٠

إِذَا مَا أَطَعْتَ النَّفْسَ مَالٌ بِهَا الْهَوَى إِلَى كُلِّ مَا فِيهِ عَلَيْكَ مَقَالٌ^(٤)
وَأَنْشُد :

حَسْبُ الْفَتَى مِنْ عَيْشِهِ زَادَ يَبْلُغُهُ الْحَلَا
تُجْبِزُ وَمَاءٌ بَارِدٌ وَالظِّلُّ حِينَ يَرِيدُ ظِلًّا

- ١٥ (١) هو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصارى الخزرجى القاضى ، وكان واليا لعمر بن عبد العزيز من قبل ، وكان عظيم المروءة ، كثير العبادة كثير الحديث . توفى سنة ١٠٠ . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٢ : ٧٥) . ل : « بن عمر بن حزم » ، تحريف صوابه فى المصادر السابقة وتاريخ الطبرى (٨ : ١٠٢) والأغانى (٧ : ١٥٨) حيث ورد الخبر فى الأخير .
- (٢) فى الأغانى :

- ٢٠ سَلْتُ فَلَمْ تَفْعَلْ وَأَدْرَكْتُ حَاجَتِي تَوَلَّى سِوَاكُمْ حَمْدَهَا وَاصْطِنَاعَهَا
(٣) ما عدل : « سيكفيك ما ضيعت منها » .
(٤) ما عدل : « مال بك الهوى » .

وَأُنْشَد :

وما العيش إلا شُبْعَةٌ وتشرُّقُ وتَمُرُّ كأخفاف الرِّبَاعِ وماءُ ^(١)

* * *

قالوا : استبطأ عبدُ الملك بن مروان ، ابنته مَسْلَمَةَ في مسيره إلى الرُّومِ ،

وكتب إليه :

لَمَنْ الظَّعَانُ سِيرُهُنَّ تَرْحُفُ سِيرَ السَّفِينِ إِذَا تَقَاعَسَ يُجَذَّفُ ^(٢)

فلما قرأ الكتاب مسلمة ^(٣) كتب إليه :

ومستعجب مما يرى من أناتٍ ولو زينت الحرب لم يترمَّم ^(٤)

ومسلمة هو القائل عندما دُلِّي بعضهم في قبره ^(٥) ، فتمثل بعض من

حَضَرَ فقال :

فما كان قيسٌ هلكهُ هُلُكٌ واحدٍ ولكِنَّه بِنْيَانٌ قَوْمٌ تَهْدَمَا ^(٦)

(١) سبق هذا البيت والبيتان اللذان قبله في (٢ : ١٨٩) .

(٢) الترحف : السير في ببطء وكدال . تقاعس : تأخر ورجع إلى خلف . ويقال جذف الملاح السفينة : حركها بالمجذاف . ماعدا ل : « يجذف » بالمهملة ، وكلاما صحيح .

(٣) ما عدا ل : « فما قرأ مسلمة الكتاب » .

(٤) البيت لأوس بن حجر في ديوانه ٢٨ واللسان (رم) ومقاييس اللغة (٣ : ٣٨٠) . زينت الحرب : صدمته ، ومنه حرب زبون . ل : « زنته » تحريف . لم يترمم : لم يحرك فاه بالكلام .

(٥) هو عبد الملك بن مروان ، والحبر برواية أخرى في الأغاني (١٢ : ١٤٨) قال : « لما مات عبد الملك بن مروان اجتمع ولده حوله ، فبكى هشام حتى اختلقت أضلعه ثم قال : رحمك الله يا أمير المؤمنين ، فأنت والله كما قال عبدة بن الطبيب :

وما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بِنْيَانٌ قَوْمٌ تَهْدَمَا

قال له الوليد : كذبت يا أحول يا مشثوم ، لسنا كذلك ، ولكننا كما قال الآخر :

إذا مقرر من ذرا حد نابه تخمط منا ناب آخر مقرر »

(٦) البيت لعبدة بن الطبيب ، المترجم في (١ : ١٢٢) من أبيات يرفي بها قيس بن عاصم

المترجم في (١ : ٢١٨) . انظر الحماسة (١ : ٣٢٨) والأغاني (٩ : ٩٣ / ١٢ : ١٤٨) وعيون الأخبار (١ : ٢٨٧) : « ومن تمثل بهذا الشعر أحمد بن أبي دُوَاد ، تمثل به في حضرة المأمون ، حين توفي أخوه أبو عيسى صالح بن الرشيد . الأغاني (٩ : ٩٣) .

فقال مَسْلَمَةُ : لقد تَكَلَّمْتُ بِكَلِمَةِ شَيْطَانٍ ، هَلَّا قُلْتَ (١) :

إِذَا مُقَرَّمٌ مِّنَّا ذَرَا حَدَّ نَابِهِ تَحْمَطُ فِينَا نَابٌ آخَرَ مُقَرَّمٌ (٢)

وكان مَسْلَمَةُ شجاعاً خطيباً ، وبارع اللسان جواداً ، ولم يكن في ولد عبد الملك مثله ومثل هشام بعده (٣) .

* * *

وقال بعضُ الأعراب يهجو قوماً :

تَصْبِرُ لِلْبَلَاءِ الْحَتِيمِ صَبْرًا إِذَا جَاوَزْتَ حَيَّ بَنِي أَبَانَ (٤)

أَقَامُوا الدَّيْدَبَانَ عَلَى يَفَاعٍ وَقَالُوا : يَا أَحْتَرَسُ ، لِلدَّيْدَبَانَ (٥)

(١) ل : لم لا قلت .

(٢) البيت لأوس بن حجر في ديوانه ٢٧ واللسان (قرم ، ذرا ، محط) ومقاييس اللغة (ذرو) .
والمقرم : السيد الرئيس من الرجال ، شبه بالمقرم من الإبل ، وهو المكرم الذي لا يحمل عليه ولا يذلل .
ذرا حد نابه : انكسر أو وقع . والتخبط ، أصله للفحل ، وهو أن يهدر ويثور ويشتد غضبه . جعل التخبط للأنياب .

(٣) ترجم مَسْلَمَةُ بن عبد الملك في (١ : ٢٩٢) . وأما هشام بن عبد الملك فقد ولى الخلافة بعد أخيه يزيد بن عبد الملك سنة ١٠٢ ، وكان أحول شديد انقلاب العين ، جامعا للأموال قليل البذل للنوال ، متيقظا في سلطانه ، سائسا لرعيته . وفي أيامه ظهر زيد بن علي بن الحسين بن علي بالكوفة ، وعلى الكوفة يومئذ يوسف بن عمر الثقفي ، فلقبه يوسف في جموع عظيمة ، وكان القتال شديدا قتل فيه زيد ومن معه ، ثم صلب بالكناسة . وذلك سنة ١٢٢ . التنبيه والإشراف ٢٧٩ والطبرى سنة ١٢٢ .
(٤) هم بنو أبان بن عدى بن سنبس . نهاية الأرب (٢ : ٣٠٠) . والآيات الثلاثة بعده في عيون الأخبار (٣ : ٢٤١) .

(٥) في عيون الأخبار : « وقالوا لا تنم للدديدان » . وفي الأصول هنا : « وقالوا لي احترس بالدديدان » وفي هـ : « احترس للدديدان » ، تحريف . والدديدان بفتح الدالين : الريشة يربأ للقوم ، وهو فارسي معرب . قال ابن دريد : « ولا أحسب العرب تكلمت به » . المغرب ١٤١ والجمهرة (٣ : ٤١٣ ، ٥٠٠) . وهو بالفارسية : « ديدنه بان » . مكون من « ديدنه » بمعنى العين ، أو النظر . و « بان » وهى من اللواحق الفارسية التى تفيد المحافظة والولاية والحراسة ، مثل مرزبان ، وشربان ، ودربان .
اللسان (درب) ومعجم استينجاس ٥٥٢ . واليفاع ، كسحاب : ما أشرف من الأرض وارتفع .

فَإِنْ أَبْصَرْتَ شَخْصاً مِنْ بَعِيدٍ فَصَقِّقْ بِالْبَتَانِ عَلَى الْبَتَانِ ١٩٧
تَرَاهُمْ خَشِيَةَ الْأَضْيَافِ خُرْساً يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ بِلَا أَذَانٍ

وقال بعض الأعراب يمدح قوماً :

وَسَارِ تَعْنَاهُ الْمَبِيتُ فَلَمْ يَدَّعِ لَهُ حَابِسُ الظُّلُمَاءِ وَاللَّيْلِ مَذْهَباً
رَأَى نَارَ زَيْدٍ مِنْ بَعِيدٍ فَخَالَهَا ٥
رَفَعْتُ لَهُ بِالْكَفِّ نَاراً تَشَبُّهَا شَامِيَّةً نَكَبَاءُ أَوْ عَارِضٌ صَبَاً (١)
وَقُلْتُ: أَرَفَعُوهَا بِالصَّعِيدِ كَفَى بِهَا مُشِيرًا لِسَارِي لَيْلَةٍ إِنْ تَأَوَّيَا (٢)
فَلَمَّا أَتَانَا وَالسَّمَاءُ ثُبْلُهُ نَقُولُ لَهُ: أَهْلاً وَسَهْلاً وَمَرْحَباً
وَقَمْتُ إِلَى الْبَرْكِ الْهَوَاجِدِ فَأَتَقْتُ بَكُومَاءَ لَمْ يَتْرُكْ لَهَا النَّيُّ مَهْرَباً (٣)
فَرَحَّبْتُ أَعْلَى الْجَنْبِ مِنْهَا بِطَعْنَةٍ ١٠

دَعَتْ مُسْتَكِنَّ الْجَوْفِ حَتَّى تَصَبِّبَا (٤)

وقال الآخر :

وَاسْتَيْقَنِي فِي ظَلَمِ الْبُيُوتِ أَتَكَ إِنْ لَمْ تُقْتَلِ تُمُوتِي

وقال أبو سعيد الزَّاهِدُ : « مِنْ عَمِلَ بِالْعَافِيَةِ فَيَمُنْ دُؤْنَهُ رُزْقُ الْعَافِيَةِ مِنْ

فَوْقَهُ (٥) » . ١٥

(١) شَامِيَّة : ريح تهب من قبل الشام . والنكباء : الريح بين ريحين . والصبا : ريح تهب من مطلع الشمس .

(٢) الصعید : المرتفع من الأرض . بها ، بالنار . ما عدل : « بنا » تحريف . وتأوب : رجع .

(٣) البرك ، بالفتح : الإبل البوارك ، الواحد بارك والواحدة باركة . والهواجد : النوام . والكوماء : الناقة العالية السنام . والتي يفتح التون وكسرها : الشحم . يقول : قد أغراه بها كثرة الشحم فنحراها ، فوقت بذلك سائر البرك . ٢٠

(٤) أراد بالترحيب التوسيع . وقد نصت المعاجم على الإرحاب فحسب ، ومنه قول الحجاج حين قتل ابن القرية : « أَرَجِبْ يَا غُلَامَ جِرْحِهِ » .

(٥) ما عدل : « أعطى العافية ممن فوقه » . والعافية : صرف الأذى .

قال : وقال عيسى بن مريم عليه السلام : « في المال ثلاث خصال ، أو بعضها » . قالوا : وما هي يا رُوح الله ؟ قال : « يكسبه من غير حِلِّه » . قالوا : فإن كسبه من حِلِّه ؟ قال : « يمنعه من حَقِّه » . قالوا : فإن وضعه في حَقِّه ؟ قال : « يشغله إصلاحه عن عبادة ربه » .

قال : قيل لرجل مريض : كيف تجدك ؟ قال : أجدني لم أرض حياتي لموتى .

سعيد بن بشير ^(١) ، عن أبيه ، أن عبد الملك قال حين نُقِلَ ورأى غَسَّالاً يلوى ثوباً بيده : « وِدِدْتُ أَنْ كُنْتُ غَسَّالاً ^(٢) لَا أَعِيشُ إِلَّا مِمَّا أَكْتَسَبْتُ يَوْمَ بِيَوْمٍ ^(٣) » . فذَكَرَ ذَلِكَ لِأَبِي حَازِمٍ ^(٤) فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَهُمْ عِنْدَ الْمَوْتِ يَتَمَنُّونَ مَا نَحْنُ فِيهِ ، وَلَا نَتَمَنَّى عِنْدَ الْمَوْتِ مَا هُمْ فِيهِ .

الهيثم قال : أخبرني موسى بن عبيدة الرِّبْدِيُّ ^(٥) عن عبد الله بن خَدَّاشِ الْغِفَارِيِّ قال : قال أَبُو ذَرٍّ : فَارَقْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَقُوتِي مِنَ الْجُمُعَةِ إِلَى الْجُمُعَةِ مُدًّا ^(٦) ، وَلَا وَاللَّهِ لَا أَزْدَادُ عَلَيْهِ حَتَّى أَلْقَاهُ .

قال : وكان يقول : إِنَّمَا مَالُكَ لَكَ ، أَوْ لِلْجَائِحَةِ ، أَوْ لِلوَارِثِ . فَاغْنِ وَلَا تَكُنْ أَعْجَزَ الثَّلَاثَةِ .

١٥ (١) هو أبو عبد الرحمن سعيد بن بشير الأزدي البصري ، روى عن قتادة والزهرى والأعمش ، وعنه : وكيع وهشيم وبقية وغيرهم . وكان أبوه بشير قد أقدمه البصرة ، فبقى يطلب الحديث مع سعيد ابن أبي غروبة . توفي سنة ١٦٨ . تهذيب التهذيب .

(٢) ما عدال : « أنى كنت غسالا » .

(٣) ما عدال : « يوماً فيوما » .

٢٠ (٤) أبو حازم الأعرج ، ترجم في (١ : ٣٦٤) .

(٥) ما عدال ، هـ : « الربدى » تحريف . والربدى : نسبة إلى الربدية ، بفتح الراء والباء ، وهى من قرى المدينة على ثلاثة أميال ، وبها قبر أبى ذر الغفارى . وموسى بن عبيدة بن نسيط بن عمرو بن الحارث الربدى ، قال ابن سعد : كان ثقة كثير الحديث ، وضعفه آخرون . توفي سنة ١٥٢ . تهذيب التهذيب . ومعجم البلدان (الربدية) ، وتاريخ دمشق لابن عساكر مخطوط التيمورية .

٢٥ (٦) المد ، بضم الميم ، ضرب من المكاييل ، وهو ربع صاع .

فُضَيْلُ بن عياضٍ ، عن المُطَرِّحِ بن يزيد ^(١) ، عن عُبيد الله بن زُخْرٍ ^(٢) ، عن علي بن يزيد ^(٣) عن القاسم ^(٤) مولى يزيد بن معاوية ، عن أبي أسامة الباهلي ^(٥) قال : قال عمر رحمه الله :

« أدَّبوا الخيل ، وتسوَّكوا ، واقعدوا في الشمس ، ولا تُجاوِرَنَّكم الخنازير ، ولا يُرفَعَنَّ فيكم صليب ، ولا تأكلوا على مائدة يُشربُ عليها خمر ^(٦) ، وإياكم وأخلاقَ العجم ، ولا يحلُّ للمؤمن أن يدخلَ الحمامَ إلا بمئزر ، ولا لامرأةٍ إلَّا من سُقْمٍ ؛ فإنَّ عائشة حدَّثتني قالت : حدَّثتني خليلي عليٌّ مِفْرَشِي هذا ^(٧) : إذا وضعتِ المرأةُ خمارها في غير بيت زوجها هتكت ما بينها وبين الله فلم يتناهَ دون العرش » .

(١) المطرح ، بضم الميم وتشديد الطاء المفتوحة وكسر الراء . وهو المطرح بن يزيد الأسدي الكنتاني الكوفي ، روى عن عبيد الله بن زُخْرٍ ، وبشر بن غبر ، وأبي طاهر وجماعة . وروى عنه عاصم بن أبي النجود ومات قبله ، والأعمش ، والحسن بن صالح وغيرهم . وذكروا أنه كان ضعيف الحديث . تهذيب التهذيب ، والتقريب .

(٢) هو عبيد الله بن زُخْرٍ الضمري مولاهم الإفريقي . ولد بإفريقية ودخل العراق في طلب العلم ، فكان من شيوخه علي بن يزيد الألهاني ، وخالد بن أبي عمران ، والأعمش . قال ابن حبان : إذا روى عن علي بن يزيد أبي بالطامات . وزحر ، بفتح الزاي وسكون الحاء . تهذيب التهذيب ، والخلاصة . (٣) هو علي بن يزيد بن أبي هلال الألهاني الدمشقي . والألهاني : نسبة إلى ألهان بن مالك ، وهو أخو همدان بن مالك . وكان علي فاضلا ، أدرك أربعين من المهاجرين والأنصار ، وقد تكلم فيه علماء الرجال وضعفوه . توفي في العشر الثاني بعد المائة . تهذيب التهذيب والخلاصة .

(٤) هو أبو عبد الرحمن القاسم بن عبد الرحمن الدمشقي ، مولى آل أبي سفيان بن حرب ، وقيل كان مولى لجويرة بنت أبي سفيان فورث بنو يزيد بن معاوية ولأهله ، فلذلك يقال : مولى بني يزيد بن معاوية . وكان ممن رحل إلى القسطنطينية . قال عبد الرحمن بن يزيد بن جابر : ما رأيت أحدا أفضل من القاسم ، كنا بالقسطنطينية فكان الناس يُرْزَقون رغيفين رغيفين في كل يوم ، فكان يتصدق برغيف ، ويصوم ويفطر على رغيف . توفي سنة ١١٢ . تهذيب التهذيب .

(٥) هو الصحابي الجليل أبو أمانة صُدِّي بن عجلان بن وهب الباهلي . وصدى بهيمة التصغير . وكان أبو أمانة ممن بايع تحت الشجرة ، وشهد أحدا وصفين مع علي . وكان آخر صحابي مات بالشام . توفي سنة ٨٦ . الإصابة ٤٠٥٤ وتهذيب التهذيب .

(٦) ما عدل : « الخمر » .

(٧) المفرش ، بكسر الميم . وفي اللسان : « المفرش شيء كالشاذكونة » . والشاذكونة بالفارسية كل ما يتكأ عليه . استنجاس ٧٢٢ . وفي اللسان أيضا : « والمفرشة : شيء يكون على الرجل يقعد عليها الرجل ، وهي أصغر من المفرش » .

ومن نساك البصرة وزهادهم

- عامر بن عبد قيس ، وَبَجَالَةَ بن عَبْدَةَ العنبريَّان (١) ، وعثمان بن الأدهم والأسود بن كلثوم (٢) ، وَصِلَّةُ بن أَشِيم (٣) ، ومذعور بن الطُّفَيْل (٤) .
- ومن بنى مَنَقَر : جعفر (٥) وحرب ابنا جِرْفاس . وكان الحسن يقول : إني لا أرى كالجعفرين جعفرأ . يعنى جعفر بن جرفاس ، وجعفر بن زيد العبدى .
- ومن النساء . مُعَاذَةُ العَدَوِيَّةُ ، امرأة صِلَّةَ بن أَشِيم ، ورابعة القيسيَّة (٦) .

زهاد الكوفة

- عمرو بن عُتْبَةَ (٧) ، وهَمَّامُ بن الحارث (٨) ، والرَّيِّعُ بن حُثَيْم (٩) ، وأُوَيْسُ القَرَظِيُّ (١٠) .

- ١٠ (١) عامر بن عبد قيس ترجم في (١ : ٨٣) . وأما بَجَالَةَ فهو بَجَالَةَ بن عَبْدَةَ التميمي العنبري البصري ، كاتب جزء بن معاوية في خلافة عمر ، وقد أدرك النبي ﷺ ولم يره . وبَجَالَةَ كسحابة ، وعبدته بالتحريك . الإصابة ٧٥٧ وتهذيب التهذيب .
- (٢) ترجم في (١ : ٣٦٣) .
- (٣) ترجم في (١ : ٣٦٣) .
- ١٥ (٤) سبقت ترجمته في ص ١٧٤ من هذا الجزء .
- (٥) ذكره ابن دريد في الاشتقاق ١٥٤ . وقال : « كان من عباد أهل البصرة المعدادين » ، ثم ساق خبر الحسن التالى . والجرفاس ، بكسر الجيم ، معناه الأسد . وأما حرب فلم أجد له ترجمة .
- (٦) ترجمت معاذة ورابعة في (١ : ٣٦٤) .
- (٧) عمرو بن عتبة بن فرقد ، ترجم في (١ : ٣٦٣) .
- ٢٠ (٨) هو همام بن الحارث بن قيس بن عمرو بن ربيعة بن حارثة النخعي الكوفي العابد . قالوا : كان لا ينام إلا قاعداً ، وكان يدعو ويقول : « اللهم اكفنى من النوم باليسير ، وارزقنى سهرأ فى طاعتك » . توفى فى إمارة عبد الله بن يزيد الخطمى على الكوفة سنة ٦٥ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ١٨) .
- (٩) ترجم فى (١ : ٣٦٣) . ما عدل ، هـ : « حثيم » ، والأوفق ما أثبت .
- (١٠) هو أُوَيْسُ بن عامر القرظى ، بفتح القاف والراء ، نسبة إلى قَرَن بن رَدْمان ، وهم حى من مراد بن مذحج . أدرك أُوَيْسُ حياة الرسول ، وشهد صفين مع على ، وفيها قتل . الإصابة ٤٩٧ وتهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٢٣) .

قال الراجز :

١٩٩ من عاشَ دهرًا فسيأتيه الأجلُ والمرءُ تَوَاقٍ إلى ما لم يَتَلْ
الموتُ يتلوهُ ويُلْهِيه الأملُ

وقال الآخر (١) :

كُنَّا يَأْمُلُ مَدًّا فِي الْأَجْلِ وَالْمَنَابَا هِيَ آفَاتُ الْأَمَلِ

وقال الآخر :

لَا يَغُرُّكَ مَسَاءٌ سَاكِنٌ قَدْ يُؤَافِي بِالْمَنِيَّاتِ السَّخَرُ (٢)

وقال الآخر :

أَنْتِ وَهَبْتَ الْفَتِيَّةَ السَّلَاحِبَ (٣) وَهَجْمَةً يَحَارُ فِيهَا الْحَالِبُ (٤)

وَعَنَّمَا مِثْلَ الْجَرَادِ السَّارِبِ (٥) مَتَاعَ أَيَّامٍ ، وَكُلُّ ذَاهِبٍ

وقال المسعودي :

إِنَّ الْكِرَامَ مُنَاهِبُو كَ الْمَجْدِ كُلُّهُمْ فَنَاهِبُ

أُخْلِفَ وَأَتْلَفَ ، كُلُّ شَيْءٍ زِعْزَعَتُهُ الرِّيحُ ذَاهِبٌ (٦)

(١) هو أبو النجم العجلي ، كما في الحيوان (٦ : ٥٠٨ - ٥٠٩) .

(٢) ما عدل : « عشاء ساكن » و « بالمنيات الأجل » . ونحو هذا في المعنى قول القائل في ص ٢٠٢ وقد سبق في الحيوان (٦ : ٥٠٨) :

يَا رَاقِدَ اللَّيْلِ مَسْرُورًا بِأَوَّلِهِ إِنَّ الْخَوَاطِثَ قَدْ يَطْرُقْنَ أَسْحَارًا

(٣) الفتية ، كذا وردت في جميع النسخ والحيوان (٣ : ٧٥) . وظنى أنها الفتية ، وهي بالكسر : كل ما اكتسب . والسلاحب : جمع سلهب ، وهو من الخيل الطويل على وجه الأرض .

(٤) المهجمة ، بالفتح : عدد عظيم من الإبل .

(٥) السارب : الذاهب على وجهه في الأرض .

(٦) البيت في الحيوان (٣ : ٧٦) . وسيعيد إنشاد البيتين في ص ٢٥٢ و ٤ : ٦٩ .

وقال التَّيْمِيُّ (١) :

إذا كانت السَّبعون سنَّك لم يكن
وإنَّ امرأً قد سار سبعين حِجَّةً
إذا ما مَضَى القرنُ الذي كنتَ فيهم
إذا ما خلوتَ الدَّهرَ يوماً فلا تُقل
لداثك إلا أن تموتَ طيبُ
إلى منهلٍ من وردِهِ لَقَرِيبُ (٢)
وَحَلَفْتَ في قرْنٍ فأنتَ غَرِيبُ (٣)
خلوتُ ولكن قُلْ : عَلَيَّ رَقِيبُ

وقال غَسَّانُ خالُ العَدَّارِ :

ابيضَ منِّي الرأسُ بعد سَوَادٍ
واستحصَدَ القرنُ الذي أنا منهمُ
ودعا المَشِيبُ حليلتِي لِبِعادِ (٤)
وكفَى بذاك عَلامَةً لِحَصَادِي (٥)

* * *

قال : كان علي بن عيسى بن ماهان (٦) ، كثيراً ما يقول : ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ
علينا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ (٧) .

وكان كثيراً ما يقول : ويلٌ للظالمين من الله !

٢٠٠

(١) جعله ابن قتيبة في عيون الأخبار (٢ : ٣٢٢) « الحجاج بن يوسف التيمي » . وأراه تحريف

ناسخ .

(٢) في أمالي القالي (٢ : ١) : « خمسين حجة » . قال : « كتب الحجاج بن يوسف إلى قتيبة
ابن مسلم : إني نظرت في عمري فإذا أنا قد بلغت خمسين سنة ، وأنت نحوي في السن ، وإن امرأ قد سار
إلى منهل خمسين عاما لَقِيمٌ أن يكون دنا منه . فسمع التيمي منه هذا فقال :

وإن امرأ قد سار خمسين حجة إلى منهل من وردِهِ لقرِيب »

وقد رويت القصة والأبيات الأربعة في عيون الأخبار ، برواية : « سبعين حجة » .

(٣) القرن بالفتح : مثلك في السن . وبالكسر : نظيرك في الشجاعة والشدة .

(٤) الخليفة : الزوجة . ما عدل : « ببعاد » .

(٥) استحصد البت : حان حصاده ، مثل أحصد .

(٦) كان علي بن عيسى بن ماهان هو والفضل بن الربيع من رجال الأمين ، وكان علي بن عيسى

صاحب أمره كله . وعقد له في سنة ١٩٥ على كور الجبل كلها : نهاوند وهمدان وقم وأصفهان ، حربها

وخراجها . وقد شُخص في هذه السنة إلى حرب المأمون حتى بلغ الرى ، فلقبه طاهر بن الحسين ،

واستمر القتال بينهما إلى أن قتل علي سنة ١٩٥ . تاريخ الطبرى (١٠ : ١٣٨ - ١٤١) .

(٧) من الآية ١٢٦ في سورة الأعراف .

وقال محمد بن واسع ^(١) الإبقاء على العمل أشد من العمل ^(٢) .

وكان أبو وائل النهشلي يقول في أول كلامه : إِنَّ الدَّهْرَ لَا يَذُوقُ طَعْمَ أَلَمِ الْفِرَاقِ وَلَا يُذِيقُهُ أَهْلَهُ ، وَإِنَّمَا يَغْتَمِسُونَ فِي لَيْلٍ ^(٣) ، وَيَطْفُونَ فِي نَهَارٍ ، فَيُوشِكُ شَاهِدُ الدُّنْيَا أَنْ يَغِيبَ ، وَغَائِبُ الْآخِرَةِ أَنْ يَشْهَدَ .

قال : وسأل رجل رجلاً ، فقال المسئول : اذهب بسلام ! فقال السائل : قد أنصفنا من ردنا إلى الله .

الحِزَامِيُّ ^(٤) ، عن سفيان بن حمزة ^(٥) عن كثير بن الصلت ^(٦) أن حكيم ابن حزام ^(٧) باع داره من معاوية بستين ألف درهم ، فقيل له : غَبَنَكَ وَاللَّهِ معاوية ! فقال : والله ما أخذتها في الجاهلية إلا بَرَقَ من خمرٍ ، أشهدكم أنها في سبيل الله ، فانظروا أيُّنا المغبون ؟! ^(٨) .

(١) سبقت ترجمته في (١ : ٣٥٣) .

(٢) في الأصول : « الاتقاء » تحريف . ومثل هذا التحريف ما ورد في عيون الأخبار (٢ : ٣٦١) من قول أبي حازم : « إني لأرضى أن يتقى أحدكم على دينه . كما يتقى على فعله » .

(٣) ما عدل : « ينغمسون » وفي هـ : « تنغمسون » و « تطفون » وكله صحيح ، يقال غمسه فانغمس واغتمس .

(٤) ب ، ج . « الحزامي » .

(٥) هو سفيان بن حمزة بن سفيان بن فروة الأسلمي ، روى أيضاً عن كثير بن زيد الأسلمي ، وعروة بن سفيان ، وكان صالح الحديث . تهذيب التهذيب .

(٦) كثير بن الصلت بن معديكرب بن وليعة شرحبيل بن معاوية الكندي قيل : له إدراك ، روى عن جمع من كبار الصحابة ، وذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من تابعي أهل المدينة ، وقيل كان اسمه قليلاً فسماه عمر كثيراً . وكان له شرف وحال جميلة ، وإليه اختصم الشماخ وزوجه وكان عثمان قد أقعده للنظر بين الناس . الإصابة ٧٤٧٣ وتهذيب التهذيب .

(٧) هو حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي الأسدي ، وهو ابن أخي خديجة بنت خويلد زوج رسول الله . ولد قبل الفيل بثلاث عشرة سنة . وفيه ورد الحديث : « من دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن » . وكان من المؤلفة قلوبهم ، وشهد حنيناً وأعطى من غنائمها مائة بعير ، ثم حسن إسلامه . الإصابة ١٦٩٥ .

(٨) الخبر روى بوجه آخر في الإصابة . قال : « وكانت دار الندوة بيده ، فباعها بعد من معاوية بمائة ألف درهم ، فلامه ابن الزبير فقال له : يا ابن أخي ، اشتريت بها داراً في الجنة ! فتصدق بالدرهم » . ما عدا هـ : « فانظر » .

قال سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ : لَيْسَ مِنْ ضَلَالَةٍ إِلَّا عَلَيْهَا زِينَةٌ ، فَلَا تَعْرِضَنَّ دِينَكَ
لِمَنْ يُبَغِّضُهُ إِلَيْكَ .

وقال عمر بن عبد العزيز : مَنْ جَعَلَ دِينَهُ غَرَضًا لِلْخُصُومَاتِ أَكْثَرَ التَّنَقُّلِ .
وَأَتَى مُسْلِمًا نَصْرَانِيًّا يُعْزِيهِ ، فَقَالَ لَهُ : مِثْلِي لَا يُعْزَى مِثْلَكَ ، وَلَكِنْ انْظُرْ
إِلَى مَا زَهَّدَ فِيهِ الْجَاهِلُ فَارْغَبْ فِيهِ .

وكان الحسنُ بن زيد بن علي بن الحسين بن علي يُلقَّبُ ذا الدِّمعة (١) ،
فإذا غُوتِبَ في كثرة البكاء قال : وَهَلْ تَرَكْتَ النَّارَ وَالسَّهْمَانِ لِي مَضْحَكًا ! يُرِيدُ
قَتْلَ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ ، وَيَحْيَى بْنِ زَيْدٍ (٢) .

وقيل لشيخ من الأعراب : قُتِمَتْ مَقَامًا خِفْنَا عَلَيْكَ مِنْهُ ! قَالَ : أَلَمَوْتُ
أَخَافُ ، شَيْخٌ كَبِيرٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ، وَلَا دَيْنَ وَلَا بَنَاتِ .

وقال أبو العتاهية :

وَمَا تَبَلَّى وَجُوهٌ فِي الثَّرَى فَكَذَا يَلِي عَلَيْهِنَّ الْحَزَنُ

وقال بشار :

كَيْفَ يَبْكِي لِمَحْبِسٍ فِي طُلُولٍ مِنْ سَيْفُضِي لِحَبْسٍ يَوْمَ طَوِيلٍ (٣)
إِنَّ فِي الْبَغْتِ وَالْحَسَابِ لَشُغْلًا عَنْ وَقُوفٍ بِرَسْمِ دَارٍ مُجِيلٍ

وقال محمود الوراق (٤) :

أَلَيْسَ عَجِيبًا بِأَنَّ الْفَتَى يُصَابُ بِعُضِّ الذِّى فِي يَدَيْهِ

٢٠١

(١) ل : « الحسن بن زيد بن علي بن الحسين بن علي كان يلقب ذا الدمعة » .

(٢) زيد بعدها فيما عدا ل : « أخاه » والوجه « أخيه » .

(٣) المحبس ، بكسر الباء : اسم لموضع الحبس ، ويكون أيضاً المصدر كقوله تعالى : (إلى الله مرجعكم) أى رجوعكم ؛ وقوله : (ويسئلونك عن المحيض) ، أى الحيض .

(٤) ل : « محمود الوراق النحاس » .

فمن بين بالك له مَوَجَّع
ويسلُّهُ الشَّيْبُ شرَحَ الشبابِ
وبين مُعَزُّ مُعِذٌ إِلَيْهِ (١)
فليس يَعِزُّهُ خَلْقٌ عَلَيْهِ (٢)

وقال أيضاً :

بَكَيْتُ لِقُرْبِ الْأَجَلِ
وَوَافِدِ شَيْبِ طَرَا
وَبَعَقِبِ شَبَابِ رَحَلِ
وَشَيْبِ كَأَنَّ لَمْ يَزَلِ
وَحَلَّ بِشِيرِ الْبَقَاءِ
طَوَاكَ بِشِيرِ الْبَقَاءِ
كَذَاكَ اخْتِلَافُ الدُّوَلِ
طَوَى صَاحِبِ صَاحِبَا

وقال (٤) :

رَأَيْتُ صَلَاحَ الْمَرْءِ يُصْلِحُ أَهْلَهُ
يُعَظِّمُ فِي الدُّنْيَا بِفَضْلِ صَلَاحِهِ
وَيُعَدِّهِمْ دَاءُ الْفَسَادِ إِذَا فَسَدَ
وَيُحَفِّظُ بَعْدَ الْمَوْتِ فِي الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ

وقال الحسن بن هانئ :

أَيَّةُ نَارٍ قَدَحَ الْقَادِحُ
لِلَّهِ دُرُّ الشَّيْبِ مِنْ وَاعِظِ
يَأْتِي الْفَتَى إِلَّا اتِّبَاعَ الْهَوَى
فَاسْمُ بَعِينِكَ إِلَى نَسْوَةٍ
لَا يَجْتَلِي الْحَسَنَاءُ مِنْ خَدْرِهَا
وَأَيُّ جِدٍّ بَلَغَ الْمَازِحُ
وَنَاصِحٍ لَوْ حَظَّتْ النَاصِحُ
وَمَنْهَجُ الْحَقِّ لَهُ وَاضِحُ
مُهِوْرُهُنَّ الْعَمَلُ الصَّالِحُ
إِلَّا أَمْرُو مِيزَانِهِ رَاجِحُ (٥)

(١) المغذ : المسرع . والإغذاذ : الإسراع في السير .

(٢) شرح الشباب : أوله ونضارته وقوته .

(٣) في الشعراء ٨٤٣ أن الشعر لعل بن جبلة وانظر عيون الأخبار (٢ : ٣٢٦) .

(٤) ما عدل : « وقال محمود أيضاً » .

(٥) هـ : « العذراء » . الديوان ١٩٢ . « الحوراء » . ل : « لن يجتلي الحسناء » .

من اتقى الله فذاك الذى سيق إليه المتجرُ الرابع

٢٠٢ وقال أيضاً :

وَامْضِ عَنْهُ بِسَلَامٍ	خَلَّ جَنِيكَ لِرَامٍ
لَكَ مِنْ دَاءِ الْكَلَامِ	مُتْ بِدَاءِ الصَّمْتِ خَيْرٌ
حَجَمَ فَاهُ بِلِجَامٍ	إِنَّمَا السَّالِمُ مَنْ أَلَّ
لَ مَغَالِيْقِ الْحَمَامِ (١)	رُبَّمَا اسْتَفْتَحَتْ بِالْقَوِ
لَ فِتَامٍ وَفِتَامٍ (٢)	رُبَّ لَفِظٍ سَأَى آجَا
حَجَّةٍ مِنْهُمْ وَالسَّقَامِ (٣)	فَالْبَسَ النَّاسَ عَلَى الصَّدِّ
شَارِبَاتٍ لِلْأَنَامِ	وَالْمَنَابِيا آكَلَاتٍ
رُكُّ أَحْلَاقِ الْغَلَامِ	شَبَتْ يَاهُذَا وَمَا تُثْ

وقال أيضاً :

وَأَتَّقِ اللَّهَ لَعَلَّكَ	كُنْ مِنْ اللَّهِ يَكُنْ لَكَ
لِلْمَنَابِيا فَكَأَنَّكَ	لَا تَكُنْ إِلَّا مُعِدًّا
وَأَقْعَا دُونَكَ أَوْ بِكَ	إِنَّ لِلْمَوْتِ لَسَهْمًا
نَيْنِ سُكُونٍ وَتَحْرُكٍ	نَحْنُ نَجْرِي فِي أَفَا
وَبِتَقْوَاهُ تَمْسُكُ	فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْ

وله أيضاً :

يَا نُؤَاسِي تَفَكَّرْ وَتَعَزَّ وَتَصَبَّرْ (٤)

(١) ما عدل : « بالزح » . والمغاليق : جمع مغلاق ، وهو المرتاج ، وهو ما يعلق به الباب .

(٢) حـ : « لفقام » وبذلك غيرت في ب . والفقام : الجماعة الكثيرة من الناس .

(٣) بدله فيما عدل :

« فالزم الصمت فإن الـ صمَّتْ أبقى للجمام »

(٤) في الديوان ١٩٦ : « يا نواسى توقر » .

سَاءَكَ الدَّهْرُ بِشَيْءٍ وَلَمَّا سَرَكَ أَكْثَرَ
يا كَبِيرَ الذَّنْبِ عَفُوَ اللَّهُ مِنْ ذَنْبِكَ أَكْثَرَ
أكْبَرِ الْأَشْيَاءِ فِي أَصَدِّ عَرِ عَفْوِ اللَّهِ يَصْغُرُ^(١)

وقال سعد^(٢) بن ربيعة بن مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم :

أَلَا إِنَّمَا هَذَا الْمُلَالُ الَّذِي تَرَى وَإِذَا بَارَ جَسْمِي مِنْ رَذَى الْعَثَرَاتِ^(٣)
وَكَمْ مِنْ خَلِيلٍ قَدْ تَجَلَّدَتْ بَعْدَهُ تَقَطَّعَ نَفْسِي دُونَهُ حَسَرَاتِ^(٤)

وهذا من قديم الشعر :

وقال الطرماح بن حكيم^(٥) ، في هذا المعنى :

وَشَيْئَنِي أَنْ لَا أَزَالَ مُتَاهِضاً بِغَيْرِ قُوَى أَتَزُو بِهَا وَأَبْوُعُ^(٦)
وَأَنَّ رَجَالَ الْمَالِ أَضْحَوْا وَمَالَهُمْ لَهُمْ عِنْدَ أَبْوَابِ الْمُلُوكِ شَفِيعُ
أَمْخَرِمِي رَبُّ الْمَنُونِ وَلَمْ أُنَلْ مِنْ الْمَالِ مَا أَعْصِي بِهِ وَأَطُعُ^(٧)

ومن قديم الشعر قول الحارث بن يزيد ، وهو جدُّ الأَحْمِرِ اللَّصِّ

السَّعْدِيُّ : ^(٨)

لَا لَا أَعُقُّ وَلَا أَحُوُّ بْ وَلَا أُغَيِّرُ عَلَى مُضَرٍّ^(٩)

١٥ (١) البيت من ل ، هـ فقط ، وأثبت في هامش التيمورية ، وفي الديوان : « عن أصغر عفو الله أصغر » ، صواب هذا « من أصغر » .

(٢) ما عدل هـ : « سعيد » .

(٣) في حواشي هـ : « مأخوذ من الملة بمعنى الحرارة وهي الحمى » .

(٤) ما عدل ل : « بعده حسرات » .

(٥) « بن حكيم » من ل فقط . وسبقت ترجمته في (١ : ٤٦) .

(٦) باع ييوع : بسط باعه في المشى . والباع : قدر مد اليدين ، أصله في الدابة .

(٧) اخترمته المنية من بين أصحابه : أخذته من بينهم .

(٨) الأَحْمِرِ السَّعْدِيُّ ، شاعر من لصوص العرب ، مثل عبيد بن أيوب العنبري ، ترجم له ابن

قتيبة في الشعر والشعراء . وقال : « وهو متأخر ، وقد رآه شيوخنا » . وهو القائل :

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى وصوت إنسان فكادت أطيّر

(٩) أحوب ، من الحوب ، وهو الإثم . المصدر بفتح الحاء ، والاسم بضمها .

لَكِنَّمَا غَزَوِي إِذَا ضَجَّ الْمَطْيُ مِنَ الدَّبْرِ (١)

وقال آدم بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز (٢) :

وإن قالت رجالٌ قد تولَّى زمانُكمُ وذا زمنٌ جديدٌ

فما ذهبَ الزَّمانُ لنا بمجيدٍ ولا حسبٍ إذا ذُكِرَ الجُدودُ

وما كُنَّا لنخلدَ إذْ مَلَكْنَا وأئى الناسِ دامَ له الخلودُ

وقيل لأخيه بعد أن رآوه حملاً : لقد حطَّكَ الزَّمانُ ، وعَضَّكَ الحَدَثانُ ،

فقال : ما فَقَدْنَا مِن عَيْشِنَا إِلَّا الْفُضُول !

وقال غُرُوةُ بنُ أذينة الكناني :

تُرَاعُ إِذَا الْجَنَائِزُ قَابِلَتْنَا وَيَحْزُنُنَا بَكَاءُ الْبَاكِيَاتِ (٣)

كَرُوعَةٍ ثَلَّةٍ لِمُغَارٍ ذَيْبٍ فَلَمَّا غَابَ عَادَتْ رَاتِعَاتِ (٤)

وقالت خنساء بنت عمرو :

تَرْتِعُ مَا غَفَلَتْ حَتَّى إِذَا ادَّكَّرَتْ فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارُ (٥)

(١) أنشد الجاحظ البيتين في الحيوان (١ : ١٣٣) ، وعقب بقوله : « إنما فخر بالغزو في ذلك الزمان » . وأنشدهما كذلك في (٣ : ٥٧٧ : ٢٣) المطي : جمع مطية . ضج : صاح ، والمراد اشتد أله . والدبر ، بالتحريك : جمع دبرة ، وهي قرحة الدابة .

(٢) ما عدال ، هـ : « آدم بن عبد العزيز بن عبد العزيز » ، تحريف . وهو حفيد عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم . وهو أحد من منَّ عليه أبو العباس السفاح من بنى أمية . وكان في أول أمره خليعاً ماجناً منهمكاً في الشراب ، ثم نسك بعد ما عمَّر ، ومات على توبة ومذهب جميل ، وكان المهدي يقربه ويصطفيه . الأغاني (١٤ : ٥٨ - ٦٠) . وانظر تاريخ بغداد (٧ : ٢٧) .

(٣) البيتان في الحيوان (٦ : ٥٠٧) وعيون الأخبار (٣ : ٦٢) . وفي عيون الأخبار : « ونلهو حين تخفى ذاهبات » .

(٤) الثلة ، بالفتح : جماعة الغنم . والمغار : مصدر ميمي من أغار . الحيوان : « لمغار سبع » .

(٥) من مرثية لها في أحبها صخر . والبيت في صفة ناقة ثكلت ولدها . وقيله :

فما عجول على بو تطيف به قد ساعدتها على التحنن أطار

ما غفلت ، أى عن ذكر ولدها . جعلتها لكثرة ماتقبل وتدبر كأنها تجسَّمت من الإقبال والإدبار . انظر

الحيوان (٦ : ٥٠٧) والخزانة (١ : ٢٠٨) .

وقال أبو النجم :

فلو ترى الثيوسَ مُضْجَعَاتٍ عَرَفْتَ أَنَّ لَسْنَ بِسَالِمَاتٍ
أقول إذ جئن مُذْبَحَاتٍ أَلَمْ تَكُنْ مِنْ قَبْلُ رَاتِعَاتٍ ^(١)
ما أَقْرَبَ المَوْتَ مِنَ الحَيَاةِ

وقال سليمان بن الوليد ^(٢) :

رُبَّ مَعْرُوسٍ يُعَاشُ بِهِ عَدِمَتُهُ كَفَّ مَقْتَرِيهِ ^(٣)
وكذاك الدَّهْرُ مَأْتَمُهُ أَقْرَبُ الْأَشْيَاءِ مِنْ عُرْسِهِ

وقال آخر :

يا رَاقِدَ اللَّيْلِ مَسْرُوراً بِأَوَّلِهِ إِنَّ الحَوَادِثَ قَدْ يَطْرُقْنَ أَسْحَاراً ^(٤)
وقالت امرأةٌ في بعض الملوك ^(٥) :

أَبْكِيكَ لَا لِلنَّعِيمِ وَالْأَنْسِ بَلْ لِلْمَعَالِي وَالرُّخِ وَالْفَرَسِ
أَبْكِي عَلَى فَارِسٍ فَجِئْتُ بِهِ أَرْمِلْنِي قَبْلَ لَيْلَةِ الْعُرْسِ

(١) ما عدل : « رابعات » . وفي سائر النسخ : « واقعات » ، صوابهما ما أثبت من هـ .

(٢) هو سليمان بن الوليد الأعمى ، أخو مسلم بن الوليد الأنصاري . قال الجاحظ في الحيوان

(٤ : ١٩٥) حيث أنشد الشعر : « وكانوا لا يشكون بأن سليمان هذا الأعمى كان من مستجيبى بشار

الأعمى ، وأنه كان يختلف إليه وهو غلام فقبل عنه ذلك الدين » . وقد جعله ياقوت في إرشاد الأديب

(١١ : ٢٥٥) والصفدى في نكت الحميان ١٦٠ ابناً لمسلم . قال ياقوت : « وهو ابن مسلم بن الوليد

المعروف بصريع الغواني ، الشاعر المعروف . كان كأييه شاعراً مجيداً . وكان ملازماً لبشار بن برد يأخذ

عنه ، ولذا كان متهماً بدينه . مات سنة ١٧٩ هـ . والشعر في المرجعين المتقدمين وعيون الأخبار (٣ : ٦١)

وفيها أنه « سليمان الأعجمي » . و « الأعجمي » تحريف « الأعمى » .

(٣) ل فقط : « عدمته عين مفترسه » .

(٤) ل : « مسروراً بفرقتة » ، وأثبت مافي سائر النسخ والحيوان (٦ : ٥٠٨) . والبيت لأبي العتاهية

في ديوانه ١٢٠ ، وقد نسب مع قرين له في تفسير القرطبي إلى ابن الرومي . وذلك في سورة الطارق .

(٥) المرأة ، هي بيت عيسى بن جعفر بن أبي جعفر المنصور ، وكانت مملكة ، أى معقوداً عليها ،

للأمين بن هارون الرشيد ، فقالت الشعر التالى ترثيه به حين قتل . الحيوان (٣ : ٨٩) والطبرى (١٠ : ٢١٠) .

وفي العقد (٣ : ٢٧٧) أنها لبابة بنت على بن ربيعة . ترقى زوجها المأمون ، وكان قتل عنها ولم

يبين بها . وفي الطبرى أيضاً (١٠ : ٢١٠) أنها لبابة بنت على بن المهدي .

أخلاط من شعر ونوادر وأحاديث

قال هُبَيْرَةُ بْنُ أُنَى وَهَبِ الْخَزْرُمِي (١) :

وإنَّ مقالَ المرءِ في غيرِ كُنْهِهِ لَكَائِبِلٌ تَهْوِي لَيْسَ فِيهَا نَصَالُهَا (٢)

وقال الرَّاجِزُ :

والقولُ لا تَمْلِكُهُ إِذَا نَمَّا كَالسَّهْمِ لا يَرْجِعُهُ رِاحُ رَمَى

وإلى هذا ذهبَ عَامِرُ الشَّعْبِيِّ حيث يَقُولُ : « وإِنَّكَ على إيقاعِ ما لم تُوقِعْ أَقْدَرُ مِنْكَ عَلَى رَدِّ ما قد أَوْقَعْتَ » .

وأنشد :

فداوَيْتُهُ بِالْحِلْمِ وَالْمَرْءُ قَادِرٌ عَلَى سَهْمِهِ مَا دَامَ فِي كَفِّهِ السَّهْمُ (٣)

وقال الأنصاري (٤) :

وَبَعْضُ الْقَوْلِ لَيْسَ لَهُ حَصَاةٌ كَمَحْضِ الْمَاءِ لَيْسَ لَهُ إِتَاءٌ (٥)

وَبَعْضُ خِلَاقِ الْأَقْوَامِ دَاءٌ كدَاءِ الشَّيْخِ لَيْسَ لَهُ دَوَاءٌ (٦)

(١) سبقت ترجمته في (١ : ٣١٩) .

(٢) في غيرِ كُنْهِهِ ، أُنَى في غير وجهه . وقد سبق البيت في (٢ : ٢٩١) .

(٣) البيت لمن بن أوس المزني في ديوانه ٦ لبيسك ، وحمامة البحرى ٣٨٢ ، برواية : « فبادرت منه النأى » .

(٤) هو قيس بن الخطيم الأنصاري . ديوانه ٢٧ - ٢٨ ، والبيان (٢ : ٢٧٩) . وانظر ماسبق في ص ١٨٦ من نسبة بعض الشعر إلى الربيع بن أبي الحقيق . والبيتان في الحيوان (٣ : ٦٨) مع نسبتها إلى بعض الأنصار .

(٥) الحصاة ، ها هنا : العقل . قال كمب بن سعد الغنوي :

وإن لسان المرء ما لم يكن له حصاة ، على عوراته لدليل

والإتاء ، بالكسر : الزيد .

(٦) في ١٨٦ : « ليس له شفاء » . وفي هامش هـ : « كدَاءِ البطن » .

وقال الآخر :

وَمَوْلَى كِدَاءِ الْبَطْنِ أَمَّا لِقَاؤُهُ فَحِلْمٌ وَأَمَّا غِيَّهُ فَظَنُونُ (١)

وقال الآخر :

تَقَسَّمَ أَوْلَادُ الْمِلْمَةِ مَغْنَمِي جِهَارًا ، وَلَمْ يَغْلِبْكَ مِثْلُ مُغْلَبٍ (٢)

وقال الثُّلُبُ الْيَمَانِيُّ :

* وَهْنٌ شَرُّ غَالِبٍ لِمَنْ غُلِبَ *

وقال النبي ﷺ : « إِذَا كُتِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيُتَرَّبْ كِتَابَهُ ، فَإِنَّ التُّرَابَ مِبَارَكٌ ، وَهُوَ أَنْجَحٌ لِلْحَاجَةِ » .

وذكر الله آدَمَ الذي هو أَصْلُ الْبَشَرِ فقال : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ﴾ . ولذلك كَتَبَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَيَّا أَبَا تُرَابٍ . قالوا : وَكَانَتْ أَحَبَّ الْكُنَى إِلَيْهِ .

وقال الآخر :

وَإِنْ جِئْتَ الْأَمِيرَ فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ الرَّحِيمِ
وَأَمَّا بَعْدَ ذَلِكَ فلي غَرِيمٌ مِنْ الْأَعْرَابِ قُبَحَ مِنْ غَرِيمِ
لَهُ أَلْفٌ عَلَيَّ وَنِصْفُ أَلْفٍ وَنِصْفُ النِّصْفِ فِي صَنْكَ قَدِيمِ
دِرَاهِمُ مَا انْتَفَعْتُ بِهَا وَلَكِنْ وَصَلْتُ بِهَا شَيْوَخَ بَنِي تَمِيمِ

وقال الكميّ (٣) :

(١) الظنون : التهم ومن لا يؤثق به .

(٢) الملمة ، من الإلام ، أى التى تلم بالرجال تزورهم وتحرص عليهم . والمغلب : المغلوب . انظر

ماضى فى ص ١١ من هذا الجزء .

(٣) كان من قصة الشعر ما رواه أبو الفرج قال : « خرجت الجعفرية على خالد بن عبد الله

القسرى وهو يخطب على المنبر وهو لا يعلم بهم ، فخرجوا فى التباين ينادون : لبيك جعفر ، لبيك جعفر ! وعرف خالد خبرهم وهو يخطب على المنبر ، فدهش فلم يعلم ما يقول فرعا ، فقال : أطعموني ماء ! ثم خرج الناس إليهم فأخذوا ، فجعل يجرهم إلى المسجد ويؤخذ طن قصب ، =

حَلَفْتُ بِرَبِّ النَّاسِ : مَا لَمْ خَالِدٌ
بِأَمِّكَ إِذْ أَصَوَّاتُنَا الْهَلْ وَالْهَبْ (١)
وَلَا خَالِدٌ يَسْتَطْعِمُ الْمَاءَ قَائِمًا
بِعَذْلِكَ وَالذَّاعِي إِلَى الْمَوْتِ يَنْعَبُ (٢)

وقال ابن نُوْفِل (٣) :

تَقُولُ لِمَا أَصَابَكَ أَطْعَمُونِي
شَرَابًا ثُمَّ بُلْتُ عَلَى السَّرِيرِ
لَأَعْلَاجٍ ثَمَانِيَةٍ وَشَيْخٍ
كَبِيرِ السِّنِّ ذِي بَصَرٍ ضَرِيرِ (٤)

وقال ابنُ هَرَمَةَ (٥) :

تَرَاهُ إِذَا مَا أَبْصَرَ الضَّيْفَ كَلْبُهُ
يَكْلُمُهُ مِنْ حُبِّهِ وَهُوَ أَعْجَمُ (٦)

قال : وقال المهلبُ : « عَجِبْتُ لِمَنْ يَشْتَرِي الْمَمَالِيكَ بِمَالِهِ وَلَا يَشْتَرِي
الْأَحْرَارَ بِمَعْرُوفِهِ » .

- ١٠ = فَيَطْلِي بِالْفِلْطِ وَيَقَالُ لِلرَّجُلِ : احْتَضَنَهُ . وَيَضْرِبُ حَتَّى يَفْعَلَ ثُمَّ يَحْرِقُ ، فَحَرَقَهُمْ جَمِيعًا ، فَلَمَّا قَدِمَ
يُوسُفُ بْنُ عُمَرَ دَخَلَ عَلَيْهِ الْكَمِيتُ وَقَدْ مَدَحَهُ بَعْدَ قَتْلِهِ زَيْدَ بْنَ عَلِيٍّ ، فَأَنْشَدَهُ قَوْلَهُ فِيهِ :
خَرَجْتُ لَهُمْ تَمْشِي الْبِرَاحُ وَلَمْ تَكُنْ كَمَنْ حِصْنُهُ فِيهِ الرَّتَاجُ الْمَضْبُ
وَمَا خَالِدٌ يَسْتَطْعِمُ الْمَاءَ قَائِمًا بَعْدَ ذَلِكَ وَالذَّاعِي إِلَى الْمَوْتِ يَنْعَبُ

- قال : والجند قيام على رأس يوسف بن عمر ، وهم يمانية ، فتعصبوا لخالد فوضعوها ذباب سيوفهم
في بطن الكميته فوجئوه بها وقالوا : أتنشد الأمير ولم تستأمره . فلم يزل ينزفه الدم حتى مات . الأغاني . (١٥ : ١١٦) .

- (١) خالد ، هو ابن عبد الله القسري كما سبق في الخبر . والأُم بفتح الهمزة وكسرها : الشكل
والأمر والقصد . انظر اللسان (١٤ : ٢٨٩) ومجالس ثعلب ٤٦٦ والمزهر (١ : ٥١٣) . يقول : ليس
يكون خالد مثلك في الثبات والشجاعة حين تشتد الغارة ويصاح فيها بالخيـل : هَلَا ، وَهَيْي .
(٢) العدل ، بالكسر : المثل والنظير . ما عدال : هـ : « بعذلك » تحريف . ينعب : يصيح . ل :
« يسغب » صوابه في سائر النسخ والأغاني . وانظر لاستطعام خالد الماء ما سبق من الخبر في الحواشي .
(٣) هو يحيى بن نوفل المترجم في (٢ : ٢٦٦) .
(٤) سبق الكلام على البيتين في (٢ : ٢٦٧) .
(٥) هو إبراهيم بن هرمة ، المترجم في (١ : ١١١) .

- (٦) البيت من أبيات سبقت بدون نسبة في الحيوان (١ : ٣٧٧ - ٣٧٨) . وهي كذلك عارية
من النسبة في الحماسة (١ : ٢٦٠ - ٢٦١) . وفيهما : « يكاد إذا ما أبصر الضيف » .

وقال الشاعر :

رُزِقْتُ ثُبًا ولم أرُزُقْ مُرُوءَةً وما المُرُوءَةُ إِلَّا كَثْرَةُ المَالِ (١)
إذا أردتُ مُسَامَاةً تَقْعُدُنِي عَمَّا يُنَوِّهُ بِاسْمِي رَقَّةُ الحَالِ (٢)

٢٠٦

وقال الأحنف :

فَلَوْ مَدُّ سَرُوى بِمَالٍ كَثِيرٍ لَجُدْتُ وَكُنْتُ لَهُ بِإِذِلَا (٣)
فَإِنَّ المُرُوءَةَ لَا تُسْتَطَاع إِذَا لَمْ يَكُنْ مَالُهَا فَاضِلَا

وقال جرير بن يزيد (٤) :

خَيْرٌ مِنَ الْبُخْلِ لِلْفَتَى عَدَمُهُ وَمَنْ يَنْبِنِ أَعْقِيَّةَ عَقْمِهِ (٥)

قال : ومشي رجال من تميم إلى عتاب بن ورقاء ، ومحمد بن عمير (٦) ،
في عشر ديات فقال محمد بن عمير : عَلَى دِيَّة . فقال عتاب : عَلَى الْبَاقِيَةِ .
فقال محمد : نِعَم الْعَوْنُ عَلَى المُرُوءَةِ المَالِ (٧) .

وقال الآخر :

وَلَا خَيْرَ فِي وَصْلِ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ عَلَى طَوْل مَرِّ الحَادِثَاتِ بَقَاءُ

وقال الآخر :

شَفَاءُ الْحُبِّ تَقْبِيلٌ وَضُمٌّ وَجَرٌّ بِالْبُطُونِ عَلَى الْبُطُونِ (٨)

(١) البيتان في عيون الأخبار (١ : ٢٣٩) .

(٢) في اللسان (قعد) : « ابن السكيت : يقال : ما تقعدني عن ذلك الأمر إلا شغل ، أى ما حبسنى » . ما عدل ل : « تقاعدني » تحريف .

(٣) سبق البيتان في (٢ : ٢٩٢) .

(٤) ذكره الجاحظ في الحيوان (٧ : ٨٤) .

(٥) يقال بضم العين وفتحها وبالتحريك .

(٦) عتاب بن ورقاء الرياحي ، ترجم في (٢ : ٢٣٥) . ومحمد بن عمير بن عطارذ ترجم في

(٢ : ٢٩٢) ، حيث سبق الخبر .

(٧) في (٢ : ٢٩٢) : « اليسار » بدل « المال » .

(٨) ما عدل ل : « وشم وضم بالبطون » .

وأنشد (١) :

والله لا أرضى بطول ضمٍّ ولا بتقيلٍ ولا بشمٍّ
إلا بهزأٍ يسلى همى يسقط منه فتحى فى كمى
لمثل هذا ولدتنى أمى

وأنشد :

لا ينفع الجارية الخضاب ولا الوشاحان ولا الجلباب
من دون أن تصطفى الأركاب (٢) وتلتقى الأسباب والأساب
ويخرج الرُّبُّ له لعاب

وقال الآخر :

ولقد بدا لى أن قلبك ذاهل عنى وقلبي لو بدا لك أذهل (٣)
كلُّ يُجامِلُ وهو يُخفى بُعضه إنَّ الكريم على القلى يتجمل

وقال الآخر :

وحظك زورة فى كلِّ عام موافقة على ظهر الطريق (٤)
سلاماً خالياً من كلِّ شئ يعود به الصديق على الصديق

وقال الآخر :

وزعمت أنى قد كذبتك مرة بعض الحديث فما صدقتك أكثر (٥)

(١) الرجز للدهناء بنت مسحل زوج العجاج . انظر حواشى (٢ : ٣٥١) . والفتح : جمع فنتخة ، بالتحريك ، وهى حلقة تلبس فى الإصبع كالحفام لا فص فيها ، فإذا كان فيها فص فهى الحفام ، وحقيقتها أن تلبس فى أصابع الرجلين ، وتلبس أيضاً فى أصابع اليدين .

(٢) الأركاب : جمع ركب ، بالتحريك ، وهو منبت العانة والرجز فى اللسان والمفايس (ركب) .

(٣) البيتان لمعن بن أوس ، كما سبق فى (٢ : ٣٥٤) . وليس فى ديوانه .

(٤) سبق البيتان فى (٢ : ٣٦٢) .

(٥) ل : « بعد الحديث » ، تحريف .

وقال الآخر :

أهينوا مطاياكم فإني وجدته

يهون على البرذون موث الفتى التذب (١)

وقال الآخر :

لا يحفل البرد من يئلي حواشيئه ولا ثبالي على من راحت الإبل

وقال الآخر :

ألا لا يبال البرد من جر فضله كما لا ثبالي ماهرة من يقودها

٢٠٧

وقال الآخر (٢) :

وإني لأرثي للكرم إذا غدا على حاجة عند اللئيم يطالبه
وأرثي له من مجلس عند بابه كمرثيتي للطرف والعليج راكمه (٣)

وقال الفرزدق :

أترجو ربيع أن تحب صغارها بخير وقد أعيا ربيعاً كبارها (٤)

وقال الشاعر :

ألم تر أن سير الخير ريث وأن الشر راكمه يطير (٥)

(١) الندب : الخفيف في الحاجة الظريف النجيب .

(٢) هو عبيد الله بن عكراش ، كما في عيون الأخبار (١ : ٨٩) .

(٣) مجلس ، أى جلوس . والطرف ، بالكسر : الفرس الكريم الطرفين ، أى الأيوين . والعليج :

الرجل من كفار العجم . وانظر لهذا الشعر وما قبله رسائل الجاحظ (٢ : ٢٥٢ - ٢٥٣) .

(٤) ربيع بالصغير ، من بنى الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن نعيم . الاشتقاق

١٥١ والقاموس (ربع) . والبيت لم يرو في ديوانه ، لكنه منسوب إليه في الأغاني (١٩ : ١٥) وابن

سلام ١٣٧ . قال ابن سلام : « وكان الفرزدق أكثرهم بيتاً مقلداً . والمقلد : البيت المستغنى بنفسه ،

المشهور ، الذى يضرب به المثل » . وللفرزدق في هذا المعنى قوله في الديوان ٣٨٤ :

ترجى أن تزيد بنو فقيم صغارهم وقد أعيا كبارا

(٥) الريث : البطء . يطير : يسرع .

وقال ابن يسير^(١) :

تأتى المكاره حين تأتى جملة وترى السُرور يجى مع الفلتات^(٢)

قيل لبلال بن أبى بُرْدَة : لم لا تُؤلى أبا العجوز بن أبى شيخ العراف^(٣)

- وكان بلال مسترضعاً فيهم ، وهو من بلهجين^(٤) - قال : لأنى رأيتُ منه ثلاثاً : رأيتُه يحتجمُ فى بُيوتِ إخوانه ، ورأيتُ عليه مظلةً وهو فى الظل ، ورأيتُه يُبادِرُ بيضَ البَقيلة^(٥) .

وكان عندى شيخٌ عظيمُ البدنِ جَهِير الصَّوتِ ، يستَقصى الإعراب ، وقد ولَّده رجلٌ من أهل الشورى ، وكان يُقرئ عبد أسودَ دقيقَ العظم دَمِيم الوجه^(٦) ، ورأى أكبره ، فقال لى حينَ نَهَضَ ورأى عَظْماً : يا أبا عُثْمان ، لا واللهِ إنَّ يُساوِى ذلكَ العَظْمُ البالى ، بصُرْتُ عيني به فى الحمامِ وتناولَ قطعةً

(١) محمد بن يسير الرياشى المترجم فى (١ : ٦٥) . ما عدل : « بشير » تحريف .

(٢) ما عدل : « يجىء فى الفلتات » .

(٣) هذا ما فى هـ . وفى ل « العراف » . وفى سائر النسخ : « العرف » بالعين المهملة .

(٤) بلهجين ، أى بنو الهجين ، وهو الهجين بن عمرو بن تميم بن مر . المعارف ٣٥ والاشتقاق ١٢٤ . ونظيره قولهم فى بنى الحارث وبنى القين : بلحارث ، وبلقين . وفى اللسان (حرث) : « وقولهم بلحارث لبنى الحارث بن كعب من شواذ الإدغام ، لأن النون واللام قريباً المخرج ، فلما لم يمكنهم الإدغام يسكون اللام حذفوا النون كما قالوا : مُسْتِ وظَلَّت . وكذلك يفعلون بكل قبيلة تظهر فيها لام المعرفة ، مثل بلعبر وبلهجين ، فإذا لم تظهر اللام فلا يكون ذلك » .

(٥) بيضة البقيلة ، قال الثعالبي فى غمار القلوب ٣٩٣ : « تذكر فى عيون الأطعمة : ولا يستحسن المبادرة إليها » ، ولم يفسرها بأكثر من هذا . ثم نقل عن الجاحظ فى البخل قوله : « فإن كان لابد من المؤكلة ولابد من المشاركة ، فمع من لا يستأثر على بالمنع ، ولا يتهمز بيض البقيلة ، ولا يلتهم كبد الدجاجة ، ولا يبادر إلى دماغ رأس السلاء ، ولا يختطف كلية الجدوى ، ولا يزدد قانصة الكركى » . فيفهم من سوقها مع هذه النظائر أنها قطعة من متخير اللحم ، تشبه البيض .

(٦) الدميم : القبيح . ما عدل ، هـ : « دميم » تحريف .

من فَخَّارٍ فَأَعْطَاهَا رَجُلًا وَقَالَ لَهُ : حُكَّ بِهَا ظَهْرِي ! أَتَنْظُرُنَّ هَذَا يَا أَبَا عُثْمَانَ يُفْلَحُ أَبَدًا .

قال أبو الحسن : سأل الحجاجُ غلاماً فقال له : غلامُ من أنت ؟ قال : غلامُ سيِّد قيس . قال : ومن ذاك ؟ قال : زُرَّارَةُ بْنُ أَوْفَى ^(١) . قال : وكيف يكون سيِّد قيس وفي دارِهِ التي يَنْزِلُ فيها ^(٢) سُكَّانٌ ؟

قال : وقال رجل لابنه : إذا أردت أن تُعرِفَ عَيْبَكَ فخاصِمِ شَيْخاً من قُدماءِ جيرانِكَ . قال : يا أَبَتِ لو كنتُ إذا خاصَمْتُ جاري لم يُعرِفْ عَيْبِي ٢٠٨
غَيْرِي كَانَ ذَلِكَ رَأْيَا ، ولكن جاري لا يُعرِفُنِي عَيْبِي حتَّى يُعرِفَهُ عَدُوِّي .
وقد أخطأَ الذي وَضَعَ هذا الحديثَ لأنَّ أباه نَهَاه ولم يأْمُرْهُ .

وقال الآخر :

اصْطَبَنْعَنِي وَأَقْلَنِي عَشْرِي لَئِنِّهَا قَدْ وَقَعَتْ مِنِّي بَقْرٌ ^(٣)
وَأَعْلَمَنْ أَنَّ لَيْسَ أَلْفَا دِرْهَمٍ لِمَدِيحِي وَهَجَائِي بِخَطَرٍ ^(٤)
يَذْهَبُ الْمَالُ وَيَبْقَى مَنْطِقُ شَائِعٌ بِأَثَرِهِ أَهْلُ الْخَبَرِ
ثُمَّ أَرْمِيكُمْ بِوَجْهِ بَارِزٍ لَسْتُ أَمْشِي لِعَدُوِّي بِخَمَرٍ ^(٥)

(١) هو أبو حاجب زُرَّارَةُ بْنُ أَوْفَى العامري الحرشي القاضي ، كان فقيهاً محدثاً من التابعين ، وكان من العباد ، توفي سنة ٩٣ . تهذيب التهذيب وصفه الصفوة (٣ : ١٥٢) . وكان الفرزدق يشيب بينته ملاءة ، وبينتها عاتكة ، وبينت بنتها نائلة . قال أبو الفرج في (١٢ : ٧٤) عن ابن سلام : « لا أعلم أن امرأة شُيِّبَ بها وبأُمِّها وجدتها غير نائلة » .

(٢) ما عدل : « يَنْزِلُهَا » .

(٣) أقاله عثرته : عفا عنه . وقعت بقرة ، أى صارت الشدة إلى قرارها .

(٤) الخطر ، هنا : مثل الشيء وعَدْلُهُ ومساويه .

(٥) الخمر ، بالتحريك : ما وارك من الشجر والجبال ونحوها . والمعروف في مثل هذا المعنى :

« مشى له الخمر » بنزع الباء ، يقال ذلك الرجل إذا ختل صاحبه .

وقال أشهبُ بن رُمَيْلَةَ ^(١) يَوْمَ صِفِّينَ : إلى أين يا بنى تميم ؟ قالوا : قد ذهب الناسُ . قال : تَفِرُّونَ وتعتذرون ؟!

قال : ونهض الحارث بن حَوَيطِ اللَّيْثِيِّ إلى عليّ بن أبي طالب ، وهو على المنبر ، فقال : أَتُظَنُّ أَنَّا نَظُنُّ أَنَّ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ كَانَا عَلَى ضَلَالٍ ؟ قال : « يا حَارِ ، إنه ملبوسٌ عليك ، إِنَّ الْحَقَّ لَا يُعْرَفُ بِالرُّجَالِ . فاعرفِ الْحَقَّ تَعْرِفْ أَهْلَهُ ! » .
وقال عمر بنُ الْخَطَّابِ رحمه الله : « لَا أَدْرِكْتُ أَنَا وَلَا أَنْتَ زَمَانًا يَتَغَايَرُ النَّاسُ فِيهِ ^(٢) عَلَى الْعِلْمِ كَمَا يَتَغَايَرُونَ عَلَى الْأَزْوَاجِ » .

قال : وَبَعَثَ قَسَامَةُ بْنُ زُهَيْرِ الْعَنْبَرِيِّ إِلَى أَهْلِهِ بِثَلَاثِينَ شَاةً وَنِخْيٍ صَغِيرٍ فِيهِ سَمْنٌ ، فَسَرَقَ الرَّسُولُ شَاةً ، وَأَخَذَ مِنْ رَأْسِ النَّخْيِ شَيْئًا مِنَ السَّمَنِ ، فَقَالَ لَهُمُ الرَّسُولُ : أَلَكُمُ إِلَيْهِ حَاجَةٌ أُخْبِرُهُ بِهَا ؟ قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ : أُخْبِرُهُ أَنَّ الشَّهْرَ حَقَاقٌ ، وَأَنَّ جَدَيْنَا الَّذِي كَانَ يُطَالِعُنَا وَجَدْنَاهُ مَرْتُومًا ^(٣) . فَاسْتَرْجَعَ مِنْهُ الشَّاةَ وَالسَّمْنَ .

قال عليّ بن سليمان لرؤبئة : مَا بَقِيَ مِنْ بَاهِلِكَ يَا أَبَا الْجَحَافِ ؟ قال : يَمْتَدُّ وَلَا يَشْتَدُّ ، وَأَسْتَعِينُ بِيَدِي ثُمَّ لَا أُورِدُ ، وَأُطِيلُ الظُّمَأَ ثُمَّ أَقْصُرُ . قال : ذَاكَ الْكَبِيرُ ^(٤) . قال : لَا ، وَلَكِنَّهُ طُولُ الرِّغَاثِ ^(٥) .

(١) الأشهب بن رمية : شاعر إسلامي مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، ولم تعرف له صحة . الإصابة ٤٦٤ . ورميلة أمه ، فهو ممن نسب إلى أمه من الشعراء ، ولم يذكره ابن حبيب في كتابه . وأبوه ثور بن أبي حارثة ينتهي نسبه إلى تميم . وكان الأشهب ممن هاجى الفرزدق . انظر الحيوان (١ : ٣١٥) والخزانة (٤ : ٥١٠) .

(٢) ما عدل : « يتغايرون فيه » .

(٣) المرتوم : المكسور .

(٤) ما عدل ، هـ : « الكبير » تحريف .

(٥) في هامش هـ : « الرغاث ، الرضاع ، يقال رغثها ، إذا رضعها . ورغث الرجل بالرمح ، إذا طعنه . وكنى بطول الرغاث هنا عن كثرة الجماع » . ولم أجد الرغاث ولا راغث في معجم .

وقيل لأعرابي : أئى الدوابِ آكل ؟ قال : بِرَذَوْتُهُ رَغُوْتُ (١) .

وقيل لغيره : لم صارَتِ اللَّبْوَةُ أَكْزَقَ ، وعلى اللحم أُخْرَصَ ؟ قال : هى الرُّغُوْتُ .

قال : وقال عُبيدُ الله بنُ عمر : اتَّقُوا مَنْ تَبْغِضُهُ قُلُوبُكُمْ . ٢٠٩

وقال إسماعيل بن غَزْوَانَ : لَا تُنْفِقْ دِرْهَمًا حَتَّى تَرَاهُ (٢) ، وَلَا تُنِثِقْ بِشُكْرٍ مِنْ تُعْطِيهِ حَتَّى تَمْنَعَهُ ، فَالصَّابِرُ هُوَ الَّذِي يَشْكُرُ ، وَالْجَازِعُ هُوَ الَّذِي يَكْفُرُ .

عامر بنُ يحيى بنُ أبى كثير (٣) قال : لَا تَشْهَدْ لِمَنْ لَا تَعْرِفُ ، وَلَا تَشْهَدْ عَلَى مَنْ لَا تَعْرِفُ ، وَلَا تَشْهَدْ بِمَا لَا تَعْرِفُ .

أبو عبد الرحمن الضَّرِيرُ ، عَنْ عَلِيٍّ بْنِ زَيْدٍ بْنِ جُدْعَانَ (٤) ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « رَأْسُ الْعَقْلِ بَعْدُ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ التَّوَدُّدُ إِلَى النَّاسِ » . ١٠

وقالت عائشة : لَا سَمَرَ إِلَّا لثَلَاثَةٍ : مُسَافِرٍ ، وَمُصَلٍّ ، وَعَرُوسٍ .

قال : وقال معاوية يوماً : مَنْ أَفْصَحُ النَّاسِ ؟ فَقَالَ قَائِلٌ : قَوْمٌ ارْتَفَعُوا عَنْ لُخْلُخَانِيَةِ الْفُرَاتِ (٥) ، وَتَيَاسَمُوا عَنْ عَنَنْةِ تَمِيمٍ (٦) وَتَيَاسَرُوا عَنْ كَسَكْسَةِ

(١) رغوْتُ : مرضعة . انظر الخبر في الحيوان (١ : ١١٢) والبيغال (٢ : ٣٤٠) .

(٢) ل وحواشي هـ : « حتى ترده » ، تحريف .

(٣) لم أجد لعامر ترجمة ، وأما يحيى بن أبى كثير الطائى ، فهو ممن روى عن أنس وعكرمة وعطاء . وكان أعلم الناس بحديث أهل المدينة . وتوفى سنة ١٢٩ . تهذيب التهذيب والخلاصة .

(٤) هو على بن زيد بن عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة التيمي البصرى . روى عن أنس بن مالك عن سعد بن مسعود بن المسيب . ولد أعمى ، وكان كثير الحديث غالباً في التشيع .

توفى سنة ١٢٩ . تهذيب التهذيب والخلاصة ونكت الهميان ٢١٢ .

(٥) ويروى : « عن لخلخانية العراق » كما في اللسان (الخ) . واللخلخانية : العجمة في المنطق .

(٦) عننة تميم : قولهم في موضع أن : عن . قال ذو الرمة :

أعن توممت من خرقاء منزلة ماء الصبابة من عينيك مسجوم =

بكر^(١) ، ليست لهم غَمَمَةٌ قُضَاعَةٌ^(٢) ولا طُمُطُمَانِيَّةٌ جَمِير^(٣) . قال : مَنْ هم ؟ قال : قُرَيْش . قال : مِمَّنْ أَنْتَ ؟ قال : مِنْ جَرْم . قال : اجْلِسْ^(٤) .

وقال الرَّاجِز :

إِنَّ تَمِيمًا أُعْطِيَتْ تَمَامًا وَأَعْطِيَتْ مَآثِرًا عِظَامًا
وَعَدَدًا وَحَسْبًا قَمَقَمًا^(٥) وبَاذِخًا مِنْ عِزِّهَا قُدَّامًا
فِي الدَّهْرِ أَعْيَا النَّاسِ أَنْ يُرَامَا إِذَا رَأَيْتَ مِنْهُمْ الْأَجْسَامَا
وَالدَّلَّ وَالشَّيْمَةَ وَالْكَلَامَا وَأَذْرَعًا وَقَصْرًا وَهَامَا^(٦)
عَرَفْتَ أَنْ لَمْ يُخْلَقُوا طَعَامَا^(٧) وَلَمْ يَكُنْ أَبُوهُمُ مِسْقَامَا
لَمْ تَرِ فَيَمَنْ يَأْكُلُ الطَّعَامَا أَقَلَّ مِنْهُمْ سَقَطًا وَذَامَا^(٨)
تَقُولُ الْعَرَبُ : « لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الْإِبِلِ إِلَّا أَنَّهَا رَقَوَّ الدَّمِ^(٩) » .

قال جَنْدَلُ بْنُ صَخِرٍ ، وَكَانَ عَبْدًا مَمْلُوكًا :

= مجالس ثعلب ١٠٠ - ١٤١ والمزهر (١ : ٢١١) والخصائص ٤١١ وفقه اللغة ١٢١ والصاحبي ٢٤ والخزانة (٤ : ٥٩٥ - ٥٩٦) . ما عدال : « كشكشة تميم » تحريف . وإنما الكشكشة لربيعة ، وهي أن يجعل ما بعد كاف الخطاب في المؤنث شيئاً .

(١) هم بنو بكر بن هوازن . والكشكسة : أن يجعل بعد كاف المذكر أو مكانها سينا . يقال بفتح الكافين وبكسرهما أيضاً ، كما في الخزانة (١١ : ٤٦٤) .

(٢) الغممة : كلام غير بين .

(٣) الطمطمانية ، بضم الطاءين . العجمة . وفي اللسان : « شبه كلام حمير لما فيه من الألفاظ المنكرة بكلام العجم » .

(٤) قال اجلس ، من ل فقط .

(٥) القمقام : العدد الكثير .

(٦) القصر ، بالتحريك : جمع قصرة ، وهي أصل العنق . والهام : جمع هامة ، وهي الرأس .

(٧) الطعام ، بفتح الطاء : أرذال الناس وأوغادهم .

(٨) الذام : العيب .

(٩) أى لكفاهما ذلك فضلاً . والرقوة : الدواء الذى يوضع على الدم ليرقته فيسكن أى إنها تعطى

في الديات بدلا من القود ، فتحقق بها الدماء .

- وَمَا فَكَّ رَقِي ذَاتُ دَلَّ خَبْرِيحَ وَلَا شَأَقَ مَالِي صَدَقَةً وَعُقُولُ (١)
 ولكنَّ نَمَانِي كُلُّ أَيْضَ خَضِرِمَ فَأَصْبَحْتُ أَدْرِي الْيَوْمَ كَيْفَ أَقُولُ (٢) ٢١٠
 وقال الفُقَيْمِيُّ ، وهو قَاتِلُ غَالِبِ أَيْ الْفَرَزْدَقِ :
 وما كُنْتُ نَوَامًا وَلَكِنْ ثَائِرًا أَنَاخَ قَلِيلًا فَوْقَ ظَهْرِ سَبِيلِ (٣)
 وقد كُنْتُ مَجْرورَ اللِّسَانِ وَمُفَحِّمًا فَأَصْبَحْتُ أَدْرِي الْيَوْمَ كَيْفَ أَقُولُ (٤) ٥

* * *

- قال الْمُغِيرَةُ بنُ شُعْبَةَ : من دَخَلَ في حَاجَةِ رَجُلٍ فَقَدْ ضَمِنَهَا .
 وقال عُمرُ رَحِمَهُ اللَّهُ : لِكُلِّ شَيْءٍ شَرَفٌ ، وَشَرَفُ الْمَعْرُوفِ تَعَجُّلُهُ .
 وقال رَجُلٌ لِإِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ : أُعِدُّ الرَّجُلَ الْمِيعَادَ فَإِلَى مَتَى (٥) ؟ قال :
 إِلَى وَقْتِ الصَّلَاةِ . ١٠
 قال : وقال لِي بَعْضُ الْقُرَشِيِّينَ : من خَافَ الْكِذْبَ أَقَلَّ مِنَ الْمَوَاعِيدِ .
 وقالوا : أَمْرَانِ لَا يَسْلَمَانِ مِنَ الْكِذْبِ : كَثْرَةُ الْمَوَاعِيدِ ، وَشِدَّةُ الْاعْتِذَارِ .
 وقال إِبْرَاهِيمُ النَّظَّامُ : قُلْتُ لَخَنْجِيرُكُونَ (٦) مَمْرورِ الزِّيَادِيِّينَ (٧) : أَقْعَدُ
 هَاهُنَا حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْكَ . قال : أَمَّا حَتَّى تَرْجِعَ إِلَيَّ فَإِنِّي لَا أَضْمَنُ لَكَ (٨) وَلَكِنْ
 أَقْعَدُ لَكَ إِلَى اللَّيْلِ . ١٥

(١) الْخَبْرِيحُ : الْخَلْقُ الْحَسَنُ . وَكُتِبَ فَوْقَهَا فِي هـ : « نَاعِم » . وَالْعُقُولُ : جَمْعُ عَقْلٍ ، وَهُوَ الدِّيةُ .
 (٢) نَمَاهُ : رَفَعَ إِلَيْهِ نَسَبَهُ . وَالْخَضِرِمُ : السَّيِّدُ الْحَمُولُ . ل : « فَأَصْبَحْتُ أَدْرِي فِيهِ كَيْفَ أَقُولُ » .
 (٣) أَيْ وَلَكِنِّي ثَائِرٌ .

(٤) الْمَجْرورُ ، أَصْلُهُ الْفَصِيلُ يَشُقُّ لِسَانَهُ لِفَلَا يَرْضَعُ ، يُقَالُ جَرَّ الْفَصِيلَ وَأَجْرَهُ . قَالَ عُمَرُو بْنُ

مَعْدِيكَرْبَ : ٢٠

فَلَوْ أَنَّ قَوْمِي أَنْطَقَتْنِي رِمَاحَهُمْ نَطَقْتُ وَلَكِنْ الرِّمَاحُ أَجْرَتْ
 مَا عَدَا ل : « مَخْرُوزُ اللِّسَانِ » ، وَلَا وَجْهَ لَهُ . وَأَشِيرُ فِي هَامِشِ هـ إِلَى رِوَايَةِ « مَجْرور » .

(٥) مَا عَدَا ل : « قَالَ إِلَى مَتَى » تَحْرِيفٌ .

(٦) مَا عَدَا ل : « لَخَنْجِيرُ كُور » . وَفِي هـ : « لَخَنْجِيرُ كُوز » .

(٧) الْمَمْرورُ : الَّذِي غَلِبَتْ عَلَيْهِ الْمَرَّةُ فَاخْتَلَّ عَقْلُهُ .

(٨) مَا عَدَا ل : « لَا أَصِيرُ لَكَ » . ٢٥

هذه رسالة إبراهيم بن سيابة (١)

إلى يحيى بن خالد بن برمك

وبلغنى أَنَّ عَامَّةَ أَهْلِ بَغدَادَ يَحْفَظُونَهَا فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ ، وَهِيَ كَمَا تَرَى .
وَأَوَّلُهَا :

- لِلأَصْنَدِ الْجَوَادِ (٢) ، الْوَارِي الزُّنَادِ (٣) ، الْمَاجِدِ الْأَجْدَادِ ، الْوَزِيرِ الْفَاضِلِ ،
الْأَشْمُ الْبَاذِلِ ، اللَّبَّابِ الْحُلَّاحِلِ (٤) ، مِنْ الْمُسْتَكِينِ الْمُسْتَجِيرِ ، الْبَائِسِ
الضَّرِيرِ . فَإِنِّي أَحْمَدُ اللَّهَ ذَا الْعِزَّةِ الْقَدِيرِ ، إِلَيْكَ وَإِلَى الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ ، بِالرَّحْمَةِ
الْعَامَّةِ ، وَالْبَرَكَةِ التَّامَةِ .

- أَمَّا بَعْدَ فَاغْنَمْ وَاسْلَمْ ، وَاعْلَمْ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ ، أَنَّهُ مَنْ يَرْحَمُ يُرْحَمُ ، وَمَنْ
يَحْرِمُ يُحْرَمُ (٥) ، وَمَنْ يُحْسِنُ يَغْنَمُ ، وَمَنْ يَصْنَعُ الْمَعْرُوفَ لَا يَعْذَمُ . وَقَدْ سَبَقَ إِلَيَّ
تَعْصُيبُكَ عَلَيَّ ، وَاطْرَاحُكَ لِي ، وَغَفْلَتُكَ عَنِّي بِمَا لَا أَقُومُ لَهُ (٦) وَلَا أَقْعُدُ ، وَلَا أَتَنْبُهُ
وَلَا أَرْقُدُ . فَلَسْتُ بِذِي حَيَاةٍ صَحِيحِ (٧) ، وَلَا بِمَيِّتٍ مُسْتَرِيحٍ . فَرَرْتُ بَعْدَ اللَّهِ
مِنْكَ إِلَيْكَ ، وَتَحَمَّلْتُ بِكَ عَلَيْكَ . وَلِذَلِكَ قُلْتُ :
- أَسْرَعْتُ لِي حَتَّى إِلَيْكَ خِطَائِي فَأَنَاخْتُ بِمُذْنِبٍ ذِي رَجَاءٍ (٨)

١٥ (١) سبقت ترجمته في (١ : ٤٠٥) . (٢) الأصيد : الذي يرفع رأسه كبرا .
(٣) يقال : هو واري الزناد ووريه ، يكون ذلك في الكرم وغيره من الخصال المحموده . وري
الزند : خرجت نارة .

(٤) اللباب : الخالص المحض . والحلاحل : السيد الضخم المروءة .

(٥) ما عدل : « من يجرم يجرم » ، تحريف .

٢٠ (٦) ل : « به » .

(٧) ما عدل : « يحيى صحيح » .

(٨) الخطاء ، بالكسر : جمع خطوة بالفتح ، كما قالوا : ركوة وركاء . ما عدل ، « بمذهب »

بدل . « بمذنب » .

راغب راهب إليك يُرجى منك عفواً عنه وفضل عطاء
ولعمري ما من أصر ومن تا ب مُقراً بذنبه يسوء (١)

فإن رأيت - أراك الله ما تحب ، وأبقاك في خير - ألا تزهد فيما ترى من
تضرعي وتخشعي ، وتذلي وتضعفي ، فإن ذلك ليس مني بنحيزة
ولا طبيعة (٢) ، ولا على وجه تصيد وتصنع وتخدع (٣) ، ولكنه تذلل وتخضع
وتضرع ، من غير ضارع ولا مهين ولا خاشع (٤) لمن لا يستحق ذلك ، إلا لمن
التضرع له عز ورفعة وشرف . والسلام (٥)

* * *

محمد بن حرب الهلالي قال : دخل زفر بن الحارث (٦) على عبد الملك ،
بعد الصلح فقال : ما بقي من حبك للضحك (٧) ؟ فقال : ما لا ينفعني
ولا يضرك . قال : شد ما أحببتموه معاشر قيس ! قال : أحببناه ولم نؤاسيه ، ولو
كنا آسيناه لقد كنا أدركنا مافاتنا منه . قال : فما منعك من مواساته

(١) ل : « ومن بات مفره » .

(٢) النحيزة : الطبيعة ، وجمعها نحائر ، ومثله النحينة والنحائت .

(٣) ما عدا ل : « ولا على وجه تصنع ولا تخدع » .

(٤) في القاموس (خدع) : « وكتاب : المنع ، والحيلة . والتخدع : تكلفه » .

(٥) هذه الكلمة من ل فقط .

(٦) هو زفر بن الحارث الكلبي ، أحد بني عمرو بن كلاب . الكامل ٥٣٣ ليسك والاشتقاق
١٨٠ . وكان قد خرج على عبد الملك بن مروان ، وظل يقاتله تسع سنين ، ثم رجع إلى الطاعة .

٢٠ الجهشيارى ٣٥ ، وكان سيد قيس في زمانه ، ويكنى أبا الهذيل . وكان على قيس يوم مرج راهط . وهو
القاتل :

وقد بنيت المرعى على دمن الثرى وتبقى حزازات النفوس كما هيا

المؤلف ١٢٩ . وكان من التابعين ، سمع عائشة ومعاوية ، وروى عنه ثابت بن الحجاج . شرح
شواهد المغنى للسيوطي ٣١٥ .

(٧) الضحك بن خالد الفهرى . المترجم في (١ : ٣٨٠) .

يوم المَرَج^(١) . قال : الذى مَنَعَ أبَاكَ من مُوَاسَاةِ عَثْمَانَ يوم الدَّار .

* * *

قال الشاعر :

لَكَلِّ كَرِيمٍ من الأَئِمِّ قَوْمِهِ على كُلِّ حَالٍ حَاسِلُونَ وَكُشُوعُ^(٢)

قال : وقال سليمان بن سعيد^(٣) لو صَحَبَنِي رَجُلٌ فَقَالَ اشْتَرِطْ عَلَيَّ
حَصْلَةَ وَاحِدَةٍ لَا تَزِيدُ عَلَيْهَا لَقُلْتُ : لَا تُكْذِبْنِي^(٤) .

قال : كَانَ يُقَالُ : أَرْبَعُ خِصَالٍ يَسُوذُ بِهَا الْمَرْءُ : الْعِلْمُ ، وَالْأَدَبُ ، وَالْعِفَّةُ
وَالْأَمَانَةُ .

وقال الشاعر :

لَئِنْ طَبَّتْ نَفْسًا عَن ثَنَائِي فَأِثْنِي
لَأُطِيبَ نَفْسًا عَن نَدَاكَ عَلَى عُسْرِي^(٥)
فَلَسْتُ إِلَى جَدْوَاكَ أَعْظَمَ حَاجَةً
عَلَى شِدَّةِ الْإِعْسَارِ مِنْكَ إِلَى شُكْرِي

وقال الآخر :

أَنَّ سُمْتَنِي ذُلًّا فَعِفْتُ حَيَاضَهُ سَخِطْتَ ، وَمَنْ يَأْبَ الْمَذَلَّةَ يُعَذِّرِ
فَهَأُنَا مُسْتَرْضِيكَ لَا مِنْ جَنَایِهِ جَنِيْتُ وَلَكِنْ مِنْ تَجْنِيكَ فَاغْفِرِ

٢١٢

(١) هى وقعة مرج راهط . ومرج راهط من نواحي دمشق . وكان هذا اليوم لمروان بن الحكم
ابن أبى العاص ، على الضحاك بن قيس الفهري عامل يزيد بن معاوية ، وزفر بن الحارث . الأغاني (١٧) :
١١١ - ١١٤) والميداني (٢ : ٣٦٧) .

(٢) الكشح : جمع كاشح ، وهو العدو الذى يضمهر عداوته ويطوى عليها كشحه ، وهو الخصر .

(٣) الخبر فى عيون الأخبار (٢ : ٢٦) .

(٤) ما عدل : « ولا تزد عليها قلت لا تكفينى » .

(٥) البيتان فى عيون الأخبار (٣ : ١٦٦) .

وقال إِيَّاسُ بن قَتَادَةَ (١) :

وَأَنْ مِنَ السَّادَاتِ مَنْ لَوْ أَطَعَتْهُ دَعَاكَ إِلَى نَارٍ يَفُورُ سَعِيرُهَا

وقال الآخر (٢) :

عَزَمْتُ عَلَى إِقَامَةِ ذِي صَبَاحٍ لِأَمْرِ مَايَسُودُ مِنْ يَسُودُ

وقال الهذلي (٣)

وَأَنَّ سِيَادَةَ الْأَقْوَامِ فَاعْلَمْ لَهَا صَعْدَاءُ مَطْلَبُهَا طَوِيلُ

وقال حارثة بن بَدْر (٤) :

إِذَا الِهْمُّ أَمْسَى وَهُوَ دَاءٌ فَأَمْضِيهِ وَلَسْتُ بِمَمْضِيهِ وَأَنْتَ تُعَادِلُهُ (٥)

وَلَا تُنْزِلَنَّ أَمْرَ الشَّدِيدَةِ بِأَمْرِي إِذَا رَامَ أَمْرًا عَوَّقَتْهُ عَوَازِلُهُ

وَقُلْ لِلْفُقَادِ إِنْ تَرَا بَكَ نَزْوَةً

من الرُّوْعِ أَفْرُخٌ ، أَكْثَرُ الرُّوْعِ بَاطِلَةٌ

(١) يقوله في الأحنف بن قيس ، كما في الحيوان (٣ : ٨٠) . وهذا هو إياس بن قتادة المجاشعي ، وكان الأحنف بن قيس قد دفعه إلى الأزد رهينة بعد حرب مسعود حتى تؤدي الديات . وفخر بذلك الفرزدق فقال :

ومنا الذي أعطى يديه رهينة لغارني معد يوم ضرب الجماجم
عشية سال المريدان كلاهما عجاجة موت بالسيوف الصوارم

الكامل ٨٢ ليسك والإصابة ٣٨٣ .

(٢) هو أنس بن مدركة الخثعمي ، كما في الحيوان (٣ : ٨١) والخزانة (١ : ٤٨٦) وقد سبق في (٢ : ٣٥٢) ، وهو من شواهد سيبويه (١ : ١١٦) ، يشهد لجواز جر الظروف غير المتمكنة في لغة خثعم . وقيل إن « ذو » فيه زائدة .

(٣) هو حبيب بن عبد الله الهذلي ، المعروف بالأعلم . انظر ماسبق في حواشي (١ : ٢٧٥ / ٢ :

٣٥٢) .

(٤) سبق ترجمته في (٢ : ١٨٧) .

(٥) الأبيات في الحيوان (٣ : ٧٧) وأمال المرتضى (٢ : ٤٧) ، والأول منها في اللسان

(١٣ : ٤٦٢) والثالث سبق في (٢ : ١٨٧) . تعادله ، من قولهم : أنا في عدال من هذا الأمر ، أي في شك منه أَمْضِي عليه أم أتركه . يقول : أجزم بطرد الهم ولا تردد في ذلك .

وقال الآخر ^(١) :

وإنَّ بقومٍ سَوْدُوكَ لفاقةٌ إلى سيِّدٍ لو يظفرونَ بِسيِّدٍ ^(٢)

وقال الآخر :

وما سُدَّتْ فيهم أنَّ فضلكَ عمَّهم ولكنَّ هذا الحظَّ في الناسِ يُقسَّمُ ^(٣)

وقال حارثةُ بن بدر :

خَلَّتِ الدِّيارُ فَسُدَّتْ غيرُ مُسَوِّدٍ ومنَ الشَّقَاءِ تَفَرَّدِي بالسُّودِ ^(٤)

الفضل بن تميم قال : قال المغيرة : « مَنْ لَمْ يَغْضَبْ لَمْ يُعْرِفْ حِلْمُهُ » .

٢١٣

وقال الشاعر :

ما بِالُ ضَبْعُ ظَلٍّ يَطْلُبُ دَائِباً فَرِيسَتُهُ بَيْنَ الْأَسْوَدِ الضَّرَاعِمِ ^(٥)

وقال الآخر :

ذَكَرْتُ بِهَا عَهْداً عَلَى الْهَجَرِ وَالْقَلَى وَلَا بُدَّ لِلْمَشْتاقِ أَنْ يَتَذَكَّرَا

وقال الآخر :

إِذَا مَا شَفِيتَ النَّفْسَ أَبْلَغْتَ عُذْرَهَا وَلَا لَوْمَ فِي أَمْرِ إِذَا بَلَغَ الْعَذْرُ

وقال الآخر :

١٥

(١) هو أبو نخيلة ، كما في الحيوان (٣ : ٨٠) .

(٢) الفاقة : الحاجة .

(٣) أى ما سدت لأن فضلك عمهم ، بل جاءت هذه السيادة رمية من غير رام .

(٤) البيت في الحيوان (٣ : ٨٠) وأمالى المرتضى (٢ : ٥٣) والأغاني (٢١ : ٣١) ومعجم

البلدان (٢ : ٢٥٤) . وروى أبو الفرج - ونحوه ما روى المرتضى - أن حارثة بن بدر الغداني اجتاز

٢٠

بمجلس من مجالس قومه بنى تميم ، ومعه كعب مولاة ، فكلما اجتاز بقوم قاموا إليه وقالوا : مرحباً

بسيدنا ، فلما ولى قال له كعب : ما سمعت كلاماً قط أقر لعينى ولا ألد بسمعى من هذا الكلام الذى

سمعته اليوم ! فقال له حارثة : لكنى لم أسمع كلاماً قط أكره لنفسى وأبغض إلى مما سمعته ! قال : ولم ؟

قال : ويحك يا كعب ، إنما سودنى قومي حين ذهب خيارهم وأمائهم ، فاحفظ عني هذا البيت :

خلت الديار فسدت غير مسود ومن الشقاء تفردى بالسود

٢٥

(٥) أشير في هامش هـ إلى أنه في نسخة « ما بال كلب » .

لَعَمْرُكَ مَا الشُّكْوَى بِأَمْرِ حَزَامَةٍ وَلَا بُدَّ مِنْ شُكْوَى إِذَا لَمْ يَكُنْ صَبْرٌ ^(١)
وقال الآخر :

لو ثَلَاثَ هُنَّ عَيْشُ الدَّهْرِ الْمَاءُ وَالتَّوْمُ وَأُمُّ عَمْرُو
* لَمَّا خَشِيتُ مِنْ مَضِيقِ الْقَبْرِ *

وقال لَقِيطُ بْنُ زُرَّارَةَ :

شَتَانٌ هَذَا وَالْعِنَاقُ وَالتَّوْمُ وَالْمَشْرَبُ الْبَارِدُ وَالظِّلُّ الدَّوْمُ ^(٢)
وقال والبة ^(٣) :

مَا الْعَيْشُ إِلَّا فِي الْمَدَا مِ فِي اللَّزَامِ وَفِي الْقُبُلِ
وإِدَارَةُ الظُّبَى الْغَرِيبِ سِرُّ تَسْوُمِهِ مَا لَا يَحِلُّ ^(٤)

* * *

وقال شيخ من أهل المسجد : مَا كُنْتُ أُرِيدُ أَنْ أَجْلِسَ إِلَى قَوْمٍ إِلَّا وَفِيهِمْ
مَنْ يُحَدِّثُ عَنِ الْحَسَنِ ، وَيُنْشِدُ لِلْفَرَزْدَقِ .

وقال أَبُو مُجِيبٍ ^(٥) : لَا تَرَى امْرَأَةً مُصْبِرَةً الْعَيْنِ ، وَلَا امْرَأَةً عَلَيْهَا طَاقُ
يَمْنَةٍ ، وَلَا شَرِيفاً يَهْتَأُّ بِعَمْرٍأ .

وقال أَبُو بَرَّاحٍ : ذَهَبَ الْفَتَيَانُ فَلَا تَرَى فَتًى مَفْرُوقَ الشَّعْرِ بِالذُّهْنِ ، مُعْلَقاً
نَعْلَهُ ، وَلَا دِيكَيْنِ فِي خِطَايٍ ^(٦) ، وَلَا صَدِيقاً لَهُ صَدِيقٌ إِنْ قَمَرَ ضَنْعاً ^(٧) ، وَإِنْ

(١) عجز هذا البيت في الحيوان (١ : ٢٠٢) . ونسب في حاشية البحترى ١٩٧ . لملك من
حذيفة النخعي .

(٢) الظل الدَّوْمُ : الدائم . ما عدا ل : « في ظل الدوم » تحريف . صواب هذه : « في
الظل الدوم » ، كما في إحدى روايتي اللسان . والرجز بقوله في يوم جيلة ، كما في اللسان (دوم) . وقبل البيتين :
يا قوم قد أحرقتموني باللوم ولم أقاتل عامراً قبل اليوم

(٣) والبة بن الحباب سبقت ترجمته في ٤١ . ل : « وابلة » تحريف .

(٤) ما عدا ل : « وإرادة الظبي » .

(٥) أبو الحبيب الربيعي سبقت ترجمته في (١ : ٣٧٣) . وقد سبق الخبر في (٢ : ١٦٤) .

(٦) الخطار والمخاطرة : الرهان والمراهنة .

(٧) قمر : غلب في القمار . ضنعا : صاح .

عَوْقَبَ جَزَع ، وإن خلا بصَدِيقٍ فَنُتِيَ خَبِيْهَ ^(١) ، وإن ضُرِبَ أَقْر ، وإن طال حَبْسُهُ ضَجِرَ ، ولا ترى فَنُتِيَ يُحْسِنُ أن يَمُتِي في قَيْدِهِ ولا يُخَاطَبُ أَمِيرَهُ .

وقال أبو الحسن : قال أبو عَبَّايَةَ : ترى زُقَاقَ بَرَاقِشَ ، وَيَسَاتِينَ هَزَارٍ مَرْدَ ^(٢) ما كان يَسْلُكُهُ غُلَامٌ إِلَّا بِخَفِيرٍ ، وَهُمْ اليَوْمَ يَخْتَرِقُونَهُ . قُلْتُ : هذا من صِلَاحِ الْفِتْيَانِ . قال : لا ولكن من فسادِهِمْ .

٢١٤ البَقَطْرِيُّ ، قال : قِيلَ لَطُفَيْلِ الْعَرَائِسِ : كم اثنان في اثنين ؟ قال : أَرْبَعَةٌ أَرْغَفَةٌ .

وقال رَجُلٌ لِرَجُلٍ : انتَظَرْتُكَ على الباب بقدر ما يأكلُ إنسانٌ جَرَدَتَيْنِ ^(٣) .

عَبْدُ اللَّهِ بن مُصْعَبٍ قال : أَرْسَلَ على بن أُمَيٍّ طالبَ رَحِمَهُ اللَّهُ عبدُ اللَّهِ بن عَبَّاسٍ ، لما قَدِمَ الْبَصْرَةَ فقال له ^(٤) :

« اَيْتَ الزَّبِيرِ وَلَا تَأْتِ طَلْحَةَ ، فَإِنَّ الزَّبِيرَ أَلَيْنَ ، وَإِنَّكَ تَجِدُ طَلْحَةَ كَالثَّوْرِ عَاقِصاً قَرْنَهُ ^(٥) ، يَرْكَبُ الصَّعْوِيَّةَ ويقول : هِيَ أَسْهَلُ ؛ فاقْرَأَهُ السَّلَامَ ^(٦) ،

(١) خبيته : خدعه وأفسده . وفي الحديث : « من خيب امرأة أو مملوكا على مسلم فليس منا » .
اللسان (١ : ٣٣١) ، ما عدل : « خنته » . وفي هامش هـ : « خبيته وخبته » .

(٢) هزارمرد ، أصل معناه في الفارسية ألف رجل . هزار : ألف . ل : « هزارمرد » التيمورية
« هزارمرد » صوابها في ب ، جـ .

(٣) الجرذقة : الرغيف ، فارسية معربة من « كِرْدَه » ، ومعناه في الفارسية الرغيف المستدير
الغليظ . اللسان والمغرب ١١٥ واستينجاس ١٠٨١ .

(٤) كلام على هذا في نهج البلاغة . انظر شرح ابن أبي الحديد (١ : ١٦٩ - ١٧٢) وكان قد
أنفذ عبد الله بن عباس إلى الزبير قبل وقوع الحرب يوم الجمل ليستفيحه إلى طاعته .

(٥) عقص قرنه : عطفه . والمراد بالقرن هاهنا الضفيرة ، يقال للرجل قرنان : أى ضفيرتان ،
ويصح أن يريد صفة الثور .

(٦) ما عدل : « فاقْرَأْ عليه السلام » . يقال قرأ عليه السلام وأقرأه السلام ، أى بَلَّغْهُ ، وكأن
معناه في الأخير أنه حين يبلغه سلامه يحمله على أن يقرأ السلام ويرده .

وقل له : « يقول لك ابنُ خالك : عرفتني بالحجاز وأنكرتني بالعراق ، فما عداً مما بدّا لك ^(١) ؟ » .

قال : فأتيت الزبيرَ فقال : مرحباً يا ابنَ لبابة ^(٢) أزانراً جئت أم سفيراً ؟ قلت : كلُّ ذلك . وأبلغته ما قال عليّ ، فقال الزبير : أبلغه السلامَ وقُل له : « بيننا وبينك عهدٌ خليفَةٍ ودُمُ خليفَةٍ ^(٣) ، واجتماعُ ثلاثةٍ وانفراد واحد ^(٤) ، وأُمُ مبرورة ^(٥) ، ومشاورةُ العشيرة ، ونشرُ المصاحف ، فنجلُ ما أحلّت ، ونُحرِم ما حرّمت » . فلما كان من الغدِ حَرَّشَ بين الناسِ غوغاؤهم ، فقال الزبير : ما كنت أرى أن مثل ما جئنا له يكونُ فيه قتال !

* * *

قال : ومن جيّد الشعر قولُ جرير :

(١) الذى فى نهج البلاغة : « فما عدا مما بدا » بإسقاط « لك » . عدا ، أراد عداك أى صرفك . ومعناه ما صرفك عما كان بدا منك وظهر ، أى ما الذى صدك عن طاعتي بعد إظهارك لها . قال الرضى جامع نهج البلاغة : « وهو عليه السلام أول من سمعت منه هذه الكلمة » .

(٢) لبابة هذه ، هى لبابة بنت الحارث الملالية ، أخت ميمونة بنت الحارث زوج الرسول صلوات الله عليه . وكنيتها أم الفضل ، وهى المعروفة بلبابة الكبرى . ولها أخت سمية لها تدعى لبابة الصغرى وتلقب بالعصيمة ، وهى أم خالد بن الوليد ، وفى إسلام هذه الأخيرة وصحبها نظر . ولبابة الكبرى أول امرأة أمنت بعد خديجة ، وماتت فى خلافة عثمان قبل زوجها العباس . الإصابة ٩٣٧ ، ٩٣٨ ، ١٤٤٠ من قسم النساء والمعارف ٤٣ .

(٣) أما عهد الخليفة فالذى عاهد عليه عمر أهل الشورى أن يقرؤا من يقع عليه الاختيار . وأهل الشورى ستة نفر : على ، وعثمان ، وطلحة ، والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبى وقاص . والدم : دم عثمان الذى اختاره أهل الشورى .

(٤) الثلاثة هم الزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبى وقاص ، أجمعوا على اختيار الرابع ، وهو عثمان . وأما الخامس على بن أبى طالب فقد انفرد بالخلاف ، ثم بايع وهو يقول : « خدعة وأى خدعة ! » وأما السادس طلحة فكان غائباً ، كفل برأيه سعد بن أبى وقاص . انظر قصة الشورى فى الطبرى (٥ : ٣٣ - ٤٢) ، وكذا كتب التاريخ فى سنة ٢٣ .

(٥) يعنى أم المؤمنين عائشة التى خرجت فى طلب دم عثمان يوم الجمل .

لئن عَمِرَتْ تَيْمٌ زَمَانًا بِغَرَّةٍ لَقَدْ حُدِثَتْ تَيْمٌ حُدَاءً عَصَبَصَا (١)
 فلا يَضْعَمَنَّ اللَّيْثُ تَيْمًا بِغَرَّةٍ وَتَيْمٌ يَشْمُونُ الْفَرِيسَ الْمُئَيَّيَا (٢)
 وقال أعرابي : « كَحَلْنِي بِالْمِيلِ الَّذِي تُكْحَلُ بِهِ الْعَيُونُ الدَّاءُ » (٣) .
 وقال ابنُ أحمَر :

بَهْجِيلٍ مِنْ قَسَا ذَفِرِ الْخُزَامِي تَهَادَى الْجَرِيَاءُ بِهِ الْحَنِينَا (٤)
 به تَتَزَخَّرُ الْقَلْعُ السَّوَارِي وَجُنَّ الْخَازِبَارُ بِهِ جُنُونَا (٥)
 تَكَادُ الشَّمْسُ تَخْشَعُ حِينَ تَبْدُو لَهْنٌ وَمَا نَزَلْنَ وَمَا عَسِينَا
 وقال الْحَكَمُ الْخُضْرِيُّ (٦) :
 كَوْمٌ تَظَاهَرَ بَيْنَهَا وَتَرَبَّعَتْ بَقْلًا بَعِيْهِمُ وَالْحِمَى مَجْنُونَا (٧)

- ١٠ (١) البيتان في ديوان جرير ١٣ وأولهما في اللسان (عمر) . وعمر : عاش وبقي زماناً طويلاً . والغرة : الغفلة . وفي المثل : « الغرة تجلب الدرة » ، أي تجلب الرزق . ما عدال : « بزة » وهي تخالف رواية الديوان واللسان . العصبص : الشديد ، يريد سيقَّت سوقاً شديداً وعنف بها .
- (٢) وكذا في الحيوان (٧ : ٦٣) . وفي الديوان : « عكلا بغرة » وعكلا : وهذه هي الرواية الصحيحة . يقول : قد فرستُ تيماً فأياكم يا عكل أن تعرضوا لي فتكونوا مثلهم . والشاة والناقة إذا رأتا شاة مذبوحة أو ناقة منحورة فزعت منها فنفرت . فشمها إياها نظرها إليها . وقيل إن السبع إذا ضغم شاة ثم طرد عنها أقبلت الغنم تشم موضع الضغم فيفترسها السبع وهي تشم .
- ١٥ (٣) الميل ، بالكسر : المروء . والداءة : المريضة التي بها الداء .
- (٤) المهجل ، بالفتح : المطمئن من الأرض . وقسا ، بالفتح : موضع بالعالية ، ويقال بالكسر أيضاً ، كما في المقصور ٨٨ . ذفر : ذكى الرائحة . والخزامي : نبت طيب الرائحة . والجرياء : الريح الشمالية الباردة .
- ٢٠ والحنين : صوت الريح . الحيوان (٣ : ١٠٨) ، واللسان والكمال ٤٦٤ ليسك ومعجم البلدان (قسا) والمخصص (١١ : ٢٠٧) .
- (٥) تتزخر : يكثر ماؤها . ب والتميمورية : « بها يتزخر » ج : « بها يتذخر » والأخيرة محرفة . والقلع ، بالتحريك : قطع من السحاب كأنها الجبال ، الواحدة قلعة . والخازيار : ذباب يظهر في الربيع فيدل على خصب السنة ، أو هو نبت . وجنونه : تكافئه .
- ٢٥ (٦) هو الحكم بن معمر الخضري ، المترجم في (٢ : ١٣٦) .
- (٧) كوم : جمع أكوم وكوماء ، وهي العالية السنام . والنى ، بكسر النون وفتحها : الشحم . وعيهم والحمى ، موضعان . والبيت في اللسان (جنن) بدون نسبة ، ورواية : « تَظَاهَرَتْهَا لما رعت روضاً بعيهم » .

والمجنون : المصروع ، ومجنون بنى عامر ، ومجنون بنى جعدة ^(١) .

٢١٥

وإذا فخر النبات قيل قد جن ^(٢) . وقال الشنفرى :

فدقت وجلت واسبكرت وأنضرت فلو جن إنسان من الحسن جنب ^(٣)

قال : وسمع الحجاج امرأة من خلف حائط تُناغى طفلاً لها ، فقال : مجنونة أو أم صبي !

وقال أبو ثمامة بن عازب ^(٤) :

وكلهم قد ذاقنا فكأثما يرون علينا جلدة أجرب هامل ^(٥)

وقال الثعلبي ^(٦) :

يرى الناس منا جلدة أسود سالخ وفروة صيرغام من الأسد ضيعم ^(٧)

١٠ (١) جعلهما الجاحظ شخصين ، والمعروف أن المجنون العامري ، هو قيس بن الملوح بن مزاحم بن قيس بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، فهو عامري ثم جعدى . انظر المؤلف ١٨٨ والأغاني (١ : ١٦١ ساسي) .
(٢) الفاخر : الذى بلغ وجاد من النبات ، فكأنه فخر على ماحوله . وأنشد فى اللسان (فخر) شاهداً لذلك قول لبيد :

حتى تزيت الجواء بفاخر قصف كألوان الرجال عميم

١٥

(٣) البيت من قصيدة له فى المفضليات (١ : ١٠٦ - ١١٠) . وأنشد البيت فى الحيوان (٣ : ١٠٨ / ٦ : ٢٤٤) وبجالس ثعلب ٤٢٦ . أى دق جسمها فى المواضع التى يستحسن فيها الدقة كالخصر ، وعظم فى الأجزاء الذى يرضى فيها العظم كالردف . اسبكرت : استقامت واعتدلت وحسن قواها . وأنضرت من قولهم : أنضرت النبت والشجر ، إذا نضر واخضر ورقه . ل فقط : « أنظرت » تحريف . والرواية فى المراجع المتقدمة : « وأكملت » بدل : « وأنضرت » . قال ثعلب : « ويقال إن الحسن تبعهم الشياطين » . وفى اللسان : « وفى حديث الحسن : لو أصاب ابن آدم فى كل شئ جن . أى أعجب بنفسه حتى يصير كالمجنون من شدة إعجابه . وقال الفتيبي : وأحسب قول الشنفرى من هذا » .
(٤) هو شاعر ضبي ، كما سبق فى (٢ : ٢٧٦) .

(٥) الهامل : المسيب الذى لا راعى له .

(٦) ما عدل : « الثعلبي » تحريف . وإنما هو جابر بن حنى بن حارثة بن عمرو بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل ، شاعر جاهلي قديم ، كان صديقاً لامرئ القيس وكان معه لما لبس الحلة المسمومة التى بعثها إليه قيصر دون أنقرة يوم . وقصيدة البيت فى المفضليات (٢ : ٩ - ١٢) .
(٧) البيت آخر أبيات المفضلية . الأسود العظيم من الحيات ، وإنما يقال له السالخ لأنه =

وأنشدنا الأصمعي :

مُنْهَرْتُ الشَّدَقِينَ عَوْدٌ قَدْ كَمَلَ ^(١) كَأَنَّمَا قُمَصٌ مِنْ لِيَطٍ جُعَلَ ^(٢)

وقال نُصَيْبُ لُعْمَرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ : إِنَّ لِي بُنْيَةً ذَرَرْتُ عَلَيْهَا مِنْ سَوَادِي .

وقال عبد الملك للوليد :

لا تَعْزِلْ أَخَاكَ عَبْدَ اللَّهِ عَنْ مِصْرَ ، وَانْظُرْ عَمَّكَ مُحَمَّدَ بْنَ مَرْوَانَ فَأَقْرَهُ عَلَى
الْجَزِيرَةِ ، وَأَمَّا الْحَجَّاجُ فَأَنْتَ أَحْوَجُ إِلَيْهِ مِنْهُ إِلَيْكَ ، وَانْظُرْ عَلِيَّ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ
فَاسْتَوْصِ بِهِ خَيْرًا .

فَضَرَبَ عَلِيًّا بِالسَّيَاطِ ، وَعَزَلَ أَخَاهُ وَعَمَّهُ .

وقال أبو نُحَيْلَةَ ^(٣) :

أَنَا ابْنُ سَعْدٍ وَتَوَسَّطْتُ الْعَجَمَ فَأَنَا فِيمَا شِئْتُ مِنْ خَالٍ وَعَمٍّ

وأنشد :

هُمُ وَسَطٌ يَرْضَى الْإِلَٰهَ بِحُكْمِهِمْ إِذَا طَرَقَتْ إِحْدَى اللَّيَالِي بِمُعْظِمِ

يَجْعَلُونَ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا
لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ .

١٥ = يسلخ جلده في كل عام . الضرغام والضيغم من أسماء الأسد . يقول : إن الناس يهابونهم هيتهم الأفعى
والأسد .

(١) يصف أسود سالخا ، كما في الحيوان (٣ : ٥٠٢) . منهرت الشدقين : واسعهما . والعود :
المسن ، وأصله الجمل المسن وفيه بقية .

(٢) قمص : ألبس قميصا . والليط ، بالكسر : قشر القصب اللازق به ، عني به الجلد .

٢٠ والجعل : حشرة طائرة سوداء يضرب بسوادها المثل ، يصف سواد الحية .

(٣) أبو نخيلة اسمه يعمر ، وإنما سمي أبا نخيلة لأن أمه ولدته إلى جنب نخلة وهو من بني حمان بن
كعب بن سعد ، ويظهر من قوله التالي أن أمه عجمية . وكان يهاجى العجاج . ومما أخذ عليه قوله في
نعت امرأة :

برية لم تأكل المرققا ولم تذق من البقول الفستقا

٢٥ ظن أن الفستق بقل . انظر الشعراء ٣٨١ ليسك والمؤتلف ١٩٣ ، والأغانى (١٨ : ١٣٩ - ١٥٢)
والخزانة (١ : ٧٨ - ٨٠) .

وأنشد :

٢١٦ ولولا حُلَّةٌ سَبَقَتْ إليه وَأَخَوُ كَانَ مِنْ عَرَقِ الْمَدَامِ (١)
 دَلَفْتُ لَهُ بِأَبْيَضٍ مَشْرِفِي كَمَا يَدْنُو الْمَصَافِيحُ بِالسَّلَامِ (٢)
 وقال يَزِيدُ بْنُ ضَبَّةَ (٣) :

لا تُبْدِينَ مَقَالَهَ مَأْثُورَةً لا تَسْتَطِيعُ إِذَا مَضَتْ إِدْرَاكُهَا

وقال ابنُ مِيَادَةَ :

يَأْتِيهَا النَّاسُ رَوُّوا الْقَوْلَ وَاسْتَمِعُوا وَكُلُّ قَوْلٍ إِذَا مَا قِيلَ يُسْتَمَعُ (٤)

وقال الآخر :

ما الْمُدْلَجُ الْغَادِي إِلَيْهِ بِسُحْرَةٍ إِلَّا كَأَخَرِ قَاعِدٍ لَمْ يَبْرَحْ

وقال العلاءُ بْنُ مِنْهَالٍ الْغَنَوِيُّ (٥) فِي شَرِيكَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ (٦) :

فَلَيْتَ أَبَا شَرِيكَ كَانَ حَيًّا فَيَقْصِرَ عَنْ مَقَالَتِهِ شَرِيكَ (٧)

(١) في هامش هـ : « الكسائي والفراء . يقال ما كنت أخا ، ولقد أخوت أخوا » . والعرق من الخمر : الذي مزج قليلا ، كأنه جعل فيه عرق من الماء .

(٢) المشرقي : نسبة إلى المشارف ، من قرى اليمن . ما عدل : « للسلام » .

(٣) ضبة أمه ، غلبت على نسبه ؛ لأن أباه مات وخلفه صغيراً . واسمه يزيد بن مقسم الثقفي مولى ثقيف . وكان منقطعاً إلى الوليد بن يزيد في حياة أبيه ، متصلاً به لا يفارقه ، فلما ولي هشام الخلافة وتنكر له صار إلى الطائف ، فلم يزل مقيماً بها حتى ولي الوليد الخلافة ، فوفد عليه فأنشده القصيدة التي أولها :

سليمي تلك في العير قفى أسألك أو سيري

فأمر الوليد أن تعد أبيات القصيدة ويعطى لكل بيت ألف درهم ، فعدت فكانت خمسين ، فأعطى خمسين ألفاً . فكان أول خليفة فعل ذلك . الأغاني (٦ : ١٤١ - ١٤٣) .

(٤) أراد : رووا في القول ، فحذف الجار . والتروية : النظر والتفكير . ما عدل ، هـ : « ردوا القول » .

(٥) ل : « العنزي » وأثبت ما في سائر النسخ واللسان (١ : ٦٦) .

(٦) شريك بن عبد الله النخعي ، ترجم في (٢ : ٢٥٣) . وفي اللسان : « فيقصّر حين يبصره » .

(٧) كتب فوقها في هـ : « خ : شريكا » .

وَيَتْرَكَ مِنْ تَدْرِئِهِ عَلَيْنَا إِذَا قُلْنَا لَهُ هَذَا أَبُوكَ (١)

وقال طارق بن أثال الطائي :

ما إن يزال ببغداد يزاحمنا على البراذين أشباه البراذين (٢)

أعطاهم الله أموالاً ومنزلةً من الملوك بلا عَقِيل ولا دِينَ (٣)

ما شئت من بَغْلَةٍ سَفَوَاءَ نَاجِيَةٍ ومن أثاثٍ وقولٍ غيرِ موزُونٍ (٤)

وقال مُنْقِذُ بْنُ دِثَارٍ الْهَلَالِيُّ (٥) :

لا تَتْرَكُنْ - إِنْ صَنِيعَةٌ سَلَفَتْ مِنْكَ وَإِنْ كُنْتَ لَسْتَ تَنْكَرُهَا

عند امرئ - أَنْ تَقُولَ إِنْ ذُكِرْتَ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ : لَسْتُ أَذْكُرُهَا

فَإِنْ إِحْيَاءُهَا إِمَاتُهَا وَإِنْ مَنَّا بِهَا يُكْذَرُهَا

٢١١

وقال بعضُ الحكماء : « صَاحِبٌ مَنْ يَنْسَى مَعْرُوفَهُ عِنْدَكَ ، وَيَتَذَكَّرُ حَقُوقَكَ عَلَيْهِ (٦) » .

وقال مِنْقَرُ بْنُ فَرَوَةَ الْمِنْقَرِيُّ :

(١) في الأصول : « أبوك » ولا يستقيم به الوزن ، وأثبت صوابه من اللسان وما كتب فوق الكلمة في هـ : « خ : أبوكا » إشارة إلى نسخة . وروايته فيه : « ويترك من تدريه » . قال : « قال ابن سيده : إنما أراد من تدريته ، فأبدل الهمزة إبدالا صحيحاً حتى جعلها كأن موضوعها الياء ، وكسر الراء المجاورة هذه الياء المبدلة » . والتدرو : الاندفاع .

(٢) تقدمت الأبيات في (١ : ٢٢٧) . وفيما عدال ، تقديم البيت الثالث على الثاني . والأبيات بدون نسبة في مجالس ثعلب ١٧٨ .

(٣) في مجالس ثعلب : « أقداراً ومنزلة » .

(٤) في مجالس ثعلب : « ومن فعال وقول » . وأشار في هـ إلى رواية « ومن ثياب » .

(٥) هو منقذ بن عبد الرحمن بن دثار الهلالي ، قال المرزباني : بصرى خليع ماجن ، متهم في دينه يرمى بالزندقة ، كان في صدر الدولة العباسية . وأنشد له :

ما أرى الفضل والتكرم إلا كفك النفس عن طلاب الفضول

وبلاء حمل الأيادي وأن تسع مئاً توثق به من منيل

معجم الشعراء ٤٠٤ . وفيه : « زياد » بدل « دثار » . وقد ذكره أبو الفرج في الأغاني (١٦) :

(١٤٣) في نص منقول من الجاحظ ، وسماه : منقذ بن عبد الرحمن الهلالي ، وجعله من أصحاب والبة وبشار ، ومطيع بن إياس ، وأبان اللاحقي .

(٦) سبق الخبر في (٢ : ٨٣) منسوباً إلى رجل من بني تميم .

وإن خفت من أمر فواتاً قَوْلُهُ سِوَاكَ وعن دَارِ الْأَذَى فَتَحَوَّلَ
وما المرء إِلَّا حيثُ يجعلُ نفسَهُ ففي صالح الأخلاقِ نفسَكَ فاجْعَلْ^(١)

ونظر أبو الحارث جُمَيْن^(٢) إلى برذونٍ يُستَقَى عليه الماءُ ، فقال :

« وما المرءُ إِلَّا حيثُ يجعلُ نفسَهُ »

لو هَمَلَجَ هذا البرذونُ لم يُجْعَلْ للرَّايَةِ !

وأنشد :

لا خيرَ في كلِّ فتى نُؤوم لا يعتريه طارقُ الهُموم

وأنشد :

اجعلْ أبا حَسَنٍ كمن لم تُعرِف واهجرهُ مُعْتزماً وإن لم يُخْلِف^(٣)
آخ الكرامِ المُنصِفِينَ وِصْلَهُمْ واقطعْ مودَّةَ كلِّ من لم يُنصِفْ

وقال عُمارةُ بن عَقِيل بن بِلَال بن جرير^(٤) :

ما زال عِصيانُنا لله يُسَلِّمُنا^(٥) حتَّى دُفِعنا إلى يَحْيَى ودينارٍ^(٦)

(١) سبق إنشاده في (١٠٣ : ٢) بدون نسبة . ماعدا ل : « صالح الأعمال » . وأشير إلى رواية « الأخلاق » في هـ . ١٥

(٢) مضت ترجمته في (١٠٣ : ٢) حيث سبق الخبر .

(٣) كذا في ب ، جـ . وفي ل ، هـ : « تحلف » . وفي التيمورية تقرأ بالتاء والياء مع الخاء المعجمة .

(٤) هو عُمارة بن عَقِيل بن بِلَال بن جرير بن عطية بن الخطفي ، كان من الشعراء الفصحاء ، قدم من التمامة فمدح المأمون ووجوه قواده ، واتصل بإسحاق بن إبراهيم المصعبي ، وله فيه مدح كثير . واجتمع الناس وكتبوا شعره ؛ وبقي إلى أيام الواثق ومدحه ، وعمى قبل موته . معجم المرزباني ٢٤٧ والأغاني (٢٠ : ١٨٣ - ١٨٨) وتاريخ بغداد ٦٧٢٢ . ٢٠

(٥) في الأغاني : « يرذلنا » بدل : « يسلمنا » . وفي كنايات الثعالبي : « يوبقنا » .

(٦) البيتان نسباً في الأغاني (١٨ : ٤٦) وكنايات الثعالبي ١٨ إلى دَعْبِل بن علي الخزاعي .

ويحيى ودينار أخوان ، وهما يحيى بن عبد الله ، ودينار بن عبد الله ، كان دَعْبِل مدحهما فلم يرض ثوابهما ، فقال الشعر يهجوهما . ٢٥

إلى عَلِيَّيْنِ^(١) لم تُقَطَّع ثَمَارُهُما^(٢) قد طال ما سجدًا للشمس والنار^(٣)
 وشائم أعرابِي أعرابِيًّا فقال : « إِنَّكُمْ لَتَعْتَصِرُونَ الْعِطَاءَ ، وَتُعِيرُونَ النَّسَاءَ ،
 وَتَبِيعُونَ الْمَاءَ » .

وقال أبو الأسود الدؤلي :

لنا جيرة سَدُّوا المَجَاذَةَ بيننا فإن ذَكْرُوكَ السَّدَّ فالسَّدُّ أكيسُ
 ومن خير ما أَلَصَقْتَ بالدارِ حائِطٌ نَزَلُ به صُقْعُ الخطاطيفِ أَمْلَسُ
 وأنشد :

إذا لم يكن للمرءِ بُدٌّ من الرَّدَى فأكرم أسبابِ الردى سببِ الحُبِّ
 وقال الآخر :

وإذا شِئْتُ فَنِي شِئْتُ حديثُهُ وإذا سَمِعْتُ غِنَاءَهُ لم أَطْرِبْ
 وأنشد المسروحي ، لكامل بن عكرمة^(٤) :

لها كل عامٍ موعدٌ غير مُنَجَزٍ ووقتٌ إذا ما رَأْسُ حَوْلٍ تَجَرَّمَا^(٥)
 فإن وَعَدْتَ شراً أتى دُونَ وقته وإن وَعَدْتَ خيراً أَرَأَتْ وَعَتْمَا^(٦)

(١) في الأغاني : « وغدين علجين » . والعلج : الرجل من كفار المعجم .

(٢) لم تقطع ثمارها ، كناية عن أنها لم يختنا ، كما هو عادة العلوج . وثمره السوط : عقدة طرفه .
 قال الذمالي : « وما يكنى به عن القلفة قول دعبل ... » وأنشد البيتين .

(٣) سبق البيتان والكلام على قصتهما في (٢ : ٣٥٤ - ٣٥٥) .

(٤) ذكره المرزباني في معجمة ٣٥٥ ، وأنشد له البيتين .

(٥) تجم : انقضى وانصرم . وفي المعجم : « أرى كل عام موعداً غير ناجز وخلفاً » .

(٦) في هـ ، ومعجم المرزباني : « فإن أوعدت شراً أتى قبل وقته » . وأشير في هـ : إلى رواية
 « دون » . وفي اللسان : الأزهرى كلام العرب : وعدت الرجل خيراً ووعدته شراً ، وأوعدته خيراً
 وأوعدته شراً . فإذا لم يذكروا الخير قالوا : وعدته ، ولم يدخلوا ألفاً . وإذا لم يذكروا الشر قالوا أوعدته ،
 ولم يسقطوا الألف . وأنشد لعامر بن الطفيل :

وإني وإن أوعدته أو وعدته لأخلف إيعادى وأنجز موعدى

أرأت : أبطأ . وعم : أبطأ أيضاً . المرزباني : « وأعتما » ، يقال عم وأعم وعم ، بمعنى .

وقال الآخر :

ألم تر أن سيرَ الخيرِ ريثٌ وأن الشرَّ راكبُهُ يطيرُ (١)

وقال محمد بن يسير :

تأتي المكارهُ حين تأتي جملةٌ وترى السُرورَ يجيُّ في الفلّاتِ (٢)

وقال الآخر :

إذا ما برّيدُ الشامِ أقبلَ نحونا ببعض الدّواهي المُفْطِعاتِ فأسرعاً (٣)

فإن كان شراً سارَ يوماً وليلةً وإن كان خيراً قصّدَ السيرَ أربعاً (٤)

وقال آخر :

وتُعجِبُنَا الرُّؤْيَا فَعُجِّلْ حَدِيثَنَا

إذا نحن أصبحنا الحديثَ عن الرُّؤْيَا (٥)

فإن حسنت لم تأتِ عجلي وأبطأت وإن قبحت لم تحسّس وأتت عجلي

وقال آخر :

وإذا نهضتُ فما التُّهوضُ بدائمٍ وإذا نُكِبَتْ توالَتْ التَّكْبَاثُ (٦)

قال : قيل لأعرابي : ما أعددتُ للشّقاء ؟ قال : جُلَّةٌ ربّوضاً (٧) ، وصيصيّةٌ

(١) سبق البيت في ص ٢٠٨ . (٢) مضى في ص ٢٠٩ .

(٣) في نسخة : « الدّواهي الرّيد سار » عن حواشي هـ . والبيتان في رسائل الجاحظ (٢) :

(٢٧٧) بتحقيقنا . (٤) قصد السير : فصله ، كما يقال قصد العظم : كسره وفصله ..

(٥) نسب إلى الفضل بن يحيى البرمكي في مروج الذهب (٣ : ٣٩٢) قاله حين قبض عليه هو

ويحيى بعد أن قتل جعفر . وقبله في عيون الأخبار (١ : ٨١) :

إلى الله أشكو إنه موضع الشكوى وفي يده كشف المصيبة والبلوى

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها فلسنا من الأحياء فيها ولا الموق

إذا جاءنا السجن يوماً لحاجة عجبنا وقلنا : جاء هذا من الدنيا

(٦) موضع هذا البيت فيما عدل متقدم على البيتين السابقين .

(٧) الجملة ، بالضم : وعاء من الخوص ، يوضع فيه التمر ويكثر . والربوض : الضخمة العظيمة .

سَلُوكًا ^(١) ، وَشَمْلَةً مَكْرُودًا ^(٢) ، وَقُرْمُوصًا دَفِينًا ^(٣) ، وَنَاقَةً مُجَالِحَةً ^(٤) .

وقيل لآخر : ما أعددت للشتاء ؟ قال : شِدَّةُ الرُّعْدَةِ .

وقيل لآخر : كيف ليلكم ؟ قال : سَحَرَّ كُلَّهُ .

وقيل لآخر : كيف البردُ عندكم ؟ قال : ذَاكَ إِلَى الرَّيْحِ .

وقال مَعْنُ بْنُ أَوْسٍ ^(٥) :

فَلَا وَأُنَى حَبِيبٍ مَا نَفَاهُ مِنْ أَرْضِ بَنِي رِبْعَةٍ مِنْ هَوَانٍ ^(٦)

وَكَانَ هُوَ الْعَنَى إِلَى غِنَاهُ وَكَانَ مِنَ الْعَشِيرَةِ فِي مَكَانٍ ^(٧)

تَكْنَفُهُ الرُّشَاءُ فَأَزْعَجُوهُ وَدَسُّ مِنْ فَضَالَةٍ غَيْرُ وَإٍ ^(٨)

فَلَوْلَا أَنَّ أُمَّ أَبِيهِ أُمِّي وَأَنْ مَنْ قَدْ هَجَاهُ فَقَدْ هَجَانِي ^(٩)

وَأَنَّ أُنَى أَبُوهُ لَذَاقَ مَنِي مَرَارَةً مِيرْدَى وَلَكَانَ شَانِي ^(٩)

إِذَا لِأَصَابِهِ مَنِي هَجَاءَ يُمِرُّ بِهِ الرُّوْيُ عَلَى لِسَانِي ^(١٠)

٢١٩

(١) الصبسية : شوكة الحائك التي يسوى بها السداة واللحمة . والسلوك : السهلة السلوك .

(٢) الشملة ، بالفتح : كساء دون القطيفة يشتمل به . والمكود : الدائمة . من قولهم ماء ماكد :

دائم لا تنقطع مادته .

١٥

(٣) القرموص ، كمصفور : حفرة يستدفئ فيها الصرد من البرد ، واسعة الجوف ضيقة الرأس .

(٤) المجالحة من النوق : التي تدر في الشتاء لا تبالي القحط . يقال ناقة مجالحة ومجالحة .

(٥) في ديوانه ٢٤ برواية القالي : « قال أبو عمرو : وكان معن بن أوس رجلاً كثير الإبل ، وكان

له ابن يقال له حبيب ، فأتاه ابن عم له يقال له [فضالة] بن عبد الله فقال له : يا حبيب ، هل لك أن

تخرج بنا إلى الشام وتأخذ إبلاً من إبل أبيك ؟ فقال : نعم . فخرجنا إلى الشام ، فطعن حبيب فمات ،

ورجع ابن عمه فضالة . فقال معن في ذلك » .

(٦) في الديوان : « لعمري أي ربيعة » . فلعل كنية حبيب أبو ربيعة .

(٧) أي في مكان عظيم .

(٨) فضالة هو ابن عم حبيب ، كما ورد في القصة . وفي الأصل : « من قضاة » ، صوابه من

الديوان . وفي حواشي هـ : « رواية أي على : فضالة » .

(٩) في شرح الديوان : « مبردى يعنى لسانى . لكان شانى ، أى لكان همى لا أفرط فى أمره » .

(١٠) يمر : بصير مرا . والروى : حرف القافية ، عنى به الشعر . ورواية الديوان : « يذل به

الروى » .

٢٥

أَعْلَمُهُ الرَّمَايَةَ كُلَّ يَوْمٍ فَلَمَّا اسْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي^(١)

وقال بعض اليهود :

وَلَوْ كُنْتُ أَرْضَى لَا أَبَالِكَ بِالَّذِي بِهِ الْعَائِلُ الْجَنَامُ فِي الْحَفْضِ قَانِعٌ^(٢)
إِذَا قَصُرَتْ عِنْدِي الْمُمُومُ وَأَصْبَحَتْ عَلَيَّ وَعِنْدِي لِلرَّجَالِ صَنَائِعُ^(٣)

ذَكَرَ مَا قَالُوا فِي الْمَهَالِبَةِ^(٤)

إِنَّ الْمَهَالِبَةَ الْكِرَامَ تَحْمَلُوا دَفَعَ الْمَكَارِهِ عَنْ ذَوِي الْمَكْرُوهِ^(٥)

(١) هذا هو الصواب في رواية البيت . واستد ، من السداد ، وهو القصد كما في حواشي هـ .
وفيما عدا التيمورية ، هـ : « فلما اشتد » تحريف . انظر اللسان (سد) حيث نبه على هذا الصواب .
وفي اللسان : « قال ابن دريد : هو لمالك بن فهم الأزدي ، وكان ابنه سليمة رماه بسهم فقتله فقال البيت .
قال ابن بري : ورأيت في شعر عقيل بن علفة يقول في ابنه علس حين رماه بسهم . وبعده :
١٠ فلا ظفرت يمينك حين ترمى وشلت منك حاملة البنان »

وانظر الاشتقاق ٢٩٢ ، ٣١٧ والأغانى (٥ : ٦/١٠ : ٦٩) .

(٢) العائل : الفقير . والجنام : اللازم مكانه لا يرح . الحفض : سعة العيش ، وهو هنا عيش من يمونه ويكفله .

(٣) الصنائع : جمع صنعة ، وهى ما يمدى من معروف أو يد إلى إنسان .

(٤) المهالبة : جمع مهلبى ، نسبة إلى المهلب بن أبى صفرة ، فالتاء فيه للدلالة على أن واحده منسوب ، وذلك أنهم حين أرادوا أن يجمعوا المنسوب جمع تكسير اضطرروا إلى حذف ياء النسب ، لأن ياء النسب والجمع لا يجتمعان فأتى بالتاء بدلا من ياء النسب . الصبان (٤ : ٨٥) . وجددهم المهلب بن أبى صفرة ، واسم أبى صفرة ظالم بن سراق بن كندى بن عمرو بن عدى الأزدي العتكي . ولد المهلب في حياة الرسول عام الفتح ، وكان من أشجع الناس ، وهو الذى حمى البصرة من الخوارج ، وله معهم وقائع مشهورة استقصى أكثرها المبرد في الكامل ، ولذا قيل « بصرة المهلب » . وولى خراسان من قبل الحجاج بن يوسف ، فقد كان الحجاج أمير العراقين وخراسان وسجستان ، فولى المهلب خراسان وعبد الله بن أبى بكرة سجستان . قال ابن قتيبة : « ويقال إنه وقع إلى الأرض من صلب المهلب ثلاثمائة ولد » . فمنهم

يزيد بن المهلب ، وقيصة بن المهلب ، والمغيرة بن المهلب ، ويزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب ، وروح بن يزيد بن أبى حاتم ، ومنهم الوزير المهلبى ، وهو الحسن بن محمد بن هارون بن إبراهيم بن عبد الله بن يزيد بن حاتم بن قبيصة ، المتوفى سنة ٣٥٢ . وكان بنو المهلب في دولة بنى أمية كما كان البرامكة في دولة بنى العباس ، مضرب المثل في الكرم . توفى المهلب سنة ٨٣ . ابن خلكان والإصابة ٨٦٢٧ والمعارف ١٧٥ .
(٥) كذا ورد البيتان بدون أن يسبقا بعبارة للإتشاد . وهما للفرزدق في ديوانه ٨٨٥ وعيون

الأخبار (١ : ٣٤٣) .

زَانُوا قَدِيمَهُمْ بِحَسْنِ حَدِيثِهِمْ وَكَرِيمَ أَخْلَاقٍ بِحَسْنِ وَجْهِهِ

وقال أبو الجهم العدوي^(١) في معاوية بن أبي سفيان :

نَنْلُبُهُ لِنَحْبِرَ حَالَتِيهِ فَنَخْبِرُ مِنْهُمَا كَرَمًا وَلِينًا
نَمِيلُ عَلَى جَوَانِبِهِ كَأَنَّا نَمِيلُ إِذَا نَمِيلُ عَلَى أَيْنَا

وقال الآخر^(٢) في هذا الشكل :

إِنْ أُجْزِرَ عُلْقَمَةُ بْنُ سَيْفٍ سَعِيَّةٌ لَا أُجْزِرُهُ بِيَلَاءِ يَوْمٍ وَاحِدٍ^(٣)
لَأُحِبَّنِي حُبَّ الصَّبِيِّ وَرَمْنِي رَمَّ الْهَدْيِ إِلَى الْعَتَى الْوَاجِدِ^(٤)
وَلَقَدْ شَفِيتُ غَلِيلَتِي فَتَقَعْتُهَا مِنْ آلِ مَسْعُودٍ بِمَاءٍ بَارِدٍ^(٥)

وقال بُكَيْرُ بْنُ الْأَخْنَسِ :

نَزَلْتُ عَلَى آلِ الْمُهَلَّبِ شَاتِيًّا فَقِيراً بَعِيدَ الدَّارِ فِي سَنَةِ مَخِلٍ^(٦)
فَمَا زَالَ لِي الْطَافُهُمْ وَافْتَادُهُمْ وَإِكْرَامُهُمْ حَتَّى حَسِبْتُهُمْ أَهْلِي^(٧)

(١) هو أبو الجهم بن حذيفة العدوي ، المترجم في (٢ : ٣٢٢) .

(٢) هو رجل من براء ، اسمه فذكي بن أعيد ، كان مجاوراً لعقمة بن سيف العتاني ، وكان له إبل فسرقت ، فلما علم عقمة بذلك سعى في استردادها من خارجها فلم يوفق ، فأخرج من ماله مائة بعير وساقها إلى فذكي عوضاً ، فقال هذا الشعر بمدحه . الحماسة (٢ : ٢٦٧) وشرحا للتبريزي (٤ : ٧٠ - ٧١) واللسان (لم) .

(٣) روى المرزباني في معجمه ٤٧٥ هذا البيت وتاليه منسوين إلى المرناني الطائي . والأبيات بدون نسبة في الحيوان (٣ : ٤٦٨) .

(٤) رمني ، بالراء ، أي أصلح حالي . والهدى : العروس تزف وتهدى إلى زوجها . والواجد : الغنى . ورواية اللسان : « ولنتي لم الهدى » . وبعده في المعجم :

وَأَتَانِي يَوْمَ الصَّرَاخِ بِهِجْمَةٍ مَائَةٌ تَشَتْ عَلَى عَصَى الذَائِدِ

(٥) ويروى : « من آل عتاب » ، كما في حواشي هـ .

(٦) البيتان بدون نسبة في الحماسة (١ : ١٠٩) ، ونقلهما ابن خلكان في ترجمة المهلب بن أبي صفرة رواية عن الحماسة . وهما كذلك بدون نسبة في عيون الأخبار (١ : ٣٤١) . وفي الحماسة : « غريباً عن الأوطان في زمن محل » . وابن خلكان : « بعيداً عن الأوطان في الزمن محل » ، وابن قتيبة : « بعيداً قصي الدار في زمن محل » .

(٧) الإلطاف : الإتحاف . والافتقاد والفقد : طلب الشيء عند غيبته ، عنى كثرة سؤالهم عنه واهتمامهم بأمره . وفي الحماسة : « فما زال لي إكرامهم وافتقارهم والطافهم » . والافتقاء : الإكرام . وفي الوفيات : « فما زال لي معروفهم وافتقارهم وبرهم » .

وقال في كلمة له أخرى :

وقد كنت شيخاً ذا تجارب جمة فأصبحت فيهم كالصبي المدلل
ورأى المهلب وهو غلام فقال :

خذوني به إن لم يسد سرائرهم ويرع حتى لا يكون له مثل
وقال الحزبن^(١) ، في طلحة بن عبد الله^(٢) بن عبد الرحمن بن أبي بكر
الصدّيق رضي الله عنه - وأمه عائشة^(٣) بنت طلحة بن عبيد الله^(٤) ، من ولد
أبي بكر الصدّيق رحمه الله :

(١) الحزبن لقب غلب عليه ، واسمه عمرو بن عبيد بن وهيب بن مالك . شاعر من شعراء الدولة
الإسلامية ، حجازي . وكان هجاء متكسباً بالشعر ، بروون أنه كان يضرب على كل رجل من قريش
درهمين درهمين في كل شهر . وقد وفد إلى مصر ومدح عبد الله بن عبد الملك ، والبا ، بأبيات منها :
لما وقت عليه في الجموع ضحى وقد تعرضت الحجاب والخدم
حيثه بسلام وهو مرتفق وضجة القوم عند الباب تزدهم
في كفه خيزران ريحه عبق في كف أروع في عرينه شم
الأغاني (١٤ : ٧٤ - ٨٢) والمؤتلف ٨٨ .

(٢) الكلام بعده إلى « بن عبد الله » من ل ، ه فقط . وطلحة هذا ، ممن له صحبة ، وأرسل عن
جده الصدّيق . تهذيب التهذيب .

(٣) كانت عائشة زوجة لعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر ، ثم تزوجها مصعب بن الزبير
فأعطاهما ألف ألف درهم ، فقال أنس بن زعيم الديلمي لأخيه عبد الله :

أبلغ أمير المؤمنين رسالة من ناصح لك لا يريد خداعا
بضع الفتاة بألف ألف كامل وتبيت سادات الجيوش جياعا
لو لأنى خفص أقول مقاتلي وأقص شأن حديثهم لارتاعا
يعنى أبا حفص عمر بن الخطاب . فلما قتل مصعب تزوجها عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي
المعارف ١٠٢ - ١٠٣ .

(٤) هو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة . ويقال طلحة
الخير ، وطلحة الفياض . ويقال له أيضاً طلحة الطلحات ، وهو لقب مشترك بينة وبين طلحة بن عبد الله
بن خلف الخزاعي الذي قيل فيه :

رحم الله أعظما دفنوها بسجستان ، طلحة الطلحات

كان طلحة من المهاجرين الأولين ، ومن العشرة المسمين للجنة ، وأحد أصحاب الشورى ولم
يحضر يوم التشاور . وقد وقى الرسول يوم أحد من ضربة قصد بها إليه . توفي سنة ٣٦ . الإصابة ٥٤٢٩
والمعارف ١٠٠ - ١٠١ .

فَإِنَّ تَكُّ يَا طَلْحُ أَعْطَيْتَنِي جُمَالِيَّةً تُسَخِّفُ السَّفَارَا (١)
فَمَا كَانَ تَفْعُوكَ لِي مَرَّةً وَلَا مَرَّتَيْنِ وَلَكِنْ مِرَارًا
وَقَالَ أَبُو الطَّمَحَانِ (٢) :

سَأَمْدَحُ مَالِكًا فِي كُلِّ رَكْبٍ لَقَيْتَهُمْ ، وَأَتْرُكُ كُلَّ رَذِلٍ (٣)
فَمَا أَنَا وَالْبِكَارَةَ مِنْ مَخَاضٍ عِظَامٍ جِلَّةٍ سُدُسٍ وَنُزْلٍ (٤)
وَقَدْ عَرَفْتَ كِلَابُكُمْ ثِيَابِي كَأَنِّي مِنْكُمْ وَنَسِيتُ أَهْلِي (٥)
نَمْتَكُمُ مِنْ بَنِي شَمْنَجٍ زَنَادٌ لَهَا مَا شِئْتَ مِنْ فِرْعٍ وَأَصْلٍ (٦)

٢٢١

وَقَالَ أَبُو الشَّعْبِ (٧) :

(١) الجمالية : الناقة تشبه الجمل في خلقها وشدها وعظمها . والسفار : حبل يشد طرفه على
خطام البعير فيدار عليه ويجعل بقيته زماما .
(٢) سبقت ترجمته في (١ : ١٨٧) .
(٣) مالك هذا ، هو مالك بن حمار الشمخي ، الذي قتله خفاف بن ندبة . انظر الحيوان (١) :
٣٨٠ (وحواشيه . والرذل : الدون الخسيس .

(٤) البكاره ، بكسر الباء : جمع بكر بالفتح ، وهو من الإبل بمنزلة الفتى من الناس . والرفع في
مثل هذا الأسلوب هو الأفصح . ويجوز فيه النصب مفعولا معه ، ومنعه بعض المتأخرين كابن الحاجب .
١٥ هـ مع الهوامع (١ : ٢٢١) . والمخاض : الحوامل من الإبل ، واحدها خلفه على غير قياس ، كما قالوا
لواحدة النساء امرأة . والجله : المسان من الإبل . والسدس : جمع سدس ، وهو الذي يلقي السن بعد
الرباعية ، وذلك في السنة الثامنة . والبزل ، وأصله بضم الزاي ، جمع بزول ، ومثله البزل كركع جمع
بازل ، وهو البعير حين يطعن في التاسعة . يقول : ليست تعينني تلك الصغار إذا ظهرت بين الكبار .
(٥) ما عدال ، هـ : « كلابهم » على الالتفات .
٢٠ (٦) بنو شمع : قبيل مالك بن حمار الذي مدحه أبو الطمحن ، وهم بنو شمع بن فزارة بن ذبيان

بن بغيض بن غطفان . الاشتقاق ١٧١ . قال ابن دريد « ومنهم مالك بن حمار الشمخي ، قتله خفاف بن
ندبة السلمى » . انظر خبر مصرعه في الأغاني (١٣ : ١٣٤) . نماه : رفعه في النسب . والزناد : جمع
زند ، وهو العود الأعلى الذي يقتدح به النار . والزند ووريه مثل في الكرم وغيره من الحصال المحموده .
يقال : هو وارى الزند ، أى كريم ذو خصال حميدة .
٢٥

(٧) أبو الشعب العبسي : أحد شعراء الدولة الأموية . وأنشد له أبو تمام في الحماسة (١) :
٣٨٣ (أبياتاً في خالد بن عبد الله القسري . وأخرى في (١ : ٤٣٠) يرثى ابنه =

ألا إن خيرَ الناسِ قد تعلمونه أسيرٌ ثَقِيفٌ مُوثَقاً في السلاسل^(١)
لَعَمْرِي لئن أَعْمَرْتُمُ السَّجْنَ خالداً وأوطأْتُموهُ وطأةَ المُتَنَاقِلِ
لقد كان تَهَاضاً بِكُلِّ مُلَمَّةٍ
وَمُعْطَى اللّٰهَى غَمراً كثيرَ النَوافِلِ^(٢)
فَإِنْ تَسْجُنُوا الْقَسْرَى لَا تَسْجُنُوا اسْمَهُ

ولا تسجنوا معروفه في القبائل

ومن هذا الباب قولُ أعشى هَمْدَانَ^(٣) ، في خالِدِ بنِ عَتَّابِ بنِ ورقَاءَ^(٤) :
رَأَيْتُ ثَنَاءَ النَّاسِ بِالْعَيْبِ طَيِّباً عَلَيْكَ وَقَالُوا : مَا جَدَّ وَابْنُ مَا جَدٍ^(٥)

= شُغْبَا ، وَأُنْشِدَهَا الْقَالِي أَيْضاً فِي أَمَالِيهِ (٢ : ٨٨) ، والمبرد في الكامل ١٢٧ ليسك . وثالثة في (١ : ٤٣٦) يرثي بها بنه ، وقد رواها ثعلب في أَمَالِيهِ ٢٤٢ .

(١) أسير ثَقِيفٌ هذا ، هو خالد بن عبد الله القسري ، وكان من خبره أن الوليد بن يزيد بن عبد الملك لما ولي الخلافة - وأمه أم الحجاج ابنة محمد بن يوسف الثقفى ، كما في التنبية والإشراف - دفع بخالد إلى يوسف بن عمر الثقفى عامله على العراق ، فحمله إلى الكوفة وعذبه حتى قتله ، وذلك سنة ١٢٦ ، انظر تاريخ الطبرى . ويفهم من صنيع أى تمام في الحماسة أن الشعر في رثاء خالد ، فقد ساقه في باب المراثي ، وليس كذلك ، وإنما قالها الشاعر تمجيذاً له وتنويعاً به . وفي الحماسة : « خير الناس حياً وهاكاً » . وفي الطبرى (٩ : ١٩) : « بحر الجود أصبح ساجياً » .

(٢) اللّٰهَى : جمع لهوة ، بالضم ، وهى العطية . والغمر ، بالفتح ، الواسع العطاء . وفي الحماسة : « ومعطى اللّٰهَى في كل حق وباطل » .

(٣) اسمه عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث ، ويكنى أبا المصباح : شاعر كوفي من شعراء الدولة الأموية ، وكان زوج أخت الشعبي الفقيه ، والشعبي زوج أخته . وكان هذا الأعشى أحد الفقهاء القراء ، ثم ترك ذلك وقال الشعر . وخرج مع ابن الأشعث فأقى به الحجاج أسيراً فقتله صبراً . الأغاني (٥ : ١٣٨ - ١٥٣) والمؤتلف ١٤ .

(٤) خالد بن عتاب بن ورقاء الرياحي ، كان من عمال الحجاج على الرى ، ثم غضب عليه وطلبه فهرب إلى الشام واستجار بزر بن الحارث الكلأى ، فراجع عبد الملك في أمره فأجاره . وكان لخالد أثر عظيم في قتال الخوارج ، وهو الذى قتل غزاة امرأة شبيب بن يزيد الخارجى الشيباني ، وكان شبيب من قبل قد قتل أباه عتاب بن ورقاء . انظر الحيوان (٥ : ٥٩٠) والطبرى (٧ : ٢٥٢ - ٢٥٤) والأغاني (١٦ : ٤١ - ٤٢) .

(٥) كان أعشى همدان قد أملق ، فأقى خالد بن عتاب فأنشده الأبيات التالية ، فأمر له بخمسة آلاف درهم . الأغاني (٥ : ١٥٠) .

بنى الحارث السَّامِينِ للمجدِ إنَّكم بَنَيْتُمْ بِنَاءً ذِكْرُهُ غَيْرُ بَائِدٍ
هَنِيئاً لِمَا أَعْطَاكُمْ اللَّهُ وَعَلَّمُوا بَأْتَى سَاطِرِي خَالِدًا فِي الْقَصَائِدِ
فَإِنْ يَلُكُ عَتَابٌ مَضَى لِسَبِيلِهِ فَمَا مَاتَ مِنْ يَبْقَى لَهُ مِثْلُ خَالِدٍ^(١)
ومن شكل هذا الشعر قولُ الحُسَيْنِ بنِ مُطَيْرِ الأَسَدِيِّ^(٢) :

أَلِمَّا عَلَى مَعْنٍ وَقُولَا لِقَبْرِهِ
سَقَتَكَ الْغَوَادَى مُرْبِعاً ثُمَّ مُرْبِعاً^(٣)

فَيَا قَبْرَ مَعْنٍ كُنْتُ أَوَّلَ حُفْرَةٍ
مِنَ الْأَرْضِ نَحَطْتُ لِلْسَمَاجِ وَمَوْضِعاً^(٤)
وَيَا قَبْرَ مَعْنٍ كَيْفَ وَارَيْتَ جَوْدَهُ وَقَدْ كَانَ مِنْهُ الْبَرُّ وَالْبَحْرُ مُتَرَعَا
بَلَى قَدْ وَسِعَتْ الْجَوْدَ وَالْجَوْدُ مَيَّتٌ
وَلَوْ كَانَ حَيًّا ضَقَّتْ حَتَّى تَصَدَّعَا^(٥)

١٠

(١) قتل عتاب سنة ٢٤٢ ، قتله شبيب . الطبري (٧ : ٢٤٢) .

(٢) ل : « الحسن بن مطير » . وهو الحسين بن مطير بن مكمّل - وفي الحماسة : بن مطير بن الأشيم - مولى لبني أسد بن خزيمه ، وهو شاعر من مخضرمي الدولتين ، ممن مدح بني أمية وبني العباس ، وكان يذهب مذهب الأعراب وأهل البادية في زيه وفي كلامه . الأغاني (١٤ : ١١٠ - ١١٤) والخزانة (٢ : ٤٨٥) .

١٥

(٣) معن هذا ، هو ابن زائدة الشيباني ، المترجم في (٢ : ١١٣) . والمريثة في الحماسة (١ : ٣٨٧) والأغاني (١٤ : ١١٣) والخزانة (٢ : ٤٨٧) وابن خلكان (٢ : ١١٢) . ويقال ألم به وعليه ، أى نزل عليه ولم يقم . وفي الأغاني والخزانة . « ألما بمعن » . والغوادى : السحب التى تغلف . والمربع بضم الميم وكسر الباء : الغيث العظيم ينبت بعده الربيع . وفي حديث الاستسقاء : « اللهم اسقنا غيثاً مُرْبِعاً مُرْتَبِعاً » . والمُرتع : الذى ينبت ما ترتع فيه الماشية .

٢٠

(٤) السماج والسماحة : الجود . في الأغاني والخزانة : « أيا قبر معن » . الأغاني والحماسة وما عدل : « للسماحة موضعاً » . وفي الخزانة وابن خلكان : « للمكارم موضعاً » .
(٥) تصدع ، هى تصدع يحذف لإحدى التاءين ، أى تتشقق .

فلَمَّا مضَى مَعْنُ الجُودِ والنَّدَى وأَصْبَحَ عَرْنِينُ المَكَارِمِ أَجْدَعَا (١)
 فَتَى عَيْشٍ فِي مَعْرُوفِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ كَمَا كَانَ بَعْدَ السَّيْلِ مَجْرَاهُ مَرْتَعَا
 تَعَزَّى أَبَا العَبَّاسِ عَنْهُ وَلَا يَكُنْ جَزَاؤُكَ مِنْ مَعْنٍ بَأَنْ تَتَضَعَّعَا
 فَمَا مَاتَ مِنْ كُنْتِ ابْنَهُ لَا وَلَا الذِي لَهُ مِثْلُ مَا أَسَدَى أَبُوكَ وَمَا سَعَى
 تَمْنَى أَنَاسٍ شَأُوهُ مِنْ ضَلَالِهِمْ

٢٢٢

فَأَضْحَوْا عَلَى الْأَذْقَانِ صَرَعى وَظُلُمَا (٢)

وهذا مِثْلُ قولِ مُسْلِمِ بْنِ الْوَلِيدِ ، فِي يَزِيدَ بْنِ مَزِيدَ (٣) :

قَبْرٌ بِبِرْدَعَةٍ اسْتَسَرَ ضَرِيحُهُ خَطَرًا تَقَاصَّرَ دَوْنُهُ الْأَخْطَارُ (٤)

(١) العرنين : ما ارتفع من قصبة الأنف . والأنف الأجدع : المقطوع .

(٢) الشأو : المدى والغاية . والظلع : جمع ظالع ، وهو من به شبه العرج . ل : « ضلعا » ، والظُّلُع : جمع ظالع ، وهو المائل .

١٠

(٣) سبقت ترجمته في (١ : ٣٤٢) . والمرثية اختارها أبو تمام في الحماسة لمسلم (١ : ٣٩٢) ولم يذكر من هو المرنى . وكذا القالى في أماليه (١ : ٢٧٦) . وأما ياقوت في رسم (بردعة) وأبو الفرج في الأغاني (ترجمة مسلم بن الوليد) وابن خلكان (ترجمة يزيد بن مزيد) فذكروا أنها لمسلم في رثاء يزيد ابن مزيد . وانفرد ابن خلكان بقوله : « وقد قيل إن مسلم بن الوليد إنما رثى بهذه الأبيات يزيد بن أحمد السلمى ، وقيل : بل رثى بها مالك بن علي الخزاعي ، وأن أول الأبيات :

١٥

• قبر بملوان استسر ضريحه •

قلت : ورواية ألى تمام : « قبر بملوان استسر ضريحه » ، تؤيد أن المرنى غير يزيد بن مزيد ، فإنهم قد أجمعوا أن يزيد بن مزيد مات ودفن في « بردعة » لا في « حلوان » .

(٤) بردعة : بلد في أقصى أذربيجان ، قال حمزة : « بردعة معرب برده دار ، ومعناه بالفارسية موضع السبي ، وذلك أن بعض ملوك الفرس سبى سبيا من وراء أرمينية وأنزلهم هناك » . ورواية ألى تمام : « قبر بملوان » كما سبقت الإشارة . استسر ، المعروف فيها : استسر الهلال والقمر ، أى خفى ، فهذا في اللازم . أما متعدي فقد قالوا : استسر الجارية ، أى اتخذها سرية . وقالوا أيضاً : استسرنى فلان ، بمعنى ألقى إلى سره . فمجاز هذه الكلمة من المتعدي . على أن رواية القالى : « قبر بملوان أسر ضريحه » ، وهذه لا غبار عليها . والخطر : الشرف .

٢٠

٢٥

أَبْقَى الزَّمَانُ عَلَى مَعَدِّ بَعْدَهُ حُزْنًا كَعُمُر الدَّهْرِ لَيْسَ يُعَارُ (١)
 نَفَضَتْ بِهِ الْأَمَالَ أَحْلَاسَ الْغِنَى وَاسْتَرْجَعَتْ نَزَاعَهَا الْأَمْصَارُ (٢)
 فَازْهَبْ كَمَا ذَهَبَتْ غَوَادِي مَزْنَةٍ أَتْنَى عَلَيْهَا السَّهْلُ وَالْأَوْعَارُ

★ ★ ★

(١) في الأغاني وابن خلكان : « على ربيعة » . وربيعة : ابن نزار بن معد . كعمر الدهر ، أى طويلا مثله . وفي الأغاني والوفيات : « لعمر الله » . وفي البلدان : « لعمر الدهر » . ولم يرو في الحماسة والأمالى .

(٢) الأحلاس : جمع حلس ، وهو كساء يوضع على ظهر البعير تحت الرجل . يقول : قيدت آمال المعتفين عن الرحلة في طلب الغنى . والنزاع : جمع نازع ، وهو الغريب الذى نَزَعَ عن أهله وعشيرته . الحماسة والأمالى : « نفضت بك الأحلاس نفص إقامة » . الأغاني وابن خلكان : « نفضت بك الأحلاس آمال الغنى » . وفي الأغاني : « روادها » وابن خلكان : « زوارها » .

ذكر حروف من الأدب من حديث بنى مروان وغيرهم

- قيل : إذا رَسَخَ الرَّجُلُ فِي الْعِلْمِ رُفِعَتْ عَنْهُ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ ^(١) .
- مَسْلَمَةٌ ^(٢) ، قال : كان عند عُمر بن عبد العزيز رجلان ، فجعلتا يلحنان ، فقال الحاجبُ : قُومًا فَقَدْ « أَوْذَيْتُمَا » أمير المؤمنين ! قال عُمر : أنت آذَى لى منهما . ٥
- المدائنى قال : قعد قُدَامَ زياد رجلٌ ضائعى - من قرية باليمن يقال لها « ضياعٌ » ^(٣) - وزيادٌ يبنى داره ، فقال له : أيها الأمير ، لو كنت عملت باب مشرقها قَبْلَ مغربها ، وباب مغربها من قَبْلَ مشرقها ! فقال : أنى لك هذه الفصاحة ؟ قال : إنها ليست من كتاب ولا حساب ، ولكنها من « ذكاوة » العقل . فقال : ويلك ، الثانى شَرٌّ ! ١٠
- شُعبة ^(٤) ، عن الحكم ^(٥) ، قال : قال عبدُ الرحمن بن أبى ليلَى ^(٦) : لا أُمَارِي أَخِي ^(٧) ، فإِما أَن أَكْذِبُهُ وإِما أَن أَغْضِبَهُ ^(٨) .

-
- (١) رفعت هنا بمعنى رُويت ، أى كان من أصحاب الرؤيا الصادقة .
- (٢) مسلمة بن محارب ، ترجم فى (٢ : ٤٨) .
- (٣) كذا وردت هذه الكلمة ، ولم أجد ضائعاً ولا ضياعاً فى أسماء البلدان . ١٥
- (٤) شعبة بن الحجاج ، ترجم فى (١ : ٣٦٩) .
- (٥) هو الحكم بن عتيبة الكندى ، روى عن بعض الصحابة ، وعن شريح وعطاء وطلوس وغيرهم من التابعين ، وروى عنه الأعمش وقتادة والأوزاعى وشعبة ، وكان ثقة فقيهاً عابداً . ولد سنة ٥٠ وتوفى سنة ١١٣ . تهذيب التهذيب والخلاصة .
- (٦) عبد الرحمن بن أبى ليلَى - وهو يسار ، أو بلال ، أو داود - بن بلال بن بلبل بن أحيحة بن الجلاح الأنصارى الأوسى . ولد لست بقين من خلافة عمر ، وأدرك مائة وعشرين من الصحابة الأنصار ، وفقد فى يوم الجماعم سنة ٨٢ تهذيب التهذيب . ٢٠
- (٧) المراء والمماراة : المجادلة .
- (٨) من العجب ما ورد فى تهذيب التهذيب : « وقال الأعمش : حدثنا إبراهيم ، عن عبد الرحمن بن أبى ليلَى . وكان لا يعجبه ، يقول : هو صاحب مراء » . ٢٥

ابنُ أُمِّ الزُّنَادِ ^(١) قال : إذا اجتمع حُرْمَتَانِ تُرِكَتِ الصُّغْرَى لِلْكُبْرَى ^(٢) .
وعن أُمِّ بَكْرِ الْهَذَلِي ^(٣) - واسمه سُلَمَى - قال : إذا جَمَعَ الطَّعَامُ
أَرْبَعَةً ^(٤) فَقَدْ كَمُلَ : إذا كان حَلَالًا ، وَكَثُرَتْ عَلَيْهِ الْأَيْدِي ، وَسُمِّيَ اللَّهُ عَلَى
أَوَّلِهِ ، وَحُمِدَ عَلَى آخِرِهِ :

وَقَالَ ابْنُ قَمِيئَةَ ^(٥) :

وَأَهْوَنُ كَفٌّ لَا تَضِيرُكَ ضَيَّرَةٌ يَدٌ بَيْنَ أَيْدٍ فِي إِنَاءِ طَعَامٍ
يَدٌ مِنْ قَرِيبٍ أَوْ غَرِيبٍ بِقَفْرَةٍ أَتَتْكَ بِهَا غِبْرَاءُ ذَاتُ قَتَامٍ ^(٦)

وَقَالَ حَمَّادُ عَجْرَدٍ :

حُبِّشْ أَبُو الصَّلْتِ ذُو خَيْرَةٍ بِمَا يُصْلِحُ الْمِعْدَةَ الْفَاسِدَةَ ^(٧)
تَخَوَّفْ تُخْمَةَ أَصْحَابِهِ فَعَوَّذَهُمْ أَكْلَةً وَاحِدَةً

وَقَالَ سُؤَيْدُ الْمَرَّانِدِ ^(٨) :

إِنِّي إِذَا مَا الْأَمْرَ بَيَّنَّ شَكُهُ وَبَدَتْ بَصَائِرُهُ لِمَنْ يَتَأَمَّلُ ^(٩)
وَتَبَرَّأَ الضَّعْفَاءُ مِنْ إِخْوَانِهِمْ وَالْحَمُّ مِنْ حَرِّ الصَّمِيمِ الْكَلْكَلِ ^(١٠)
أَدْعُ النَّتَى هِيَ أَرْفَقُ الْحَلَّاتِ بِي عِنْدَ الْحَفِيزَةِ لِلَّتِي هِيَ أَجْمَلُ

٢٢٣

(١) هو عبد الرحمن بن أمي الزناد ، المترجم في (٢ : ٢٨٠ ، ٢٩٠) .

(٢) انظر تفسير هذا في اللسان (حرم ١٨ س ١٧ - ٢٠) .

(٣) انظر ماسبق من ترجمته في (١ : ٣٥٧) . (٤) ما عدل : « أربعا » .

(٥) عمرو بن قميئة ترجم في (٢ : ١٨) . (٦) القتام ، بالفتح : الغبار .

(٧) في الشعراء ٧٥٥ بتحقيق الأستاذ أحمد شاكر ، وعبون الأخبار (٣ : ٢٤٤) : « حرث

أبو الصلت » . وفي الأغاني (١٣ : ٧٨) : « كان حرث بن أبي الصلت الحنفي صديقاً لحمام عَجْرَد ،
وكان يعابنه بالشعر ويعيبه بالخل . وفيه يقول :

حرث أبو الفضل ذو خيرة بما يصلح المعدة الفاسدة
فجعل كنيته أبا الفضل ، واسم أبيه أبا الصلت .

(٨) سبقت ترجمته في (٢ : ١٨٦) .

(٩) بين ، بمعنى تبيين . وفي أمثالهم : « قد بين الصبح لذى عينين » ، أي تبين .

(١٠) ألح ، من قولهم ألحت الناقة والجمال ، إذا لزمها مكانهما فلم يبرحها . والصميم من الحر :

شدته ، وكذلك من البرد . والكلكل ، عنى به الإبل ذوات الكلكل ، وهو الصدر .

ومما يكتب في باب العصا

قوله (١) :

قالت أمامه يومَ بركةٍ واسطٍ يابنَ العَديرِ لقد جَعَلْتَ نَعِيرَ (٢)
أصبحتُ، بعد شبابك الماضي الذي ذَهَبَتْ بِشاشَتُهُ وَغَصْنُكَ أَخْضُرَ (٣)
شيخاً دِعَامَتَكَ العصا ومُشِيْعاً لا تَبْتَغِي خَيْراً ولا تَسْتَحْبِرُ
ويُضَمُّ البيت الأخير إلى قوله :

وهلِكَ الفتى أَلَّا يَرَاكَ إِلَى النَّدى وَأَلَّا يَرَى شَيْئاً عَجِيباً فَيَعْجِبَا (٤)
وَمَنْ يَسْتَبْغِ مَنَى الظَّلَعِ يَلْقَنِي إِذَا مَا رَأَى أَصْلَعَ الرَّأْسِ أَشْيَا (٥)

وقال بعض الحكماء : « أعجب من العَجَبِ تركُ التعَجُّبِ من العَجَبِ » .
وقيل لشيخهم : أى شئ تشتهى ؟ قال : أسمع بالأعاجيب .
وأنشد :

عَرِيضُ الْبَطَانِ جَدِيبُ الْخِوَانِ قَرِيبُ الْمَرَاثِ مِنَ الْمَرْتَعِ (٦)
فَنَصَفُ النَّهَارِ لِكِرْيَاسِيهِ وَنَصَفُ لِمَا أَكَلِهِ أَجْمَعِ (٧)

-
- (١) هو حسان بن الغدير ، كما سبق في حواشي (٢ : ١٠٥) .
(٢) ذكر ياقوت في معجم البلدان بركة واسط ، وقال : « لم يحضرني شاهدتها » . فهذا من شواهدنا .
(٣) ما عدل : « بعد زمانك الماضي الذى ذهب شببته » .
(٤) لعل بن الغدير الغنوى . أمالى القائل (٢ : ١٨١) . وانظر ص ٣٤٣ . وهو بدون نسبة في أمالى الزجاجي ٣٠ .
(٥) الظلع : غمز شبيه بالعرج ، عني بذلك ضعف الرأى . يقول : قد ارتفع عن سن الشباب إلى سن الخنكة والرأى الصائب . ما عدل : « ومن يتغنى منى الظلامة » .
(٦) البطان ، بالكسر : الحزام ، كناية عن سعة بطنه لكثرة أكله . والخوان ، بضم الخاء وكسرهما : المائدة . والمراث : موضع الروث ، أى النجو . والمرتع : موضع الرتع بالفتح ، وهو الأكل بشره .
(٧) الكرياس ، بكسر الكاف وبالياء المثناة . قال أبو عبيدة : هو الكيف للذى يكون مشرفاً على سطح بقناة من الأرض . قال الأزهري : سمى كرياساً لما يعلق به من الأقدار =

١٥

٢٠

٢٥

وما يضم إلى العصا

قوله :

لَعَمْرِي لئن حُلِقْتُ عن مَنهل الصَّبَا لقد كنتُ ورَّاداً لمشْرِبه العَذْبِ (١)
ليالِي أغدو بين بُرْدَيْنِ لَاهِيَا أَمِيسُ كُعُصْنِ البَائَةِ النَّاعِمِ الرِّطْبِ
سَلامٌ عَلَى سَيرِ القِلاصِ مع الرُّكْبِ ووَصِلَ الغَوَانِي والمُدَامَةِ والشَّرْبِ (٢)
سَلامٌ امرِئٌ لم تَبَقْ مِنْهُ بَقِيَّةٌ سِوَى نَظَرِ العَيْنَيْنِ أو شَهْوَةِ القَلْبِ (٣)

٢٢٤

وقال حاجبُ بنِ ذُبْيَان (٤) لأخيه زُرَّارَةَ :

عَجِلْتُ مَجِيءَ المَوْتِ حتَّى هَجَرْتَنِي وفي القبرِ هَجَرٌ يارَزَّارُ طَوِيلُ

وقال الآخر (٥) :

ألم تَعْلَمْ عَمَّرْتُكَ اللهُ أنسى كَرِيمٌ على حِينِ الكَرَامِ قَلِيلُ (٦)
وَأَنِّي لَا أُخْزَى إِذَا قِيلَ مُمْلِقُ جَوَادٌ ، وَأُخْزَى أَنْ يُقَالَ بَخِيلُ (٧)

= فيركب بعضه بعضا ويتكسر مثل كرس الدمن . وهو فعيل من الكرّس مثل جريال . وهو من الألفاظ المشتركة بين العربية والفارسية . وتفسيره في الفارسية مثله في العربية . وفي معجم استينجاس

: ١٠٢٦

١٥ (A privy on the roof of house having communication with a subterranean passage)

ما عدل : « لكرسائه » تحريف .

(١) حلّى : منع الورد . ل : « حليت » ما عدل : « جلّيت » صوابهما ما أثبت من هـ .

(٢) ماس ياميس : تبخر في مشيه واختال .

(٣) القلاص : جمع قلوّص ، وهم الناقة الشابة الفتية . والشرب ، بالفتح : جماعة الشاربين

٢٠ للخمير ، وهو اسم جمع للشارب ، كما أن الركب اسم جمع للراكب .

(٤) هذا في جميع النسخ ، وانظر ما سبق في (٢ : ١٨٣) .

(٥) هو أحد الفزاريين ، كما في الحماسة (٢ : ٣٩) .

(٦) عمرتك الله ، أى ذكرتك الله ، أو سألته أن يطيل عمرك .

(٧) أخزى : أستحى . الملق : الذى أنفق ماله وبذره حتى أورثه الحاجة .

وإلا يكن عظمى طويلاً فإننى
إذا كنت في القوم الطوال فضلته
ولا خير في حسن الجسوم وطولها
وكأئن رأينا من فروع طويلة
ولم أر كالمعروف أما مذاقه

وقال زيادة بن زيد (٣) :

إذا ما انتهى علمي تناهيت عنده
ويخبرني عن غائب المرء فعله
أطال فأملئ أم تنأهي فأقصراً (٤)
كفى الفعل عما غيب المرء مخبراً (٥)

وقال آخر :

أبر فما يزداد إلا حماقة
ونوكاً وإن كانت كثيراً مخارجة (٦)

وقال ابن الرقاع (٧) :

وقصيدة قد بث أجمع بينها
نظر المثقف في كعوب قناته
حتى أقوم ميلها وسنادها (٨)
حتى يقيم ثقافه منادها (٩)

٢٢٥

(١) أنشد هذا البيت ابن قتيبة في عيون الأخبار (٤ : ٥٤) مسبقاً بقوله : « وقال آخر ، وكان قصيراً » .

(٢) العارفة : اليد تسدى ، وجمعها عوارف ، وليس لها فعل ، وهي فاعلة بمعنى مفعولة ، أو عارفة : ذات عرف طيب ، لأنها تذكر فيثنى على صاحبها . كذا قال التبريزي في تفسير الحماسة .
(٣) زيادة بن زيد هذا ، ابن أخت هدية بن الخشرم راوية الخطيئة ، كما في اللسان (رتب) . وفي الأغاني (٢١ : ١٧٢) أنه كانت بينهما مناقضات ومهاداة بالأشعار انتهت بقتل هدية لزيادة . ما عدل ، هـ : « زياد » تحريف .

(٤) تنأهى : كف . الإملاء : الإمهال والتطويل . والبيت في اللسان (نهي) ، وسيبويه (١ : ٤٩) والموشح ١٩٠ .

(٥) في حاسة البحرى ٣٣٦ : « هدية . كفى الهدى » .

(٦) أبر : زاد . والنوك ، بالضم والفتح . الحمق .

(٧) عدنى بن الرقاع ، ترجم في (٢ : ٢٦٤) .

(٨) الأبيات في الحيوان (٣ : ٦٤) والموشح ١٣ ونهاية الأرب ٤ : ٢٤٧ .

(٩) الثقاف ، بالكسر : ما تسوى به الرماح . والمناد : المعوج .

وعلمتُ حتَّى لستُ أسألُ واحداً
عن حَرَفٍ واحدةٍ لكىَّ أزدادَها (١)
وقال بعضُ الأعراب :

لولا مَسْرَّةُ أقولٍ تَصَعَّدُنِي
ما سَرَّني أَنَّ إبْلِسِي في مَبَارِكِها
أو الشَّماتَةُ من قومِ ذوى إِحْسِنِ (٢)
وَأَنَّ أَمْرًا قضاهُ اللهُ لم يَكُنْ

وقال الآخر :

وإِنِّي لأَهْوَى ثَمَّ لا أَتَّبِعُ الهَوَى
وفي النَّفْسِ عن بعضِ التَّعَرُّضِ غِلْظَةً
وأَكْرِمُ خِلَانِي وفِيَّ صُدُودِ
وفي العينِ عن بعضِ البُكاءِ جُمُودِ

وقال كَثِيرٌ :

تَرى القَوْمَ يُخْفَوْنَ التَّبَسُّمَ عِنْدَهُ
فلا هاجِراتُ القولِ يُؤَثِّرُنَّ عِنْدَهُ
وينذِرُهُم عَوَرَ الكلامِ نَذِيرُها (٣)
ولا كَلِماتُ النَّصَحِ مُقْصِي مُشِيرُها (٤)

وقال المُقَشَّعِرُ (٥) :

يُقَرُّ بَعِينِي أَن أَرى قِصَدَ القِنَا
وصَرَعِي رِجالِي في وَغَى أنا حاضِرُهُ (٦)

(١) الحرف : الطرف والجانب ، وبه سمي الحرف من حروف الهجاء . واحدة ، أى مسألة واحدة من العلم .

(٢) تتصعدني : تشق على . والإحسِن : جمع إحنة ، وهى الحقد والعداوة .

(٣) العوراء : الكلمة القبيحة . نذيرها ، أى نذير العور ، ينذرهم أن ينطقوا بها .

(٤) الهاجرات : ذوات الحجر ، بالضم ، وهو الفحش .

(٥) المقشعر لقب له ، وهو شاعر جاهلى ، قال المرزبانى : « وكان إذا حضر حرباً أقشعر » .

واسمه يزيد بن سنان بن أبى حارثة بن مرة بن نشبة بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان ، وكان قد حالف بنى سهم وخصيلة بن مرة ، على بنى يربوع بن مرة بن غطفان ، فسموا اليحاش ، فله يقول النابغة الذبياني :

جمع مَحاشِك يا يزيد فإننى أعددت يربوعاً لكم وتيمما

معجم المرزبانى ٤٩٦ .

(٦) أقر عينه وأقر بعينه : سره وأفرجه حتى قرت عينه وبردت . والقنا : الرماح . والقصد : جمع قصدة بالكسر ، وهى القطعة .

وقال الكميث :

أَحْسَنُ مِنْهَا ذِيادُ خَامِسَةٍ فِي الْوَرْدِ ، أَوْ قَلَّتْ تَجَالِدُهَا ^(١)
وقال صالح بن مخراق في كلام له : لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ قَالَ : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرَّةٌ لَكُمْ ﴾ لَأَنْبَأْتُكُمْ أَنِّي لَا أَكْرَهُهُ .
وقال الآخر :

٢٢٦ تَرَكْتُ الرُّكَّابَ لِأَرْيَابِهَا وَأَكْرَهْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ الصَّعِقِ ^(٢)
جَعَلْتُ يَدَيَّ وَشَاحًا لَهُ . وَبَعْضُ الْفَوَارِسِ لَا يَعْتَنُقُ

* * *

قال : وقال عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَوْمًا فِي مَجْلِسِهِ : مَنْ أُمُّ التُّعْمَانِ بْنِ
الْمُنْذِرِ ؟ فَقَالَ رَوْحُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ : سَلَمَى بِنْتُ عُقَابٍ ^(٣) . قَالَ : إِنَّهُ
لَيُقَالُ ذَلِكَ ، يَا حَاجِبُ أَحْسِنِ إِذْنَهُ .

وقالوا : عَشْرُ خِصَالٍ فِي عَشْرَةِ أَصْنَافٍ مِنَ النَّاسِ أَقْبَحُ مِنْهَا فِي غَيْرِهِمْ :
الضُّيْقُ فِي الْمُلُوكِ ، وَالْعُدْرُ فِي الْأَشْرَافِ ، وَالْكَذِبُ فِي الْقَضَاةِ ، وَالْخَدِيعَةُ فِي
الْعُلَمَاءِ ، وَالْقَضْبُ فِي الْأَبْرَارِ ، وَالْحِرْصُ فِي الْأَغْنِيَاءِ ، وَالسَّفَهُ فِي الشُّيُوخِ ،
وَالْمَرَضُ فِي الْأَطْبَاءِ ، وَالزَّهْوُ ^(٤) فِي الْفُقَرَاءِ ، وَالْفَخْرُ فِي الْقُرَّاءِ .
وَأَنشُد :

وَلَا تَقْبَلُوا عَقْلًا وَأَمُوا بِغَارَةِ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ بَيْنَ دُومَةٍ وَهَضْبٍ ^(٥)

(١) الذِيادُ : مصدر كالنود ، وهو سوق الإبل وطردها ودفعها . والخامسة : التي ترد الخمس ، وهو أن ترد يوما وترعى ثلاثة بعده ثم ترد في الخامس . والفيلق : الكنية الشديدة . ما عدل : « يجالدها » .

(٢) أَنشدَهما في الحيوان (٦ : ٤٢٥) .

(٣) قال الجاحظ في الحيوان (٤ : ٣٧٧) : « وَأُمُّ النُّعْمَانِ سَلَمَى بِنْتُ الصَّائِفِ : يَهُودِيٌّ مِنْ أَنْبَاطِ الشَّامِ » . وفي الأغاني (٩ : ١٥٨) أن اسم ذلك الصائغ « عطية » .

(٤) هـ : « والتَهَرُّؤُ » .

(٥) العقل : الدية . والأم : القصد .

- وَهَزُّوا صُدُورَ الْمُشْرِفِي كَأَنَّمَا يَقَعْنَ بِهَامِ الْقَوْمِ فِي حَنْظَلٍ رَطْبٍ^(١)
وَيُضَمُّ إِلَى بَيْتِ الْكُمَيْتِ وَبَيْتِ الْمُقَشَّعِرِّ قَوْلُ الْحَكَمِيِّ^(٢) :
- أَحْسَنُ عِنْدِي مِنْ انْكِبَابِكَ بَالٍ فِيهِرُ مُلْحًا بِهِ عَلَى وَرِيدِ^(٣)
وُقُوفٍ رِيحَانِيَّةٍ عَلَى أُذُنٍ وَسِيرُ كَأْسِي إِلَى فَمٍ بَيِّدِ^(٤)

* * *

وفي بابٍ غير هذا يقول حسانُ بن ثابت :
ما أبالي أُنَبِّ بِالْحَزَنِ تَيْسٌ أَمْ لِحَانِي بظَهْرِ غَيْبٍ لَيْثِيُمْ^(٥)

(١) المشرفي ، عني به السلاح المشرف ، وهو السيوف المنسوبة إلى المشارف ، وهي قرى من أرض اليمن ، أو من أرض العرب تدنو من الريف . ل : « كأنها نقعن » تحريف .

(٢) هو أبو نواس الحسن بن هانئ ، مول الحكم بن سعد العشيرة بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ ، من اليمنية . انظر جمهرة الأنساب لابن حزم ٣٨٣ - ٣٨٤ .

(٣) الفهر ، بالكسر : حجر يملأ الكف . والبيتان من مقطوعة له في ديوانه ٢٦٥ ينمى فيها على من يبكى الأطلال ويسقيها . وقيل البيتين :

سقى لغير العلياء فالسند وغير أطلال مى بالجرد
ويا صبيب السحاب إن كنت قد جدت اللوى مرة فلا تعد
لا تسقين بلدة إذا عدت الـ بلدان كانت زيادة الكيد
إن أنحرز من الغراب بها يكن مفزى منه إلى الصرد
بحيث لا تجلب الرياح إلى أذنك إلا تصاعج النقد

وبعدهما :

يسقيكها من بنى العباد رشا منتسب عيده إلى الأحد
إذا بنى الماء فوقها حبياً صلب فوق الجين بالزبد
أشرب من كفه الشمول ومن فيه رضاباً يجرى على برد
فذاك خير من البكاء على الـ ربع وأنى في الروح والجسد

(٤) هي ريحانة الساق يجعلها فوق أذنه نظرفاً .

(٥) البيت في ديوانه حسان ٣٧٩ والحيوان (١ : ١٣) ، من قصيدة في يوم أحد . قال ابن هشام : « هذه أحسن ما قيل » . السيرة ٦٢٥ - ٦٢٦ جوتنجن . نب التيس نيا ونبييا ونبايا : صاح عند الهياج . والحزن : ما غلظ من الأرض . لحاه يلحوه ويلحاه : شتمه .

وأنشد :

خُبِرْتُ أَنَّ طَوِيلًا يَغْتَابُنَا بَعْضِيَّةٌ يَتَنَحَّلُ الْأَقْوَالَا (١)
مَا ضَرَّ سَادَةَ تَهْشِلُ أَهْجَاهُمْ أَمْ قَامَ فِي عَرْضِ الْحَوَى فَبَالَا (٢)

٢٢٧

وقال الفرزدق في هذا المعنى :

مَا ضَرَّ تَغْلِبَ وَائِلَ أَهْجَوْتَهَا أَمْ بُلَّتْ حَيْثُ تَنَاطَعَ الْبَحْرَانِ (٣)

٥

وقال الآخر في هذا المعنى :

مَا يَضِيرُ الْبَحْرَ أَمْسَى زَاخِرًا أَنْ رَمَى فِيهِ غَلَامٌ بِحَجَرٍ (٤)

* * *

ومما يزداد في ذكر باب العصا قول جرير بن الحطّاف :

وَيُقْضَى الْأَمْرُ حِينَ تَغِيبُ نَيْمٌ وَلَا يُسْتَأْمَرُونَ وَهُمْ شُهُودٌ (٥)
وَقَدْ سَلَبْتَ عَصَاكَ بَنُو تَمِيمٍ فَمَا تَدْرِي بِأَيِّ عَصَا تُذَوِّدُ

١٠

(١) العضية : الإلفك ، والبهتان ، والهميمة . يتنحل الأقوال : يدعيها . ل : « يتحلل الأقوال » ، صوابه في سائر النسخ .

(٢) عرض الشيء ، بضم العين : وسطه وناحيته . والحوى : البطن السهل من الأرض .

(٣) البيت من قصيدة له في ديوانه ٨٨٢ ، يذكر فيها تفضيل الأخطل إياه مادحاً في ذلك بنى

تغلب ، ويهجو فيها جريراً . وقبل البيت ، وهو مطلع القصيدة :

يا ابن المراغة ، والهجاء إذا التقت أعناقهم وتماحك الخصمان

وبعده :

يا ابن المراغة إن تغلب وائل رفعوا عنائي فوق كل عنان

وتغلب بن وائل ، هم قوم الأخطل . تناطح البحرين : تقابلا . وانظر الحيوان (١ : ١٣) وخزانة الأدب

(٢ : ٥٠١) .

(٤) زخر البحر : كثر ماؤه وارتفعت أمواجه . وفي الأغاني (١٣ : ٨٢) : « ما يضر » . والبيت

في الحيوان (١ : ١٣) برواية : « هل يضر البحر » . وفي حواشي هـ أن البيت للفرزدق .

(٥) من قصيدة له في ديوانه ١٦٠ - ١٦٩ يهجو فيها التيم قبيل عمر بن لجأ . وبين هذا البيت

وتاليه أبيات . الاستثمار : الاستشارة . شهود ، أى حاضرون .

وقال الحسين بن عُرْفُطَةَ بن نَضْلَةَ (١) :

لِيَهْنِكَ بُغْضُ فِي الصَّدِيقِ وَظَنَّةٌ وتحديثك الشيء الذي أنت كاذبه (٢)
وَأَنْتَ مِهْدَاءُ الْحَنَّا نَطْفُفُ النَّشَا شديد السباب رافع الصوت غاليه (٣)
وَأَنْتَ مَشْنُوءٌ إِلَى كُلِّ صَاحِبٍ بلاك ، ومثل الشر يُكره جانبُه (٤)
وَلَمْ أَرِ مِثْلَ الْجَهْلِ أَدْنَى إِلَى الرَّدَى ولا مثل بغض الناس غمض صاحبُه (٥)

وقال قَتَادَةُ بن خُرْجَةَ الثَّعْلَبِيِّ ، من بنى عَجَب (٦) :

خَلِيلِي يَوْمَ السُّلَيْلِينَ لَوْ آتَنِي بهير اللوى أنكرت ماقلتما ليا (٧)

(١) الحسين ، ويقال أيضاً « الحسيل » مصغر الحسل ، بالكسر ، وهو ولد الضب . ما عدا هـ :
« الحسن » تحريف . وهو حسيل بن عرفطة بن نضلة بن الأشتر بن جحوان بن فقمع الأسدي ، شاعر
مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، رأى الرسول الكريم وروى عنه . وهو ممن غير الرسول أسماءهم فسماه
حسيناً . انظر الإصابة ١٧١٧ . وقد جمعه أبو زيد في نوادره ٧٥ ، ٧٧ من شعراء الجاهلية ، والصواب
ما قدمت . ومن عجب أن أبا حاتم قال إنه « حسين » ثم يخطئه الأخفش في ذلك .
(٢) الأبيات في الحيوان (٣ : ١٠٢ ، ٤٩٤) . ليهنك : ليهنك ، سهلت همزتها . والكلام
تهكم . يقال : هنا الشيء : كان له هنيئاً سائغاً .

(٣) الحنا : الفحش . والنطف : الملتطخ بالعيب . والنشا ، بتقديم النون : ما أخبرت به عن الرجل
من خير وشر .

(٤) المشنوء : المبغض . بلاك : اختبرك . مثل الشر ، أى أنت مثل الشر . أو تكون « مثل » في
الكلام نافلة ، كما تقول : مثلك لا يفعل كذا ، أى أنت لا تفعله .

(٥) الجهل : نقيض العلم ، وأن يفعل شيئاً بغير العلم . غمض ، من الغمض ، وهو الاحتقار
والازدراء . وفي الحيوان : « غمض » .

(٦) خرجة ، بضم الخاء . وفي ل : « خزرجة » وليس في أعلامهم . والثعلبي : نسبة إلى ثعلبة بن
سعد بن ذبيان . وفي جميع النسخ : « التغلي » تحريف . وكلمة « من بنى عجب » من ل ، هـ فقط . وهم بنو
عجب بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان ، كما في مختلف القبائل ومؤتلفها لابن حبيب ٤٤ جوتنجن ١٨٥٠ .

(٧) البيتان في معجم البلدان (٥ : ١٠٦) والحماسة بشرح المازوقي ١١٨٧ بدون نسبة .
السلسلان ، بكسر السينين ، قال ياقوت : « كأنهم ذكروا السلسلة ثم ثنوها : اسم موضع » . وروايته

عنده : « بين السلسلين » . والهبر ، بالفتحة : ما اطمأن من الأرض . واللوى : موضع بعينه ، وهو واد من
أودية بني سليم . واللوى أيضاً : منقطع الرمل . قال ياقوت : « قد أكثر الشعراء من ذكره ، وخلطت
بين ذلك اللوى والرمل فعز الفصل بينهما » . ل : « بهو اللوى » ح : « بهير » التيمورية : « بهير »
صوابه ما أثبت من هـ ، ب .

ولكنني لم أنسَ ما قال صاحبي نصيبك من ذلّ إذا كنت نائياً^(١)
وقال خالد بن نضلة^(٢) :

إذا كنت في قوم عدى لست منهم فكل ما غلفت من حبيث وطيب^(٣)

وقال أحمد بن يوسف^(٤) ، وكان يتعشق يحيى بن سعيد بن حماد : ٢٢٨

إن يحيى بن سعيد يشتهي أن أشتهيه
فهو يلقاني بتوريه سم وأحياناً بتيه^(٥)

وقال أبو سعد دعي بنى مخزوم^(٦) ، في مهاجاة دعلج :

ولولا نزار لضاقت الفضاء ولم يبق حرز ولا معقل
وأخرجت الأرض أثقالها وأدخل في است أمه دعلج

(١) ياقوت : « خاليا » .

(٢) خالد بن نضلة الأسدي ، فارس مشهور من فرسانهم . وله ذكر في يوم النصار ، إذ كان رئيس أسد يومئذ . انظر كامل ابن الأثير وغيره ، في (يوم النصار) .

(٣) البيت من أبيات في الحماسة (١ : ١٣٤) والحويان (٣ : ١٠٣) . والعدى : اسم جمع بمعنى الأعداء ، أو بمعنى الغرباء ، كما في المخصص (١٢ : ٥٢) رواية عن ابن السكيت في إصلاح المنطق ١١٢ حيث أنشد البيت . ونسبه التبريزي في تهذيبه إلى ذودان بن سعد ، من بني أسد .

(٤) ترجم في (١ : ٦٥) .

(٥) يقال : ورم فلان بأمره تورما ، إذا شمع بأنفه وتغير .

(٦) أبو سعد المخزومي ممن عرف بكنيته ، واسمه عيسى بن الوليد . وهو شاعر مقل من شعراء الدولة العباسية ، وقد عاصر دعبلا وعبد الله بن أبي الشيص . وكان دعبل قد صنع قصيدة هجا فيها قبائل نزار . فحمى لذلك أبو سعد وهجاه ولج الهجاء بينهما . ما عدل : « أبو سعيد » تحريف . وفيه يقول دعبل :

إن أبا سعد فتى شاعر يعرف بالكنية لا بالولد

ويقول ابن أبي الشيص :

أبا سعد بحق الختم
أقلت الحق في النسب
س والمفروض من صومك
بنة أم تحلم في نومك

انظر الأغاني (١٨ : ٥٠ - ٥٤) .

وقال :

حَدَقُ الآجَالُ آجَالُ والهوى للمرء قَتَالُ ^(١)
 والهوى صعبٌ مراكبه وركوب الصعب أهْوَالُ
 ليس من شكلي فأشْتَمَهُ دِغْبَلُ ، والنَّاسُ أَشْكَالُ
 هَمَّتْني في التاج أَلْبَسُهُ وله في الشُّعْرِ آمَالُ

٥

وقال :

هذا اللَّبَائِيُّ يَحْوِي جوائز الخلفاء ^(٢)
 ففَى جِرِّ آمٍ مَدِيحِي وفي جِرِّ آمٍ هِجَائِي ^(٣)
 وفي جِرِّ آمِي وَإِنْ كُنْتُ سَيِّدَ الشُّعْرَاءِ

١٠

وقال محمد بن يسير :

في جِرِّ آمٍ النَّاسِ كُلِّهِمْ وأنا في ذا مِنْ أَوَّلِهِمْ ^(٤)
 لَسْتُ تَدْرِي حِينَ تُخْبِرُهُمْ أين أَدْنَاهُمْ مِنْ أَفْضَلِهِمْ

وقال :

إِذَا مَا جَاوَزَ التَّدْمَاءُ حَمْسًا بَرَّبَ الْبَيْتِ وَالسَّاقِ اللَّيْبِ
 فَأَيِّرُ فِي جِرِّ آمٍ فَتَى دَعَانَا وَأَيِّرُ فِي جِرِّ آمٍ فَتَى مَجِيبِ
 وقال سَلَمُ الْخَاسِرِ ^(٥) :

١٥

بهارون قَرَّ الْمَلِكُ في مُسْتَفْرِهِ وَأَنْهَجَتْ الدُّنْيَا وَأَشْرَقَ نُورُهَا

(١) الآجال الأولى : جمع إجل بالكسر ، وهو القطيع من يقر الوحش والظباء . والأخرى : جمع أجل بالتحريك ، وهو مدى العمر .

٢٠

(٢) ما عدل : « اللبائي » .

(٣) مثله قول العرب : « باست بنى فلان » وهو شتم للعرب . وأنشد في اللسان (سته) قول

الخطيئة :

فباست بنى عيس وأستاه طيئُ وباست بنى دودان حاشا بنى نصر

(٤) ما عدل : « أنا في هذا » . والشعر من بحر المديد .

٢٥

(٥) هو سلم بن عمرو ، مولى بنى تيم بن مرة . شاعر بصرى قدم بغداد ومدح المهدي والمهدي وهارون والبرامكة . قالوا : سمى بالخاسر لأنه ورث عن أبيه مصحفاً ، فباست واشترى =

وليسَ لأَيَّامِ المَكَارِمِ غايةَ تَتَمُّ بها إِلَّا وَأَنْتَ أَمِيرُهَا

وقال بشار بن بُرد :

مِنْ فَتَاةٍ صُبَّ الجَمالُ عَلَیْها في حَدِيثِ كَلْدَةِ التَّشَوَانِ
ثُمَّ فَارَقْتُ ذاكَ غَیْرَ دَمِيمٍ كُلُّ عَیْشِ الدُّنْيا وَإِنْ طالَ فَانٍ

وقال مُزاجِمُ العُقَیْلِ :

يَزِينُ سَنّا المَوايِ كُلَّ عَشِيَّةٍ عَلَی غَفَلاتِ الرِّیْنِ والمُتَجَمِّلِ (١)

وَجوَّةٌ لو أَنَّ المُدْلِجِیْنَ اَعْتَشَوْا بِها

صَدَّعْنَ الدُّجى حَتَّى تَرى اللَّیْلَ یَنجَلِی (٢)

وقال المسعودی :

إِنَّ الكِرامَ مُناهِبو كَ المَجْدِ كُلِّهِمُ فَناهِبُ (٣)
أُخْلِفَ وَأُتْلِفَ ، كُلُّ شَیْءٍ زَعزَعَتَهُ الرِّیْحُ ذاهِبُ

وقال شیخ من الأطباء : الحمدُ لله ، فلانٌ یزاحمنا فی الطَّبِّ ولم یختلف إلى
الِیَمارِستانات (٤) تمامَ خَمسین سَنَةً .

= طنبوراً . وكان تلميذ بشار بن برد وراويته . وهو القائل :

من راقب الناس مات غمًا . وفاز بالبلدة الجسور

وفيه يقول أبو العتاهية :

تعالى الله يا سلم بن عمرو أذلَّ الحِرصُ أعناقَ الرجالِ

الأغاني (٢١ : ٧٣ - ٨٤) وتاريخ بغداد (٩ : ١٣٦) وابن خلكان ، وقد سماه « سالما » خطأ .

(١) البيتان في الحيوان (٣ : ٩١) ، وهما مع أربعة أخرى في مجالس ثعلب ٢٢٧ بدون نسبة ،

وثانیهما في الشعراء ٥٢٧ ليدن واللسان (١٩ : ٢٧٨) . والمأوى : جمع مأوىة ، وهى المرأة . ورواية

ثعلب : « ترى في سنا المأوى بالعصر والضحي » . ما عدل : « تزين سنا المأوى » .

(٢) ثعلب وما عدل : « وجوها » . وفي الشعراء : « لو ان المعتفين » . اعتشوا بها : استضاعوا

بها ليلا فقصدوا إليها .

(٣) سبق البيتان في ١٩٤ .

(٤) الیمارستان : دار علاج المرضى ، لفظ فارسی ، مركب من « بیمار » بمعنى مريض ،

و « ستان » ، وهى من أدوات المكان في الفارسية . هـ : « البهمارستان » .

وحدثني محمد بن عبد الملك - صديق لي - قال : سمعت رجلاً من
فرسان طبرستان يقول : فلان يدعى الفروسيّة ، ولو كُلف أن يُخلّي قُروجَ فرسه
منحدرًا لما قَدَّر عليه (١) .

وقال بعض العبيد :

أَيَعْنِي فِي الشَّاءِ وَابْنُ مُوَيْلِكٍ عَلَى هَجْمَةٍ قَدْ لَوَحَتْهَا الطُّبَائِخُ (٢)
مَتَى كَانَ حُمْرَانُ الشَّبَابِي رَاعِيًا وَقَدْ رَاعَهُ بِالذُّوْ أُسُودُ سَاخِ (٣)
وقال كثير في عمر بن عبد العزيز رحمه الله :

تَكَلَّمْتُ بِالْحَقِّ الْمُبِينِ وَإِنَّمَا تَبَيَّنُ آيَاتُ الْهُدَى بِالتَّكَلُّمِ
أَلَا إِنَّمَا يَكْفِي الْقَنَا بَعْدَ زَيْغِهِ مِنَ الْأَوْدِ الْبَاقِي ثِقَافُ الْمُقَوِّمِ (٤)

الأصمعي قال : قال يونس بن عبد الأعلى (٥) : لا يزال الناسُ بخير ماداموا
إذا تَخَلَّجَ (٦) فِي صَدْرِ الرَّجُلِ شَيْءٌ وَجَدَ مَنْ يُفَرِّجُ عَنْهُ .

وقال البعيث ، في إبراهيم بن عَرَبِيٍّ (٧) :

-
- (١) فروج الفرس : ما بين قوائمه . يقال سدّ فروج فرسه ، أى ملأ قوائمه عدوا كأن العدو سدّ فروجه وملأها . فمعنى أخلّ فروجه : أمسكه وحفظه من سرعة الانحدار .
- (٢) ما عدل : « وابن عجيل » . والهجمة : القطعة الضخمة من الإبل ، ما بين الثلاثين إلى المائة . والطبائخ : جمع طبيخة ، وهى سبوم المهاجرة وشدة حرها .
- (٣) الشباني : نسبة إلى بنى شبابة ، وهم بطن من فهم . ل : « الشبالي » ، ما عدل : « الشباني » صوابهما من هـ . والدو : الفلاة . ما عدل : « بالذود » ، هـ : « فى الذود » .
- (٤) القنا : الرماح ، جمع قنّاة . والزبيغ : الميل ، ومثله ، الأود . والثقاف : خشبة قوية قدر الذراع فى طرفها خرق يتسع للرمح أو للقوس يدخل فيه ويغمر منه ما ينبغى أن يغمر ، حتى يصير إلى ما يراد منه ، ولا يفعل به ذلك إلا مدهوناً مملولاً ، أو مضروباً على النار .
- (٥) يونس بن عبد الأعلى بن موسى بن ميسرة الصدفى المصرى ، روى عن ابن عينة والشافعى ، وعنه : مسلم والنسائى وابن ماجه . وكان إماماً فى القراءات ، قرأ على ورش وغيره ، وقرأ عليه ابن جرير الطبرى . ولد سنة ١٧٠ وتوفى سنة ٢٦٤ . تهذيب التهذيب ، والخلاصة .
- (٦) تخلج : اضطرب وتحرك ، ومثله خلج وخلج . ما عدل : « اختلج » .
- (٧) إبراهيم بن عربى هذا ، كان والى اليمامة لعبد الملك ، وكان يقال له : « الملك الأسود » . وفيه يقول مالك المذموم :

٢٣٠ ترى مَنِيرَ العَبْدِ اللَّثِيمِ كَأَنَّمَا
وقال الأعشى :

رُبَّ رِفْدٍ هَرَقْتَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ مَ وَأَسْرَى مِنْ مَعْشَرٍ أَقْيَالٍ ^(١)
وقالوا : « لَا وَكَسَ وَلَا شَطَطَ » ^(٢) .

وقال الشاعر ^(٣) :

وَمُدَجِّجٍ كَرِهَ الْكُمَاةُ نِزَالَهُ لَا مُنْعِنَ هَرَبًا وَلَا مُسْتَسْلِمَ ^(٤)

وقال زهير :

دُونَ السَّمَاءِ وَفَوْقَ الْأَرْضِ قَدَرُهُمَا عِنْدَ الذَّنَابِيِّ فَلَا فَوْتُ وَلَا دَرَكُ ^(٥)

وقالوا : « خَيْرَ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا ، وَشَرَّ السَّيْرِ الْحَقِيقَةُ » ^(٦) .

- ١٠ = ناقى سبرى قد جد حقا بنا الس حى وكوفى جواله فى الزمام
فمتى تلقنى يد الملك الأسود تستيقنى بأن لا نضام
الأغانى (١٦ : ١٥١) . وفى (٧ : ٦١) أن جريراً نازع بنى حمان إليه فى ركية لهم فحكم بها له .
ما عدا ل : « إبراهيم بن عدى » ، وكذا ورد الاسم فى الموضع الأخير من الأغانى .
(١) ديوان الأعشى ١٣ . والرغد ، بفتح الراء وكسر ها : القدح . عنى به الجواد الذى يسقى
١٥ الناس فى أقداحه ، ومثل هذه الكناية تسميتهم الجواد « جفنة » . قال أبو قردودة :
يا جفنة كإزاء الحوض قد هدموا ومنطقاً مثل وشى الجنة الحيرة
هرقة : أرقته . أقيال : جمع قيل ، وهو الملك النافذ القول . والمشهور فى رواية البيت : « أقتال » جمع
قتل ، بالكسر ، وهو العدو . والبيت فى المخصص (١١ : ٨٣) وأمالى القالى (١ : ٩٠ / ٢ : ٧ ،
٣٠٣) وشروح سقط الزند ٨٢٢ .
٢٠ (٢) أى لا نقصان ولا زيادة . وفى اللسان (وكس) : « وفى حديث ابن مسعود : لها مهر
مثلها ، لا وكس ولا شطط » .

(٣) هو عترة . والبيت التالى من معلقته المشهورة .

- (٤) المدجج ، بكسر الجيم المشددة وفتحها : التام السلاح . والاستسلام : الانقياد والاستكانة .
(٥) ديوان زهير ١٧٤ . يصف القطاة والصقر . يقول : لم يخلقاً فيغيبا ، ولم يصيرا على الأرض ،
٢٥ فهما بين هذين . عند الذانى ، أى الصقر عند ذنبها قد قاربها ، فلا هو قد أدركها ولا هى قد فاتته .
(٦) الحقيقة : شدة السير . وكان عبد الله بن مطرف بن الشخير ، قد تعبد فلم يقتصد .
فقال له أبوه : « يا عبد الله ، العلم أفضل من العمل ، والحسنة بين السيئين ، وخير الأمور =

قال : والمثل السائر ، والصواب المستعمل : « لا تكن حُلواً فتزدرد ، ولا مُراً فتلفظ » .

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله : إن هذا الأمر لا يصلحهُ إلا لينٌ في غير ضَعَف ، وشِدَّةٌ في غير عُنف .

وكان الحجاج يُجاوز العُنف إلى الخُرق ، وكان كما وصف نفسه ، فإنه
قال : « أنا حديدٌ حقودٌ ^(١) ، وذو قَسْوَةٍ حَسُودٌ » .
وذكره آخر فقال : كان شراً من صبي ^(٢) .

وقال أكرم بن صيفي ^(٣) : تناءوا في الديار ، وتواصلوا في المزار ^(٤) .
وكان ناسيُّ الشُّهور ^(٥) يقول : اللهمَّ باعِدْ بين نسايتنا ، وقاربْ بين رِعاثتنا ،

١٠ = أوساطها ، وشر السير المحققة ، ، هو إشارة إلى الرفق في العبادة . أى عليك بالقصد فيها ولا تحمل على نفسك فتناسم . وإذا حملت على نفسك من العبادة ما لا تطيق ، انقطعت بك عن النوام على العبادة . اللسان (١١ : ٣٤٢) وأمثال الميداني (١ : ٣٢٧) . ومضت ترجمة مطرف في (١ : ١٠٣ ، ٣٥٣) . وترجم في تهذيب التهذيب لابنه « عبد الله » .

(١) الحديد : ذو الحدة ، وهى الغضب والنشاط والسرعة في الأمور . وقد سبق الخبر في الحيوان (٣ : ٤٧٠ / ٥ : ٥٩٢) بلفظ : « أنا حديد حقود حسود » .

(٢) ويقولون في أمثالهم : « أظلم من صبي » . انظر الحيوان (٣ : ٤٧٠) .
(٣) أكرم بن صيفي ، أحد حكام العرب ، وهو أكرم بن صيفي بن رياح بن الحارث بن غناش بن معاوية بن شريف بن جروة بن أسيد بن عمرو بن تميم التميمي . وكان قد سمع بمبعث النبي ، فأراد أن يفد إليه فمنعه قومه ، ثم انتدب له رجلاً من قومه فأتيا النبي ﷺ ، فعادا بما أثلج صدر أكرم في دينه ، فقرب له بعيره فركب متوجهاً إلى الرسول ﷺ فمات في الطريق ؛ فيقال نزلت فيه هذه الآية : (ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله » . وكان أكرم من المعمرين . أنشد له المرزباني :

وإن امرأ قد عاش تسعين حجة إلى مائة لم يسأم العيش جاهل
أتت مائتان غير عشر وفائها وذلك من مر الليالي قلائل

الإصابة ٤٨٢ والمعمرين للسجستاني ١٠ - ١٣ والأغاني (١٥ : ٧٠) .

(٤) لفظه عند السجستاني : « تناءوا في الديار ولا تباغضوا ؛ فإن من يجتمع يتققق عمده » .

(٥) النسيء : التأخير . وكان العرب إذا صدروا عن منى يقوم رجل منهم من =

واجعل الأموال في سُمَحائنا ^(١) .

وقال آخر ^(٢) :

شَتَّى مَرَاجِلُهُمْ فَوْضَى نَسَاؤُهُمْ وَكُلُّهُمْ لِأَيِّهِ ضَيَّرَ سِلْفُ ^(٣)
وقال الآخر : تَرَكُ الْوَطْنَ أَحَدُ السَّبَّاءِ ^(٤) .

وقالوا : من أَجْدَبَ انتجع .

وقال آخر : مَنْ أَمَلْ امْرَأً ^(٥) هَابَهُ ، وَمَنْ قَصَّرَ عَنْ شَيْءٍ عَابَهُ .

وقال الآخر :

رَجَعْنَا سَالِمِينَ كَمَا بَدَأْنَا وَمَا خَابَتْ غَنِيمَةُ سَالِمِينَا ^(٦) ٢٣١

وقال امرؤ القيس بن حُجْر :

لَقَدْ نَقَبْتُ فِي الْآفَاقِ حَتَّى رَضِيتُ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ ^(٧) ١٠

= كناية فيقول : « أنا الذي لا أعاب ولا أجاب . ولا يرد لي قضاء . فيقولون : صدقت ، أنسنا شهراً ؛ أي أخر عنا حرمة المحرم واجعلها في صفر ، وأحل لنا المحرم ؛ لأنهم كانوا يكرهون أن يتولى عليهم ثلاثة أشهر حرم لا يغيرون فيها ؛ لأن معاشهم كان من القارة ، فيحل لهم المحرم ، فذلك هو الإنسان .

(١) السمحاء : جمع سميح ، وهو ذو السباحة والجود . وفي هامش هـ : « في شرح الحديث لابن قتيبة : إذا كثرت الأقطاع والرعاء فالأحمد أن تفرق ويفرقوا . وكانوا يقولون : اللهم حبب بين نسائنا ، وبغض بين رعاتنا ، واجعل الأموال في سمحائنا » .

(٢) هو أوس بن حجر . ديوانه ١٧ واللسان والمقاييس (وزن) وأدب الكاتب ٢٨٢ والاقتضاب ٣٨٤ . قال البطليوسي : « ولم أحده في شعر أوس » ! وصدره في جميعها : « والفارسية فيهم غير منكورة » .

(٣) المراحل : جمع مرجل ، وهو القدر من الحجارة أو النحاس . فوضى : مختلطة . والضيزن : الذي يزاحم أباه على امرأته . والسلف : واحد السلفين ، وأصله الرجلان يتزوجان بأختين ، فكل واحد منهما سلف صاحبه . أراد أن بينهما مناظرة في الزواج ؛ يقول : هم مثل الجوس يتزوج الرجل منهم امرأة أبيه وامرأة ابنه .

(٤) السباء والسي : الأمر .

(٥) هـ : « أحداً » .

(٦) أي غنيمة قوم سالمين . والبيت في عيون الأخبار (١ : ١٤٢) ، ما عدال ، هـ : « وما

غابت » . يقول : إن الغنيمة في السلامة . وأنشد بعده ابن قتيبة :

وما تدرين أي الأمر خير أما تهوين أم ما تكرهينا

(٧) ديوان امرئ القيس ١٣٤ برواية : « وقد طوفت » .

وقيل لابن عباس : أيما أحب إليك ، رجل يُكثّر من الحسنات ويكثر من السيئات ، أو رجل يُقلّ من الحسنات والسيئات ؟ قال : ما أعْدِلُ بالسَّلامة شيئاً !
وقالت أعرابية :

٥. فلا تَحْمَدُونِي فِي الزَّيَارَةِ إِنِّي أَزُورَكُمُ إِلَّا أَجِدُ مُتَعَلِّلاً ^(١)
يعقوب بن داود ^(٢) قال : ذَمَّ رَجُلٌ الْأَشْتَرَّ ^(٣) فقال له رجلٌ من النَّخَعِ ^(٤) : اسْكُتْ فَإِنَّ حَيَاتَهُ هَزَمَتْ أَهْلَ الشَّامِ ، وَمَوْتُهُ هَزَمَ أَهْلَ الْعِرَاقِ .
أبو الحسن قال : أُرْسِلَتِ الْخَيْلُ أَيَّامَ بَشْرِ بْنِ مَرْوَانَ ^(٥) ، فَسَبَقَ فَرَسُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ بَشْرِ ، فَقَالَ لَهُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ الْأَشْعَثِ ^(٦) : وَاللَّهِ لَا أُرْسِلَنَّ غَدًا مَعَ فَرَسِكَ فَرَسًا لَا يَعْرِفُ أَنَّ أَبَاكَ أَمِيرَ الْعِرَاقِ ! فَجَاءَ فَرَسُ إِسْمَاعِيلِ سَابِقًا ، فَقَالَ :
١٠. أَلَمْ أُعْلِمَكَ ؟!

* * *

وقال أبو العتاهية ^(٧) :
أَيَا مَنْ لِي بِأَنْسِكَ يَا أَخِيَّ وَمَنْ لِي أَنْ أُبْثِّكَ مَا لَدَيَّا

١٥. (١) المتعلل : مصدر ميمي لقولهم : تعللت بالشيء : تلهيت به وتشاغلت .
(٢) هو يعقوب بن داود الأنباري ، ذكره في تاريخ بغداد ٧٥٨١ . ذكر أنه روى عن عاصم بن علي . وهذا عاصم توفي سنة ٢٢١ ، ترجم له في تهذيب التهذيب .
(٣) الأشتر النخعي : مالك بن الحارث ، ترجم في (٢ : ٨٧) .
(٤) هم بنو النخع - بالتحريك - بن جسر بن عمرو بن علة بن جلد بن مذحج ، ينتهي نسبهم إلى كهلان بن سبأ في اليمن .
٢٠. (٥) بشر بن مروان بن الحكم ، أخو عبد الملك ، ترجم في (٢ : ٢١١) .
(٦) ل : « إسماعيل بن محمد بن الأشعث » .
(٧) الأبيات التالية لم ترو في ديوانه . وفي الأغاني (٣ : ١٤٣) ومعاهد التنصيص (٢ : ١٨٥) أنها في رثاء صديقه « علي بن ثابت » ، وكان قد حضره وهو يجود بنفسه ، فلم يزل ملتزمه حتى فاض . ولما دفن وقف على قبره يكي طويلاً أحر بكاء ، وينشد هذه الأبيات . وفي العقد (باب المراثي) أنه رثى بها ولدًا له . وانظر الحيوان (٣ : ٩١ / ٦ : ٥٠٥) حيث أنشد البيتين الثاني والسادس ، والكامل ٢٣٠ ليسك ، وذيل أمالي القالي ص ٢ ، ومروج الذهب (٢ : ٣٦٨) ، والمستطرف (٢ : ٢٩٤) وما سبق في (١ : ٤٠٧) .

كفى حَزَنًا بِدِفْنِكَ ثم إِنِّي
طَوَّنْتُ حُطُوبَ دَهْرِكَ بعدَ نَشْرِ
فلو نَشَرْتُ قِوَاكَ لَى المَنَايَا
بِكَيْتِكَ يَا أُخْتِي بِدَرِّ عَيْنِي
وَكَانَتْ فِي حَيَاتِكَ لى عِظَاتٌ
نَفَضْتُ تُرَابَ قَبْرِكَ عن يَدَيَا
كَذَاكَ حُطُوبُهُ نَشْرًا وَطَيًّا
شَكَوْتُ إِلَيْكَ مَا صَنَعْتُ إِلَيَّا
فَلَمْ يُغْنِ الْبَكَاءُ عَلَيْكَ شَيْئًا
وَأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيًّا

وقال الآخر (١) :

أُبْعِدَ الَّذِي بِالْتَّعَفِ نَعْفَ كُؤَيْكِبٍ
أُذَكِّرُ بِالْبُقْيَا عَلَى مَنْ أَصَابَنِي
رَهِيئَةً رَمَسِي بَيْنَ ثَرْبٍ وَجَنْدَلٍ (٢)
وَيُقْيَاى أَنَّى جَاهِدٌ غَيْرَ مُؤْتِلٍ (٣)

يقول : هذه بُقْيَاى .

قال : قيل لَشْرِيكَ بن عبد الله (٤) : كان معاويةً حليماً . قال : لو كان
حليماً مَاسِفَةً الحق (٥) ، ولا قَاتَلَ عَلِيًّا . ولو كان حليماً ما حَمَلَ أَبْنَاءَ الْعَبِيدِ عَلَى
حُرْمِهِ ، وَلَمَّا أَنْكَحَ إِلَّا الْأَكْفَاءَ .

وَأَصَوَّبُ مِنْ هَذَا قَوْلَ الْآخَرِ ، قال : كان معاويةً يَتَعَرَّضُ وَيَحْلُمُ إِذَا
أُسْمِعَ . وَمَنْ تَعَرَّضَ لِلسَّفِيهِ (٦) فَهُوَ سَفِيهِ .

وقال الآخر : كان يَحِبُّ أَنْ يُظْهَرَ حِلْمُهُ وَقَدْ كَانَ طَارَ اسْمُهُ بِذَلِكَ ،
فَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يَزْدَادَ فِي ذَلِكَ .

(١) فى حواشى هـ : « هو عبد الرحمن بن زيادة » .

(٢) نَعْفَ كُؤَيْكِبٍ : موضع لم يذكره ياقوت . والرَّمس : القبر .

(٣) الْبُقْيَا ، بضم الباء : الإبقاء . وَاَتَلَى : قصر وأبطأ .

(٤) شريك بن عبد الله ، ترجم فى (٢ : ٢٥٣ ، ٢٦٤) .

(٥) سَفِهَ الرَّجُلُ الْحَقَّ : جهله فلم يره حقاً . وفى الحديث : « سئل النَّبِيُّ ﷺ عن الْكِبَرِ فَقَالَ :

الْكِبَرُ أَنْ تَسْفِهَ الْحَقَّ وَتَغْمِطَ النَّاسَ » .

(٦) ل : « لسيفه » تحريف .

وقال الفرزدق :

وكان يُجير النَّاسَ من سَيْفِ مالِكٍ فأصبح يبغي نفسه مَنْ يُجيرُها (١)
وكانَ كَعَنَزِ السَّوءِ قامت بظِلْفِها إلى مُدِيَةٍ تحتَ التُّرابِ تُثِيرُها (٢)

وقال الثَّوْتُ البِجَانِي (٣) :

على أَيْ بابٍ أَطْلُبُ الإِذْنَ بَعْدَما حُجِيتُ عن البابِ الَّذي أَنَا حاجِبُه (٤)

وهذا مثل قوله :

والسَّبَبُ المانعُ حَظُّ العاقلِ هو الَّذي سَبَبَ رِزْقَ الجاهِلِ

ومثله :

ورُبَّتْ حَزْمٌ كانَ للسُّقْمِ عِلَّةً وعِلَّةُ بُرِّ الدَّاءِ حَظُّ المَغْفَلِ (٥)

وقال آخر :

يَخِيبُ الفَتَى مِنْ حَيْثُ يُرْزَقُ غَيْرُهُ وَيُعْطَى الفَتَى مِنْ حَيْثُ يُحْرَمُ صاحِبُه (٦)

وقال عثمان بن الحُوَيْرِث ، لعَمْرُو بن العاصي :

لَهُ أَبْوانٌ فَهُوَ يُدْعَى إِلَيْهِما وَشَرَّ العَبَادِ مِنْ لَهُ أَبْوانَ

(١) البيتان في ديوانه ٢٤٩ ، مع ثالث بعدهما ، وهو :

ستعلم عبد القيس إن زال ملكها على أي حال يستمر مريرها
وأنشدتهما في الحيوان (٥ : ٤٧٥) ، وأولهما في (٥ : ٥٩٣) ، وثانيهما في (٥ : ٤٧٠) ،

(٤٧٥) .

(٢) قال البحرى في حماسه ٢٨٤ : « يروى عن بعض العرب أنه أصاب نعجة فأراد ذبحها ولم يكن معه شيء يذبحها به ، فبينما هو يفكر في ذلك وأى ذلك يصنع إذ حفرت النعجة بأظلافها الأرض فأبرزت عن سكين كانت مندفة في التراب ، فذبحها بها . وضرب العرب بها المثل » . وروى ثمانية أشعار في هذا المعنى في الباب ١١٥ . وانظر جمهرة الأمثال للعسكري ٩٥ والميداني (٢ : ١٧٨) ومعجم المرزبانى ٣٧٤ من ١٦ .

(٣) ويقال أيضاً « اللوب البجاني » . انظر ماسبق في (٣ : ٣٥٩ - ٣٦٠) .

(٤) وكذا فيما سبق . وفيما عدا هـ : « على الباب » .

(٥) في عيون الأخبار (٣ : ٢٧٣) : « خبط المغفل » ، وهى خير الروايتين .

(٦) ل : « يمنع صاحبه » .

وقد حَكَّمَا فِيهِ لِتَصَدَّقَ أُمُّهُ وَكَانَ لَهَا عِلْمٌ بِهِ بَيَانٍ (١)
فَقَالَتْ : صُرَاحٌ ، وَهِيَ تَعْلَمُ غَيْرُهُ وَلَكِنَّهَا تَهْدِي بِغَيْرِ لِسَانٍ (٢)
وَقَالَ الْآخَرُ (٣) :

يَطْلُبُنَ بِالْقَوْمِ حَاجَاتٍ تَضُمُّنَهَا بَدَّرَ بِكُلِّ لِسَانٍ يُلَيِّسُ الْمَدْحَا
كَأَنَّ فِيضَ يَدَيْهِ قَبْلَ مَسْأَلَةٍ بَابُ السَّمَاءِ إِذَا مَا بِالْحَيَا انْفَتَحَا (٤)
وَكَلَّتْ بِالذَّهْرِ عَيْنًا غَيْرَ غَافِلَةٍ مِنْ جُودِ كَفِّكَ تَأْسُو كُلُّ مَا جَرَحَا
ومثله :

إِذَا افْتَقَرَ الْمِنْهَالُ لَمْ يُرْ فَقْرُهُ وَإِنْ أَيْسَرَ الْمِنْهَالُ أَيْسَرَ صَاحِبُهُ
وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَنْ أَفْضَلَ الْعِبَادَةِ الصُّمْتُ ،
وَانْتَظَارُ الْفَرَجِ (٥) .

وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ ، وَكَانَ فِي سَجْنِ الْحَجَّاجِ : لَهْفِي عَلَى طَلِيَّةٍ بِمِائَةِ
أَلْفٍ ، وَفَرَجٍ فِي جَبْهَةِ أَسَدٍ (٦) . وَأَنْشَدَ :
رُبَّمَا تَجَزَّعُ التُّفُوسُ مِنَ الْأَمْرِ رَ لَه فُرْجَةً كَحَلِّ الْعِقَالِ (٧)
وَأَنْشَدَ :

كَرِهْتُ وَكَانَ الْخَيْرُ فِيمَا كَرِهْتُهُ وَأَحْبَبْتُ أَمْرًا كَانَ فِيهِ شَبَابُ الْقَتْلِ (٨)

(١) مَا عَدَلَ ، هـ : « لِتَصَدِّقَ أُمُّهُ » .

(٢) الصَّرَاحُ : الْخَالِصُ النَّسَبُ .

(٣) هُوَ أَبُو نَوَاسٍ . الْعَمْدَةُ (٢ : ١١١) وَزَهْرُ الْآدَابِ (٣ : ٥) . وَفِي زَهْرِ الْآدَابِ : « غَيْرُ نَائِمَةٍ مِنْ جُودِ كَفِّكَ » . وَقَبْلَ هَذَا الْبَيْتِ فِي الْعَمْدَةِ :

أَنْتَ الَّذِي تَأْخُذُ الْأَيْدِي بِحُجْرَتِهِ إِذَا الزَّمَانُ عَلَى أُنْبَائِهِ كَلَحَا
(٤) الْحَيَا : الْمَطَرُ .

(٥) سَبَقَ هَذَا الْخَبَرُ فِي (٢ : ١٦٥ ، ٣٥٠) .

(٦) مَضَى فِي (٢ : ١٦٦) .

(٧) الْبَيْتُ فِي الْحَيَوَانَ (٣ : ٤٩) مَعَ نَسْبَتِهِ إِلَى أُمِيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ ، مَعَ شَيْءٍ مِنْ شَكِّ الْجَاحِظِ . وَأَنْشَدَهُ فِي اللِّسَانِ (فَرَجٌ) مَنْسُوبًا إِلَى أُمِيَّةَ . وَأَنْشَدَ قَبْلَهُ :

لَا تَضْيِقُنَ فِي الْأُمُورِ فَقَدْ تَكُ شَفَّ غَمَاؤُهَا بِغَيْرِ احْتِيَالٍ
(٨) الشَّبَابُ : جَمْعُ شَبَابَةٍ ، وَهُوَ حَدُّ الشَّيْءِ أَوْ حَدُّ طَرَفِهِ . وَمِنْهُ شَبَابَةُ السِّيفِ .

مثل قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ ﴾ .

وكان يقال : تُحْذِ مَقْتَصِدَ الْعِرَاقِ ، ومجتهدَ الْحِجَازِ .

وقال الآخر :

٢٣٣

لِكُلِّ كَرِيمٍ مِنْ الْأَائِمِّ قَوْمُهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ حَاسِدُونَ وَكُشْحُ (١)

وقال جرير :

إِنِّي لِأَمَلُ مِنْكَ خَيْرًا عَاجِلًا وَالتَّنَفُّسُ مُوَلَّعَةٌ بِحُبِّ الْعَاجِلِ (٢)
وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ .

وقال ابنُ هُرْمَةَ :

١٠

أَشْمُ مِنَ الَّذِينَ بِهِمْ قُرَيْشٌ تُدَاوِي بَيْنَهَا غَبْنَ الْقَبِيلِ (٣)
كَأَنَّ تَلَأُلُوَ الْمَعْرُوفِ فِيهِ شُعَاعُ الشَّمْسِ فِي السَّيْفِ الصَّقِيلِ

وقال امرؤ القيس :

أَجَارَتْنَا إِنَّ الْمَزَارَ قَرِيبٌ وَإِنِّي مُقِيمٌ مَا أَقَامَ عَسِيبُ (٤)
أَجَارَتْنَا إِنَّا غَرِيَانِ هَاهُنَا وَكُلُّ غَرِيبٍ لِلْغَرِيبِ نَسِيبُ ١٥

(١) الكُشْحُ : جمع كاشح ، وهو العدو الباطن العداوة ، كأنه يطويها في كشحه . والكشح بالفتح : الخصر . وقد سبق البيت في ص ٢١٧ .

(٢) من قصيدة له في ديوانه ٤١٥ يمدح بها عمر بن عبد العزيز ، مطلعها :
إِنَّ الَّذِي بَعَثَ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا جَعَلَ الْخِلَافَةَ فِي الْإِمَامِ الْعَادِلِ

(٣) الأشم : السيد ذو الأنفة . والغبن بالفتح وبالتحريك : ضعف الرأي . ل وهامش هـ « عن القبيل » هـ : « غبن القبيل » . والوجه ما أثبت .

(٤) البيتان لم يرويا في ديوانه . وعسيب : جبل بعلية نجد . ورواية ياقوت (في رسم عسيب) واللسان (عسب) : « إن الخطوب تنوب » . وعجز هذا البيت في مجالس ثعلب ٥٤٠ .

وقال بشار :

وإذا اغتربت فلا تكن جشيعاً تسمو لقت الكسب تكسبه (١)
وقال حسّان بن ثابت :

أهدى لهم مدحى قلب يوازره فيما أحب لسان حائك صنع (٢)
وقال الأصمعي : أنشدنا أبو مَهْدِيَّة (٣) :

ضحوا بأشمط عنوان السجود به يُقطّع الليل تسبيحاً وقرآنا (٤)
وقال الخزرجي ، يردُّ على أبي قيس بن الأسَلْتِ ، واسمه صَيْفِي (٥) :

أتفخر صَيْفِي فيما تقو ل أن نلتُم غيلة أربعة (٦)
عرانين كلُّهُم ماجد كثير الدسائع والمنفعة (٧)
فهلاً حضرت غداة البق جيع لِمَا استمات أبو صَغَصَعَة (٨)
ولكن كرهت شهود الوغى وكنتم كذلك في المنفعة (٩)
سيراً إلى القتل في خُفْيَة بطاء عن القتل في المِجْمَعَة (١٠)

(١) التيمورية : « وإذا اغتربت » ب ، ج : « اعربت » صوابها في ل ، هـ .

(٢) المدح : جمع مدحة ، بالكسر . لسان حائك : يحوك الشعر والكلام حوكاً : ينسجه ويلازم بين أجزائه ، كما يصنع الحائك ، وهو النساج . ما عدل ، هـ : « خائط » تحريف . صنع : صانع حاذق . والبيت من قصيدة لحسان في ديوانه ٢٤٨ - ٢٥١ يعارض بها الزبيرقان بن بدر .

(٣) أبو مَهْدِيَّة الأعرابي ترجم في (٢ : ٢٨١) .

(٤) البيت لحسان بن ثابت ، كما سبق في حواشي (١ : ٢٢٠) .

(٥) ترجم في ٢٣ من هذا الجزء .

(٦) الغيلة ، بالكسر : الاغتيال ، وهو أن يخدعه ثم يقتله . ما عدل : « غيلة » ، تحريف .

(٧) العراني : جمع عرنين ، وهم السادة والأشراف . والدسائع : جمع دسيعة ، وهي العطية .

(٨) البقيع : مقبرة أهل المدينة في داخلها . المستميت : الشجاع الطالب الموت . ب ، ج مع أثر

تغيير في الأخيرة : « لما استمال » .

(٩) الممعة : استعار نار الحرب ، أو صوت المقاتلة فيها . هـ : « كرهتم » .

(١٠) ل : « في مجمعه » .

وَأَنْشُدِ الْأَصْمَعِيُّ :

آتَى التَّدِيَّ فَلَا يُقَرَّبُ مَجْلِسِي وَأَقْوَدُ لِلشَّرَفِ الرَّفِيعِ حِمَارِيَا ^(١)

وقال حبيب بن أوس :

كَالْحُوطِ فِي الْقَدِّ وَالْعَزَالَةِ فِي الْبَهْ سَجَّةُ وَابْنِ الْغَزَالِ فِي غَيْدِهِ ^(٢)

وَمَا حَكَاهُ ، وَلَا نَعِيمَ لَهُ ، فِي جَيْدِهِ بَلْ حَكَاهُ فِي جَيْدِهِ ^(٣)

إِلَى الْمُفْدَى أُمِّي يَزِيدَ الَّذِي يَضِلُّ غَمْرُ الْمُلُوكِ فِي ثَمَدِهِ ^(٤)

ظُلُّ عَفَاةٍ ، يُحِبُّ زَائِرَهُ حُبُّ الْكَبِيرِ الصَّغِيرِ مِنْ وَلَدِهِ ^(٥)

إِذَا أَنَاخُوا بِيَابِهِ أَخَذُوا حُكْمَهُمْ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ^(٦)

وقال أيضاً :

لِعَمْرُكَ مَا كَانُوا ثَلَاثَةً لِاخْوَةِ وَلَكِنْهُمْ كَانُوا ثَلَاثَ قَبَائِلِ ^(٧)

(١) الندى : مجلس القوم . وأنشده في الحيوان (٦ : ٤٨٦) مسبوقة بقوله : « وقال آخر ووصف ضعفه وكبر سنه » . وأنشده في اللسان (شرف) شاهداً للشرف بمعنى المكان العالي ، وعقب عليه بقوله : « يقول إني خرفت فلا يتفجع برأبي ، وكبرت فلا أستطيع أن أركب من الأرض حماري إلا من مكان عال » . ورواية اللسان : « حماري » موضع « حماريا » .

(٢) الأبيات من قصيدة له في ديوانه ٩١ - ٩٥ بمدح بها خالد بن يزيد الشيباني مطلعها :

مَا لَكُنَيْبِ الْحَمَى إِلَى عَقْدِهِ مَا بِأَلْ جَرَعَاتِهِ إِلَى جَرْدِهِ

الحوط ، بالضم : الغصن الناعم ، والعزالة . الشمس عند طلوعها ، أو عند ارتفاعها . وابن الغزال ، عني به الظبي ، والغيد : ميل العنق ولين الأعطاف .

(٣) الجيد : طول العنق في حسن .

(٤) أبو يزيد : كنية خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني . وفيه يقول أبو تمام أيضاً :

وَإِذَا رَأَيْتَ أَبَا يَزِيدَ فِي نَدَى وَوَعَى وَمَبْدَى غَارَةٍ وَمَعِيدَا

والغمر : الماء الكثير . والتمد : القليل . يقول إن قليله أعظم من كثير غيره من الملوك ، فكثيرهم مستصغر في جانب قليله .

(٥) العفاة . جمع عاف ، وهو الطالب .

(٦) أخذوا حكمهم ، أي كل ما يرغبون . ويعني أيضاً أن فعله مطابق قوله ، وإنجازته مصاحب

وعده . في هامش هـ عن نسخة : « حكمهم » .

(٧) من أبيات لأبي تمام يرثي بها بني حميد الطوسي ، وهم أبو نصر ، وقحطبة ، ومحمد .

ومن خطباء الخوارج

قَطْرِيُّ بن الفَجَّاءة^(١) ، أحدُ بني كَاسِيَّة بن حُرْقُوص^(٢) ، وكنيته أبو نعامه في الحرب ، وفي السلم أبو محمد . وهو أحد رؤساء الأزارقة . وكان خطيباً فارساً ، خرج زمن مُصعب بن الزُّبَيْر ، وبقي عشرين سنة . وكان يدين بالاستعراض^(٣) والسِّبَاء ، وقتل الأطفال . وكان آخرُ من بُعث إليه سفيان بن الأبرد الكلبي^(٤) وقتله سَوْرَة بن أَبَجَر الدارمي ، من بني أبان بن دارم .

ومن خطباء الخوارج وشعرائهم وعلمائهم :

حَبِيب بن تُحْدرة^(٥) ، عِدَّاده في بني شَيْبان ، وهو موالي لبني هلال بن عامر^(٦) .

ومن علمائهم وخطبائهم وأئمتهم :

الضُّحَّاك بن قيس^(٧) ، أحد بني عمرو بن مُحَلِّم بن ذُهَل بن شَيْبان ،

(١) ترجم في (١ : ٣٤١) .

(٢) كاسية ، بالباء بعدها ياء تحتية ، من قولهم كبا الزند يكيو ، إذا لم يور ناراً . وهم بنو كاسية بن حرقوص بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم . الاشتقاق ١٢٤ - ١٢٥ . ل : « كاسية » ما عدل ل : « كنانة » ، صوابهما ما أثبت . ١٥

(٣) الاستعراض : أن يعترض الناس يقتلهم . انظر اللسان (عرض ٣٩) . وفي أمالي القالي (١ : ١١٩) : « ويقال خرجوا يضربون الناس عن عرض ، يريدون : عن شق وناحية ، لا يبالون من ضربوا . ومنه استعراض الخوارج الناس ، إذا لم يبالوا من قتلوا » . وفي الكامل ٦١٦ ليسك : « وقال أبو بيهس : الدار دار كفر ، والاستعراض فيها جائز ، وإن أصيب من الأطفال فلا حرج » . فهو اصطلاح خاص بالخوارج في هذا المعنى . ٢٠

(٤) ترجم في (١ : ٦١) .

(٥) خدرة بالخاء ، كما سبق في ترجمته (١ : ٣٤٦) . ل ، هـ : « جدرة » تحريف .

(٦) ما عدل ل : « الهلال بن عامر » .

(٧) ترجم الضحَّاك بن قيس بن خالد في (١ : ٣٨٠) . ٢٥

ويكنى أبا سعيد . مَلَكُ الْعِرَاقَ ، وَصَلَّى خَلْفَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ،
وعبد الواحد بن سليمان ^(١) . وقال شاعرهم ^(٢) :

ألم تر أنَّ اللهَ أظهرَ دينَه وصلَّتْ قريشٌ خلفَ بكرِ بنِ وائلٍ ^(٣)

ومن علمائهم : وخطبائهم : نصر بن ملحان ، وكان الضَّحَّاكُ وَلَاةَ الصَّلَاةِ .
بالناس ، والقضاء بينهم .

ومن علمائهم : مُلَيْلٌ ، وَأَصْغَرُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ^(٤) ، وَأَبُو عبيدة كورين ،
واسمه مُسْلِمٌ ، وهو مولى لعروة بن أذينة ^(٥) .

ومن علمائهم وخطبائهم وشعرائهم وَقَعْدِهِمْ وَأَهْلُ الْفَقْهِ : عِمْرَانُ بْنُ
حِطَّانٍ ^(٦) ويكنى أبا شهاب ، أحد بني عمرو بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة . ٢٣٦

ومن الخوارج من بنى ضَبَّةً ثم أحد بنى صَبَّاحٍ ^(٧) : القاسم بن عبد الرحمن بن
صُدَيْقَةٍ ^(٨) . وكان ناسباً عالماً داهياً ، وكان يشوب ذلك ببعض الظُّرْفِ .

ومن علمائهم ونُسَّابِهِمْ وَأَهْلُ اللَّسَنِ مِنْهُمْ : الْحَجَّونُ بْنُ كِلَابٍ ، وهو من
أصحاب الضَّحَّاكِ .

ومن رجالهم وأهل التَّجْدَةِ والبيان منهم : خُرَّاشَةُ ^(٩) ، وكان رَكَّاضاً ، ولم
يكن اعتقده . ١٥

أخبرني أبو عبيدة قال : كان مِسْمَارٌ مُسْتَخْفِياً بِالْبَصْرَةِ ، فَتَخَلَّصَتْ إِلَيْهِ

(١) في (١ : ٣٤٣) أنه « سليمان بن هشام » . وهو المطابق لما ورد في الطبرى (٩ : ٦٤) .

(٢) هو شبيل بن عَزْزَةَ الضبعى . الطبرى (٩ : ٦٤) .

(٣) سبق البيت في (١ : ٣٤٣) . وفي الطبرى : « فصلت » . ٢٠

(٤) انظر ما سبق في (١ : ٣٤٧) .

(٥) كان إبانياً من الصفرية . انظر مامضى في (١ : ٣٤٧) . هـ : « أرية » .

(٦) ترجم في (١ : ٤١) .

(٧) ما عدل : « صبيح » .

(٨) ترجم في (١ : ٣٤٣) . ما عدل : « صديق » ، تحريف . ٢٥

(٩) ل : « جراشة » بالجيم .

فأخبرني أنه الذي طعن مالك بن علي في فيه ، وذلك أنه فتح فاه يقول : أنا أبو علي ! ففتحها بها فاه^(١) ، فطعنته في جوف فمه^(٢) .

ومن شعرائهم عتيان بن وصيلة الشيباني^(٣) ، وهو الذي يقول :
ولا صلح مادامت منابر أرضنا يقوم عليها من ثقيف خطيب

* * *

٥

وعن عيسى بن طلحة قال :

قلت لابن عباس : أخبرني عن أبي بكر . قال : كان خيراً كله ، على الجدة وشدة الغضب .

قال : قلت : أخبرني عن عمر . قال : كان كالطائر الحذر قد علم أنه قد نُسب له في كل وجه جباله ، وكان يعمل لكل يوم بما فيه ، على غنief السباق . ١٠
قال : قلت : أخبرني عن عثمان . قال : كان والله صَوَاماً قَوَاماً ، لم يخدعه نومه عن يقظته .

قال : قلت : فصاحبكم ؟ قال : كان والله مملوءاً حِلماً وعِلماً ، غرته سابقته وقرابته^(٤) ، وكان يرى أنه لا يطلب شيئاً إلا قَدَرَ عليه . قلت : أكنتم تُروونه محدوداً^(٥) . قال : أنتم تقولون ذاك . ١٥

(١) شحا فاه : فتحه . في جمهور النسخ : « فأنحا فاه » . وأثبت ما في هـ وهامش التيمورية .

(٢) ما عدل : « جوب فمه » .

(٣) وصيلة ، بفتح الواو ، واشتقاقه من وصيلة الغنم كما نص ابن دريد . وعتيان ذكره ابن دريد في الاشتقاق ٢١٦ في رجال شيبان . وأنشد له يقول لعبد الملك :

فإنك إلا ترض بكر بن وائل يكن لك يوم بالعراق عصب

٢٠

(٤) سابقته ، أى سبقه إلى الإسلام . وكان على رضى الله عنه أول من آمن من الصبيان .

(٥) المحدود : المحروم من الخير ، والذي لا يوفق إلى صواب . وانظر مثل هذا الكلام لابن عباس

في مروج الذهب (٣ : ٦٠) حين سأله معاوية .

كلام في الأدب

قال معاوية : ما رأيت سرفاً قط إلا وإلى جنبه حق مضيع .

وقال عثمان بن أبي العاص : الناكح مغترس ، فليُنظر امرؤ أين يضع
عُرْسَه (١) .

وقالت هند بنت عتبة : المرأة غُلٌّ ، ولابد للعنق منه ، فانظر من تضعه في
عنقك (٢) .

وقال ابن المقفع : الدُّينُ رِقٌّ فانظر عند من تضع نفسك .

وقال عمرو بن مسعدة (٣) ، أو ثابت أبو عباد : لا تستصحب من يكون
استمتاعه بمالك وجاهك أكثر من إمتاعه لك بشكر لسانه ، وفوائد علمه . ٢٣٧
ومن كانت غايته الاحتيال على مالك ، وإطراءك في وجهك فإن هذا لا يكون
إلا ردئ الغيب ، سريعاً إلى الذم . ١٠

(١) سبقت وصية عثمان بن أبي العاص في (٢ : ٦٧) .

(٢) الغل ، بالضم : جامعة توضع في العنق أو اليد . وفي الحديث : « وإن من النساء غلا قميلاً
يقذفه الله في عنق من يشاء ثم لا يخرج به إلا هو » .

(٣) سبقت ترجمته في (١ : ١٠٦) .

بسم الله الرحمن الرحيم

قد قلنا في صدر هذا الجزء الثالث في ذكر العصا ووجوه تصرفها .
وذكرنا من مقطعات كلام التَّسَاك ، ومن قصار مواظ الرُّهَاد ، وغير ذلك مما يجوز في نواذر المعاني وقصار الخطب .

٥ ونحن ذاكرون ، على اسم الله وعونه ، صدرًا من دُعاء الصَّالحين والسَّلف المتقدِّمين ، ومن دُعاء الأعراب ؛ فقد أجمعوا على استحسان ذلك واستجادته ؛ وبعض دُعاء الملهوفين ، والتَّسَاك المتبتلين .

وقال الله لنبيه ﷺ : ﴿ قُلْ مَا يَغْبِئُكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ﴾ . وقال :
﴿ اذْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ ، وقال : ﴿ يَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ ، وقال :
﴿ والمستغفرين بالأسحار ﴾ . ١٠

قالوا : كان عمرو بن معاوية العُقيلي^(١) يقول : اللهم قِنِي عَثَرَاتِ الْكِرَام والكلام^(٢) .

وقال أعرابيُّ لرجل سألَه : جَعَلَ اللهُ الْخَيْرَ عَلَيْكَ دَلِيلًا ، وَلَا جَعَلَ حَظَّ السَّائِلِ مِنْكَ عِذْرَةً صَادِقَةً^(٣) .

١٥ وقال بعضُ كِرَام الأعراب مَمَّنْ يَقْرِضُ الشَّعْرَ وَيُوَثِّرُ الشُّكْرَ :

(١) كان عمرو بن معاوية العقيلي من أصحاب الولايات . وفي عيون الأخبار (١ : ١١٦) : « قيل لعمرو بن معاوية العقيلي - وكان صاحب صوائف - : بم ضبطت الصوائف ؟ أى الثغور . قال : بسمانة الظهر وكثرة الكعك والقديد » .

(٢) في عيون الأخبار (٣ : ١٧٥) : « اللهم بلغني عثرات الكرام » . على أن القول نسب إلى أعرابي في (١ : ٤٠٥) هـ : « عثرات الكلام » وأشير إلى أنها في نسخة « الكرام » . ٢٠

(٣) مضى الخبر في (١ : ٤٠٤) . والعذرة ، بكسر العين : العذر ، قال النابغة :

ها إن تاعذرة إن لم تكن نفعت فإن صاحبها قد تاة في البلد

لَعْلَ مُقْعِدَاتِ الزَّمَانِ يُفِدَنَنِي بَنِي صَامِتٍ فِي غَيْرِ شَيْءٍ يَضِيرُهَا^(١)
 قال شيخُ أعرابيٍّ : اللَّهُمَّ لَا تُزِلْنِي مَاءَ سَوَاءٍ ، فَأَكُونَ أَمْرًا سَوِيًّا^(٢) .
 قال : وسمعتُ عُمرَ بنَ هُبَيْرَةَ يَقُولُ فِي دَعَائِهِ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ
 صَدِيقٍ يُطْرِي ، وَجَلِيسٍ يُغْرِي ، وَعَدُوٍّ يَسْرِي^(٣) .

قال : وكتب ابنُ سِيَابَةَ^(٤) إِلَى صَدِيقٍ لَهُ ، إِمَّا مُسْتَقْرِضًا وَإِمَّا
 مُسْتَفْرِضًا^(٥) ، فَذَكَرَ صَدِيقُهُ خَلَّةً شَدِيدَةً ، وَكَثْرَةَ عِيَالٍ ، وَتَعَدُّرَ الْأُمُورِ عَلَيْهِ ،
 فَكَتَبَ إِلَيْهِ ابْنُ سِيَابَةَ : « إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَجْعَلَكُ اللَّهُ صَادِقًا ، وَإِنْ كُنْتَ
 مَلِيمًا^(٦) فَجْعَلَكُ اللَّهُ مَعْدُورًا » .

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا يَقُولُ : أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَوَاقِرِ وَالْبَوَاقِرِ^(٧) ، وَمِنْ
 ٢٣٨ جَارِ السَّوَاءِ فِي دَارِ الْمُقَامَةِ وَالظُّعْنِ^(٨) ، وَمَا يَنْكُسُ بِرَأْسِ الْمَرْءِ وَيُغْرِي بِهِ لِغَامِ النَّاسِ .
 قال الْأَصْمَعِيُّ : قِيلَ لَخَالِدِ بْنِ نَضْلَةَ^(٩) : قَالَ عَبْدُ يَغُوثَ بْنِ وَقَّاصٍ^(١٠)
 مَا أَدُمُّ ، مَا فِيهَا إِلَّا عَطْنِي^(١١) ، لَيْسَ خَالِدُ بْنُ نَضْلَةَ^(١٢) ، يَعْنِي مُضَرَ . قَالَ خَالِدُ :

-
- (١) سبق البيت في (١ : ٤٠٥) . وبنو صامت : الدراهم والدنانير .
 (٢) مضى الخبر في (١ : ٤٠٥ / ٢ : ٢٨٣) والحيوان (٣ : ٤٧٢) .
 (٣) ما عدل : « مطر » و « مغر » و « مسر » . والروايتان في هـ .
 (٤) هو إبراهيم بن سيابة ، كما في (١ : ٤٠٥) . والأغاني (١١ : ٦) .
 (٥) الاستقراض : طلب القرض . وبالفاء طلب القرض ، وهو أن يفرض له عطاء .
 (٦) المليم ، يفتح الميم : الملولم . ل ، هـ والأغاني : « ملوما » . على أن الخبر قد نسب في تاريخ
 بغداد (٧ : ٥٧) إلى بشر بن غياث المريسي . ولفظه : « إن كنت معتنرا بباطل فجعلك الله معتنرا بحق » .
 (٧) الفواقير : جمع فاقرة ، وهي الداهية تكسر فقار الدهر . والبواقير : جمع باقرة ، عنى بها الداهية
 أيضا . وفي مجالس ثعلب ٥٤٠ : « اللهم إني أعوذ بك من العواقير والنواقير » .
 (٨) الظعن ، بسكون العين وفتحها : الارتحال .
 (٩) خالد بن نضلة الأسدي : فارس مشهور من فرسانهم . وله ذكر في يوم النُّسار ، إذ كان
 رئيس أسد يومئذ . انظر كامل ابن الأثير .
 (١٠) ترجم في (٢ : ٢٦٧) .
 (١١) ما أدم ، أي ما أقول إلا حقا . عَطْنِي : جمع عطين ، كجريح وجرحى . وفي اللسان :
 ورجل عطين : متين الإهاب . ويقال : إنما هو عطينة ، إذا ذم في أمر » .
 (١٢) ليس ، هنا ، من أدوات الاستثناء ، مثلها في قوله :

اللهم إن كان كاذباً فاقتله على يد الأم حى في مُضَر ! فقتلته نيم الرباب .
 قالوا : وقف سائل من الأعراب على الحسن فقال : رحم الله عبداً أعطى
 من سعة ، وآسى من كفاف ، وآثر من قلة .
 وقال : فى الأثر المعروف : « حصنوا أموالكم بالزكاة ، وادفعوا أمواج البلاء
 بالدعاء » .

ومن دعائهم : أعوذ بك من بَطَرِ الغنى ، وذلة الفقر .
 قال : ومن دعاء السلف : اللهم احمِلنا من الرُّجْلة ^(١) ، وأغْنِنَا من العيلة .
 وسأل أعرابى فقيل له : بُورِكَ فيك ! فتوالى ذلك عليه من غير مكان ،
 فقال : وَكَلِّكُمْ الله إلى دعوةٍ لا تحضرها نيّة .
 وقال أعرابى : أعوذ بك من سُقَمٍ وَعَدَوَاه ، وذى رَجِمٍ ودَعَوَاه ، ومن
 فاجرٍ وجَدَوَاه ، ومن عميلٍ لا ترضاه .
 وسأل أعرابى فقال له صبى من جوف الدار : بُورِكَ فيك ! فقال : قَبِحَ
 الله هذا الفم ، لقد تعود الشر صغيراً ^(٢) !

وهذا السائل هو الذى يقول :
 رَبِّ عَجُوزٍ عَرِمَسٍ زُبُونٍ ^(٣) سريعة الردّ على المسكين
 تحسب أن « بُورِكَا » يكفينى إذا غدوتُ باسطاً يمينى
 وقال آخر : اللهم أعننى على الموت وكُربتَه ، وعلى القبر وعُمتَه ، وعلى الميزان

ليت هذا الشهر شهر لا نرى فيه عرياً
 ليس إياى وإياك ولا نخشى رقبيا

(١) أى يدل الرجل ، والرجلة ، بالضم : السفر على الرجلين .

(٢) ما عدل : « لقد تعلم » .

(٣) أنشده ثعلب فى المجالس ٥٤٠ . وقال : « العرمس : الشديدة . وزبون : تدفع . وأنشده فى
 اللسان (عرمس) وقال رواية عن ابن سيدة : « لا أدرى ، أهو من صفات الشديدة أم هو مستعار فيها » .

وَحِفَّتْهُ ، وَعَلَى الصُّرَاطِ وَرَزَلَتْهُ ، وَعَلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَرَوَّعَتْهُ .

وَقَالَتْ عَجُوزٌ وَبَلَغَهَا مَوْتُ الْحَجَّاجِ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَمَتُّهُ فَأَمِتْ سُنَّتَهُ .

قال : وكان محمد بن علي بن الحسين بن علي يقول : اللَّهُمَّ أَعْنِي عَلَى الدُّنْيَا بِالْغِنَى ، وَعَلَى الْآخِرَةِ بِالتَّقْوَى .

وقال عمرو بن عُبيد ^(١) : اللَّهُمَّ أَغْنِنِي بِالْاِفْتِقَارِ إِلَيْكَ ، وَلَا تُفْقِرْنِي . ٢٣٩ بالاستغناء عنك .

وقال عمرو : اللَّهُمَّ أَعْنِي عَلَى الدُّنْيَا بِالْقَنَاعَةِ ، وَعَلَى الدِّينِ بِالْعِصْمَةِ .

قال : ومرض عوف بن أبي جميلة ^(٢) ، فعاده قومٌ فجعلوا يُثْنُونَ عليه ، فقال : دَعُونَا مِنَ الثَّنَاءِ ، وَأَمِدُّونَا بِالْدُّعَاءِ .

١٠ قال : وسمعتُ عمرَ بنَ هبيرة يقول : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ طُولِ الْغَفْلَةِ وَإِفْرَاطِ الْفِطْنَةِ . اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَوْلِي فَوْقَ عَمَلِي ، وَلَا تَجْعَلْ أَسْوَأَ عَمَلِي مَا قَارَبَ أَجَلِي . وقال أبو مَرْجَحٍ ^(٣) : اللَّهُمَّ اجْعَلْ خَيْرَ عَمَلِي مَا وَلِيَ أَجَلِي .

قال : ودعتُ أعرابيةً لرجل فقالت : كَبَّتْ ^(٤) اللَّهُ كُلَّ عَدُوٍّ لَكَ ، إِلَّا نَفْسَكَ .

١٥ وقال يزيد بن جبَل : احْرُسْ أَخَاكَ إِلَّا مِنْ نَفْسِهِ .

قال : ودعا أعرابيٌّ فقال : اللَّهُمَّ هَبْ لِي حَقُّكَ ، وَأَرْضِي عَنِّي خَلْقَكَ .

قال : وكان قومٌ تُسَاكُ في سفينةٍ في البحر ، فهاجت الرِّيحُ بأمرٍ هائلٍ ، فقال رجلٌ منهم : اللَّهُمَّ قَدْ أَرَيْتُنَا قَدْرَتَكَ فَأَرِنَا عَفْوَكَ وَرَحْمَتَكَ .

(١) ترجم في (١ : ٢٣) .

(٢) ترجم في (٢ : ٣٧) .

(٣) هـ : « أبو مزحج » .

(٤) كبته : صرعه ، وأخزاه ، وكسره ، وردّه بغضه ، وأذله . ما عدل ، هـ : « كب » . كبه :

قلبه وصرعه .

قال : وسمع مُطَرِّف بن عبد الله ^(١) رجلاً يقول : أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ ! فَأَخَذَ بِذِرَاعِهِ وَقَالَ : لَعَلَّكَ لَا تَفْعَلُ ! مَنْ وَعَدَ فَقَدْ أَوْجِبَ .

وقال رجل لابن قُثَمٍ : كيف أصبحت ؟ قال : إن كان من رأيك أن تُسَدَّ خَلَّتِي ، وتقضي ديني ، وتكسُو عُرْيِي ^(٢) خَبَرْتُكَ ، وإلا فليس المحيب بأعجب من السائل ^(٣) .

وقال آخر : اللهم أَمِتْعْنَا بِخِيَارِنَا ، وَأَعِنَّا عَلَى شِرَارِنَا ، واجعل الأموال في سُمَحَاتِنَا .

وقال أعرابي : اللهم إِنَّكَ قَدْ أَمَرْتَنَا أَنْ نَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمْنَا ، وَقَدْ ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا فَاعْفُ عَنَّا .

وقال أعرابي ورأى إبل رجل قد كَثُرَتْ بَعْدَ قِلَّةٍ ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّهُ قَدْ زَوَّجَ أُمَّهُ فَجَاءَتْهُ بِنَافِجَةٍ ^(٤) ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ بَعْضِ الرِّزْقِ .

أبو محيب الرِّيعِي ^(٥) قال : قال أعرابي : جَنَّبَكَ اللَّهُ الْأُمْرَيْنِ ، وَكَفَاكَ شَرَّ الْأَجُوفَيْنِ .

الأجوفان : البَطْنُ وَالْفَرْجُ . وَالْأُمْرَانِ : الْجُوعُ وَالْعُرْيُ .

وجاء في الحديث : « مَنْ وَفَّى شَرَّ قَبْقَبِهِ وَذَبَذَبَهُ وَلَقَلَقَهُ فَقَدْ وَفَّى الشَّرَّ كُلَّهُ ^(٦) » .

(١) ترجم في (١ : ١٠٣ ، ٣٥٣) . وكلمة « بن عبد الله » من ل فقط .

(٢) ما عدا هـ : « عورتي » .

(٣) ل : « فليس السائل بأعجب من المحيب » .

(٤) ما عدا ل : « بنافجة مال » أي إبل . والنافجة : الإبل يحصل عليها الرجل فتكثر بها إبله . وكانت العرب تقول في الجاهلية للرجل إذا ولدت له بنت : هنيئاً لك النافجة . أي المعظمة لمالك . وذلك أنه يزوجه فيأخذ مهرها من الإبل فيضمرها إلى إبله فينفجها ، أي يرفعها ويكثرها .

(٥) ترجم في (١ : ٣٧٣) .

(٦) ل : « فقد وقى الشر » فقط . والحديث رواه البيهقي عن أنس . وذكر السيوطي في الجامع

الصفير ٩٠٧٣ . أنه حديث ضعيف . وقد ورد تفسير الحديث فقط ، في مجالس ثعلب ٥٤٠ بقوله :

« القبقب : البطن . والذبذب : الذكر . واللقلق : اللسان » .

وقال الأعرابي : مَنَحَكُمُ اللَّهُ مِئْنةً لَيْسَتْ بِجَدَاءٍ وَلَا نُكْدَاءٍ ^(١) ، وَلَا ذَاتِ

دَاءٍ .

٢٤٠ قال : قيل لإبراهيم المحلّمى ^(٢) : أى رجل أنت لولا حِدَّةُ فيك ! قال :
أستغفر الله ممّا أملك ، وأستصليحهُ مالا أملك .

وقال أعرابيٌّ ومات ابنٌ له : اللهم إني قد وهبتُ له ما قصّر فيه من برى ،
فهبْ له ما قصّر فيه من طاعتك .

الفضل بن تميم ^(٣) قال : قال أبو حازم ^(٤) : لأنّا من أن أُمْنَعَ الدَّعاء
أُخَوِّفُ من أن أُمْنَعَ الإجابة .

قال : ولما صافَّ قتيبةُ بن مسلمٍ التُّركَ وهاله أمرُهُم سأل عن محمد بن
واسع ^(٥) ، وقال : انظروا ما يصنع ؟ فقالوا : ها هو ذاك في أقصى الميمنة جانحاً
١٠ على سبيّة قوسه ^(٦) ، يُتَضَنّضُ بإصبعه نحو السّماء ^(٧) . قال قتيبة : تلك الإصبعُ
الفاردة أحبُّ إلَيَّ من مائة ألف سيفٍ شهير ، وسنانٍ طَيرٍ ^(٨) .

(١) المئنة ، بالكسر : أن يمنح الرجل أخاه ناقة أو شاة ليحلبها زماناً أو أباماً ثم يردّها . والجداء :
القليلة اللبن . والنكداء : القليلة اللبن أيضاً .

١٥ (٢) المحلّمى : نسبة إلى بنى محلم بن ذهل بن شيان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب . وعلم ، بكسر
اللام المشددة . ما عدل : « البجلي » نسبة إلى بجيلة .

(٣) سبقت رواية له في ص ٢١٩ . ولم أعر له على ترجمة .

(٤) أبو حازم الأعرج ، مضت ترجمته في (١ : ٣٦٤) . وهذا السند وخبره من ل فقط . على
أن هذا القول يروى لزياد بن أوى زياد الخزومي . كما سبق في ص ١٢٦ من هذا الجزء . ولكن نسبته إلى
أنى حازم مثبتة في عيون الأخبار (٢ : ٢٨٦) كما سبقت الإشارة ..

٢٠ (٥) محمد بن واسع الأزدي ، ترجم في (١ : ٣٥٣) .

(٦) جانحاً : مائلاً . وسية القوس : رأسها .

(٧) النضنضة : التحريك . ما عدل : « يضبض » ، تحريف .

(٨) الفاردة : المنفردة ، والنتحية . والشهير : الذى شهره صاحبه ، أى سله وأبرزه ، ولم ينص

٢٥ على هذه الصيغة في المعاجم . والطير : المحدد . وانظر رسائل الجاحظ (١ : ٧٧) بتحقيقنا .

وقال سعيد بن المسيَّب (١) ، ومَرَّ به صِلَّةُ بن أَشِيَمَ (٢) : يا أبا الصُّهْبَاء ، ادْعُ اللهَ لى بَدْعَوَات . قال : زَهْدَكَ اللهُ فى الفانى ، ورَغْبَكَ فى الباقى ، وَوَهَبْ لَكَ يَقِيناً تَسْكُنُ إِلَيْهِ (٣) .

أبو الدَّرْدَاء قال : إِنْ أَبْغَضَ النَّاسُ إِلَيَّ أَنْ أَظْلِمَهُ مَنْ لَمْ يَسْتَعِنْ عَلَيَّ إِلَّا بِاللَّهِ .

وقال خالد بن صفوان : احذروا مَجَانِيْقَ الضَّعْفَاء (٤) ! يعنى الدُّعَاء .

وقال : لا يُسْتَجَاب إِلَّا لِمُخْلِصٍ أَوْ مَظْلُومٍ .

قال : وكان على بن أبى طالب رضى الله عنه يقول : اللهمَّ إِنْ دُنُوْنِى لَا تَضُرُّكَ ، وَإِنْ رَحِمْتَكَ إِيَّائِى لَا تَنْقُصُكَ ، فَاغْفِرْ لى مَا لَا يَضُرُّكَ ، وَأَعْطِنِى مَا لَا يَنْقُصُكَ . ١٠

وقال أعرابى : اللهمَّ إِنَّكَ حَبِسْتَ عَنَّا قَطَرَ السَّمَاء ، فَذَابَ الشَّحْم ، وَذَهَبَ اللَّحْم ، وَرَقَّ الْعَظْم ، فَارْحَمْ أَنْيْنَ الْآكَةِ ، وَحَنِينَ الْحَائَةِ . اللهمَّ ارْحَمْ تَحْيِيرَهَا فى مَرَاتِعِهَا ، وَأَنْيَنَهَا فى مَرَابِضِهَا .

قال : وَحَبَّتْ أَعْرَابِيَّةٌ فَلَمَّا صَارَتْ بِالْمَوْقِفِ قَالَتْ : أَسْأَلُكَ الصُّحْبَةَ ، يَا كَرِيمَ الصُّحْبَةِ ، وَأَسْأَلُكَ سِتْرَكَ الَّذِى لَا تُزِيلُهُ الرِّيحُ ، وَلَا تُحَرِّقُهُ الرَّمَا ح . ١٥

وقيل لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه : كَمْ بَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ (٥) ؟ قال :

(١) المسيَّب ، هذا بكسر الياء ، وتفتح أيضاً ، كما فى القاموس . وترجمة سعيد فى (١ : ٢٠٢) .

(٢) ترجم فى (١ : ٣٦٣) .

(٣) هذا الخبر جميعه من ل فقط .

(٤) مجانىق : جمع منجنيق ، وهى آلة كانت تستعمل للرمى بالحجارة ونحوها فى القتال وهو من ٢٠

الألفاظ اليونانية المعربة ، ولفظه فى اليونانية : **Magganon** . انظر تحقيق الأب أنستاس فى مجلة الثقافة

العدد ١٠٠ . وقد مضى هذا النص فى (١ : ٣٥٢) .

(٥) ما عدل : « بين السماء إلى الأرض » . والخبر فى عيون الأخبار (٢ : ٢٠٨) .

دعوة مُستجابة . قالوا : كم بين المشرق إلى المغرب ؟ قال : مسيرة يوم للشمس ، ومن قال غير هذا فقد كذب .

٢٤١ قال : وحجّ أعرابى فقال : اللهم إن كان رزق في السماء فَأَنْزِلْهُ ، وإن كان في الأرض فَأَخْرِجْهُ ، وإن كان نائياً فَقَرِّبْهُ ، وإن كان قريباً فَيَسِّرْهُ .

٥ أبو عثمان البَقَطَرِيُّ ^(١) عن عبد الله بن مسلم الفهري ^(٢) قال : لَمَّا وَلِيَ مسروق ^(٣) السُّلْسِلَةَ ^(٤) انبرى له شابٌ فقال له : وَقَاكَ اللهُ خَشْيَةَ الْفَقْرِ وَطَوَّلَ الْأَمْلَ ، حتى لا تكونَ دَرِيَّةً لِلسُّفَهَاءِ ^(٥) ، ولا شَيْنًا عَلَى الْفُقَهَاءِ ^(٦) .

وقال أعرابى في دعائه : اللهم لا تُخَيِّبْنِي وأنا أَرْجوك ، ولا تَعَذِّبْنِي وأنا أدعوك . اللهم فقد دعوتك كما أمرتني ، فأجبتني كما وعدتني .

١٠ وقال عبدُ اللهِ بنُ المبارك : قالت عائشة : يا بَنِيَّ لا تَطْلُبُوا ما عند الله مِنْ عندٍ غير الله بما يَسْخِطُ الله .

قال : وقال رجلٌ من التُّسَاك : إن ابْتُلِيتَ أن تدخل مع ناسٍ على السُّلْطَانِ فإذا أَخَذُوا في الشَّاءِ فعليك بالدُّعاء .

وكان الفضل بن الربيع يقول : مسألة الملوك عن حالهم من تحية النُّوَكِي وتَقَرُّبِ الْحَمَقِي ، عليكم بأَوْجَزِ الدُّعَاءِ ^(٧) .

(١) ما عدل : « البقَطَرِيُّ » . وبقطر ، بفتح الباء وضَمِّها ، من قرى صعيد مصر . وقال الجاحظ في كتاب البغال : ويكنى أبا عثمان ، واسمه فهدان . رسائل الجاحظ (٢ : ٢٢١) .

(٢) ب ، ج : « سلم » بدل « مسلم » .

(٣) مسروق ، هذا ، هو مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني ، كان من عباد أهل الكوفة وكبار محدثهم ، وولاه زياد على السلسلة ، ومات بها سنة ٦٣ وله ثلاث وستون سنة . تهذيب التهذيب ٢٠ وصفة الصفوة (٣ : ١١) .

(٤) السلسلة : موضع ، لم يذكره ياقوت ولا البكري .

(٥) الدرية : مسهل الدريقة ، وهى الحلقة التى يتعلم الرامى الطعن والرمى عليها .

(٦) الشين : العيب . ما عدل : « شينا للفقهاء » .

(٧) هذا الخبر فى ل فقط . وقد سبق برواية أخرى فى (٢ : ٢٥٦) . وانظر ما سأتى فى

وقال الكذاب الجرمازي (١) :

لا هُمَّ إن كانت بنو عَمِيرِهِ رهط التَّلِبِ دعوةٌ مستوره (٢)
قد أجمعوا الحِلْفَةَ مَصْبُورِهِ (٣) واجتمعوا كأنَّهم قارُورُهُ (٤)
في غَنَمٍ ولأبِلٍ كَثِيرَةٍ فابعث عليهم سَنَةً قاشُورُهُ (٥)
تحتلق المال احتلاقَ النُّورِ (٦)

وقال أعرابي :

لا هُمَّ أَنْتَ الرَّبُّ تُسْتَفَاتُ لَكَ الْحَيَاةُ وَلَكَ الْمِيرَاثُ
وقد دَعَاكَ النَّاسُ فَاسْتَغَاثُوا غِيَاثَهُمْ وَعِنْدَكَ الْغِيَاثُ

(١) الكذاب ، لقب له ، وهو عبد الله بن الأعور ، أحد بني الحرماز بن مالك بن عمرو بن نعيم .
ولقب لكذبه . وهو القائل :

لست بكذاب ولا أئام ولا بمجنَّم ولا مصرام
ولا أحب خلة اللئام

وقال يهجو قومه :

إن بني الحرماز قوم فِهم عجز وإيكال على أنحيم
فابعث عليهم شاعراً يخزيهم يعلم منهم مثل علمي فِهم
الشعر والشعراء ٦٦٥ والمؤتلف ١٧٠ .

(٢) الرجز روى في اللسان (تلب) بدون نسبة ، وكذلك البيتان السادس والسابع منه في
(قشر) ، والأول والثاني والسادس والسابع في (حلق) . قال : « والتلب رجل من بني العنبر » .
الدعوة ، بالكسر : النسب المدعى ، وبالفتح : المخالفة . وفي اللسان (تلب ، قصر ٤١٥) : « هؤلاء
مقصورة » . قال في (قصر) : « مقصورة : أي خلصوا فلم يخالطهم غيرهم من قومهم » . هـ : « حلقة
مقصورة » .

(٣) يمين الصبر ، هي التي تؤخذ من صاحبها بإكراه . وفي الحديث : « من حلف على يمين
مصبورة » ، أي صبر عليها وحبس حتى حلف بها ، فأُسند الصبر إلى اليمين مجازاً . اللسان (صبر) .
ما عدل : « حلقة مقصورة » ، تحريف . وفي اللسان : « لغدرة مشهورة » .

(٤) القارورة : وعاء من الزجاج يوضع فيه الشراب . أراد كما يجتمع الشراب في القارورة .
(٥) قاشورة : مجدة تقشر كل شيء ، كما في اللسان (قشر) عند إنشاد هذا البيت وتاليه .
والبيت وتاليه في المخصص (١٠ : ١٧٠) أيضاً . وفي المخصص : « ثم أتت سنة » وصواب الرواية ما هنا .
(٦) تحتلق المال : تحلقه ، أي تذهب به . والمال : الإبل . والنورة بالضم : حجر يحرق ويسوى
منه الكلس ، ويحلق به .

ولم يكن سَبِيكَ يُسْتَرَاثُ ^(١) لم يبقَ إلَّا عِكْرِشٌ أَنْكَاثُ ^(٢)
وشيجةٌ أُولُوهَا مُثَاثُ ^(٣) وطاحت الألبان والأرْمَاثُ ^(٤)

* * *

وكان سعد بن أبي وقاص يسمي : « المستجاب الدعوة » .

وقال لعمر جين شاطره ماله : لقد هممت . فقال له عمر : لتدعو الله عليّ ؟ قال : نعم . قال : إذن لا تجدني بدعاء ربي شقياً .

وقال رسول الله ﷺ : « كم من ذى طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره ^(٥) » . منهم البراء بن مالك ^(٦) . واجتمع الناس إليه وقد ذههم العدو ، فأقسم على الله ، فمنحهم الله أكتافهم ^(٧) .

الأصمعي وأبو الحسن قالا : أخبرنا إبراهيم بن حبيب بن الشهيد ^(٨) ،
عن أبيه ، أو عن غيره ، قال :

(١) هذا البيت في ل فقط . السيب : العطاء . يستراث : يستبطأ . والريث : البطء .

(٢) العكرش : نبات خشن ، وفي أطراف ورقة شوك . أنكاث : متفرقة ، كما ينكث الحبل ، وهو أن ينقض وينكث خيوطه بعد إبرامها .

(٣) في الأصول : « وشيح أصوله » ولا يستقيم بها الوزن . والشيجة : المشتبكة . ب ، ج :
« مثاث » . التيمورية : « مثاث » وأثبت ما في ل ، هـ . والمثاث : الندبة .

(٤) الأرماث : جمع رمث ، وهو مرعى من مراعى الإبل ، من الحمض .

(٥) الطمر ، بالكسر : الثوب الخلق . أبره : أجاب دعوته .

(٦) هو الصحابي الجليل البراء بن مالك بن النضر ، أخو أنس بن مالك . شهد المشاهد كلها مع

رسول الله ﷺ ، ما عدا بدر . وكان له القدح المعلى في النصر على مسيلمة يوم البجامة ، إذ اقتحم الحديقة على المشركين وفتح بابها ، بعد أن لقي ما لقي من الطعن والضرب . الإصابة ٦١٧ .

(٧) كان ذلك يوم تستر في حرب المسلمين الفرس أيام عمر سنة ٢٠ ، إذ انكشف المسلمون

فقالوا : يا براء ، أقسم على ربك . فقال : أقسم عليك يارب لنا منحتنا أكتافهم ، وألحقنتي بنبيك !

فحمل وحمل الناس معه ، فقتل مرزبان الزارة ، من عظماء الفرس ، وأخذ سلبه فانهزم الفرس ، وقتل

البراء ، ودفن بتستر . الإصابة ومعجم البلدان .

(٨) هو أبو إسحاق إبراهيم بن حبيب بن الشهيد الأزدى البصري ، من ثقات المحدثين . توفي سنة

٢٠٣ . تهذيب التهذيب . وفي الخلاصة أنه توفى سنة ٢٣٠ .

بلغ سعداً شئاً فعَلَهُ المهْلَبُ في العدوِّ ، والمهْلَبُ يومئِذٍ قَتَّى ، فقال سعد :
« اللهم لا تُرهْ ذُلًّا ! » . فَيَرَوْنَ أَنَّ الذي ناله المهْلَبُ بتلك الدَّعوة .

* * *

وقال الآخر :

الموتُ خَيْرٌ من ركوبِ العارِ والعارُ خَيْرٌ من دخولِ النَّارِ
* والله من هذا وهذا جارِ *

قالها الحسن بن علي رضي الله عنهما (١) .

وقال الآخر (٢) ، وكان قد وَقَعَ في الناس وباءٌ جارفٌ ، وموتٌ ذريعٌ ، فهَرَبَ
على حِمَارِهِ ، فلَمَّا كان في بعضِ الطَّرِيقِ ضَرَبَ وجهَ حمارِهِ إلى حَيِّهِ وقال :
لن يُسَبِّقَ اللهَ على حِمَارٍ ولا على ذِي مَيْعَةٍ مُطَّارٍ (٣)
أو يَأْتِيَ الحَتَفُ على مقدارٍ (٤) قد يصْبِحُ اللهُ أَمَامَ السَّارِي (٥)

* * *

قال : سمع مُجاشِعَ الرَّبِيعِي رجلاً يقول : الشَّحِيحُ أعْذَرُ من الظَّالِم ! فقال
إنَّ شَيْعَيْنِ خَيْرُهُمَا الشُّحُّ لَنَاهِيكَ بهما شراً (٦) .

قال المغيرة بن عُيَيْنَةَ (٧) : سمع عمرُ بن الخطاب رحمه الله رجلاً يقول في
دُعائه : اللهم اجعلني من الأَقْلِيْن ! قال له عمر : ما هذا الدُّعاء ؟ قال : سمعت

(١) ما عدا ل : « حسين » بدل : « الحسن » .

(٢) هذه القصة على وجه شتى في الحيوان (٣ : ٤٦١) وتأويل مختلف الحديث ١٢٥ وزهر الآداب (٤ : ١٣١) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٢٥) .

(٣) الميعة : أنشط الجرى . والمطار والطيّار : الحديد الفؤاد الماضي . ويصح أن تقرأ « مطار »
بفتح الميم وشد الطاء ، وهو السريع العدو .

(٤) هذا البيت من ل فقط . وفي الحيوان : « الحين » موضع « الحنف » .

(٥) هذا الشطر في التمثيل والمحاضرة ٩ .

(٦) سبق الخير بلفظ آخر في (١ : ٤٠٥) .

(٧) ما عدا ل : « المغيرة بن عنبسة » .

٢٤٣ الله يقول : ﴿ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾ ، وسمعه يقول : ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورِ ﴾ فقال عمر : عليك من الدعاء بما يُعرف .

وقال ناسٌ من الصحابة لعمر : ما بال الناس كانوا إذا ظلموا في الجاهلية فدعوا استجيب لهم ونحن لا يستجاب لنا وإن كُنَّا مظلومين ؟ قال : كانوا ولا مزاجر لهم إلا ذاك ^(١) ، فلما أنزل الله عز وجل الوعد والوعيد ، والحدود ، والقود والقصاص ، وكلهم إلى ذلك .

وقال عمر بن الخطاب : إنَّ في يوم كذا وكذا من شهر كذا لسنة لا يدعو الله فيها أحدٌ إلا استُجيب له . فقال له قائل : رأيت إن دعا فيها منافق ؟ قال : فإنَّ المنافق لن يُوفَّق لتلك الساعة .

١٠ ولما صعد المنبر قابضاً على يد العباس يوم الاستسقاء ، ولم يزد على الدعاء والاستغفار ^(٢) فقليل له : إنك لم تستسق وإنما كنت تستغفر . قال : « قد استسقيت بمجاديع السماء ^(٣) » . ذهب إلى قوله : ﴿ استغفروا ربكم إنه كان غفّاراً . يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً ﴾ .

وكان عمرُ حمَل الهُرْمُزَانَ مع جماعة في البحر فغرقوا . قال ابن سيرين : لو كان دعا عليهم بالهلاك لَهلكوا .

قال : وقال محمد بن علي ^(٤) لابنه : يا بُنَيَّ إذا أنعم الله عليك نعمة فقل :

(١) مزاجر : جمع مزجر .

(٢) ما عدل : « بالاستغفار » ، محرف .

(٣) مجاديع : جمع مجدح ، بالكسر ، وزاد الياء فيه للإشباع ، وهو جائز مطرد في مثل هذا عند الكوفيين . والمجدح : نجم من النجوم كانت العرب تزعم أنه يمطر ، يجعلونه من الأنواء . فأراد عمر إبطال زعمهم في الأنواء والتكذيب بها . يقول : إن الاستغفار هو ما يستقى به ، فهو النوء الذي يترقب به المطر ، لا تلك النجوم . انظر اللسان (جدح) حيث أورد الخبر وفسره .

(٤) محمد بن علي بن الحسين ، أو جعفر الباقر ، المترجم في (١ : ٢٦٢) . وانظر وصية أخرى له يوصي بها ابنه ، في صفة الصفوة (٢ : ٦١) .

الحمد لله . وإذا حَزَبَكَ ^(١) أمرٌ فقل : لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بالله . وإذا أبطأ عنك رزقٌ ^(٢) فقل : أَسْتَغْفِرُ الله .

قالوا : كان محمد بن علي لا يُسمع المبتلى الاستعاذة من البلاء ^(٣) .
قال : وقال قومٌ ليزيد بن أسد : أطال الله بقاءك ! قال : دَعُونِي أُمْتُ وَفِيَّ بَقِيَّةٌ تَبْكُونُ بِهَا عَلَيَّ .

ورأى سالم بن عبد الله ^(٤) سائلاً يسأل يوم عرفة فقال : يا عاجزُ ، في هذا اليوم تُسأل غيرَ الله ؟!

قال : وكان رجلٌ من الحكماء يقول في دعائه : اللهم احفظني من الصَّدِيقِ .

وكان آخر يقول : اللهم اكفني بوائق الثَّقَاتِ ^(٥) .

وحَدَّثَنِي صديقٌ لي ^(٦) كان قد ولي ضياع الرِّي قال : قرأتُ على باب شيخٍ منهم : « جَزَى اللهُ مَنْ لا نَعْرُفُ ولا يَعْرِفُنَا أَحْسَنَ الجزاء ، ولا جَزَى مَنْ نَعْرِفُ ويعْرِفُنَا إِلَّا ما هو أهْلُهُ ، إِنَّه عَدْلٌ لا يَجُور » .

وكان على رُشومِ عُمَرَ بنِ مِهْرَانَ التي كان يَرشُمُ بها على الطَّعام ^(٧) : ٢٤٤ :
« اللهم احفظه من يحفظه » .

وقال المغيرة بن شعبه ^(٨) في كلامٍ له : أن المعرفة لتتفع عند الكلب العقور ، والجمال الصَّوُول ^(٩) ، فكيف بالرجل الكريم .

(١) حزبه الأمر : نابه واشتد عليه . ما عدال : « حزنك » .

(٢) ما عدال : « الرزق » . (٣) سبق الخبر وتخرجه في ص ١٥٨ من هذا الجزء .

(٤) سالم بن عبد الله بن عمر ، ترجم في (٢ : ٢٩١) .

(٥) البوائق : الغوائل والشُرور والدواهي ؛ جمع بائقة .

(٦) هو إبراهيم بن عبد الوهاب ، كما في الحيوان (٥ : ٥٩٤) عند إيراد هذا الخبر بلفظ فيه بعض

الخلاف .

(٧) الرشوم : جمع رشم ، وهو الخاتم الذي يختم به على البر وغيره من الحبوب . والخبر في

الجهشيارى ٢٢١ مطابق لما هنا . وورد في عيون الأخبار (٢ : ٢٠٨) بلفظ : « ممن يحفظه » .

(٨) سبقت ترجمته في (١ : ٣٢٧) .

(٩) ما بعدها من بقية الخبر في هـ فقط . وفي الحيوان (٢ : ١٧٣) : « وقال المغيرة =

أبو الحسن قال : قالت امرأة من الأعراب : « اللهم إني أعوذُ بك من شرِّ قريش وثقيف ، وما جَمَعَتْ من اللَّفِيف ؛ وأعوذُ بك من عبدٍ مَلَكَ أمره ، ومن عبدٍ مَلَأَ بطنه » .

قال : مرَّ عمرُ بن عبد العزيز برجلٍ يُسَبِّحُ بالحصى فإذا بلغ المائة عَزَلَ حصاةً ، فقال له عمر : أَلَيْ الحصى وأُخْلِصِ الدُّعاء .

وكان عبدُ الملك بن هلال الهُنَائِي ^(١) عنده زَنْبِيلٌ مَلَانٌ حصى ، فكان يُسَبِّحُ بواحدةٍ واحدة ، فإذا مَلَّ شيئاً طَرَحَ ثنتين ثنتين ، ثم ثلاثاً ثلاثاً ، فإذا مَلَّ قَبْضَ قَبْضةٍ وقال : سبحانَ اللهِ بعددِ هذا ، فإذا مَلَّ شيئاً قَبْضَ قَبْضتين وقال : سبحانَ اللهِ بعددِ هذا ، فإذا ضَجَرَ أخذَ بِعُرْوَتِي الزَّنبِيلِ وَقَلْبِهِ ، وقال : سبحانَ اللهِ بعددِ هذا كُلِّهِ ^(٢) ، وإذا بَكَرَ لحاجةٍ لَحَظَ الزَّنبِيلَ لِحَظَةً ^(٣) وقال : سبحانَ اللهِ عددَ ما فيه .

قال غِيلَان ^(٤) : إذا أردت أن تتعلم الدُّعاء ، فاسمَعْ دعاءَ الأعراب ^(٥) . قال سعيد بن المُسَيَّب : مرَّ بِي صِلَةُ بن أَشِيم ^(٦) ، فما تمالكت أن نهضت إليه فقلت : يا أبا الصَّهْبَاء ، ادْعُ اللهَ لِي . فقال : رَغَبَكَ اللهُ فيما يبقى ، وَرَهَّكَ اللهُ فيما يَفْنَى ^(٧) ، ووهب لك اليقينَ الذي لا تسكُنُ النفوسُ إلا إليه ، ولا تُعَوِّلُ في الدِّينِ إلا عليه .

= لرجلٍ خاصم إليه صديقاً له ، وكان الصديق توعده بصداقة المغيرة . فأعلمه الرجل ذلك وقال : إن هذا يتوعدني بمعرفتك إياه ، وزعم أنها تنفعه عنده . قال : أجل ، إنها والله لتتفع ، وإنها لتتفع عند الكلب العقور . العقور : ما يعقر ، أى يعرض ويخرج . والصَّوُول : الذى يعدو على صاحبه ويؤايبه .

(١) الهنأى ، بضم الهاء : نسبة إلى هناة بن مالك بن فهم . والخير في عيون الأخبار (٢ : ٥٩) .

مع خلاف في اللفظ .

(٢) هذه الكلمة من ل فقط .

(٣) هو غيلان أبو مروان الدمشقى ، المترجم في (١ : ٢٩٥) .

(٤) مضى هذا القول في (٢ : ١٦٤) .

(٥) ترجم في (١ : ٣٦٣) . (٦) ل : « بقى » تحريف .

أبو الحسن قال : سمع رجلً بمكة رجلاً يدعو لأُمِّه ، فقال له : ما بال أُمِّك ؟ قال : هو رجلٌ يحتال لنفسه ^(١) .

أبو الحسن عن عُروة بن سليمان العبدى قال : كان عندنا رجلٌ من بنى تميم يدعو لأُمِّه ويدعُ أُمِّه ، ف قيل له فى ذلك ، فقال : إنها كَلْبِيَّة ! ورفع أعرابى يده بمكة قبل الناس فقال : اللهم اغفر لى قبل أن يدهمك الناس !

وقال النبى ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُلْحِينَ فى الدُّعاء » . ٢٤٥

وقال آخر : دعوتان أرجو إحداها وأخاف الأخرى ^(٢) : دعوة مظلوم أَعْتَه ، ودعوة ضعيف ظلمته .

قال : كان من دُعاء أبى الدرداء : اللهم أمتعنا بخيارنا ، وأعنا على شيراننا ، واجعلنا خياراً كلنا ، وإذا ذهب الصالحون فلا تُبقنا . ١٠

وقال آخر لبعض السلاطين ^(٣) : أسألك بالذى أنت بين يديه أذل منى بين يديك ، وهو على عقابك أقدر منك على عقابى ، إلا نظرت فى أمرى نظراً من برئى أحب إليه من سقمى ^(٤) .

قالوا : وكان مطرف بن عبد الله بن السَّخَّير ^(٥) يقول : اللهم إناك أمرتنا بما أمرتنا به ^(٦) ولا تقوى عليه إلا بعونك ، ونهيتنا عما نهيتنا ولا تنتهى عنه إلا بعصمتك ، واقعة علينا حجتك ، غير معذورين فيما بيننا وبينك ، ولا مبخوسين فيما عملنا لوجهك . ١٥

(١) الخبر فى عيون الأخبار (٢ : ٥٨ س ١٢ - ١٣) .

(٢) ما عدل : « كما أخاف الأخرى » .

(٣) ما عداه : « لبعض السلاطين » أى بعض أهل السلطان .

(٤) ل : « من براءتى إليه أحب من سقمى » . وأشير فى هـ إلى أنها كذلك فى نسخة .

(٥) ترجم فى (١ : ١٠٣ ، ٣٥٣) .

(٦) هذه الكلمة من ل فقط .

عبد العزيز بن أبان^(١) ، عن سفيان^(٢) ، في قوله : ﴿ دَعَاوُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ ﴾ : كَانَ أَحَدُهُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْعُوَ قَالَ : سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ .

سفيان^(٣) عن ابن جريج^(٤) ، عن عكرمة^(٥) ، قال في قوله تعالى : ﴿ قَدْ أَجِيبَتْ دَعْوُوكُمَا ﴾ قال : كَانَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَدْعُو وَهَارُونُ يُؤْمِنُ ، فَجَعَلَهُمَا اللَّهُ دَاعِيَيْنِ .

قال : وَلَمَّا وَقَعَ يُونُسُ فِي الْبَحْرِ وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ حَوْتَ ، فَلَمَّا وَقَعَ ابْتَلَعَهُ فَأَهْوَى بِهِ إِلَى قَرَارِ الْأَرْضِ^(٦) ، فَسَمِعَ تَسْبِيحَ الْحَصَى ، فَنَادَى يُونُسُ فِي الظُّلُمَاتِ ﴿ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ قال : ظُلُمَةُ بَطْنِ الْحَوْتِ ، وَظُلُمَةُ الْبَحْرِ ، وَظُلُمَةُ اللَّيْلِ . وَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ

١٠ (١) هو عبد العزيز بن أبان بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية ، ذكروا أنه كان يضع الحديث على سفيان الثوري . وكان قد ولي قضاء واسط ثم عزل فقصده بغداد فنزلها . وتوفي سنة ٢٠٧ . تهذيب التهذيب وتاريخ بغداد ٥٦٠٤ .

(٢) سفيان هذا ، هو سفيان الثوري ، وهو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي . ونسبته إلى ثور بن عبد مناة بن أد بن طابخة ، وكان يسمى « أمير المؤمنين في الحديث » . وقالوا : كتب عن ألف ومائة شيخ . وكان حافظا فقيها محدثا زاهدا . ولد سنة ٩٨ . وتوفي سنة ١٦١ . تهذيب التهذيب ، ١٥ والخلاصة ، وتذكرة الحفاظ (١ : ١٩٠) وصفة الصفوة (٣ : ٨٢) ، وتاريخ بغداد ٤٧٦٣ . (٣) سفيان هذا ، هو سفيان بن عيينة المترجم في (١ : ١٠٤ / ٢ : ٤٧) .

(٤) ابن جريج ، هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموي المكي ، أصله رومي ، روى عن عطاء والزهرى وعكرمة وغيرهم ، وروى عنه وكيع وابن المبارك وسفيان بن عيينة وغيرهم . كان من فقهاء أهل الحجاز وقراءهم ومتقنينهم وعبادهم . توفي سنة ١٥٠ وهو ابن سبعين سنة . تهذيب التهذيب ٢٠ وصفة الصفوة (٢ : ١٢٢) .

(٥) هو عكرمة البربري أبو عبد الله المدني . مولى ابن عباس ، وأصله من البربر ، كان لحصين بن أنى الحر العنبري ، فوهبه لابن عباس لما ولي البصرة . روى عن مولا ، وعلى بن أنى طالب ، وأنى هريرة وخلق ، وروى عنه النخعي والشعبي وغيرهم ، وكان من أعلم الناس بالتفسير . قدم مصر يريد المغرب ، وأحدث في أهل المغرب رأى الصفرية من الخوارج ، ثم عاد إلى المدينة وتوفي سنة ١٠٤ في اليوم الذي توفي فيه كثير عزة ، فشهد الناس جنازة كثير وتركوا عكرمة . تهذيب التهذيب . ٢٥

(٦) كلمة « قرار » مما عدل . وقد وضع لها في ل إشارة إلحاق . هـ : « فهوى به » .

كَانَ مِنَ الْمُسْبِحِينَ . لَلَيْثِ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١﴾ .

وفي الحديث المرفوع ، أَنَّ مِنْ دَعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ : « أَعُوذُ بِكَ مِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ ، وَبَطْنٍ لَا يَشْبَعُ ، وَدُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ » .

علَى بن سليم ، أَنَّ قَيْسَ بْنَ سَعْدٍ ^(١) قَالَ : اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي حَمْدًا وَمَجْدًا ، فَإِنَّهُ لَا حَمْدَ إِلَّا بِفَعَالٍ ، وَلَا مَجْدَ إِلَّا بِمَالٍ ^(٢) .

عَوْفٌ قَالَ ^(٣) : قَالَ رَجُلٌ فِي مَجْلِسِ الْحَسَنِ : لَيْهَيْشَكَ الْفَارِسُ ! قَالَ لَهُ ٢٤٦
الْحَسَنُ : فَلَعَلَّهُ حَاوِيْرٌ ^(٤) . إِذَا وَهَبَ اللَّهُ لِرَجُلٍ وَلَدًا فَقُلْ : شَكَرْتُ الْوَاهِبَ ،
وَيُبْرِكُ لَكَ فِي الْمَوْهوبِ ، وَبَلَغَ أَشُدَّهُ ، وَرُزِقَتْ بَرَّةٌ .

أَبُو سَلَمَةَ الْأَنْصَارِيُّ قَالَ : كَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَقُولُ : مَا أَحْسَنَ ١٠
تَعَزُّيَ أَهْلِ الْيَمَنِ ! وَتَعَزُّيْتُهُمْ : لَا يَحْزُنُكُمْ اللَّهُ وَلَا يَفْتِنُكُمْ ، وَأَثَابَكُمْ مَا أَثَابَ الْمُتَّقِينَ
الشَّاكِرِينَ ^(٥) ، وَأَوْجَبَ لَكُمْ الصَّلَاةَ وَالرَّحْمَةَ .

قَالَ : وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - إِذَا عَزَّى رَجُلًا قَالَ : لَيْسَ مَعَ الْعَزَاءِ
مُصِيبَةٌ ، وَلَا مَعَ الْجَزَعِ فَائِدَةٌ . الْمَوْتُ أَشَدُّ مَاقْبَلَهُ ، وَأَهْوَنُ مَا بَعْدَهُ . اذْكُرُوا فَقَدْ ١٥
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَهَنُّنٌ عِنْدَكُمْ مُصِيبَتِكُمْ ^(٦) صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ ، وَعَظَّمَ اللَّهُ أَجْرَكُمْ .

(١) قيس بن سعد بن دليم ، ترجم في (١ : ٢٥١) .

(٢) مضي الخبر في (٢ : ١٤٧) .

(٣) بدله فيما عدا ل : « وقال » فقط . وعوف بن أبي جميلة ترجم في (٢ : ٣٧) .

(٤) الحامر : ذو الحمار ، كما يقال فارس لذي الفرس . اللسان (حمر) . ما عدا ل ، هـ :

« خامر » تصحيف .

(٥) كلمة « الشاكرين » من ل فقط .

(٦) ل : « تنزل » بدل : « تنه » .

وكان علي بن أبي طالب - رحمه الله - إذا عَزَى قوماً قال : إن تجزعوا فأهل ذلك الرَّحِم ، وإن تصبروا ففي ثواب الله عِوَضٌ من كلِّ فائت . وإنَّ أعظمَ مصيبةٍ أُصيب بها المسلمون محمد ، ﷺ ، وعَظَمَ أجركم .

وعَزَى عبد الله بن عباس ، عمر بن الخطاب رحمهما الله ، على بني له مات (١) فقال : عَوَّضَكَ الله منه ما عَوَّضَهُ منك .

وهذا الصَّبِيُّ الذي مات هو الذي كان عمر بن الخطاب قال فيه : رِجَانَةٌ أَشْمُهَا ، وعن قريب ولد بَارٌّ ، أو عدُوٌّ حاضر .

سفيان قال : كان أبو ذَرٍّ يقول : اللهم أَمِتْعْنَا بِخيارنا ، وأَعِنَّا على شِرَارنا .

قال : ودعا أعرابيُّ فقال : اللهم إني أعوذ بك مِنْ الفقر المُدْقِع ، والذِّلِّ المُضْهِرِ (٢) .

عَزَّتْ امرأة المنصور على أبي العباس (٣) ، مَقْدَمَهُ مكة فقالت : عَظَّمَ الله أجرك ، فلا مصيبةَ أعَظَّمَ من مصيبتك ، ولا عِوَضَ أعَظَّمَ من خِلافتك .

قالوا : وقال عمر بن عبد العزيز ، وقد سمعوا وقع الصَّوَاعِقِ (٤) ، ودَوَى

الريح ، وصوت المطر ، فقال وقد فزع الناس : هذه رحمته فكيف نَقِمْتُهُ !

وقال أبو إسحاق (٥) : اللهم إن كان عذاباً فاصرفه ، وإن كان صلاحاً فزِدْ فيه ، وهَبْ لنا الصَّبْرَ عند البلاء ، والشكر عند الرخاء . اللهم إن كانت

٢٤٧

(١) ل : « عن بني له مات » . وانظر استعمال الجاحظ للكلمة « على » بعد التعزية في (٢) :

(٢٤ ، ٨٢) وما سيأتي في س ١٢ من هذه الصفحة . ولم تتعرض المعاجم لتحسين الحرف الذي يستعمل بعد التعزية .

(٢) المدقع : الشديد ، وأدقعه : أُلصِقَهُ بالدقعاء ، وهي التراب . والمضرع : المذل .

(٣) أبو العباس السفاح ، وهو أخو المنصور .

(٤) ل : « وقوع الصواعق » .

(٥) في حواشي ه : « يعني النظام شيخه » .

مَحَنَةً فَمُنَّ عَلَيْنَا بِالْعَصْمَةِ ، وَإِنْ كَانَ عِقَاباً فَمُنَّ عَلَيْنَا بِالْمَغْفِرَةِ .
قال أبو ذَرٍّ : الحمد لله الذى جعلنا من أمة تُغْفَرُ لهم السيئات ، ولا تُقْبَلُ
من غيرهم الحسنات .

وكان الفضل بن الربيع يقول : المسألة للملوك من تحية النوكى . فإذا أردت
أن تقول : كيف أصبحت ؟ فقل : صَبَّحَكَ اللهُ بِالْخَيْرِ . وإذا أردت أن تقول :
كيف تجددك ؟ فقل : أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الشُّفَاءَ وَالرَّحْمَةَ (١) .

قال أحمد الهُجَيْمِيُّ أبو عُمر ، أحد أصحاب عبد الواحد بن زيد (٢) :
اللَّهُمَّ يَا أَجْوَدَ الْأَجْوَدِينَ ، وَيَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ ، وَيَا أَعْفَى الْعَافِينَ ،
وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَيَا أَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ، وَيَا أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ، فَرِّجْ عَنِّي فَرْجاً
عَاجِلاً تَأْماً ، هَنِيئاً مَبَارَكاً لِي فِيهِ ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . ١٠

وكان عبد الله الشُّقْرِيُّ (٣) ، وهو الكعبي ، أحد أصحاب المِضْمَارِ (٤) ،
من غِلْمَانِ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ زَيْدٍ - وَكُنْيَةُ عَبْدِ الْوَاحِدِ أَبُو عُبَيْدَةَ - يقول :

اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ ، نَاصِيتِي بِيَدِكَ . اللَّهُمَّ هَبْ لِي
يَقِيناً ، وَأَدِمْ لِي الْعَافِيَةَ ، وَافْتَحْ عَلَيَّ بَابَ رِزْقٍ فِي عَافِيَةٍ (٥) ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ
وَالْعَارِ ، وَالْكَذِبِ وَالسُّخْفِ (٦) ، وَالْخُسْفِ وَالْقَذْفِ (٧) وَالْحِقْدِ وَالْغَضَبِ . ١٥
وَحَبِّبْنِي إِلَيَّ خَلْقَكَ ، وَحَبِّبْهُمْ إِلَيَّ . وَأَسْأَلُكَ فَرْجاً عَاجِلاً فِي عَافِيَةٍ ، إِنَّكَ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

(١) انظر ما سبق في ص ٢٧٥ .

(٢) ترجم في (١ : ٢٦٤) .

(٣) الشُّقْرِيُّ بالتحريك : نسبة إلى شُقْرَةٍ ، بكسر القاف ، بن الحارث بن نعيم . ٢٠

(٤) المِضْمَارُ : الموضع الذى يضر فيه الخيل . وتضمير الخيل : أن تلف حتى تسمن ثم ترد إلى

القوت الضرورى فيذهب رهلها ويشتد لحمها ، وذلك في أربعين يوماً .

(٥) ل : « رزق في عافية » .

(٦) السخف ، بالضم والفتح : رقة العقل وضعفه .

(٧) الخسف : الذل والنقصان والهوان . والقذف : السب ، والرمى بالزنا . ٢٥

دعاء الغنوى فى حبسه

أعوذُ بك من السِّجْنِ والدَّيْنِ ، والسَّبِّ والضَّرْبِ ، ومن العُلِّ والقَيْدِ ، ومن التعذيب والتخيس (١) . وأعوذُ بك من الحَوْرِ بعد الكَوْرِ (٢) ، ومن شرِّ العَدَوَى فى النَّفْسِ والأهلِ والمَالِ . وأعوذُ بك من الخَوْفِ والحَزْنِ ، وأعوذُ بك من الهمِّ والأَرْقِ ، ومن الهَرَبِ والظَّلَبِ (٣) ، ومن الاستخذاء والاستخفاء (٤) ومن الإطراد والإغراب (٥) ، ومن الكذب والعَصِيَّة (٦) ، ومن السَّعَايَةِ والْتِمِعة ، ومن لُؤْمِ القُدْرَةِ ، ومَقَامِ الخِزْيِ فى الدُّنْيَا والآخِرَةِ ، إِنَّكَ على كُلِّ شَيْءٍ قدير .

ومن دعائه فى الحبس

أَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ طَوَلَ العَمْرِ فى الأَمْنِ والعَافِيَةِ ، والجِلْمِ والعِلْمِ والحِزْمِ ، والأَخْلَاقِ الحَسَنَةِ والأَفْعَالِ المَرْضِيَّةِ ، والْيُسْرَ والتَّيسِيرَ ، والتَّمَاءَ والتَّشْمِيرَ ، وَطِيبَ الذِّكْرِ وَحُسْنَ الأَحْدُوثَةِ ؛ والمَحَبَّةِ فى الخاصَّةِ والعَامَّةِ . وَهَبْ لِي ثَبَاتَ الْحُجَّةِ ، والتَّأْيِيدَ (٧) عِنْدَ المَنَازَعَةِ والمَخَاصِمَةِ ، وَبَارِكْ لِي فى المَوْتِ إِنَّكَ على كُلِّ شَيْءٍ قدير .

* * *

(١) التَّخْيِيسُ : الحَبْسُ والإِذْلَالُ . ما عدا هـ : « التَّحْيِيسُ » .

(٢) الحَوْرُ ، بِالْفَتْحِ : النِّقْصَانُ . وَالْكَوْرُ بِالْفَتْحِ أَيْضًا : الزِّيَادَةُ . وَكَانَ هَذَا مِنْ دَعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ .
اللسان (حور ، كور) .

(٣) أَيْ مِنْ أَنْ أَهْرَبَ فَأَطْلَبَ .

(٤) الاسْتِخْدَاءُ : الْخُضُوعُ .

(٥) يُقَالُ : طَرَدَهُ السُّلْطَانُ وَأَطْرَدَهُ : أَمَرَ بِإِخْرَاجِهِ عَنْ بِلَدِهِ . وَالْإِغْرَابُ وَالتَّغْرِيبُ : أَنْ يَنْفَى عَنْ

بِلَدِهِ .

(٦) الْعَصِيَّةُ : الْإِفْكَ وَالْبُهْتَانُ وَالتَّمِيعَةُ .

(٧) ل : « وَالتَّائِي » .

وكان صالح المري^(١) كثيراً ما يردد في مجلسه :

أعوذُ بك من الخسفِ والمسخ ، والرَّجفة والزَّلزلة ، والصاعقة والرَّيح
المهلكة ، وأعوذُ بك من جَهْدِ البلاء ، ومن شِماتِ الأعداء .

وكان يقول : أعوذُ بك من التَّعَبِ والتَّعُدُّر ، والخيبةِ وسوءِ المنقلب . اللهم
مَنْ أَرَادَنِي بِخَيْرٍ فَيَسِّرْ لِي خَيْرَهُ ، وَمَنْ أَرَادَنِي بِشَرٍّ فَاكْفِنِي شَرَّهُ . اللهم إني أسألك
يُحْصِبُ الرَّحْلَ^(٢) ، وصلاَحَ الأهل .

* * *

وكان عيسى بن أُمى المُدَوَّر^(٣) يقول :

أعوذُ بك من القلَّةِ والذَّلَّةِ ، ومن الإهانة والمِهْنَةِ^(٤) ، والإحفاق والوَحْدَةِ .
وأعوذُ بك من الحيرةِ وقِلَّةِ الحيلة ، وأعوذُ بك من جَهْدِ البلاء ، وشِماتِ الأعداء .

محمد بن عبد الله^(٥) قال : قال عمر بن الخطاب رحمه الله : مَنْ أُعْطِيَ
الدُّعَاءَ لم يُحَرِّمْ الإجابة . قال الله : ﴿ اذْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ ومن أُعْطِيَ الشُّكْرَ

(١) ترجم في (١ : ١١٣) .

(٢) الرحل : منزل الرجل ، ومسكنه ، وبيته .

(٣) ذكره الجاحظ في اللحنين البلغاء . انظر (٢ : ٢٢٠) وهو هناك بلفظ « عيسى بن المدور » .

(٤) المهنة ، بفتح الميم وكسرها : الخدمة والابتذال .

(٥) هو محمد بن عبد الله العتيبي الأخباري ، من بني عتبة بن أبي سفيان ، كان هو وأبوه سيدين
أديبين فصيحين ، وكان العتيبي شاعراً صاحب أخبار وآداب ، وقف يوماً بباب إسماعيل بن جعفر بن
سليمان فطلب الإذن ، فقال له غلمانه : هو في الحمام . فقال :

وأمر إذا أراد طعاماً قال غلمانه مضى الحماما

فيكون الجواب مني إلى الحا جب ما إن أردت إلا السلاما

لست آتيكم من الدهر إلا كل يوم ترون فيه صياما

توفي العتيبي سنة ٢٢٨ . وله كتاب الخيل ، كتاب الأعاريب ، أشعار النساء اللاتي أحبين ثم
أبغضن . ابن النديم ١٧٦ والسمعاني ٣٨٣ .

لم يُحَرِّم الزَّيَادَةَ ، لقوله عز وجل : ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ . ومن أُعْطِيَ
الاستغْفَارَ لم يُحَرِّم القَبُولَ ، لقوله عز وجل : ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .
وقال عمر بن الخطاب رحمه الله : كونوا أوعية الكتاب ، وينابيع العلم ،
وسألوا الله رزق يوم يوم .

وروى محمد بن علي^(١) عن آبائه ، عن النبي ﷺ أنه قال : « إذا سألت
الله فسأله بباطن الكففين ، وإذا استعذتموه فاستعذوه بظاهرهما » . ٢٤٩

وقال آخر : اللهم إني أعوذ بك من بَطَرِ الغنى ، وذِلَّةِ الفقر .
أبو سعيد المؤدَّب^(٢) ، عن هشام بن عروة^(٣) عن أبيه ، عن عائشة
قالت : « سألوا ربكم حتى الشَّعْصَعُ^(٤) ، فإنه إن لم يُسَّرْ لم ييسر » . ١٠
سُحيم^(٥) ، عن طاوس^(٦) ، قال : يكفي من الدنيا^(٧) ما يكفي
العجيين من الملح .

قال : سأل رجل رجلاً حاجَةً ، فقال المستول : اذهب بسلام . فقال
السائل : قد أنصَفْنَا مَنْ رَدَّنَا إِلَى اللَّهِ فِي حَوَائِجِنَا .
مُجَالِدٌ^(٨) عن الشعبي قال : قال النبي ﷺ : « اللَّهُمَّ أَذْهِبْ مُلْكَ
غَسَّانَ ، وَضَعْ مُهُورَ كِنْدَةَ^(٩) » . ١٥

قال عمر بن الخطاب : « لكل شيء رأس ، ورأسُ المعروف تعجيله » .

(١) محمد بن علي أبو جعفر الباقر ، المترجم في (٢ : ٢٦٢) .

(٢) ترجم في (١ : ٢٥٢) .

(٣) ترجم مع شيخه . ٢٠

(٤) الشَّعْصَعُ . أحد سيور النعل ، وهو الذي يدخل بين الإصبعين ويدخل طرفه في الثقب الذي
في صدر النعل المشدود في الزمام .

(٥) هو سُحيم بن حفص الأنباري ، المترجم في (١ : ٤٠) .

(٦) طاوس بن كيسان ، ترجم في (١ : ١٧٥) .

(٧) ل : من الدعاء « تحريف » . ٢٥

(٨) مجالد بن سعيد ، ترجم في (١ : ٢٤٢) .

(٩) سبقت رواية الحديث في (٢ : ٢٨) .

القول في إنطاق الله عز وجل

إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، بالعريّة المبيّنة على غير التلقين والتّمين ، وعلى غير التّدريب والتّدرّج ، وكيف صار عربيّاً أعجميّ الأبوين ^(١) .
وأول من عليه أن يُقرّ بهذا القحطانيّ ، فإنه لا بدّ من أن يكون له ^(٢) أب
كان أول عربيّ من جميع بني آدم عليه السلام . ولو لم يكن ذلك كذلك وكان لا يكون
عربيّاً حتى يكون أبوه عربيّاً وكذلك أبوه وكذلك جدّه ، كان ذلك موجباً لأن
يكون نوح عليه السلام عربيّاً ، وكذلك آدم عليه السلام .

قال أبو عبيدة : حدثنا مِسَمَع بن عبد الملك عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين عن آبائه قال : أول من فُتق لسانه بالعريّة المبيّنة لإسماعيل ، وهو ابنُ أربع عشرة سنة .

وقال النّبي صلى الله عليه وآله : « شهدت الفجر ^(٣) وأنا ابنُ أربع عشرة سنة ، وكنت أثبل على عُمومتى » . يريد : أجمع لهم الثّبل .

قال أبو عبيدة : فقال له يونس : صدقت يا أبا يسار ^(٤) هكذا حدّثني نصر بن طريف ^(٥) .

١٥ (١) العجم : خلاف العرب . ما عدل : « أعجميّ الأبوين » . والأعجميّ والأعجم : الذي في لسانه عجمة لا يفصح بالعريّة .
(٢) له ، أى للقحطانيّ .

(٣) هو يوم الفجر الآخر ، وقبله أيام ثلاثة : الفجر الأول ، والثاني ، والثالث . وهذا اليوم الذي شهده الرسول الكريم كان بين قريش وكنانة كلها وبين هوازن ، هاجه البراض بقتله عروة الرحال .
وسمى هذا اليوم ونظائره فجراً لأنها كانت في الأشهر الحرم التي كان يحرم فيها القتال . انظر خبره مفصلاً في العقد الفريد وكامل ابن الأثير والأغانى (١٩ : ٧٣ - ٨١ والعمدة (٢ : ١٦٩ - ١٧٠) والخزانة (٢ : ٥٠٤) .

(٤) في الكلام سقط ظاهر .

(٥) لم أجد له ترجمة .

وروى قيس بن الربيع ^(١) ، عن بعض أشياخه عن ابن عباس : أن الله ألهم إسماعيل العربية إلهاماً .

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ يُبَيِّنُ لَهُمْ ﴾ . قال : قد يُرسل الله الرسول إلى قومه ، ولو أُرسِل في ذلك الوقت إلى قوم آخرين لَمَا كان الثاني ناقضاً للأول . فإذا كان الأمر كذلك كان قومه أول من يفهم عنه ، ثم يصيرون حُجَّةً على غيرهم .

وإذا كان الله عز وجل قد بعث محمداً ﷺ إلى العجم فضلاً عن العرب ، فقحطان وإن لم يكونوا من قومه أحقُّ بلزوم الفرض ^(٢) من سائر العجم .

وهذا الجواب جواب عوام التَّزَايَةِ . فأما الخواصُّ الحُلُصُّ فإنهم قالوا :
 ١٠ العرب كلُّهم شيء واحد ؛ لأنَّ الدارَ والجزيرةَ واحدة ، والأخلاقَ والشَّيْمَ واحدة ، واللغةَ واحدة ^(٣) ، وبينهم من التصاهر والتشابك ، والاتِّفاق في الأخلاق وفي الأعراق ، ومن جهة الخُولة المرددة والعمومة المشتبكة ، ثم المناسبة التي بُنيت على غريزة التَّربة وطِباع الهواء والماء ، فهم في ذلك بذلك ^(٤) شيء واحد في الطَّبيعة واللغة ، والهِمَّة والشَّمائل ، والمرعى والرَّاية ، والصَّناعة والشَّهوة . فإذا بعث الله عز وجل نبياً من العرب فقد بعثه إلى جميع العرب ، وكلُّهم قومه ؛ لأنَّهم جميعاً يَدُّ ١٥ على العجم ، وعلى كل من حارهم من الأمم ؛ لأنَّ تناكُحهم لا يعدوهم ، وتصاهرهم مقصودٌ عليهم .

(١) هو قيس بن الربيع الأسدي الكوفي ، اختلف في توثيقه . روى عن السبيعي والأعمش والسدي ، وعنه : الثوري ووكيع وعلي بن ثابت . توفي سنة ١٦٨ . تهذيب التهذيب .

(٢) ما عدل ، هـ : « الغرض » .

(٣) « واللغة واحدة » من ل فقط .

(٤) هذه الكلمة من ل فقط .

- قالوا : والمشاكلة من جهة الاتفاق في الطبيعة والعادة ، رُبما كانت أبلغ وأوغل من المشاكلة من جهة الرَّحِم . نعم حتى تراه أَعْلَبَ عليه من أخيه لأمِّه وأبيه . وربما كان أشبه به خُلُقاً وخُلُقاً ، وأدباً ومذهباً . فيجوز أن يكون الله تبارك وتعالى حينَ حَوَّلَ إسماعيلَ عربياً أن يكون كما حَوَّلَ طبعَ لسانه إلى لسانهم ، وباعده عن لسان العجم ، أن يكون أيضاً حَوَّلَ سائرَ غرائزه ، وسلَخَ سائرَ طبائعه ، فنقلها كيف أحبَّ ، وركَّبها كيف شاءَ . ثم فضَّله بعد ذلك بما أعطاه ٢٥١ من الأخلاق الحمودة ، واللسان البين ، بما لم يَخُصَّهُم به . فكذلك يَخُصُّه من تلك الأخلاق ومن تلك الأشكال (١) بما يفوقهم ويُرَوِّقهم (٢) . فصار بإطلاق اللسان على غير التلقين والترتيب . وبما نُقِلَ من طباعه ونقل إليه من طبائعهم ، وبالزَّيادة التي أكرمهم الله بها ، أَشْرَفَ شرفاً وأكْرَمَ كَرَمًا . ١٠
- وقد عَلَّمْنَا أَنَّ الخرسَ والأطفال إذا دخلوا الجنةَ وحُوِّلُوا في مقادير البالغين ، وإلى الكمال والتَّمام ، لا يَدْخُلُونَهَا إِلَّا مع الفصاحة بلسان أهل الجنة . ولا يكون ذلك إِلَّا على خلاف التَّرتيب والتدرُّج ، والتَّعليم والتَّقوم .
- وعلى ذلك المثال كان كلامُ عيسى بن مريم ، ﷺ ، في المهد ، وإنطاق يحيى عليه السلام بالحكمة صبيّاً . ١٥
- وكذلك القولُ في آدمَ وحواءَ عليهما السلام . وقد قلنا في ذئب أهبان

(١) ما عدل : « الدلائل » .

(٢) يقال راق فلان على فلان ، إذا زاد عليه فضلاً ، فهو رائق عليه . أنشد في اللسان :

راقت على البيض الحسا ن بحسنا وبهاها

ابن أوس^(١) ، وغراب نوح^(٢) ، وهُدُهدُ سُليمان^(٣) ، وكلام النملة^(٤) ، وِحِمَارِ غُزِير^(٥) ، وكذلك كُلُّ شَيْءٍ أَنْطَقَهُ اللَّهُ بِقُدْرَتِهِ ، وَسَخَّرَهُ لِمَعْرِفَتِهِ .

وَإِنَّمَا يَمْتَنِعُ الْبَالِغُ مِنَ الْمَعَارِفِ مِنْ قَبْلِ أُمُورٍ تُعْرِضُ مِنَ الْحَوَادِثِ ، وَأُمُورٍ فِي أَصْلِ تَرْكِيبِ الْغَرِيزَةِ . فَإِذَا كَفَّاهُمُ اللَّهُ تِلْكَ الْآفَاتِ ، وَحَصَّنَهُمْ مِنْ تِلْكَ الْمَوَانِعِ ، وَوَفَّرَ عَلَيْهِمُ الذِّكَاءَ ، وَجَلَّبَ إِلَيْهِمْ جِيَادَ الْخَوَاطِرِ ، وَصَرَّفَ أَوْهَامَهُمْ إِلَى التَّعَرُّفِ ، وَحَبَّبَ إِلَيْهِمُ التَّبَيُّنَ ، وَقَعَتِ الْمَعْرِفَةُ وَتَمَّتِ النِّعْمَةُ .

وَالْمَوَانِعُ قَدْ تَكُونُ مِنْ قَبْلِ الْأَحْلَاطِ الْأَرْبَعَةِ^(٦) عَلَى قَدَرِ الْقِلَّةِ وَالكَثَرَةِ ، وَالْكَثَافَةِ وَالرَّقَّةِ . وَمِنْ ذَلِكَ مَا يَكُونُ مِنْ جِهَةِ سُوءِ الْعَادَةِ ، وَإِهْمَالِ النَّفْسِ ، فَعِنْدَهَا يَسْتَوْجِشُ مِنَ الْفِكْرَةِ ، وَيَسْتَقْبِلُ النَّظَرَ . وَمِنْ ذَلِكَ مَا يَكُونُ مِنْ

- ١٠ (١) أَهْبَانُ هَذَا ، هُوَ أَحَدُ الصَّحَابَةِ . يَرَوْنَ أَنَّ الذَّبَّ كَلَّمَهُ ثُمَّ بَشَرَهُ بِالرَّسُولِ . قَالُوا : كَانَ فِي غَنَمٍ لَهُ ، فَعَدَا الذَّبَّ عَلَى شَاةٍ مِنْهَا فَصَاحَ فِيهِ أَهْبَانُ ، فَأَقْبَى الذَّبَّ وَقَالَ لَهُ : أَتَنْزِعُ مِنِّي رِزْقًا رَزَقْنِيهِ اللَّهُ ؟ قَالَ أَهْبَانُ : فَصَفَقْتُ بِيَدِي تَعَجُّبًا وَقُلْتُ : وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ أَحَجَبَ مِنْ هَذَا ! فَقَالَ : أَتَعْجَبُ مِنْ هَذَا وَرَسُولُ اللَّهِ وَرَسُولُ اللَّهِ بَيْنَ هَذِهِ النِّخْلَاتِ - وَأَوْمًا إِلَى أُبْيَاتِ الْمَدِينَةِ - يَحْدُثُ بِمَا كَانَ وَيَكُونُ ، وَيَدْعُو إِلَى اللَّهِ عِبَادَهُ . قَالَ : فَجِئْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَخْبَرْتُهُ بِالْقِصَّةِ وَأَسْلَمْتُ . فَكَانَ يُقَالُ لِأَهْبَانٍ : « مَكْلَمُ الذَّبِّ » . انْظُرْ ثَمَارَ الْقُلُوبِ ٣٠٩ وَالْحَيَوَانَ (١ : ٢٩٨ / ٣ : ٥١٣ / ٤ : ٨٠ : ٧ / ٥٠ : ٢١٣ ، ٢١٧) .

- (٢) انْظُرْ لِلْكَلَامِ عَلَيْهِ مَا وَرَدَ فِي الْحَيَوَانَ (١ : ٢٩٨ / ٢ : ٣١٨ ، ٣٢١ / ٣ : ٥١٣ / ٤ : ٨٠) .
(٣) خَبَرَهُ مَذْكُورٌ فِي الْقُرْآنِ فِي سُورَةِ التَّمْلِ . وَانْظُرْ الْحَيَوَانَ (١ : ٩٧ ، ٢٩١ / ٣ : ٥١٣ / ٤ : ٧٧ / ٦ : ٣١٠ ، ٣١٩ / ٧ : ٤٧) .

- (٤) خَبَرَهُ كَذَلِكَ فِي سُورَةِ التَّمْلِ . وَانْظُرْ الْحَيَوَانَ (٤ : ٨) .

- ٢٠ (٥) هُوَ الَّذِي وَرَدَ ذِكْرُهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ ، أَحْيَاهُ اللَّهُ بَعْدَ مِائَةِ عَامٍ مِنْ مَوْتِهِ ، وَفِيهِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : « أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ، قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ، قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ، وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ ، وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نَنْشُرُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا » . الْآيَةُ ٢٥٩ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ، وَكُتِبَ التَّفْسِيرُ ، وَثَمَارُ الْقُلُوبِ ٤٦ وَالْحَيَوَانَ (١ : ٢٩٨ / ٣ : ٥١٣ / ٤ : ٨٠) .

- ٢٥ (٦) الْأَحْلَاطُ - جَمْعُ خَلْطٍ ، بِالْكَسْرِ ، وَهُوَ جِسْمٌ رَطْبٌ سَيَالٌ يَسْتَحِيلُ إِلَيْهِ غِذَاءُ الْبَدَنِ ، كَمَا عَرَفَهُ بِذَلِكَ دَاوُدُ فِي تَذَكُّرَتِهِ (١ : ٦٣) . وَالْأَحْلَاطُ الْأَرْبَعَةُ ، هِيَ الدَّمُ ، وَالْبَلْغَمُ ، وَالصَّفْرَاءُ ، وَالسُّودَاءُ .

الشواغل العارضة ، والقوى المتقسمة . ومن ذلك ما يكون من حرق المعلم ، وقلة رفق المؤدّب ، وسوء صبر المثقف . فإذا صفّى الله ذهنه ونقّحه ، وهذب وثقّفه ، ٢٥٢ وفرغ باله ، وكفاه انتظار الخواطر ، وكان هو المفيد له والقائم عليه ، والمريد لهدايته ، لم يلبث أن يعلم .

٥ وهذا صحيح في الأوهام ، غير مدفوع في العقول .
وقد جعل الله الحال أباً . وقالوا : « الناس بأزمانهم أشبه منهم بأبائهم » .
وقد رأينا اختلاف صور الحيوان ، على قدر اختلاف طبائع الأماكن ^(١) .
وعلى قدر ذلك شاهدنا اللغات والأخلاق والشهوات . ولذلك قالوا :
« فلان ابن بجّدتها » ^(٢) ، و « فلان بيضة البلد » ^(٣) ، يقع ذماً ويقع حمداً .
١٠ وقال زياد : « والله للكوفة أشبه بالبصرة من بكر بن وائل بتميم » .
ويقولون : « ما أشبه الليلة بالبارحة » ، كأنهم قالوا : ما أشبه زمان يوسف بن عمر بزمان الحجاج .

وقال سهيل بن عمرو ^(٤) : « أشبه امرأ بعض بزه » ^(٥) .
وقال الأصبط بن قريع : « بكل واد بنو سعد » ^(٦) .

١٥ (١) انظر الحيوان (٤ : ٧١ / ٥ : ٣٧٠ / ٦ : ٢٥ / ٧ : ١٠٠) .
(٢) يقولونه للدليل الحاذق . قال ابن فارس في مقاييس اللغة : « كأنه نشأ بتلك الأرض » . ويقال بجّد بالمكان بجوداً وبجداً ، بالتحريك ، أى أقام به . ويقال هذا المثل أيضاً للعالم بالشئ المتقن له المميز .
(٣) البلد : أدحى النعام ، أو كل موضع مستحيز من الأرض . فمن أراد المدح أراد أنه واحد لا نظير له . ومن عني الذم أراد أنه كبيضة النعامة التي يحضنها غير صاحبها . وذلك أن النعامة تبيض بيضتها وتركها منفردة بدار مضية فيقع عليها غيرها من النعام فيحضنها ، انظر الحيوان (٢ : ٣٣٦ / ٤ : ٣٣٦) وغمار القلوب ٣٩٢ والعمدة (٢ : ١٥٣) . ورووا في المدح قول علي بن أبي طالب : « أنا بيضة البلد » . وفي الذم قول الراعي :

تأنى قضاة أن تدري لكم نسباً
وابنا نزار فأنتم بيضة البلد
(٤) سبقت ترجمة سهيل في (١ : ٥٨) . ل : « مهيل » ما عدل : « سهل » صوابهما ما أثبت
وقد مضت نسبة المثل التالى إلى سهيل بن عمرو في (٢ : ٢٦٤) .
٢٥ (٥) البز : الثياب . وقد مضى بلفظ : « أشبه امرؤ » .

(٦) هو مثل قولهم : « بكل واد أثر من ثعلبة » . الميداني (١ : ٩٤ ، ٨٤) . وكان الأصبط قد تأذى من قومه بنى سعد فتحول عنهم إلى آخرين ، فلما رأى ظلمهم وعسفهم قال : =

ولولا أن الله عز وجل أفرَدَ إسماعيلَ من العجم ، وأخرجه بجميع معانيه إلى العرب ، لكان بنو إسحاقَ أولى به . وإثما ذلك كرجلٍ قد أحاط علمه بأن هذا الطفل من نجلِ هذا الرجل ، ولكن كما كان من سَفَاحٍ لم يُجَزَّ أن يضيفه إليه ويدعوه أباه . وقد جعلَ الله نَسَبَ ابنِ الملائنة نَسَبَ أمه ^(١) ، وإن كان وُلِدَ على فراش أبيه .

وقد أرسل الله موسى وهارون ، إلى فرعون وقومه وإلى جميع القبط ، وهما أُمَتان : كُنَعَانِيَّ وَقِبْطِيَّ .

وقد جعلَ الله قومَ كُلِّ نَبِيٍّ هم المبلِغين والحجَّة . ألا تَرَى أَنَا نَزَعُمُ أَنَّ عَجَزَ العرب عن مِثْلِ نُظْمِ القرآن حجَّةً على العجم من جهة إعلام العربِ العجم أَنَّهُم كانوا عن ذلك عَجَزَةٌ .

وقد قال النبي ﷺ : « خُصِصْتُ بِأُمُورٍ : منها أَنِّي بُعِثْتُ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ ^(٢) ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ طَهُورًا » . فدلَّ بذلك على ٢٥٣ أَنَّ غَيْرَهُ مِنَ الرُّسُلِ إِثْمًا كَانَ يُرْسَلُ إِلَى الْخَاصِّ . وليس يجوز

= « بكل واد بنو سعد » . الحيوان (١ : ٣٥٨ / ٣ : ٤ / ١٠٤ : ٣٩٤) .

١٥ (١) الملائنة ، هي التي لاعن الوالي بينها وبين زوجها إذا رماها برجل أنه زنى بها . فيبدأ بالرجل ويقفه حتى يقول : أشهد بالله إنها زنت بفلان ، وإنه لصادق فيما رماها به . فإذا قال ذلك أربعاً قال في الخامسة : وعليه لعنة الله إن كان من الكاذبين . ثم يقيم المرأة فتقول أيضاً أربع مرات : أشهد بالله إنه لمن الكاذبين فيما رماني به من الزنا . ثم تقول في الخامسة : وعلى غضب الله إن كان من الصادقين . فإذا فرغت من ذلك بانث منه ولم تحل له أبداً . وإن كانت حاملاً فجاءت يولد فهو ولدها ولا يلحق الزوج .

٢٠ (٢) الأحمر والأحمر : العجم الذين يكون البياض غالباً على ألوانهم ، مثل الروم والفرس ومن صارتهم . والعرب إذا قالوا فلان أبيض وفلانة بيضاء فمعناه الكرم في الأخلاق لا لون الخلقة ، وإذا قالوا فلان أحمر وفلانة حمراء عنت بياض اللون . ومنه في الحديث : « غَدَاوُ شَطْرَ دِينِكُمْ مِنَ الْحَمِيرَاءِ » يعنى عائشة رضي الله عنها . وذلك ليضاهاها . والأحمر : البراب : لأن الغالب على ألوانهم السمرة والأدمة . وقيل الأحمر : الإنس للدم الذي فيه ، والأسود : الجن . انظر اللسان (حمر) .

لمن عَرَفَ صِدْقَ ذلك الرسول من الأَمَم أن يكذِّبه ويُنكِرَ دعواه . والذي عليه
تَرْكُ الإنكارِ والعملِ بشريعة النبي الأَوَّل .

هذا فرقٌ ما بينَ مَنْ بُعثَ إلى البعض ، ومن بُعثَ إلى الجميع .

قال : وقال حُبَاب بن المنذر ^(١) يوم السَّقِيفَة ^(٢) :

« أَنَا جُذَيْلُهَا الْحَكْكُ ^(٣) ، وَعُذَيْقُهَا الْمُرْجَبُ ^(٤) ، إِن شِئْتُمْ كَرَّرْنَاهَا

(١) الحباب بن المنذر بن زيد الأنصاري ، كان من أصحاب الرأي يوم بدر ، إذ نزل رسول الله بأصحابه في أدنى ماء من بدر ، فقال الحباب : يا رسول الله ، هذا منزل أنزلك الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ قال : بل هو الرأي والحرب والمكيدة . قال : يا رسول الله ، فإن هذا ليس بمنزل فأنهض بالناس حتى نأقذ أدنى ماء من القوم ، فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب ، ثم نبني عليه حوضاً فنملأه ماء ، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون : فقال رسول الله ﷺ : لقد أشرت بالرأي ! مات الحباب في خلافة عمر ، وقد أرى على الخمسين . الإصابة ١٥٤٧ والسيرة ٤٣٩ جوتنجن .

(٢) هي سقيفة بني ساعدة ، من بني كعب بن الخزرج ، رهط سعد بن عبادة . المعارف ٥٠ . والسقيفة : الصفة ، وكل بناء مسقوف . وكان الأنصار والمهاجرون قد اجتمعوا في تلك السقيفة بعد وفاة الرسول . وكان عمر قد زور شيئاً في نفسه يقوله ، فلما نهض ليتكلم قال له أبو بكر : على رسلك ، وخطب فيهم الخطبة التي رواها الجاحظ فيما يلي ، فلما قضى أبو بكر كلامه نهض رجل وقال الكلمة التي رواها الجاحظ منسوبة إلى الحباب . فلما فرغ منها كثر اللفظ وارتفعت الأصوات ، فلما أشفق عمر من الاختلاف قال لأبي بكر : ابسط يدك أبايعك . فبسط يده فبايعه عمر والمهاجرون والأنصار . وكان ذلك في السنة الحادية عشرة من الهجرة . تاريخ الطبري (٣ : ٢٠٠ - ٢٠١) . ولم يعين الطبري في (٣ : ٢٠١) صاحب الكلمة التالية . والجاحظ في الحيوان (١ : ٣٣٦) نسبها إلى الحباب . وفي اللسان (جذل) نسبتها إلى سعيد بن عطار ، أو الحباب بن المنذر . ونص الطبري في (٣ : ٢٠٩) أنه الحباب ، وذكر أنه قال في أول خطبته : « يامعشر الأنصار ، املكوا على أيديكم ، ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر ، فإن أبوا عليكم ما سألتهم فاجلوه عن هذه البلاد ، وتولوا عليهم هذه الأمور ، فأنتم والله أحق بهذا الأمر منهم ، فإنه بأسيا فكم دان لهذا الدين من دان ممن لم يكن يدين . أنا جذيلها المحكك ، وعذيقها المرجب ، أما والله لئن شئتم لنعيدنها جذعة » .

(٣) الجذيل : مصغر الجذل ، بالكسر ، وهو العود ينصب للإبل الجرى تتحرك به . يقول : إنه يشتفى برأيه كما تشتفى الإبل بهذا الجذل الذي تحتك إليه .

(٤) العذيق : تصغير العذق ، بفتح العين ، وهو النخلة يحملها . والمرجب ، من =

جَذَعَةٌ^(١) . مَنَا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ ، فَإِنْ عَمِلَ الْمُهَاجِرِيُّ شَيْئاً فِي الْأَنْصَارِيِّ رَدٌّ ذَلِكَ عَلَيْهِ الْأَنْصَارِيُّ ، وَإِنْ عَمِلَ الْأَنْصَارِيُّ شَيْئاً فِي الْمُهَاجِرِيِّ رَدٌّ عَلَيْهِ الْمُهَاجِرِيُّ » .

فَأَرَادَ عُمَرُ الْكَلَامَ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ^(٢) :

- « عَلَى رِسْلِكَ . نَحْنُ الْمُهَاجِرُونَ ، أَوَّلُ النَّاسِ إِسْلَاماً ، وَأَوْسَطُهُمْ دَاراً ، وَأَكْرَمُ النَّاسِ أَحْسَاباً ، وَأَحْسَنُهُمْ وَجُوهاً ، وَأَكْثَرُ النَّاسِ وَلَادَةً فِي الْعَرَبِ ، وَأَمْسُهُمْ رَحِمًا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ . أَسْلَمْنَا قَبْلَكُمْ وَقُدِّمْنَا فِي الْقُرْآنِ عَلَيْكُمْ ، فَأَنْتُمْ إِخْوَانُنَا فِي الدِّينِ وَشُرَكَائُنَا فِي الْفَيْءِ ، وَأَنْصَارُنَا عَلَى الْعَدُوِّ ، آوَيْتُمْ وَنَصَرْتُمْ وَأَسَيْتُمْ ، فَجَزَاكُمُ اللَّهُ خَيْرًا . نَحْنُ الْأُمَرَاءُ وَأَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ . لَا تَدِينُ الْعَرَبُ إِلَّا لِهَذَا الْحَيِّ مِنْ قُرَيْشٍ ، وَأَنْتُمْ مُحَقَّقُونَ إِلَّا تَنْفُسُوا عَلَى إِخْوَانِكُمْ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مَا سَأَلَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ » .

قَالُوا : فَإِنَّا قَدْ رَضِينَا وَسَلَّمْنَا .

عِيسَى بْنُ يَزِيدٍ^(٣) قَالَ : قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ :

- = التَّرجيب ، وهو التعظيم . وهو أيضاً أن تضم أعناق النخلة إلى سقائها ثم تشد بالخصوص لئلا ينفذها الريح . وهو كذلك أن يوضع الشوك حوالى الأعناق لئلا يصل إليها سارق ؛ وذلك إذا كانت غريبة طريفة . وقيل أن ترفد النخلة من جانب لتتبع من السقوط ، أى إن له عشيرة تعضده وتمنعه وترفده . بكل ذلك فسرت هذه الكلمة هنا .

- (١) الجَذَعُ : الصغير السن من الأنعام ، وهو أول ما يستطاع ركوبه والانتفاع به . وكانت العرب إذا طفت الحرب بينهم يقول بعضهم متحدياً : إن شئتم أعدناؤها جذعة ، أى أول ما يتبدأ فيها . اللسان (جذع) .

- (٢) وكذا في العقد (٤ : ٢٥٨ لجنة التأليف) . لكن في نص الطبري أن كلام أئى بكر سابق لما قيل من قبل . والخطبة برواية أخرى عند الطبري في (٣ : ٢٠١) وبرواية غير هذه في (٣ : ٢٠٨) . وانظر العقد (٤ : ٢٥٨) وعيون الأخبار (٢ : ٢٣٣) .

- (٣) هو عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب ، وقد سبقت ترجمته في (١ : ٣٢٤) . ما عدال : « ابن نذير » .

نحن أهل الله ^(١) ، وأقرب الناس بيتاً من بيت الله ، وأمسهم رحماً برسول الله ﷺ . إنَّ هذا الأمر إن تطاولت له الخزرج لم تقصّر عنه الأوس ، وإن تطاولت له الأوس لم تقصّر عنه الخزرج . وقد كان بين الحيين قتلى لا تُنسى ، وجرحى ^(٢) لا تُداوى . فإنَّ نَعَقَ منكم ناعقٌ فقد جلس بين لَحْيَيْ أُسَيْدٍ ^(٣) ، يَضَعُهما المهاجرى ويجرّحه الأنصارى » .

قال ابن دأب ^(٤) : فرماهم والله بالمُسْكِنَةِ .

* * *

من حديث ابن أبى سُفيان بن حويطب ، عن أبيه عن جده قال :
قَدِمْتُ من عُمَرَى فقال لى أهلى : أَعْلِمْتُ أَنَّ أبَا بَكْرٍ بالموت ؟ فَأَتَيْتُهُ فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ ، فَقُلْتُ : يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ أَلَيْسَ كُنْتُ ^(٥) أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَثَانِي ٢٥٤
اِثْنَيْنِ فِي الْغَارِ ، فَصَدَقْتُ هَجْرَتُكَ وَحَسُنْتَ نُصْرَتُكَ ، وَوَلَيْتَ فَأَحْسَنْتَ صُحْبَتَهُمْ ، وَاسْتَعْمَلْتَ خَيْرَهُمْ عَلَيْهِمْ ؟! قَالَ : وَحَسَنًا مَا صَنَعْتُ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ وَاللَّهِ . قَالَ : اللَّهُ ^(٦) ؟! وَاللَّهِ أَشْكُرُّ لَهُ وَأَعْلَمُ بِهِ ^(٧) ، وَلَا يَمْنَعُنِي ذَلِكَ مِنْ أَنْ أَسْتَغْفَرَ اللَّهَ .

فَمَا خَرَجْتُ حَتَّى مَاتَ . ١٥

* * *

(١) ذكرت علة تسمية قريش بهذا في غار القلوب للثعالبي ٨ : ١٠ . فعنها مجاورتهم البيت ، وما تفردوا به من الإيلاف ، والوفادة ، والرفادة ، والسقاية ، والرياسة ، واللواء ، والندوة ، وكونهم على إرث إبراهيم ، وكونهم قبلة العرب وموضع حجهم .

(٢) ما عدل : « وجراح » . ٢٠

(٣) اللحيان بفتح اللام : حائطا الفم ، وهما العظامان اللذان فيهما الأسنان .

(٤) ابن دأب : أحد رواة الأخبار . وهو عيسى بن دأب ، المترجم في (١ : ٣٢٤) .

(٥) ما عدل : « أما كنت » .

(٦) ما عدل ، هـ : « والله » . وهمة الاستفهام هنا عوض من واو القسم . انظر مثيلها في قراءة :

(ولا نكنم شهادةً ، آله) . الآية ١٠٦ من سورة المائدة . ٢٥

(٧) أى أشكر لما صنعت وأعلم به .

أبو الخطاب الزُراري ، عن حَجْنَاء بن جرير قال : قلت يا أبة ، إنَّك لم تهجُ أحداً إلَّا وضعته ، إلَّا التَّيم ؟ قال : لأتَّى لم أجِد حسباً فأضعه ، ولا بناءً فأهدمه ! قال . وقيل للفرزدق : أحسنَ الكميث في مدائحه ، في تلك الهاشميات ! قال : وجد أجراً وجصاً فبنى ^(١) .

٥. عامر بن الأسود قال : دخل رجلٌ من ولد عامر بن الظَّرب ^(٢) على عمر بن الخطاب رحمه الله ، فقال له : خبرني عن حالك في جاهليتك ، وعن حالك في إسلامك . قال : أمَّا في جاهليتي فما ندمت فيها غير لُمة ^(٣) ، ولا هممت فيها بأمة ، ولا خيمت فيها عن بُهْمَةٍ ^(٤) ، ولا رآني راءٍ إلَّا في نادٍ أو عشيرة ، أو حمل جريرة ^(٥) ، أو خيل مُغيرة .

* * *

عوانة ^(٦) قال : قال عمر : الرِّجال ثلاثة : رجل ينظر في الأمور قبل أن تقع فيصديرها مصدرها ، ورجل متوكِّل لا ينظر فإذا نزلت به نازلة شاور أهل الرأي وقيل قولهم ، ورجل حائر بائر ^(٧) ، لا يأتمر رَشْداً ، ولا يُطيع مُرشداً . قال : كلَّم علباء بن الهيثم السدوسي ^(٨) عمر بن الخطاب في حاجة ، وكان

١٥ (١) الجص ، بكسر الجيم وفتحها : ذلك الذي يطل به البناء .

(٢) سبقت ترجمته في (١ : ٢٦٤) .

(٣) المنادمة : المرافقة والمشاركة . واللمة ، بضم اللام وتشديد الميم وتخفيفها : المثل والقرن والترب . ل : « أمة » تحريف . والكلام والقصة بصورة أخرى في الإصابة ٧١٨٨ واللسان (لما ١٢٤) .

(٤) خام يخيم : نکص وجبن . والهمة ، بالضم : الشجاع لا يدرى من أين يؤتى .

٢٠ (٥) الجريرة : الجناية يجنيها الرجل . وحملها أن ينهض باتبعتها .

(٦) عوانة بن الحكم الكلبي ، المترجم في (١ : ٣١٦) .

(٧) البائر : الثائله لا يهتدي لشيء . والعبارة في اللسان (بور) .

(٨) هو علباء بن الهيثم بن جرير السدوسي . كان أبوه ممن حارب كسرى في وقعة ذي قار . وعلباء أدرك الجاهلية والإسلام . وشهد الفتوح في عهد عمر ، ثم شهد الحمل فاستشهد بها . وكان أهل الكوفة قد أوفنوه إلى عمر فكان منه ما سرده الجاحظ . الإصابة ٦٤٤٣ .

أَعَوَرَ دَمِيماً ، جَيَّدَ اللِّسَانَ حَسَنَ الْبَيَانِ ، فَلَمَّا تَكَلَّمَ فِي حَاجَتِهِ فَأَحْسَنَ ، صَعَّدَ عَمْرَ بَصَرِهِ فِيهِ وَحَدَّرَهُ ، فَلَمَّا أَنْ قَامَ قَالَ : « لِكُلِّ أَنْاسٍ فِي جُمْلَتِهِمْ خَيْرٌ ^(١) » .

* * *

أَخْبَرَنَا عَنْ عَيْسَى بْنِ يَزِيدَ ^(٢) عَنْ أَشْيَاخِهِ قَالَ :

قَدِمَ مَعَاوِيَةُ الْمَدِينَةَ فَدَخَلَ دَارَ عَثْمَانَ ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ بِنْتُ عَثْمَانَ : وَأَبْتَاهُ ! وَبَكَتْ ، فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : أَبْنَتْ أَخِي ^(٣) إِنَّ النَّاسَ أَعْطَوْنَا طَاعَةً وَأَعْطَيْنَاهُمْ أَمَاناً ، وَأَظْهَرْنَا لَهُمْ جِلْماً تَحْتَهُ غَضَبٌ ، وَأَظْهَرُوا لَنَا طَاعَةً تَحْتَهَا حِقْدٌ ، وَمَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ سَيْفُهُ ، وَهُوَ يَرَى مَكَانَ أَنْصَارِهِ ، وَإِنْ نَكُنَّا بِهِمْ نَكُتُوا بِنَا ، وَلَا نَدْرِي أَعْلَيْنَا تَكُونُ ٢٥٥ أُمُّ لَنَا ، وَلَئِنْ تَكُونِي بِنْتُ عَمِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَكُونِي امْرَأَةً مِنْ عُرْضِ الْمُسْلِمِينَ ^(٤) . ١٠

[وَقَالَتْ عَائِشَةُ ابْنَةُ عَثْمَانَ فِي أَبَانَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِي ^(٥) حِينَ خَطَبَهَا ، وَكَانَ نَزَلَ بِأَيْلَةَ ^(٦) وَتَرَكَ الْمَدِينَةَ :

(١) الجَمِيلُ : مُصَغَّرُ الْجَمَلِ ، وَرَوَى : « فِي جَمْلِهِمْ » وَيُرْوَى : « فِي بَعِيرِهِمْ » . وَالْخَيْرُ بَعْضُ الْخَاءِ : الْمَعْرِفَةُ وَالْعِلْمُ . قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ : هُوَ مِثْلُ يَضْرِبُ فِي مَعْرِفَةِ كُلِّ قَوْمٍ بِصَاحِبِهِمْ . يَعْنِي أَنَّ الْمَسْجُودَ يَسْجُدُ لِمَعْنَى ، وَأَنْ قَوْمَهُ لَمْ يَسُودُوهُ إِلَّا لِمَعْرِفَتِهِمْ بِشَأْنِهِ . انْظُرِ اللِّسَانَ (جَمَل) وَالْمِيدَانِي (٢ : ١١٤ - ١١٥) وَمَاسِقِي (١ : ٢٣٨) . ١٥

(٢) مَا عَدَالَ ، هـ : « أَخْبَرَنَا عَيْسَى بْنُ يَزِيدَ » . وَقَدْ تَرَجَمَ عَيْسَى فِي ٢٩٧ .

(٣) مَا عَدَالَ : « يَا ابْنَةَ أَخِي » .

(٤) مِنْ عَرَضِهِمْ ، بَعْضُ الْعَيْنِ ، أَيْ مِنْ عَامَتِهِمْ .

(٥) الْخَيْرُ رَوَاهُ الْجَاهِظُ فِي الْحَيَوَانَ (٦ : ١٠٤ - ١٠٥) . وَأَبَانَ هَذَا هُوَ ابْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ عَبْدِ شَمْسٍ ، كَانَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ خَرَجَ عَامَ الْحَدِيدِيَّةِ فِي آخِرِ سَنَةِ سِتٍّ ، يَزِيدُ زِيَارَةَ الْبَيْتِ ، فَأَرْسَلَ عَثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ إِلَى قُرَيْشٍ يَحْذَرُهُمْ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ لِلْحَرْبِ ، فَلَقِيَهُ أَبَانَ بْنُ سَعِيدٍ حِينَ دَخَلَ مَكَّةَ أَوْ قَارِيهَا لِيَجِيرَهُ مِنْ قُرَيْشٍ - وَكَانَ أَبَانَ لَا يَزَالُ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ - فَأَجَارَهُ حَتَّى بَلَغَ قُرَيْشاً الرِّسَالَةَ ، ثُمَّ أَسْلَمَ أَبَانَ فِي غَزْوَةِ خَيْبَرَ سَنَةِ سَبْعٍ ، وَتَوَفَّى فِي خِلَافَةِ عَثْمَانَ سَنَةَ ٢٧ . السِّيَرَةُ ٧٤٥ وَالْإِصَابَةُ (١ : ١٠) . ٢٠

(٦) أَيْلَةُ ، بِالْفَتْحِ : مَدِينَةٌ عَلَى سَاحِلِ بَحْرِ الْقَلْزَمِ مِمَّا بَلَى الشَّامَ .

نزلت بيت الضَّبِّ لا أنت ضائر عدواً ولا مستنفعاً أنت نافع^(١)]

* * *

أبو الحسن قال : قال سلامة بن رَوح الجُدَامِي ، لعمر بن العاص : إنه كان بينكم وبين العرب باب^(٢) فكسرتموه ، فما حملكم على ذلك ؟ قال : أردنا أن نخرج الحق من جَفِيرِ الباطل^(٣) .

قدم ببيعة عليّ إلى الكوفة يزيد بن عاصم المحاربي ، فبايع أبو موسى ، فقال عمارّ لعليّ : والله لينقضنّ عهده ، وليحلنّ عقده ، وليفرنّ جهده ، وليسلمنّ جُنْده .

وقال عليّ في رواية الشَّعْبِيّ : حملتُ إليكم دِرّةَ عمر^(٤) لأضريكُم بها لتنتهوا فأبيتم ، حتى اتخذتُ الخيزُرانة فلم تنتهوا . وقد أرى الذي تُريدون : السَّيِّف^(٥) . وإني لأصلحكم بفسادی^(٦) .

★ ★ ★

(١) هذه التكملة من هـ والنسخة التيمورية فقط . وبيت الضب مثل في الضيق والقلة ، كما هو مثل في الاغصاب . والمستنفع : طالب النفع ، عن ابن الأعرابي . وأنشد في اللسان (١٠ : ٢٣٧) :

١٥ ومستنفع لم يجزه بيلائه نفعا ، ومولى قد أجبننا لينصرا

(٢) ما عدل : « ناب » . وهو يعني بذلك علي بن أبي طالب .

(٣) الجفير ، بفتح الجيم : الكنانة والجعبة التي تجعل فيها السهام . ل : « حفر » ، محرفة .

(٤) الدرّة ، بكسر الدال : درة السلطان التي يضرب بها .

(٥) ب والتيمورية : « الذي يريدون » ح : « الذين يريدون » مع أثر تصحيح في كلمة

٢٠ « الذي » ، وأرى هذا الأخير من تصرف قارئ . وأثبت ما في ل . وسائر القراءات مُتَّجِهَةٌ أيضاً .

(٦) ما عدل ، هـ : « ولأني لا أصلحكم بفسادی » محرفة .

كانت العادة في كتب الحيوان

أن أجعل في كلِّ مُصحفٍ من مصاحفها (١) عَشَرَ ورقاتٍ من مقطّعات الأعراب ، ونوادر الأشعار ، لِمَا ذَكَرْتَ عَجَبَكَ بذلك ، فأُحِبُّبْتُ أَنْ يكونَ حظُّ هذا الكتاب في ذلك أوفرَ إن شاء الله (٢) .

قال هَمَّامُ الرَّقَاشِيِّ (٣) :

أَبْلُغْ أَبَا مِسْمِجٍ عَنِّي مَغْلَعَةً وفي العتَابِ حَيَاةً بَيْنَ أَقْوَامٍ (٤)
قَدِمْتُ قَبْلِي رَجَالًا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ في الحَقِّ أَنْ يَلْجُوا الْأَبْوَابَ قُدَامِي
لَوْ عُدَّ قَبْرٌ وَقَبْرٌ كُنْتُ أَكْرَمَهُمْ قَبْرًا وَأَبْعَدَهُمْ مِنْ مَنَزْلِ الذَّامِ (٥)
حَتَّى جَعَلْتُ إِذَا مَا حَاجَتِي عَرَضْتُ بِيَابِ دَارِكٍ أَذْلُوهَا بِأَقْوَامِ (٦)
وَقَالَ أَبُو الْعَرَفِ الطَّهَوِيُّ :
وَأَفَى الْوَفُودُ فَوَافِي مِنْ بَنَى حَمَلٍ بَكَرَ الْوِفَادَةَ فَاتِي السَّنِ غُرُومُ (٧)

(١) هكذا يستعمل الجاحظ المصحف بمعناه اللغوي ، وإن كان قد خصص منذ جمع القرآن بكتاب الله . وإنما سمي المصحف مصحفاً لأنه أصحف ، أي جعل جامعاً للمصحف المكتوبة بين الدفتين . وانظر ما أشرت إليه في مقدمتي لكتاب الحيوان من ختام كل جزء من أجزائه في النسخة الشنقيطية بهذه العبارة : « تم المصحف ... من كتاب الحيوان ، ويليهِ المصحف ... » .

(٢) هذه العبارة جميعها وثيقة تدل على سبق كتاب الحيوان لكتاب البيان .
(٣) عبارة الإنشاد هذه ومقطوعتها ، هي من ل فقط . وقد سبقا في (٢ : ٣١٦) .
(٤) المغلغة : الرسالة تحمل من بلد إلى بلد . والبيت في اللسان (غلل) بدون نسبة .
(٥) الذام : العيب . أراد أنه كريم الآباء والأجداد .

(٦) دلوت بفلان إليك : استشفعت به . وفيما سبق : « فقد جعلت إذا ما حاجة » .
(٧) أشير في حواشي هـ إلى أنها في نسخة : « من بنى جمل » بالجمع . والبكر ، بالفتح : الفتى من الإبل ، جعله بمنزلة في شبابه وقوته . والفاقي : وصف من فتو يفتو فتاء ، والفتاء : الشباب . ل : « فاني » ما عدا ل : « فاني » كلاهما محرف . والعروم ، لم يرد في المعاجم المتداولة ، وفيها : « العروم » كجعفر ، و « العروم » كقرطاس ، وهو القوى الشديد المجتمع . ل : « غرزوم » بالغين ، وليست له مادة في المعاجم .

- ٢٥٦ كَزُّ الْمَلَاطِينِ فِي السَّرْبَالِ حَيْثُ مَشَى وَفِي الْمَجَالِسِ لَحَاطُ زَرَامِيمُ ^(١)
 لَمَّا رَأَى الْبَابَ وَالْبَوَابَ أَخْرَجَهُ لَوْثٌ مُخَالِطُهُ جُبْنٌ وَتَجْزِيمُ ^(٢)
 قَدْ كَانَ لِي بِكُمْ عِلْمٌ وَكَانَ لَكُمْ مَمَشَى وَرَاءَ ظُهُورِ الْقَوْمِ مَعْلُومُ ^(٣)

وقال الحارث بن جِلْزَة - قال أبو عبيدة : [أنشدنيها أبو عمرو ، وليست

إلا هذه الأبيات . و ^(٤)] الباقي مصنوع :

- يَأْيُهَا الْمُزْمِعُ ثُمَّ انْتَسَى لَا يَنْثَنُكَ الْحَازِي وَلَا الشَّاحِجُ ^(٥)
 وَلَا قَعِيدٌ أَغْضَبَ قَرْنُهُ هَاجَ لَهُ مِنْ مَرَّجٍ هَائِجُ ^(٦)
 بَيْنَا الْفَتَى يَسْتَعِي وَيُسْتَعَى لَهُ تَاحَ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ خَالِجُ ^(٧)
 يَتْرُكُ مَا رَقَّحَ مِنْ عَيْشِهِ يَعِثُ فِيهِ هَمَجٌ هَائِجُ ^(٨)

١٠ (١) الكر : الصلب الشديد . والملاطيان : العضدان . واللحاط : الشديد اللحظ . والزراميم ، هي
 فيما عدل : « زراميم » وكلاهما محرف . ولعل أولاهما « زراهم » وليس من مادة هذه الأخيرة في المعاجم
 إلا قول صاحب القاموس : « الزرامة ، كملابطة : الغليظة والعتيقة » .

(٢) التجزيم : الجبن والعجز ، يقال جزم عنه وجزم ، بتخفيف الزاي وتشديدها . ل : « وتجزيم »
 صوابه بالجيم كما في سائر النسخ .

١٥ (٣) ل : « شمساً وراء » ، تحريف .

(٤) موضع هذه التكملة بياض في ل فقط ، والكلام متصل في غيرها من النسخ . وقد سددت
 هذه الحلة من رواية هذا النص في الحيوان (٣ : ٤٩٩) حيث رويت الأبيات شاهداً من الجاحظ لإنكار
 بعض العرب الطيرة . وكذا أنشدتها في البخلاء ١٣٨ .

(٥) الحازي : زاجر الطير ، أو الكاهن . والشاحج : الغراب يشحج بصوته .

٢٠ (٦) القعيد : ماجاء من ورائك من ظي أو طائر . والأغضب : المكسور القرن . وفي بعض
 روايات الحيوان : « من مربع » .

(٧) تاح : قدر أو تهبأ . والخالج : ما يختلج المرء وينتزع من موت ونحوه .

(٨) رقع : أصلح . ل : « يعيش فيه » ، وأبت ما في الحيوان والبخلاء وما عدل . كما أنشدته في
 اللسان (هج ، رقع) . والهمج : الأخلاط والذين لا نظام لهم . والهاج : الذي يموج بعضه في بعض ،
 أو هذا على المبالغة والتوكيد ، كقولهم : ليل لائل .

قلت لعمرو حين أرسلته وقد حبا من دوننا عالج^(١)
لا تكتسح الشول بأغبارها إنك لا تدري من الناتج^(٢)
واصبب لأضيافك ألبانها فإن شر اللبن الوالج^(٣)

وقال زيان بن سيار بن جابر^(٤) :

تخبّر طيرة فيها زياد لتخبره وما فيها خير^(٥)
أقام كأن لقمان بن عاد أشار له بحكمته مشير

٥

(١) حبا له الشيء : اعترض . وفي أمثال الميداني (١ : ٣٣٦) : « من دونها » ، قال : « والهاء للابل » . وعالج : رملة بالبادية بين فيد والقريات ، يترها بنو بختر ، من طيء . وعمرو هذا ، هو ابن الحارث بن حنزة ، كما نص الميداني في الأمثال .

(٢) الكسع : ضرب الماء على الضرع ليرتفع اللبن فتسمن الناقة ، أو يسمن أولادها في بطنها . والشول ، بالفتح : جمع شائلة ، وهي التي أقي عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فخف لبنها . والأغبار : جمع غير بالضم ، وهو بقية اللبن في الضرع . انظر الكامل ٢١٣ ليسك .

(٣) الواج : الداخل ، أراد ما يرد إلى الضرع بأن يرش عليه الماء ، وذلك هو الكسع . وقيل : أراد إن شر اللبن ما يلج البيت ، أي يدخله ، يحته بذلك على بذل اللبن للضيف ، وإثارة على نفسه وولده . نص على المعنيين في مجمع الأمثال .

(٤) زيان هذا فزاري ، ذكره ابن قتيبة في المعارف ٥١ ، وهو صهر للنابة ؛ وفيه بقول (ديوانه

(٤٥) :

ألا من مبلغ عنى خزيمًا وزبان الذي لم يرع صهرى

وكانت أم زيان إحدى نساء بني مرة رهط النابغة ، وكان من خير ذلك الشعر ما رواه الجاحظ في الحيوان (٣ : ٤٤٧) ، أن النابغة خرج مع زيان بن سيار يريدان الغزو ، فبينما هما يريدان الرحلة إذ نظر النابغة وإذا على ثوبه جرادة تجرد ذات ألوان ، فتطير وقال : غيرى الذى خرج في هذا الوجه . فلما رجع زيان من تلك الغزوة سالماً غائماً قال ... وأنشد الشعر . ومثله في الحيوان (٥ : ٥٥٥) . وانظر عيون الأخبار (١ : ١٤٦) والعمدة (٢ : ٢٠٢) والمستطرف للأبشي (١ : ٥٤) .

(٥) تخبرها : سألتها أن تخبره . ل ، هـ : « تخبر » تحريف . والطيرة ، بالكسر هنا ، وتقال أيضاً بكسر ففتح : اسم من تطير بمعنى تشاءم . وفي بعض نسخ الحيوان : « طيره » ، وهو الأوفق . وزباد : اسم النابغة الذبياني ، وهو زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان . الشعراء ١١٥ والأغاني (٩ : ١٥٤) والخزانة (١ : ٢٨٠) والمؤتلف والمختلف ١٩١ . الخبير : العالم ، والخبر بالأمر أيضاً .

٢٥

تَعْلَمُ أَنَّهُ لَا طَيْرَ إِلَّا عَلَى مَتَطَيَّرٍ وَهُوَ الثُّبُورُ ^(١)
 بَلَى شَيْءٌ يُوَافِقُ بَعْضَ شَيْءٍ أَحَايِنَا وَبَاطِلُهُ كَثِيرٌ
 وَمَنْ يُنْزَخْ بِهِ لِابَدٍ يَوْمًا يَجِيءُ بِهِ نَعْيٌ أَوْ بَشِيرٌ ^(٢)
 وَقَالَ بَعْضُ الْأَعْرَابِ ^(٣) :

نَعِيجَةُ بَطَّالٍ لَدُنْ شَبِّ هَمُّهُ لِعَابُ الْعَوَانِي وَالْمُدَامُ الْمُشْتَعِشُ ^(٤)
 جَلَّالُ الْمَسْكُ وَالْحَمَامُ وَالْبَيْضُ كَالثَّدْيِ وَفَرَقَ الْمَدَارَى رَأْسَهُ فَهُوَ أَنْزَعُ ^(٥)
 أَسِيلُ ذَاكُمُ لَاخِفَا بِمَكَانِهِ لَعِينُ تَدَخَّى أَوْ لِأَذُنِ تَسْمَعُ ^(٦)

٢٥٧

(١) الطير ، بالفتح : اسم من التطير أيضاً . والثبور : الهلاك .

(٢) البيت لم يرو في الحيوان ، وأنشده في اللسان (نزح) بدون نسبة ، قال : « وقد نزح بفلان ،

إذا بعد عن دياره غيبة بعيدة » . ونسب في التاج (نزح) إلى التابعة خطأ .

(٣) هو أبو الرئيس الثعلبي ، أحد لصوص العرب ، من بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان . الخزانة

(٢ : ٥٣٢) . على أن الجاحظ قد خلط هنا بين شعرين ، أحدهما لأبي الرئيس الثعلبي يمدح به عبد الله

بن جعفر بن أبي طالب ، وكان أبو الرئيس قد سرق ناقته بعد ماصنعها وعلفها . والشعر الآخر لأحد

الأغفال ، يمدح فيه أسيلم بن الأحنف الأسدي ، أحد سادات العرب زمان عبد الملك بن مروان . انظر

الخزانة . وقد سبق بعض أبيات هذه المقطوعة في (١ : ٣٩٦) .

(٤) البطال : الشجاع يبطل جراحته فلا يكثر لها ، أو تبطل عنده دماء الأقران . واللعاب :

الملاعبة . والمدام : الخمر . والمشتعش : المزوج بالماء . ويروون أن أبا الرئيس لما قال هذا الشعر ومدح به

صاحب الناقة ادعت فتیان قریش كلهم هذه الناقة ، وإنما كانت لعبد الله . قال السكري : فعمد رجل من

الموالي إلى نجيبة فصنعها وعلفها وجعلها في موضع تلك الناقة ، رجاء أن يسرقها أبو الرئيس فيمدحه . فمر

بها أبو الرئيس فطردها وقال - قال أبو عبيدة : بل قال هذه الجون المحرزي - :

نجيبة عبد دانها القت والنوى ييثر ب حتى نيا متظاهر

وستأتى هذه المقطوعة بعد التالية .

(٥) المدارى ، بكسر الراء وفتحها : جمع المدرى ، وهى حديدة كالمسلة يصلح بها الشعر .

ما عدل : « وطيب الدهان رأسه » . وفي الحيوان (٣ : ٤٨٦) ورسائل الجاحظ ٧٩ ساسى : « جلا

الأذفر الأحرى من المسك فرقه » وطيب الدهان » .

(٦) أسيلم هذا ، هو أسيلم بن الأحنف الأسدي ، كما في رسائل الجاحظ والخزانة وفي حواشي

نسخة (E) من أصول الكامل ١٠٣ ليسلك عند قوله : « قال عبد الملك بن مروان لأسيلم بن الأحنف

الأسدي : ما أحسن ما مدحت به ؟ » هذه العبارة : « كذا وقع . ويروى : لأسيلم بن الأحنف . =

من النفر الشُّم الذين إذا انتموا وهاب الرجال حلقة الباب قعقعوا (١)
إذا التفر السود اليمانون حاولوا له حوك بُرديه أرقوا وأوسعوا (٢)

وقال بعض الأعراب :

ألبان إبل تَعَلَّة بن مسافر ما دام يملكها على حرام (٣)
وطعام عمران بن أوفى مثله ما دام يسلك في البطون طعام
إن الذين يسوغ في أعناقهم زاد يُمن عليهم للثام (٤)
لعن الإله تَعَلَّة بن مسافر لعنا يُشن عليه من قدام

وقال بعض الأعراب (٥) :

نجية قزم شادها القت والتوى يثرب حتى نيتها متظاهر (٦)
فقلت لها: سيري فما بك علة سنأمك ملموم ونائبك فاطر (٧)

= والصحيح لأسلم بن الأجنف ، بالجيم والنون كذا ذكره الدارقطني في المؤلف واختلف . تدحى :
تدحى ، أى تبسط ، كما في القاموس . ما عدل : « تدحى » وهذه محرفة .

(١) النفر : اسم جمع يقع على جماعة من الرجال خاصة ، ما بين الثلاثة إلى العشرة ، ولا واحد له
من لفظه . أطلقه على الكرام إشارة إلى أنهم ذوو عبد قليل . والشم : جمع أشم ، وهو من به شم ، أى
كبر وغوة . وأصل الشم ارتفاع الأنف . وفي نوادر القائل ١٦٤ : « من النفر البيض » . انتموا :
انتسبوا . ل فقط : « انتجوا » ولا وجه هنا . ويروى : « اعتزوا » بمعنى انتسبوا أيضاً ، كما في الخزنة .
ويروى : « وهاب اللام » . حلقة الباب ، أى باب الملك ، يقول : هم ذوو مكانة عند الملوك .
(٢) الحوك : النسج .

(٣) الأبيات رواها الجاحظ أيضاً في البخلاء ١٦٥ . وفي البخلاء : « تعلقة بن مساور » .
(٤) في أعناقهم ، أى في حلوقهم . وهذه الرواية هي أيضاً رواية البخلاء . وفيما عدل : « في
أحلافهم » ، وهى صحيحة كذلك ، وأنشدها في اللسان (حلق) شاهداً لجمع الحلق على « أحلاق » جمع
قلة ، والكثير « حلق » و « حلق » ، والأخيرة عزيزة .

(٥) هو أبو الرئيس التلعبي ، أو الحون الحرزى ، كما سبق في الحاشية ٤ ص ٣٠٥ . وأنشد
الجاحظ الأبيات في الحيوان (٣ : ٤١٥) بدون نسبة .

(٦) القرم ، بالفتح : الفحل الكريم . وفي جميع النسخ : « قوم » ، صوابه من الحيوان . شادها
القت والنوى ، أى نماها تناول هذا العلف . والتى ، بكسر النون وفتحها : الشحم . والمتظاهر : الذى
ركب بعضه بعضاً .

(٧) ملموم : مجتمع مستدير . وروى : « مدموم » ، وهو المتناهى السمن . فاطر ، من قولهم :
فطر ناب البعير ، إذا شق وطلع . ل : « فإنك عمة » ، تحريف .

فمثلك أو خيراً تركت رذيةً تقلب عينها إذا مر طائر^(١)

وقال بعض الأعراب - مجهول الاسم - وهو من جيد مُحدث أشعارهم :

حَفَرْنَا على رِغْمِ اللِّهَازِمِ حُفْرَةً بِيْطُنِ فُلَيْحٍ وَالْأُسْنَةُ جُنْحُ^(٢)

وقد غَضِبُوا حتَّى إِذَا مَلَأُوا الرُّبَى رَأَوْا أَنِ إِقْرَاراً عَلَى الضِّيمِ أَرْوَحُ^(٣)

وقال رجلٌ من مُحاربٍ :

وَقَائِلِي : تَطَوَّفُ فِي جِدَادٍ وَأَنْتِ ، إِخَالٌ ، مَعْطَى لَوْ تَقُومِ^(٤)

فَقُلْتُ : الضَّارِبَاتُ الطَّلَجُ وَهْنًا عَلَى يُمْنٍ إِذَا وَضَحَ النُّجُومُ^(٥)

قَصَرَ عَلَيَّ بَعْدَ اللَّهِ فَقَرِي فَلَا أَسْأَلُ الصَّدِيقَ وَلَا أَلُومُ^(٦)

وقال بعض الطائيين ، وهو حاتم :

وَإِنِّي لِأَسْتَحْيِي حَيَاءً يَسْرُنِي إِذَا اللَّوْمُ مِنْ بَعْضِ الرِّجَالِ تَطْلَعَا^(٧)

(١) الرذية : المهزولة من السير . وإنما تقلب عينها غشافة الطائر أن يقع على ما بها من دبر فيأكلها .

(٢) اللهازم ، هم بنو تيم الله بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل . المعارف ٤٤ ، ٤٣ . فليح : واد يصب في فليح ، بين البصرة وضربة . جنح : مائلات للطنن ، جمع جانحة .

(٣) أى قبول الضيم - وهو الظلم ونقص الحق - أروح لهم وأجلب للسرور .

(٤) الجداد بفتح الجيم وكسرهما : أوان صرام النخل ، وهو قطع ثمره .

(٥) الطلج : شجر هو أعظم العضاء وأكثره ورقاً . وفي حاشية هـ ، والتمورية : « الضاربات الطلج ، يعنى بها الفؤوس . وقيل يعنى المغازل . يريد بذلك أن بناته يعيشنه بغزهن ، أو يحتطب فيضرب بالفؤوس الطلج ويستغنى عن الناس » . انظر نحو هذا المعنى في مجالس ثعلب ١٧٤ - ١٧٥ . وهنا ، أى بعد ساعة من الليل .

(٦) قصرته : حيسنه ومنعته . أسل : أسأل . يقال سأل يسأل ، وسال يسال ، وسال يسأل . يقول : لا أضطر إلى سؤال الصديق ، ولا ألومه إذا منع .

(٧) الأبيات في ديوان حاتم ١١٤ من مجموع خمسة دواوين ، وحاشية أى تمام (٢ : ٢٣٢) وأمالى القالى (٢ : ٣١٨) وعيون الأخبار (١ : ٣٤٣) . وهذا البيت وتاليه لم يرويا في مرجع من هذه المراجع .

إذا كان أصحاب الإناء ثلاثة
فإني لأستحيى أكيلى أن يُرى
أكف يدي من أن تمس أكفهم
وإنك مهما تُعط بطنك سُؤلَه

وقال ، وأظنّها لبعض اليهود :

وإني لأستحيى ، إذا العُسر مَسْنَى ،
وأعفى ثراً قومى ، ولو شئت نُولوا
خفاة أن ألقى إذا جئت زائراً
فأسمع منّا أو أُشرف مُنعماً

(١) المجمع : وصف لم يرد في المعاجم المتداولة . عنى به الحريص على الطعام .
(٢) في الديوان : « وإني لأستحيى صحابى أن يروا » . وفي الأملى والحماسة وعبون الأخبار :
« وإني لأستحيى رفيقى أن يرى » .
(٣) في الحماسة والأملى :

أكف يدي عن أن ينال الحماسها
وفي عيون الأخبار :
أكف يدي من أن تنال أكفهم
وفي الديوان :

أقصر كفى أن تنال أكفهم
(٤) بعده في الديوان :

أبيت خميص البطن مضطمر الحشا
وهو في الحماسة والأملى بعد البيت الثالث ، بهذه الرواية :

أبيت هضم الكشح مضطمر الحشا
من الجوع أخشى الذم أن أتضلعا
(٥) نولوا ، أى نولوى . والنوال : العطاء . الملحف : المبالغ في السؤال . المتضارع ، عنى به من
يتكلف الضراعة ، أى الدُلّ والخضوع . وهذا الوصف وفعله مما لم يرد في المعاجم .
(٦) أقل : أبغض . ورجعه إلى الشئ : رده .

(٧) المن : أن يفخر على من أنعم عليه بالإحسان ، ويبدى في ذلك ويعيد . والمصاداة : المقابلة ،
والعناية بالشئ ، والمداراة والمداجاة .

وقال بعضُ بني أسد :

أَلَا جَعَلَ اللَّهُ الْيَمَانِينَ كُلَّهُم فِدَى لَفَتَى الْفَتِيانِ يَحْيَى بْنَ حَيَّانٍ
وَلَوْلَا عَرِيقٌ فِيَّ مِنْ عَصَبِيَّةٍ لَقُلْتُ وَأَلْفًا مِنْ مَعْدُودِ بْنِ عَدْنَانٍ (١)
وَلَكِنْ نَفْسِي لَمْ تَطْبُ بِعَشِيرَتِي وَطِبْتُ لَهُ نَفْسًا بِأَبْنَاءِ قَحْطَانٍ

٢٥٩

وقال ثروان - أو ابن ثروان - مولى لبني عُذرة (٢) :

لَوْ كُنْتُ مَوْلَى قَيْسِ عَيْلَانَ لَمْ تَجِدْ عَلَيَّ لِإِنْسَانٍ مِنَ النَّاسِ دَرَهْمًا
وَلَكِنِّي مَوْلَى قَضَاعَةَ كُلِّهَا فَلَسْتُ أَبَالِي أَنْ أُدِينَ وَتَغْرَمَا (٣)
أُولَئِكَ قَوْمِي بَارَكَ اللَّهُ فِيهِمْ عَلَيَّ كُلِّ حَالٍ مَا أَعْفَ وَأَكْرَمَا
جُفَاءَ الْمَحْزَرِّ لَا يُصَيِّبُونَ مَفْصِلًا وَلَا يَأْكُلُونَ اللَّحْمَ إِلَّا تَحْذُمَا (٤)

وقال آخر (٥) :

أَيَا ابْنَةَ عَبْدِ اللَّهِ وَابْنَةَ مَالِكٍ وَيَا ابْنَةَ ذِي الْبُرْدَيْنِ وَالْفَرَسِ الْوَرْدِ (٦)

(١) ل : « لقلت أناس » .

(٢) الشعر روى لشقران مولى بني سلامان بن سعد بن هذيم ، كما في حسانة أبي تمام (٢) :

(٢٧٤) وشروح سقط الزند ٥٩١ . وقد سبق بعض هذه الأبيات في (١ : ١٠٧) .

(٣) يقول : لو كان ولأني في قيس عيلان لم أقترض من أحد درهما ، ليأسي من أن يؤدوه عني ، ولكن ولأني في قضاعة ، فلست أبالي أن أمتدين ، فإنهم لا جرم يؤدون عني ما اقترضت .

(٤) المحز : مصدر ميمي من الحز ، وهو القطع . التخذم : قطع اللحم بالسكين . يقول : هم سادة نشئوا على السيادة وعودوا أن يكون مخدومين لا خادمين ، فليس لهم بصير بحجز الإبل وتفصيل أعضائها ، وهم إذا أكلوا اللحم على موائدهم لم يتناولوه إلا قطعاً بالسكاكين لا نهشاً بالأسنان . والعرب تعد الجهل بحجز الإبل مدحاً ، والمعرفة به ذماً . انظر شروح سقط الزند .

(٥) هو حاتم الطائي ، كما في شرح التبريزي للحماسة (٤ : ٢٠٥) . وانظر الحماسة (٢) :

(٢٠٩) حيث أورد أبو تمام الأبيات بدون نسبة . ولم ترو الأبيات في ديوان حاتم . وفي الأغاني (١٢) :

(١٤٤) أنها لقيس بن عاصم ، يقولها لزوجته منفوسة بنت زيد الفوارس الضبي ، وكانت قد أتته في الليلة الثانية من بنائه بها بطعام . فقال لها : فأين أكلتي ؟ فلم تعلم ما يريد ، فقال الشعر في ذلك .

(٦) ابنة عبد الله ، هي ماوية بنت عبد الله ، زوج حاتم . وذو البردين : عامر بن أحيمر =

إذا ما عَمِلَتِ الزَّادَ فَاتَّحَسَى لَهُ أَكِيلًا فَإِنِّي غَيْرُ آكِلِهِ وَخَدِي (١)
كريمًا قَصِيًّا أَوْ قَرِيًّا فَإِنَّنْسَى أَخَافُ مَذَمَاتِ الْأَحَادِيثِ مِنْ بَعْدِي
وَكَيْفَ يُسَيِّغُ الْمَرْءُ زَادًا وَجِسَارُهُ

خَفِيفُ الْمَعْنَى بِإِدْنِ الْخَصَاصَةِ وَالْجَهْدِ (٢)

وَلِلْمَوْتِ خَيْرٌ مِنْ زِيَارَةِ بَاخِلٍ يَلَاظُ أَطْرَافَ الْأَكِيلِ عَلَى عَمَدٍ
وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّعِيفِ مَا دَامَ ثَاوِيًّا وَمَا فَيَّ إِلَّا تَلَكَّ مِنْ شِيْمَةِ الْعَبْدِ (٣)

وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ (٤) :

وَلَوْ شَاءَ بَشَرٌ كَانَ مِنْ دُونِ بَابِهِ طَمَاطُمُ سُودٍ أَوْ صَقَالِبَةٍ حُمْرُ (٥)
وَلَكِنَّ بَشَرًا سَهْلَ الْبَابِ لِلتَّنَى يَكُونُ لِبَشَرٍ غَبَّهَا الْحَمْدُ وَالْأَجْرُ (٦)
بَعِيدُ مَرَادٍ الْعَيْنِ مَارِدٌ طَرْفِهِ حِذَارُ الْعَوَاشِيِ بَابُ دَارٍ وَلَا سِتْرُ (٧)

= ابن بهدلة ، كان المنذر بن ماء السماء قد أخرج يوماً بردين يبلو بهما الوفود ، وقال : ليقم أعز العرب قبيلة فليأخذهما . فقام عامر فأخذهما واتزر بأحدهما وأرتدى بالآخر . في حديث طويل رواه التبريزي .
(١) في الحماسة : « إذا ماصنعت الزاد » . والأكيل : من يؤاكلك . وفي الحماسة : « فإنني لست آكله » .

(٢) هذا البيت وتاليه لم يروهما أبو تمام ولا أبو الفرج . والمعنى بفتح الميم وكسرها : واحد الأمعاء . والخصاصة : الفقر وسوء الحال .

(٣) ما عدل : « من مهنة العبد » .

(٤) الحكم بن عبدل الأسدي ؛ ترجم في ص ٧٤ من هذا الجزء .

(٥) بشر هنا ، هو بشر بن مروان ، وكان له به خاصة ، وولد لحكم بن عبدل ولد فسماء بشراً ودخل عليه فقال : ٢٠

سميت بشراً ببشر الندى فلا تفضحنى بتصدّقها

الأغاني (٢ : ١٥٣) . وقد ترجم بشر في (٢ : ٢١١) . الطماطم : جمع طمطم بكسر الطاءين ، وهو الأعجم الذي لا يفصح بالعربية . والصقالبة : جمع صقلبي ، نسبة إلى صقلب ، وهي بلاد بين بلغار وقسطنطينية . والتاء في مثل الصقالبة ، هي التي يقال فيها إنها عوض عن ياء النسب في المفرد ، كقولهم المهالبة والأشاعة . مع الهوامع (٢ : ١٧٠) .

(٦) غبها : بعدها ، وعاقبتها . هـ : « عندها » .

(٧) مراد العين : موضع ارتيادها وتجوّلها . والفواشي : الدواهي تغشى المرء .

وقال بعضُ الحجازيين (١) :

٢٦٠ لو كنت أحمل خَمراً يوم زُرْتُكُمْ لم ينكر الكلبُ أني صاحب الدار
لكن أتيتُ وريحُ المسك يَفْعَمُنِي والعنبرُ الورْدُ أذكِيه على النَّارِ (٢)
فأنكرَ الكلبُ رِيحِي حينَ أبصَرَنِي وكان يعرف رِيحَ الرُّقِّ والقارِ

وقال ابن عبدل :

نِعَمَ جَارُ الخنزيرةِ المُرْضِعِ العَرَّ ثِي إِذَا مَا غَدَا ، أَبُو كلثوم (٣)
طاوياً قد أَصَابَ عندَ صديق من غِذاءِ مُلَيَّقٍ مَأْدُومِ (٤)
ثُمَّ أَنَحَى بِجَعْرِهِ حَاجِبَ الشَّمْسِ سِي فَالْقَى كَالْمِعْلَفِ المَهْدُومِ (٥)

وقال حبيب بن أوس :

١٠ وحيَاةُ القريضِ إحيَاؤُكَ الجُؤ دَفَانُ مَاتِ الجُؤُ مَاتِ القريضُ (٦)
يَا مُحِبَّ الإحسانِ فِي زَمَنِ أَصَبَ حَاحَ فِيهِ الإحسانُ وَهُوَ بَغِيضُ

(١) ورد الشعر في الحيوان (١ : ٣٨٠) ، والبخلاء ٢٠٢ بدون نسبة معينة . وقد نسب في الحماسة (٢ : ٢٣٢) إلى مالك بن أسماء الفزاري المترجم في (١ : ١٤٧) .

(٢) فعمه الطيب وفعمه : ملأ خياشيمه . والورد : ما لونه الوردية ، وهي لون بين الكمئة والشقرة . ويقال مسك ذاك : ساطع الرائحة . وأما أذكى المسك فهو مما لم يرد في المعاجم ، أراد أظهر طبيه بإلقائه على النار ، كما تذكي النار ، أي يتم إشعالها .

(٣) الأبيات في الحيوان (١ : ٢٣٦ / ٤ : ٦٤) . والغرى من الغرث ، وهو شدة الجوع .
(٤) الطاوي : الجائع . الملقق : الملقن بالدسم . وفي الحيوان : « من ثريد ملق » . والمأدوم : المخلوط بالأدم ، وهو ما يخلط به الخبز .

(٥) الجعر ، بالفتح : ما يس من النجو . أنحى به : قصد به واعتمد . والمعلف ، بكسر الميم وفتحها : موضع العلف .

(٦) من قصيدة له في دهبانه ١٨١ - ١٨٣ يمدح بها أبا المغيث موسى بن إبراهيم الرافقي ، مطلعها :

وثناياك إنها لإغريض ولآل تؤم وبرق وميض

القريض : الشعر . ما عدل : « فإن مات الجواد » ، ولا يستقيم به الوزن .

وقال :

ثم اطرَحتم قَرَابَاتِي وَأَصْبِرْ حَتَّى تَوْهَمْتُ أَنِّي مِنْ بَنِي أُسَيْدِ (١)

وقال (٢) :

وطلعةُ الشَّعرِ أَقْلَى في عيونهم وفي صدورهم من طلعةِ الأسدِ (٣)

وقال :

إِيَّاكَ يعني القائلون بقولهم : إِنَّ الشَّقِيَّ بِكُلِّ حَبْلٍ يُخْنَقُ (٤)

سِرٌّ حَيْثُ شَتَّتَ من البلادِ فلي بها سُورٌ عليك من الرِّجَالِ وخندقُ (٥)

وقال (٦) :

مِنْ شاعرٍ وَقَفَ الكلامُ ببابه واكْتَنَ في كَنَفِي ذَرَاهُ المنطِقُ (٧)

قد ثَقَّفَتْ منه الشَّامُ ، وَسَهَّلَتْ منه الحِجَارُ ، ورَقَّقَتْهُ المَشْرِقُ (٨)

وقال :

بنو عبد الكريمِ نَجُومٌ ليل تُرَى في طَيِّئٍ أَبَدًا ثُلُوحُ (٩)

(١) من قصيدة لأبي تمام في ديوانه ٤٩٢ - ٤٩٣ ، يقولها في عياش .

(٢) هذه الكلمة من ل فقط . وبين هذا البيت وسابقه :

ثم انصرفت إلى نفسي لأطأرها إلى سواكم فلم تهشش إلى أحد

ومدح من ليس أهل المدح أحسبه نفسي تفصل من قلبي ومن كبدي

قوم إذا أعين الآمال جُلَّتْهُمْ رجعن مكنتلات عائر الرمد

(٣) ألقى : أبغض . ما عدل : « وطلعة الحمد » .

(٤) من قصيدة له في ديوانه ٤٩٩ - ٥٠٠ يهجو فيها عتبة بن أبي عاصم . ل : « بشعرهم »

وأشير في هامشها إلى رواية : « بقولهم » في إحدى النسخ .

(٥) هذا البيت فيما عدل متأخر عن تاليه . والوجه ما في ل .

(٦) هذه الكلمة من ل فقط . وبين البيت التالي وسابقه :

وقبيلة يدع المتوج خوفهم وكأنما الدنيا عليه مُطْبَقُ

وقصائد تسرى إلى كأنها جن تهافت أو هوم طرق

من منهضاتك مقعداتك خائفاً مستوها حتى كأنك تطلق

المطبق : السجن تحت الأرض .

(٧) اكن : استتر . الذرا ، بالفتح : الكنف والظل .

(٨) أى بلاد المشرق .

(٩) من قصيدة له في ديوانه ٤٩١ - ٤٩٣ يهجو بها عتبة .

إذا كان الهجاء لهم ثواباً

فخبرني لمن خلّق المديح^(١)

وقال :

أى شيء يكون أحسن من صد

يبّ أديبٍ متيمٍّ بأديب^(٢)

وقال :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى
كم منزل في الأرض يألّفه الفتى

ما الحبُّ إلا للحبيب الأول^(٣)
وحنينه أبداً لأول منزل

وقال :

اشرب فأنّك سوف تعلم أنّه
غاداك إسوار الكلام بشرّد
غرّر منى ماشئت كنّ شواهدى

قدح يصيب العرض منه خمار^(٤)
عون القريض حتوفها أبكار^(٥)
إن لم يكن لى والد عطّار

وقال سلمة بن الخرشب الأماري^(٦) :

أبلغ سيّعاً وأنت سيّدنا

قدماً وأوفى رجالنا ذمّما^(٧)

(١) بين هذا البيت وسابقه في الديوان :

فلا حسب صحيح أنت فيه فتكثرهم ولا عقل صحيح

١٥

(٢) من قصيدة في ديوانه ٤٣٤ .

(٣) من أبيات أربعة في ديوانه ٤٥٧ . وقبلهما :

البن جرّعني نقيع الحنظل والبن أنكلني وإن لم أنكل

ما حسرتي أن كدت أقضى إنما حسرات قلبي أنسى لم أفعل

(٤) من قصيدة له في ديوانه ٤٩٥ يهجو بها محمد بن وهب الحميري الشاعر . وقبله :

٢٠

أشرعت في بحر الجهالة سادراً والجهل في بعض الهنات عقار

وفي الديوان : « فاشرب » . والخمار ، بالضم : أثر السكر .

(٥) غاداه : يأكروه وغدا عليه . ما عدال ، هـ : عداك ، تحريف . الأسوار ، بكسر الهمزة وفتحها : الجيد الرمي بالسهم . وفي الديوان : « مختار الكلام » . والشرّد : جمع شاردة ، وهى القصيدة تذهب كل مذهب . العون : جمع عون ، وهى الثيب . عنى أنها ليست بكرافى التشيد ، فهى ما تزال يتناشدها الرواة ويتداولونها ، وأما ما تجلبه من الحذف للمهجو فهو بكرى أثره وشدة وقعه .

٢٥

(٦) ترجم في (١ : ٢٣٨) . التيمورية : « سملة » . هو التيمورية ، ب ، حـ : « بن الحارث » كلاماً تحريف .

(٧) سبقت هذه الأبيات في (١ : ٢٣٩) .

أَنْ بَغِيضاً وَأَنْ إِخْوَتَهَا ذُبْيَانَ قَدْ ضَرَمُوا الَّذِي اضْطَرَمَا
تُبَّتْ أَنْ حَكَمُوكَ بَيْنَهُمْ فَلَا يَقُولَنَّ : بئسَ ماحِكَمَا
إِنْ كُنْتَ ذَا عِرْفَةٍ بِشَأْنِهِمْ تَعْرِفُ ذَا حَقِّهِمْ وَمَنْ ظَلَمَا (١)
وَتُنْزِلُ الْأَمْرَ فِي مَنَازِلِهِ حَزْماً وَعِزْماً وَتُحْضِرُ الْفَهْمَا (٢)
وَلَا تُبَالِي مِنَ الْحَقِّ وَلَا الْمُبِّ حِلٌّ لَا إِلَهَ وَلَا ذِمَمَا
فَاحْكَمْ وَأَنْتَ الْحَكِيمُ بَيْنَهُمْ لَنْ يَعْدُمُوا الْحَكَمَ ثَابِتاً صَتَمَا (٣)
وَاصْدَعْ أَدِيمَ السَّوَاءِ بَيْنَهُمْ عَلَى رِضَا مِنْ رَضِيٍّ وَمِنْ رَغِمَا
إِنْ كَانَ مَالٌ فَقَضُ عِدَّتَهُ مَالاً بِمَالٍ وَإِنْ دَمًا فَدَمَا (٤)
هَذَا وَإِنْ لَمْ تُطِئْ حُكُومَتَهُمْ فَانْزِلْ إِلَيْهِمْ أُمُورَهُمْ سَلَمَا (٥)

وقال آخر :

أَبْلَغُ ضِرَاراً أَبَا عَمْرٍو مَغْلَغَلَةً أَنْ كَانَ قَوْلُكَ ظَهَرَ الْغَيْبِ يَأْتِينَا (٦)
إِرْهَنَ قَبِيصَةً إِنْ صَلَحَ هِمَّتْ بِهِ إِنْ ضِرَاراً لَكُمْ رَهْنٌ بِمَا فِينَا
إِنْ ضَحَّيْكَأً قَتِيلٌ مِنْ سَرَاتِكُمْ وَإِنْ حِطَّانَ مِنَّا ، فَاعْدِلُوا الدِّينَا (٧)
وَأَنَّهُ عُبِيدٌ فَلَا يُؤْذِي عَشِيرَتَهُ نَهَيْكَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَهْيِ نَاهِينَا

(١) يقال عرفه يعرفه عرفة ، وعرفانا ، وعرفانا ، ومعرفة . وفيما مضى : « إِنْ كُنْتَ ذَا خَيْرَةٍ » .

(٢) فيما سبق : « وَتَحْضِرُ الْفَهْمَا » .

(٣) الصتم ، بالتحريك : الصحيح القوي .

(٤) ما عدل : « إِنْ كَانَ مَالاً » ، وهي الرواية السابقة أيضا .

(٥) السلم ، بالتحريك : الاستسلام وإلقاء المقادة .

(٦) المغلغلة : الرسالة تحمل من بلد إلى بلد . ما عدل : « أَنْ كُلَّ » .

(٧) ل : « قَتِيلٌ مِنْ سَرَاتِكُمْ » تحريف . والسرارة : اسم جمع بمعنى الأشراف ، أو هو جمع سري

على غير قياس ، والسري : الشريف . والدين : الجزاء والمكافأة .

وقال آخر :

بنى عَدِيَّ أَلَا يَا انْهَوْا سَفِيهَكُمْ إِنَّ السَّفِيَةَ إِذَا لَمْ يَنْهَ مَأْمُورٌ ^(١)

وقال حضرميُّ بن عامر الأسديّ ، ومات أخوه فقال جَزْءٌ : قد فَرِحَ بأكل الميراث ^(٢) :

- ٥ قد قال جَزْءٌ ولم يَقُلْ أُمّاً إِنِّي تَرَوَّحْتُ نَاعِماً جَذِلاً ^(٣)
 إن كنت أَرْنَتْني بها كذباً جَزْءٌ فَلَاقِيَتْ مِثْلَهَا عَجِلاً ^(٤)
 أَفْرَحُ أَنْ أُرْزَأَ الْكَرَامَ وَأَنْ أَوْرَثَ ذَوْدًا شَصَائِصاً نُبْلاً ^(٥)

(١) هـ : « أَلَا يَنْهَى » . يا انْهَوْا ، أَى يا هؤُلاءِ ، أو يا قوم انْهَوْا . ومثله ما جاء في الكتاب : (أَلَا يا اسْجُلُوا) ، وفي قول ذى الرمة :

- ١٠ أَلَا يَا اسْلُمِي يَا دَارِ مِي عَلَى الْبَلِي وَلَا زَالٍ مِنْهَا بِمَجْرَعَاتِكَ الْقَطْرِ
 (٢) ذكر القائل في أماليه (١ : ٦٧) سبب الشعر ، قال : « كان حضرمي بن عامر عاشر عشرة من إخوته ، فماتوا فورثهم ، فقال ابن عم له يقال : « جزء » : مَنْ مَثَلْكَ ، مات إخوتك فورثهم فأصبحت ناعماً جذلاً ! فقال حضرمي » . وأنشد الأبيات التالية ، وأنشد بعدها :
 كَمْ كَانَ فِي إِخْوَتِي إِذَا احْتَضَنَ الْأَقْدَ حِوَامٌ تَحْتَ الْعِجَابَةِ الْأَسْلَا
 من واجد ماجد أخى ثقة يعطى جزيلاً ويضرب البطلاً
 إن جنته خائفاً أمنت وإن قال سأحبوك نائلاً فعلاً
 قال : « فجلس جزء على شفير بئر وكان له تسعة إخوة فانخفضت بإخوته ونجا هو ، فبلغ ذلك حضرمياً فقال : إنا لله إنا لله إنا إليه راجعون ، كلمة وافقت قدراً ، وأبقت حقداً ! . وانظر القصة بإيجاز في اللسان (جزءاً ، شصص ، نبيل) .

- ٢٠ (٣) القول الأعم ، هو القول القصد . الأمالي : « سنداً » . والسند والسداد : القصد ، والإصابة في القول . تروح بمعنى راح . والناعم : المقيم في النعيم . والجذل : الفرحان .
 (٤) أرْزَنَهُ بِالْأَمْرِ لِرِزَانَا : أَمَحَمَهُ بِهِ . عَجِلاً ، أَى ثَقَاءً عَجِلاً .
 (٥) رزأه الشيء : نقصه إياه . والذود : جماعة قليلة من الإبل . والشصائص : جمع شصوص ، وهى الناقة القليلة اللبن . والنبيل ، بالتحريك : الصغار الأجسام . ويقرأ أيضاً : « نبلا » بضم ففتح ، جمع نبلة بالضم ، وهى الجزاء والثواب . يقال : ما كانت نبيلتك من فلان ؟ أى ما كان ثوابك ؟ والبيت يستشهد به على حذف ألف الاستفهام في « أفراح » . ذكر البطليوسي في شروح سقط الزند ٨٦٠٢ أنه حسن الحذف في هذا البيت لما في الكلام من دليل عليه . أما ابن خالويه في (ليس كلام العرب) ص ٦٨ فزعم أنه مما حذف ولا دلالة عليه .

وقال حُرَيْثُ بْنُ سَلَمَةَ بْنِ مُرَّارَةَ :

تَقُولُ ابْنَةُ الْعَمَرِيِّ لَمَّا رَأَيْتُهَا :
فَإِنْ تَعَجَّبِي مَنَى عُمَيْرٌ فَقَدْ أَتَتْ
وَأَتَى لَمِنْ قَوْمٍ تَشْيِبُ سَرَائِهِمْ
وَلَوْ لَقِيتُ مَا كُنْتُ أَلْقَى مِنَ الْعِدَى
وَلَكِنَهَا فِي كِلَّةٍ كُلِّ شَتْوَةٍ
تُصَانُ وَتُعْلَى الْمَسْكُ حَتَّى كَأَنَّهَا
تَنْكَرْتُ حَتَّى كِدْتُ مِنْكَ أَهَالُ (١)
لَيْالٍ وَأَيَّامٍ عَلَيَّ طَوَّالٍ
كَذَاكَ ، وَفِيهِمْ نَائِلٌ وَقَعَالُ (٢)
إِذَا شَابَ مِنْهَا مَفَرَّقٌ وَقَدَّالُ (٣)
وَفِي الصَّيْفِ كِنَّ بَارِذٌ وَجِجَالُ (٤)
إِذَا وَضَعْتَ عَنْهَا النَّصِيفَ غَزَالُ (٥)

٢٦٣

وقال بعضُ الخوارج لامرأته وأرادت أن تنفِرَ معه :

إِنَّ الْحُرُورِيَّةَ الْحَرَى إِذَا رَكِبُوا لَا يَسْتَطِيعُ لَهُمْ أَمْثَالُكَ الْطَّلَبَا
إِنْ يَرَكِبُوا فَرَسًا لَا تَرْكَبِي فَرَسًا وَلَا تُطِيقِي مَعَ الرَّجَالَةِ الْحَبِيَا (٦)

١٠

وقال حُزْرُ بْنُ لَوْذَانَ (٧) لامرأته (٨) ، فِي شَبِيهِ هَذَا :

(١) هاله يهوله : أفزعته وأخافه .

(٢) عني أنهم يشيرون مما يلقون من الأهوال ويفتحمون من المخاطر . والنائل : ما ينال من معروف . والفعال ، بالفتح : اسم للفعل الحسن من الجود والكرم ونحوه .

١٥

(٣) ب ، ج : « إذا سال » ، التيمورية : « إذا شال » ، صوابهما في ل ، هـ . والقذال : جِماع مؤخر الرأس من الإنسان .

(٤) الكَلَّة ، بالكسر ، هو من الستور ما خيط فصار كالبيت ، يتوق فيه من البق ونحوه . والحجال : جمع حجلة ، بالتحريك ، وهو بيت كالقبة يستر بالثياب ويكون له أزرار كبار .

(٥) النصف : خمار المرأة .

٢٠

(٦) الرجالة : الذين يسرون على أرجلهم . والخب : ضرب من العدو .

(٧) خزز ، بزاعين ويوزن عمر ، ابن لوزان ، بفتح اللام وبذال معجمة : شاعر قديم جاهلي ، كما في الخزانة (٣ : ١١) . وانظر القاموس (خزز ، لوذ) والمؤتلف ١٠٢ . ونسبة الشعر التالي إلى خزز هو الثابت أيضاً في الحيوان (٤ : ٣٦٣) والخزانة ، وأمالى ابن الشجرى (١ : ٢٦٠) . ونسب إلى عنترة في المخصص (١٣ : ٢٠٦) والعقد (٢ : ٢٥٦) وحماسة ابن الشجرى ٨ وأماليه (١ : ٢٦١) . والأبيات في ديوان عنترة ٢٣ - ٢٥ .

٢٥

(٨) في الديوان أنها كانت من بجيلة ، وكانت لا تزال تذكر خيله وتلونه في فرس كان يؤثره ويطعمه ألبان إبله . انظر من أمثلة إثار العرب خيلهم بالبين ما ورد في الحماسة (١ : ١٣٠) .

- لا تذكرى مُهرى وما أطعمته فيكونَ جلدكُ مثلَ جلدِ الأجرِبِ (١)
 إنَّ العَبوقَ له وأنتِ مَسْوءَةٌ فتأوَّهى ما شئتِ ثم تَحَوَّى (٢)
 كَذَبَ العتيقُ وماءُ شَنِ باردٌ إن كنتِ سائلتى عَبوقاً فاذهبي (٣)
 إِنِّى لأحشى أن تقولَ خليلتى : هذا غِبَارٌ ساطِعٌ فتلَبِّبِ (٤)
 أنَّ العَدُوَّ لهم إليكَ وسيلةٌ إن يأخذوكَ تكحلي وتخصَّبي (٥)
 ويكونُ مركبُك القَعودَ وحِدَجُهُ وابنُ النِّعامةِ يومَ ذلِكَ مرَكَّبى (٦)
 وأنا امرؤٌ إن يأخذونى عَنوةً أُقِرَّنْ إلى شَرِّ الرِّكَّابِ وأُجَنَّبِ

- (١) أى تكونى عندى بمنزلة الأجرِب لا أقربك . وفى كتاب الخيل لابن الأعرابى ٩٢ : « وما أطعمته » فيكون لونك مثل لون الأجرِب » ، وقال : « ويروى مثل جلد الأجرِب » .
 (٢) الغبوق ، بالفتح : ما يشرب بالمشى . التحوب : التوجع والشكوى والتحنن .
 (٣) العرب يقولون : كذب كذا ، وكذب عليك كذا ، وهما مثلان غريبان من أمثلة الإغراء ، وقد جاء هذا مسموعاً فى كلامهم بكثرة . انظر اللسان (كذب) وأمالى ابن الشجرى والمخصص (٣ : ٨٤ - ٨٦) ، والمزهر (١ : ٣٨٢ - ٣٨٤) فى باب معرفة المشترك . وقد نص ابن سيدة على أن مضر تنصب بهذا الفعل مابعد وأن الين ترفع به . انظر توجيهه لذلك . يقول لها : عليك بأكل العتيق ، وهو يابس التمر ، وشرب الماء البارد الذى فى القرية الخلق ، ولا تعرضى لغبوق اللبن ، لأن اللبن خصصت به مهرى ، الذى أنتفع به ويسلمنى وإياك من الأعداء . انظر اللسان (كذب) والمخصص (٣ : ٨٦) .
 (٤) عنى بالخليلة الزوجة . وفى حماسة ابن الشجرى : « ظيعيتى » . والظيعنة : المرأة . الساطع : المرتفع . وعنى بالغبار الساطع ما يتطاير من جرى خيل العدو المغير . والتلبب : التحزم بالسلاح وغيره .
 (٥) العدو ، من الكلمات التى تقال للواحد والاثنتين والجميع ، مثنى ومذكراً ، بلفظ واحد .
 (٦) وروى ابن الشجرى فى الأمالى : « أن يأخذوك » ، وقال : « موضعه نصب بتقدير الخافض ، أى فى أن يأخذوك » ، ثم قال : « قذفها بإرادتها أن تؤخذ مسبية ، فلذلك قال : تكحلي وتخصبي » .
 (٧) أى يحملك الأعداء حين تسين على القعود ، وهو الفصل من فصلان الإبل . والحدج ، بكسر الحاء : مركب من مراكب النساء . يقول : وأما أنا فأركب اللقاء العدو فرسى ، المسمى بابن النعمة . وقيل أراد بابن النعمة باطن القدم ، وقيل أراد الطريق ، وأول الثلاثة أصبحها . والنعماء : أم فرسه ، وهى فرس الحارث بن عباد . انظر اللسان والمقاييس (نعم) والمخصص (٢ : ١٢/٥٧ : ١٣/٤٢ : ٢٠٦) . وذكر ابن الأعرابى فى كتاب أسماء خيل العرب وفرسانها ٩٢ أن ابن النعمة هذا فرس خنز ، كان يدعى « الغراف » . قال : « وهو ابن النعمة » .

وأراد أعرابى أن يسافر فطلبت إليه امرأته أن تكون معه ، فقال :
إِنَّكَ لو سافَرتِ قد مَذَحْتَ (١) وَحَكَّكَ الجَنَوَانِ فانفَشَحْتَ (٢)

وقلت : هذا صوتُ ديكٍ تحتى

المَذَحَ : سَحَجَ (٣) إِحْدَى الفَخِذَيْنِ بالأُخْرَى .

وفى شَبِيهِه بالمعنى الأول يقول عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة :

وَأَعْجَبَهَا مِنْ عَيْشِهَا ظُلُّ غَرْفَةٍ وَرَيَانُ مَلْتَفِ الحِدَائِقِ أَخْضَرُ (٤)
وَوَالِ كَفَاهَا كُلُّ شَيْءٍ يَهْمُهَا فَلَيْسَتْ لَشَيْءٍ آخَرَ اللَّيْلِ نَسْهَرُ

* * *

وقال سلامة بن جندل (٥) هذه الأبيات وبعث بها إلى صعصعة بن محمود
ابن مَرثَد (٦) ، وكان أخوه أحمر بن جندل أسيراً فى يده فأطلقه له :

سَأُجْزِيكَ بِالوُدِّ الذى كان بيننا أَصْعَصَعُ إِنْنى سوفُ أُجْزِيكَ صعصعا
سَأُهدى وَإِنْ كُنَّا بِتَثْلِيثٍ مِدْحَةٍ إِلَيْكَ وَإِنْ حَلَّتْ بِسُوْئِكَ لَعْلعا (٧)

(١) نسب فى الصحاح والتاج (فشح) إلى حسان . ومذح ، بالذال المعجمة والحاء المهملة .
ل . « مذخت » ما عدل : « مذجت » صوابها ما أثبت من هـ . ومذح : اصطكت فخذاه والتوتا
حتى تتسحجا . والبيت وتاليه فى اللسان (مذح ، فشح) بدون نسبة ، برواية « إنك لو صاحبتنا » .
(٢) الجنوان : مثنى الخنو بالكسر ، وهو من الرجل والقتب والسرّج كل عود معوج من عيدانه .
وفى الأصول ما عدا هـ : « فانفتحت » صوابه من هـ ورواية اللسان فى الموضعين ، يقال تفشحت
وانفشحت : تفأجت وبعد ما بين رجلها .

(٣) السحج : القشر والחדش . ل : « شحج » تحريف .

(٤) من قصيدته المشهورة التى مطلعها :

أَمِنْ آلِ نَعْمِ أَنْتَ غَادَ فُبُكْرَ غَدَاةَ غَدِ أَمْ رَائِحَ فَمُهْجَرِ

والبيتان فى الحيوان (٣ : ٤٩١) .

(٥) هو سلامة بن جندل بن عمرو بن عبيد بن الحارث - وهو مقاعس - بن عمرو بن كعب بن
سعد بن زيد مناة بن تميم . شاعر جاهلى قديم ، كان من فرسان العرب المذكورين وأشدائهم ، وكان
وصافا للخيل ، وكان أخوه أحمر بن جندل من الشعراء الفرسان أيضاً . الشعراء لابن قتيبة ٢٢٩ -
٢٣٠ ، والخزانة (٢ : ٨٦) .

(٦) فى الحيوان (٣ : ٧٠) : « صعصعة بن محمود بن بشر بن عمرو بن مَرثَد » .

(٧) تثليث : موضع بالحجاز قرب مكة . ولعلع : موضع بين البصرة والكوفة .

فإن يك محموداً أباك فإننا وجدناك محمود الخلائق أروعاً (١)
فإن شئت أهدينا ثناءً ومدحاً وإن شئت أهدينا لكم مائةً معاً (٢)

قال : الشناء والمدحة أحبُّ إلينا !

وقال أوس بن حجر ، حين حبس وأقام عند فضالة بن كلدّة ، وتولّت خدمته حليلة بنت فضالة ، شاكرًا لذلك (٣) :

لعمرك ما ملّت ثواء ثوبها حليلة إذ ألقى مراسي مُقَعَد (٤)
ولكنّ تلقت باليدين ضمّانتى وحلّ بفلج فالقناذ عودى (٥)
وقد غبّرت شهرى ربيع كليهما بحمل البلايا والخباء المُمَدِّد (٦)
ولم تُلهها تلك التكاليف إنّها كما شئت من أكرومة وتخرد (٧)
هى ابنة أعراق كرام تميّنها إلى خلق عِفّ برازته قد (٨)

(١) فى جمهرة الأصول : « محموداً أباك » صوابه فى هـ . والممدوح هو صعصعة بن عمرو . وفى الحيوان : « محموداً أبوك » . والأروع : الحى النفس الذكى .

(٢) عنى بالمائة مائة من الإبل تكون فدية لأخيه الأسير : أحرر بن جندل .

(٣) كان أوس قد جالت به ناقته فى سفر فصرعته فاندقت فخذاه ، فأواه فضالة بن كلدّة ، وكانت حليلة بنت فضالة تعنى به فى أثناء مرضه . الأغاني (١٠ : ٧) . والأبيات فى ديوان أوس ص ٥ والحيوان (٣ : ٧١) .

(٤) الثوى : الضيف . والثواء : الإقامة . ويقال ألقى مراسيه ، أى استقر . ومثله : ألقى عصاه . والمقعد : الذى لا يقدر على القيام لزمانة به . عنى به نفسه .

(٥) الضمانة : الداء والعاهة والزمانة . وفلج : واد بين البصرة وحمى ضرية . والقناذ : موضع لم يعين . والعود : جمع عائد ، الذى يعود المريض .

(٦) غبرت : مكثت . والبلايا : جمع بلية ، وهى الناقة التى قد أعيت وصارت نضواً هالكا .

(٧) الأكرومة ، بالضم : فعل الكرم . والتخرد : أن تصير المرأة خريدة ، وهى الحية الطويلة السكوت ، الحافظة الصوت ، الخفرة . والبيت فى اللسان (خرد) .

(٨) الأعراق : جمع عرق ، بالكسر ، وهو الأصل . نمينها : رفعتها فى النسب وعزونها . عِفّ :

عفيف . ما عدل : « عفو » تحريف . والبرازة ، بفتح الباء : الوثوق بالفصل والرأى . وفى اللسان :

« برجل يرز وبرزى » موثوق بفضلته ورأيه . وقد يَرَزُ برازةً . « ما عدال » : « برازته » تحريف . وقد كلمة بمعنى حسب . أى تكفيك منه البرازة . وهذا البيت مما لم يرو فى ديوان أوس ، كما أنه ساقط من هـ .

سَنَجْزِيكَ أَوْ يَجْزِيكَ عَنَّا مَثُوبٌ وَحُسْبُكَ أَنْ يَتَنَّى عَلَيْكَ وَتَحْمَدِي^(١)

وقال الخريّمى :

فَلَمْ أَجْزِهِ إِلَّا الْمَوْدَةَ جَاهِدًا وَحُسْبُكَ مَنَّى أَنْ أَوْدَ فَأَجْهَدًا^(٢)

وقال الأسدى :

فَأِنِّى أَحَبُّ الْخُلْدِ لَوْ أَسْتَطِيعُهُ وَكَالْخُلْدِ عِنْدِي أَنْ أَمُوتَ وَلَمْ أَكُنْ^(٣)

وقال الحادرة :

فَأَتُّنُوا عَلَيْنَا لَا أَبَا لِأَيِّكُمْ بِأَحْسَابِنَا ، إِنَّ الثَّنَاءَ هُوَ الْخُلْدُ^(٤)

وَأُنْشِدُنِي الْأَصْمَعِيُّ لِمَهْلَهْل :

فَقَتَلَا بِتَقْتِيلٍ وَعَقَرَا بِعَقْرُكُمْ جِزَاءَ الْعُطَاسِ لَا يَمُوتُ مَنْ أَتَارُ^(٥)

وَضَافَ أَبُو شَلِيلِ الْعَنَزَى^(٦) بَنَى حَكِيمٌ - فَخَذَا مِنْ عَنَزَةٍ - فَقَالَ :

٥

١٠

(١) المَثُوبُ : المجازى . يقال أثنابه وأثوبه وثوبه . وفى الكتاب : (هل ثوب الكفار ما كانوا

يفعلون) . ل : « عنى مَثُوب » . وفى الديوان والأغانى : « سأجزيك أو يجزيك عني » .

(٢) أنشدته أيضاً فى الحيوان (٣ : ٧٢) . وأجهد ، أى أجهد فى المودة .

(٣) رواه الجاحظ فى الحيوان (٣ : ٤٧٥) .

(٤) أورده أيضاً فى الحيوان (٣ : ٤٧٥) برواية : « بإحساننا » . ونص على الروائين اليزيدى فى

١٥

روايته ديوان الحادرة ص ٥ نسخة الشنقيطى .

(٥) هو فى الحيوان (٣ : ٤٧٦) بدون نسبة . العقر : القتل والإهلاك : جزاء العاطس ، هو

تشميته : الدعاء له بالخير . وقوله : « جزاء العاطس » ، أى نعجل بذلك كقدر ما بين التشميت

والعاطس . انظر اللسان (عقب ١١٠ جزى ١٥٩) . لا يموت من أتار ، أى لا يموت ذكره . وأتار :

أدرك ثأره . ما عدل : « أثار » بالثلثة ، وكلاهما صحيح ، ويقال أيضاً فى غير هذا الشعر : « أثار » على

الأصل ، هن أوجه ثلاثة فى كل ما وردت تاء افتعاله بعد التاء . انظر شرح المفصل لابن يعيش (١٠ :

١٨٤ ص ٢٦ - ٣٠) . وقد فسر ابن منظور : « لا يموت من أتار » فى مادة (جزى ١٥٩ ص ١٦)

بدون أن يسبقها إنشاد ، وهو دليل على سقط فى هذا الموضع منه . ونحو هذا البيت ما أنشدته فى اللسان :

ونحن قتلنا بالبخارق فارساً جزاء العاطس لا يموت المعاقب

(٦) ما عدل : « أبو الشليل الغبرى » . وضاف القوم يضيفهم : نزل بهم ضيفا ومال إليهم .

أراني في بنى حَكِيم غريباً على قَتَرٍ أزور ولا أزارُ^(١)
 أناسٌ يأكلون اللَّحْمَ دوني وتأتيني المعاذِرُ والقَتَارُ^(٢)

وقال آخر :

إذا مَدَّ أريابُ البيوتِ بيوتَهُم على رُجَّحِ الأكفال ألوانها زهُرُ^(٣)
 فإنَّ لنا منها خبَاءٌ يحفُّنا إذا نحن أمسينا : المجاعة والفَقْرُ

وقال الآخر ، وهو أبو المهوش الأسدي^(٤) :

تراه يطوِّفُ الآفاقَ حِرْصاً ليأكلَ رأسَ لقمانَ بنِ عادٍ^(٥)

وقال أيضاً^(٦) :

وبنو الفقِيمِ قليلةٌ أحلامهم تُطُّ اللَّحَى متشابهو الألوانِ^(٧)

- ١٠ (١) ما عدل : « قصيا » أى بعيداً ، بدل « غريباً » . والقتر ، بالفتح : ضيق العيش .
 (٢) المعاذِر : جمع معذرة . والقنار ، بالضم : ريح القدر والشواء ونحوهما .
 (٣) ل : « إذا سد » . والرجح : جمع راجحة : وهى الثقيلة ، ويقال امرأة راجح ورجاح ، أى ثقيلة العجيزة . والزهر : الحسان البيض ، جمع زهراء .
 (٤) أبو المهوش ، بالشين ؛ وفيما عدل : « أبو الهوس » تحريف . وأبو المهوش الأسدي ، هو حوط بن رثاب ، أو ربيعة بن وثاب ، من الشعراء المخضرمين الذين أدركوا النبى ولم يروه . انظر الخزانة
 ١٥ (٣ : ٨٦) ، والإصابة ٢٠١٥ ، وماسبق فى (١ : ٢٠٧) . ونسبة الشعر إلى أبى مهوش تطابق ماورد فى حواشى الكامل ٩٨ ليسلك . لكن نسب فى معجم المرزبانى ٤٩٤ وكنائيات الجرجانى ٧٣ والاقضاب ٢٨٨ إلى يزيد بن الصعق الكلابى . وانظر خيراً لهذا الشعر فى المراجع المتقدمة والعقد (٢ : ١٠) ، وأمثال الميدانى (١ : ١٧١) وأدب الكاتب ١٢ والخزانة (٣ : ١٤٢) وأخبار الظراف ٢٤ .
 ٢٠ (٥) قبل البيت كما سبق فى (١ : ١٩٠) :
 إذا ما مات ميت من نعيم وسرك إن يعيش فجئُ بَرادٍ
 بنجر أو بلحم أو بسمن أو الشيء الملفف فى البجاد
 وقال الثعاللى فى ثمار القلوب ٢٥٧ : « العرب كما تصف لقمان بن عاد بالقوة وطول العمر ، كذلك تصف رأسه بالعظم وتضرب به المثل » . وأنشد البيت : ومثل هذا الكلام لابن السيد فى الاقضاب ٤٩ ، وزاد : « كما يقال لمن يزهى بما فعل ويفخر بما عنده : كأنه قد جاء برأس خاقان » .
 ٢٥ (٦) الأبيات التالية لجبرير فى ديوانه ٥٨١ ، والحيوان (١ : ٢٥٨) ، وعيون الأخبار (٣ : ٢٢٥) ، يهجو بها بنى الهجيم بن عمرو بن نعيم .
 (٧) بنو الفقيم ، كذا ورد فى جميع النسخ . وصوابه « بنو الهجيم » كما فى المراجع =

لو يَسْمَعُونَ بِأَكْلَةٍ أَوْ شَرِيَةٍ بَعْمَانَ أَصْبَحَ جَمْعُهُمْ بَعْمَانُ (١)
مَتَابِطِينَ بَيْنَهُمْ وَبَنَاتِهِمْ صَعَرَ الْأَنْوَفَ لَرِيحٍ كُلِّ دُخَانٍ (٢)
وقال الآخر :

وجيرة لن ترى في الناس مثلهم إذا يكون لهم عيدٌ وإفطارٌ
إن يُوقدوا يُوسعوننا من دخانهم وليس يبدو لنا ما تنضج النارُ
وقال أبو الطُّرُوق الضَّبِّي (٣) ، في خاقان بن عبد الله بن الأهم (٤) :
شكَّ النَّاسُ في خاقانَ لَمَّا أتى لولادِهِ سنةً وشهراً (٥)
وقالت أخته : إني براءٌ إلى الرَّحْمَنِ منك وذاك تُكرُّ
ولم تسمع بحمل قبل هذا أتى من دونه دهرٌ ودهرٌ
فناقرها فألحقه شبيبٌ وأثبتته فثاب عليه وفُر (٦)
وقال مَكِّي بن سواده البرجُمي فيه (٧) :

تَحْيِرُ اللَّوْمِ يَبْغِي من يُحَالِفُهُ حَتَّى تَنَاهَى إلى أَبْنَاءِ خاقانِ
أُزْرَى بِكُمْ يا بني خاقانَ أَنْكُمْ من نسل حَجَامَةٍ من قِنِّ هِزَانِ (٨)

= المتقدمة . الديوان : « قبيلة غنموسة » ، والحيوان وعيون الأخبار : « سخيفة أحلامهم » . والأحلام :
العقول . ثط : جمع أنط ، وهو القليل شعر اللحية . ١٥

(١) الحيوان : « أضحى جمعهم » .

(٢) صعر : جمع أصعر ، وهو المائل . وفي الديوان : « متوركين بينهم » . توركت المرأة الصبي ،
إذا حملته على وركها .

(٣) سبقت ترجمته في (١ : ١٥) .

(٤) انظر ما سبق في (١ : ٣٥٥ س ١٣ - ١٤) . ٢٠

(٥) ما عدل ، هـ : « وشك » بلون خرم . والولاد : الولادة .

(٦) ثاب عليه : رجع . والوفر : المال الكثير الواسع .

(٧) انظر ما سبق في (١ : ٣) .

(٨) الحجامة : التي تقوم بالحجامة ، وهي امتصاص الدم بالحجامة بعد أن يظهره المشرط .
وهذه الصناعة مثل في الخسة . والقن : المملوك هو وأبواه ، يقال عَبد قن ، وعبدان قن وعبيد قن . فإذا لم
يكن أبواه مملوكين فهو عبد مملكة . وهزان ، بكسر الهاء وتشديد الزاى : = ٢٥

سَفَاكِيْهِ لِدِمَائِ الْقَوْمِ آكَلَةٍ قَدْماً لَأَمْوَالِهِمْ مِنْ غَيْرِ سُلْطَانٍ (١)
 لو تَسْأَلُوْنَ بِهَا أَيُّوْبَ جَاءَكُمْ عَلَى الَّذِي قُلْتُ أَيُّوْبَ بِبِرْهَانٍ
 أَيَّامَ تُعْطِيهِ خَرْجاً مِنْ حِجَامَتِهَا يَوْماً فَيَوْمَا تُوْفِيهِ بِأَرْبَانٍ (٢)
 فَإِنْ رَدَدْتُمْ عَلَيْهِ مَا يَقُولُ أَتَى عَلَى مَقَالَتِهِ فِيهَا يَتَبَيَّنُ
 ثُمَّ اشْتَرَاهَا أَبُو خَاقَانَ حِينَ عَسَتْ فَالْتَقَطْتَ نُطْفَةً مِنْهُ بِأَقْطَانٍ (٣)
 فَاسْتَدْحَلَتْهَا وَلَا تَدْرِي بِمَا فَعَلْتَ حَتَّى إِذَا ارْتَكَضَتْ جَاءَتْ بِخَاقَانَ (٤)

وقال اللعين المنقري (٥) في آل الأهم :

وكيف تُسَامُونَ الْكَرَامَ وَأَنْتُمْ دَوَارُجُ حَيْرِيُونَ فُذِّعَ الْقَوَائِمُ (٦)

= هم بنو هزان بن صباح بن عتيك بن أسلم بن يذكر بن عترة بن أسد بن ربيعة الفرس بن نزار بن معد
 ابن عدنان . الاشتقاق ١٩٤ .

١٠

(١) يشير إلى أن كسبها من الحجاماة كسب خبيث .

(٢) الخرج : الإتاوة . الأربان بالضم : لغة في العربان ، كما أن الأربون لغة في العربون . وأصل
 العربان : أن يشتري السلعة ويدفع إلى صاحبها شيئاً من الثمن على أنه إذا أمضى البيع حسب من الثمن ،
 وإن لم يمضه كان لصاحب السلعة ولم يرجعه المشتري . وهو بيع باطل عند جمهور الفقهاء لما فيه من
 الشرط والغرر ، وأجازه أحمد ، وروى عن ابن عمر إجازته . وقد عبّر بالأربان هنا عما تدفعه مقدماً إليه
 من الإتاوة . انظر اللسان (أرب ، أرن ، ربن ، عرب ، عربن) ، والمغرب للجواليقي ٢٣٢ - ٢٣٣ .

١٥

(٣) عست : كبرت وأسنت ، يقال عسا يعسو ، وعسى يعسى ، كرضى يرضى . ومثله في المعنى
 عتا يعتو . ما عدا هـ : « نقطة » ، تحريف .

(٤) ارتكضت : اضطربت . أراد تحرك جنينها في بطنها . والمعروف في مثل هذا أركضت المرأة

٢٠

والدابة . أى تحرك ولدها في بطنها وعظم .

(٥) اللعين : لقب له ، واسمه منازل بن ربيعة ، من بني منقر ، ونقل صاحب الخزانة عن زهر
 الآداب أن سبب تلقبه بذلك أن عمر سمعه ينشد شعراً والناس يصلون ، فقال : من هذا اللعين ؟ فعلق به
 بهذا الاسم . وهو القائل في الحكومة بين جرير والفرزدق :

سَأَقْضِي بَيْنَ كَلْبِ بَنِي كَلِيبَ وَبَيْنَ الْقَيْنِ قَيْنِ بَنِي عَقَالِ

٢٥

فَإِنْ الْكَلْبَ مَطَعَمَهُ خَبِيثَ وَإِنْ الْقَيْنَ يَعْمَلُ فِي سَفَالِ

الشعراء ٤٧٤ والاشتقاق ١٥٣ - ١٥٤ والخزانة (١ : ٥٣٠ - ٥٣١) والعيني (٢ : ٤٠٤ - ٤٠٥) .

(٦) المسامة : المباراة والمفاخرة : دوارج ، يقال قبيلة دارجة ، إذا انقرضت ولم يبق لها عقب .

وأنشد في اللسان للأخطل :

=

بنو مُلصَقٍ من وُلِدَ حَدْلَمَ لم يكن ظَلُوما ولا مستَكْبِراً لِلْمَظَالِمِ (١)
وقال الآخر (٢)

قالت : عهدُك مجنوناً ، فقلت لها : إنَّ الشَّبابَ جنونٌ بُرؤُهُ الكِبَرُ (٣)
وقال أعرابيٌّ ، وهو أبو حَيَّةِ التُّمَيْرِيُّ (٤) :

رمتني وميترُ الله بيني وبينها عشيةَ آرامِ الكِنَاسِ رَمِيمُ (٥)
ألا ربُّ يومٍ لو رمتني رميتها ولكنَّ عهدي بالنِّضالِ قديمُ (٦)
رَمِيمُ التي قالت لجارَاتِ بيتها ضَمِنْتُ لَكُمْ أَلَّا يَزَالَ يَهِيمُ (٧)

= قبيلة كشارك النمل دارجة إن يهبطوا الغفو لا يوجد لهم أثر
أو هو من الدَّرَجَان ، وهو مشية الصبي والشيخ . حيريون : منسوبون إلى الحيرة ، وهي بلد بجانب الكوفة . والفدع : جمع أفدع وفدعاء . والفدع بالتحريك : عوج وميل في المفاصل . ل : « بدع » تحريف .

(١) الملصق : الدعي ليس من القوم بنسب .
(٢) هو العتيبي ، كما في حماسة ابن الشجري ١٨٤ ، ٢٤٥ .
(٣) قبله ، كما في حماسة ابن الشجري :
لما رأيته هند قاصراً بصري عنها وفي الطرف عن أمثالها زور
وفي عيون الأخبار (٢ : ٣٢٠) ما يؤهم أن البيت « قالت عهدتك » هو من شعر ابن أبي فتن ؛
لأنه أنشده بعد بيت لابن أبي فتن ، وهو :

من عاش أخلفت الأيام جدته وخانه الثقتان : السمع والبصر
والحق أن بيت العتيبي مقحم في هذا الموضع من عيون الأخبار ، وموضعه هو السطر الثامن عشر من صفحة ٣٢٠ فقط . وانظر الحيوان (٦ : ٢٤٤ ، ٤٢٢) .

(٤) وهو أبو حية التميمي ، من هـ والكامل ١٩ ليسك والحماسة (٢ : ١١٠) . والأبيات بدون نسبة في الحيوان (٣ : ٤٩) ، وسبقت في (١ : ٦٨) .

(٥) أي رمتني بطرفها . وعنى بستر الله الإسلام ، أو الشيب . وآرام الكناس : موضع . وروى : « بأحجار الكناس » . الكامل واللسان (كنس) . ورواية الحماسة : « ونحن بأكناف الحجاز » . ورميم هي خليلته .

(٦) قال المبرد في تفسيره : « لو كنت شاباً لزميت كما رويت ، وفكنت كما فنتت ، ولكن قد تطاول عهدي بالشباب » .

(٧) توجه « لا يزال » رفعاً بجمل « أن » مخففة من الثقيلة ، ونصباً بجملها ناصبة .

وقال أبو يعقوب الأعور :

بقلبي سَقَامٌ لَسْتُ أَحْسِنُ وصفَه على أَنَّهُ ما كان فهو شديد
تَمَرُّ به الأَيَّامُ تَسْحَبُ ذيلُها فتَبَلَّى به الأَيَّامُ وهو جديد
وقال الثَّقَفِيُّ (١) :

مَنْ كان ذا عَضُدٍ يُدْرِكُ ظلامَتَه إِنَّ الدَّلِيلَ الذي لَيْسَتْ لَهُ عَضُدُ (٢)
تَنْبُو يَداهُ إِذا ما قَلَّ ناصِرُهُ ويَأْتِفُ الضَّيِّمَ إِن أَثَرى لَهُ عَدَدُ (٣)

وقال أَشْجَعُ السُّلَمِيُّ (٤) ، في هارون أمير المؤمنين :

وعلى عَدُوِّكَ يا بَنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ رَصَدانِ : ضَوْءُ الصُّبْحِ والإِظْلَامِ (٥)
فإِذا تَنَبَّهَ رُعْتَهُ وَإِذا هَذَا سَلَّتْ عَلَيْهِ سَيُوفُكَ الأَحْلَامِ

٢٦٨

وقال :

انتَجِعِ الفضْلَ أو تَحُلْ مِنَ الدَّنْ يا فِهاتانِ غايِنا الهِمَمِ (٦)
وقال :

أَبْتَ طَبْرِسْتانُ إِلَّا التي يَغْمُ البرِّيَّةُ مِنْ دائِها (٧)

(١) وكذا لم يعين الثَّقَفِيُّ في البيان (١ : ٦٧) ، والحيوان (٣ : ٤٥) وعيون الأخبار . (٣) :

(٢) . وقد حسبته في الحيوان يزيد بن الحكم الثَّقَفِيُّ . والحق أَنَّهُ « الأَجْرَدُ الثَّقَفِيُّ » كما نص ابن قتيبة في الشعراء ٧١٢ .

(٢) العضد : النصير والعون . والظلامه : ما يطلب عند الظالم ، وهو اسم ما أخذ .

(٣) أَثَرى عدده : كثر عدد قبيله وأنصاره .

(٤) هو أَشْجَعُ بن عمرو السُّلَمِيُّ ، من بني سليم ، ولد بالجمامة ونشأ بالبصرة ، ثم خرج إلى الرقة والرشيذ بها ، فنزل على بني سليم فتقبلوه وأكرموه ، ومدح البرامكة فوصلوه بالرشيذ ومدحه فأعجب به أيضاً ، فأثرى وحسنت حاله . الشعراء ٨٥٧ والأغاني (١٧ : ٣٠ - ٥١) وتاريخ بغداد (٧ : ٤٥) ومعاهد التنصيص (٢ : ١٣٣) والموشح ٢٩٥ .

(٥) من أبيات في الأغاني والكمال ٢٨٧ ليسلك . وقد أنشد أَشْجَعُ هارون القصيدة فأجازه بعشرين ألف درهم .

(٦) الفضل بن يحيى البرمكي .

(٧) طبرستان : بلاد بين الرى وقومس وبلاد الديلم ، وتسمى أيضاً « مازندران » =

ضُمَّتْ مَنَاقِبَهَا ضُمَّةً رَمَتْكَ بَمَا بَيْنَ أَحْشَائِهَا

قالوا : لم يدع الأول للآخر معنى شريفاً ولا لفظاً بهياً إلا أخذَه ، إلا بيت
عنتره :

فَقَرَى الذُّبَابُ بِهَا يَغْنَى وَحْدَهُ هَزَجًا كَفَعِلِ الشَّارِبِ الْمَتَرِّمِ (١)
غَرْدًا يَسْنُ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ فَعَلَ الْمَكْبَّ عَلَى الزَّنَادِ الْأَجْدَمِ (٢)

وقال الفقيمي ، قاتل غالب أبي الفرزدق :
وما كنتُ نَوَاماً ولكنَّ ثائراً أناخَ قليلاً فوقَ ظَهْرِ سَبِيلِ
وقد كنتُ مجرورَ اللسانِ ومُفَحِّمًا فأصَبْتُ أدري اليومَ كيفَ أقولُ (٣)
وقال أبو المثلث الهذلي (٤) :
أصخرَ بنَ عبدِ الله إن كنتَ شاعراً فَإِنَّكَ لَا تُهْدِي الْقَرِيضَ لِمَفْحَمِ

= واشتقاق اسمها من تبر ، الفأس بلغة الفرس ، و « ستان » بمعنى الموضع أو الناحية . وكل طبرى فهو
منسوب إليها ، وأما « طرية » التي في بلاد الشام فالنسبة إليها « طراني » . وفي الأغاني (١٧ : ٤٩) :
« غير الذي صدعت به بين أعضائها » . وتمام الأبيات :

سموتُ إليها بمثل السماء تدلى الصواعق في مائها
فلما نظرتُ إلى جرحها وضعتُ الدواء على دائها
فرشتُ الجهادَ ظهورَ الجياد بأبنائهِ وبأبنائِها
بنفسك ترميهم والخيول كرمي العقاب بأفلائِها
نظرتُ برأيك لما هم ست دون الرجال وآرائِها

(١) البيتان من معلقته . وانظر قول الجاحظ فيهما في الحيوان (٣ : ١٢٧ ، ٣١٢) .
(٢) هـ : « هزجا » وفوقها « غردا » . وروايته في الحيوان : « يحك ذراعاه » . الأجزم : المقطوع
اليدين . شبه الذباب في تلك الحالة برجل مقطوع اليدين يقدح بعمودين .
(٣) سبق البيتان وتفسيرهما في ص ٢١٤ .
(٤) ترجم في (٢ : ٢٧٥) ، حيث أنشد البيت التالي .

وقال الهذلي (١) :

على عبْدِ بن زُهْرَةَ طو لَ هذا الليلِ أَتُجِبُّ (٢)
أَجَّ لى دونَ مَنْ لى من بنى عيمٍ وإن قَرَّبُوا (٣)
طَوَى مَنْ كان ذا نَسَبٍ إلَى وزادَه النَسَبُ
أبو الأضياف والأيتا م ساعَةَ لا يُعَدُّ أبُ (٤)
ألاَّ للهِ دَرْكٍ مِنْ فَتَى قومٍ إذا رَكِبُوا (٥)
وقالوا من فَتَى للثَغ سرٍ يُرْقَبُنا ويرْتَقَبُ (٦)
فكُنْتُ أَخاهُمْ حَقًّا إذا تُدعى لها تُثْبُ
وقد ظَهَرَ السَّوَابِغُ فيه سِهُمٌ والبيضُ واليَلْبُ (٧)
أقامَ لدى مدينة آ لِ قُسطنطينَ وانقلبوا (٨)
نجيًّا حين يُدعى ، إ نَّ آباءَ الفتى تُجِبُّ (٩)

٢٦٩

وقال أدهم بن مُحَرَّرٍ الباهلي :

لَمَّا رَأَيْتَ الشَّيْبَ قَدْ شَانَ أَهْلَهُ تَفَتَّيْتُ وَابْتَعْتُ الشُّبَابَ بِدِرْهِمٍ

- (١) الهذلي هذا هو أبو العيال ، يرثى ابن أمه ، أو ابن عم يقال له : « عبد الرحمن بن زهرة »
وكان قد قتل في زمن معاوية بن أبي سفيان ، انظر ديوان الهذليين (٢ : ٢٤١ طبع دار الكتب) وشرح
السكري للهذليين ١٣٧ والأغاني (٢٠ : ١٦٦ ، ١٦٧) والشعراء ٦٥١ .
(٢) هـ : « هذا الدهر » وفي ديوان الهذليين والأغاني : « أكتب » . والكآبة : الحزن .
(٣) يقول : هم في المودة عندى دونه ، وهم أقرب إلى منه . هـ : « بنى عيم » .
(٤) يقال : هو أبوهم ، أى يكفلهم ويرعى أمورهم .
(٥) في الأغاني : « إذا رهبوا » . وفي الديوان : « من فتى حى إذا رهبوا » .
(٦) الثغر : موضع الخفانة . وفي الديوان والأغاني : « للحرب » .
(٧) بين هذا البيت وسابقه عشرة أبيات في الديوان . السوابغ : الدروع الواسعة الطويلة .
والبيض : السيوف . واليالب : نسوع ترصف فيلبسها الرجل مثل البيضة بدلا منها أو يلبسها تحتها .
(٨) انقلبوا : رجعوا ، يعنى أصحابه .
(٩) يروى : « والفتى آباؤه نجب » . والنجيب من الرجال : الكريم الحسيب .

وقال آكل المُرارِ الملك (١) :

إِنَّ مَنْ غَرَّهَ النِّسَاءُ بِشَيْءٍ بَعَدَ هِنْدٍ لَجَاهِلٍ مَغْرُورٍ
حُلُوةُ الْعَيْنِ وَاللِّسَانِ ، وَمُرٌّ كُلُّ شَيْءٍ يُجِنُّ مِنْهَا الضَّمِيرُ
كُلُّ أَثْنَى وَإِنْ بَدَتْ لَكَ مِنْهَا آيَةُ الْحَبِّ ، حُبُّهَا حَيَّتُورُ (٢)

وقال طَفِيلُ الْعَتَوِيِّ :

إِنَّ النِّسَاءَ كَأَشْجَارٍ نَبْتَنَ مَعَا مِنْهَا الْمُرَارُ وَبَعْضُ الْمُرِّ مَا كُولُ (٣)
إِنَّ النِّسَاءَ مَتَى يُنْهَيَنَّ عَنْ خُلُقٍ فَإِنَّهُ وَاجِبٌ لَا بُدَّ مَفْعُولُ (٤)
لَا يَنْتَبِهُنَّ لِرُشْدٍ إِنْ صُرِفْنَ لَهُ وَهَنَّ بَعْدَ مَلَاوِيْمٍ مَخَاذِيلُ (٥)

(١) آكل المرار : لقب حجر بن معاوية ، من أجداد امرئ القيس الشاعر ، وهو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار بن معاوية بن ثور . وثور هذا هو كندة الذي ينسب إليه الكنديون . وإنما لقب حجر آكل المرار لما ذكر أبو عبيد قال : « أخبرني ابن الكلبي أن حجرا إنما سمي آكل المرار أن ابنة كانت له ، سبها ملك من ملوك سليح ، يقال له : ابن هبولة ، فقالت له ابنة حجر : كأنك بأبي قد جاء كأنه جمل آكل المرار - يعني كاشراً عن أنيابه . فسمى بذلك . وقيل إنه كان في نفر من أصحابه في سفر فأصابهم الجوع ، فأما هو فأكل من المرار حتى شبع ونجا ، وأما أصحابه فلم يطيقوا ذلك حتى هلك أكثرهم » . الشعراء ٦٢ ، واللسان (مرر) ، وشرح شواهد الشافعية للبغدادى ٣٩٣ - ٣٩٧ . والمرار : شجر مر إذا أكلته الإبل قلصت عن مشاقرها .

(٢) الحيتعور : المتلون الذي لا يدوم على حال . وأنشده في اللسان (ختعر) برواية : « وإن بدا لك منها » . وكذا في شرح شواهد الشافعية .

(٣) الأبيات في ديوان طفيل ٣٤ طبع لندن ١٩٢٧ برواية أبي حاتم عن الأصمعي . والأول والثاني في عيون الأخبار (٤ : ١١٣) والشعراء ٤٢٣ .

(٤) الواجب : اللازم الثابت ، وهو أيضاً الساقط والواقع . وفي عيون الأخبار : « فإنه واقع » . وهذا البيت وسابقه ذكر أبو حاتم في شرح الديوان أنهما لمالك بن كعب ، والد كعب بن مالك الأنصاري .

(٥) هذا البيت من ل فقط . وفي الديوان : « لا ينتبين لرشد إن منين به » وفي الشعراء : « لا ينصرفن لرشد إن دعين له » . ملاويم ، من اللوم ، جمع ملوم ، وهي الكثيرة اللوم . ومخاذيل من الخذل ، وهو ترك النصرة . وفي الشعراء : « ملائيم » تحريف .

وقال علقمة بن عبدة (١) :

فإن تسألوني بالنساء فأئنني بصير بأدواء النساء طبيب (٢)
إذا قل مال المرء أو شاب رأسه فليس له من وذهن نصيب (٣)
يُردن ثراء المال حيث علمته وشرخ الشباب عندهن عجيب (٤)

٢٧٠

وقال أبو الشعثب السعدي (٥) :

أبعد بني الزهراء أرجو بشاشة من العيش أو أرجو رخاء من الدهر
غطارفة زهر مضموا لسيلهم ألهي على تلك الغطارفة الزهر (٦)
يدكرنيهم كل خير رأيته وشر فما أنفك منهم على ذكر

وقال أبو حزاب (٧) ، في عبد الله بن ناشرة :

ألا لا فتى بعد ابن ناشرة الفتى ولا خير إلا قد تولّى وأدبراً
وكان حصاداً للمنايا ازدرعنه فهلاً تركن التبت ما كان أخضر (٨)

(١) هو علقمة بن عبدة ، بالتحريك ، بن النعمان بن ناشرة بن قيس بن عبيد بن ربيعة الجوع ابن مالك بن زيد مناة بن تميم . وهو المعروف بعلقمة الفحل ، شاعر جاهلي مجيد . وقصيدته التي منها هذه الأبيات اختارها المفضل في المفضليات (٢ : ١٩٠ - ١٩٦) ، وهي في ديوانه من مجموع خمسة دواوين ١٣١ - ١٣٢ والشعر والشعراء ١٧١ .

١٥

(٢) بالنساء ، أي عن النساء . وفي الكتاب : (فاسأل به خبيراً) ، أي عنه .

(٣) في المفضليات وما عدل : « إذا شاب رأس المرء أو قل ماله » .

(٤) ثراء المال : كثرته . وشرخ الشباب : أوله .

(٥) ويقال أيضاً « العبيسي » ، شروح سقط الزند ٨٧٠ . وعبس ، هو ابن بغيض بن ريث بن

٢٠

غطفان بن سعد بن قيس عيلان .

(٦) الغطارفة : جمع غطريف ، وهو السيد الشريف السخي . والزهر : جمع أزهر ، وهو الحسن

الأبيض من الرجال .

(٧) أبو حزاب ، بضم الحاء ، هو الوليد بن حنيفة من شعراء الدولة الأموية ، بدوى حضر

وسكن البصرة ، ثم اكتب في الديوان وضرب عليه البعث إلى سجستان ، فكان بها مدة وعاد إلى

٢٥

البصرة ، وخرج مع ابن الأشعث لما خرج على عبد الملك . وكان شاعراً راجزاً فصيحاً خبيث اللسان

هجاء . الأغاني (١٩ : ١٥٢ - ١٥٦) .

(٨) ازدرعنه : زرعته .

لَحَا اللَّهُ قَوْمًا أَسْلَمُوا وَرَفَعُوا عَنَّا جِيحَ أَعْطَتْهَا يَمِينُكَ ضَمْرًا (١)
 أَمَّا كَانَ فِيهِمْ فَارِسٌ ذُو حَفِيزَةٍ يرى الموت في بعض المواطن أعْذَرًا (٢)
 يَكْرُ كَمَا كَرَّ الْكَلْبِيُّ بَعْدَمَا رأى الموت تحدوه الأُسْنَةُ أَحْمَرًا
 فَكَّرَ عَلَيْهِ الْوَرْدَ يَدْمَى لَبَائُهُ وما كَرَّ إِلَّا رَهْبَةً أَنْ يُعِيرَا (٣)
 وقال أعرابي (٤) :

رَعَاكَ ضَمَانُ اللَّهِ يَا أُمَّ مَالِكٍ وَلِلَّهِ أَنْ يُشْقِيكَ أَعْنَى وَأَوْسَعُ (٥)
 يَذْكُرُنِيكَ الْخَيْرُ وَالشَّرُّ وَالَّذِي أخاف وأرجو والذي أتوقّع
 وقال دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ (٦) :

وَقَالُوا: أَلَا تَبْكِي أَخَاكَ ، وَقَدْ أَرَى مكانَ الْأُمَى لَكِنْ تُنِيْتُ عَلَى الصَّبْرِ (٧)

١٠ (١) رفع فرسه : سار به دون الحضر وفوق الموضوع . والعناجيج : جمع عنجوج ، بالضم ، وهو الرائع من الخيل ، أو الجواد . الضمر : جمع ضمير . أعطتها يمينك ، يقول : أنت منحهم تلك الخيل ، ولكنهم لم يفوا لك ، وأسلموك .

(٢) الحفيظة : المحافظة على العهد ، والحمامة على الحرم . أعذر ، أى أجاب للعذر .

(٣) يقال كرهه ، فكّر هو . الورد : اسم فرس . واللبان ، بالفتح : الصدر .

١٥ (٤) أعرابى من هذيل ، كما في الحيوان (٧ : ١٤٨) . والبيتان بكون نسبة في الحماسة (٢) :

(١١١) .

(٥) الضمان : مصدر ضمن الشيء وبه : كفله . وقال المرزوق - فيما رواه عنه التبريزي في

شرح الحماسة : « أشار بقوله ضمان الله إلى ما في القرآن من قوله تعالى : ادعوني أستجب لكم . وقد

ضمن الإجابة للداعي . فرعاك ضماناً الله » . يشقيك ، كذا جاءت الرواية هنا ، وفي الحماسة كذلك :

٢٠ « عن يشقيك » . وعن هذه لغة في « أن » ، وهى اللغة المعروفة بمنعته نعيم ، كما في قول ذى الرمة :

أعن توسمت من أسماء منزلة ماء الصباية من عينيك مسجوم

ويحتمل أن يكون بعدها « أن » مقدره . وروى في الحيوان - وهو رواية المرزوق كما استظهر له

التبريزي : « أن يسقيك » ، وهو بتقدير حذف الجار ، أى والله بأن يسقيك ، أى أظهر غنى وأوسع

قدرة . هـ : « أرى وأوسع » .

٢٥ (٦) ترجم في (١٠٧ : ١) . وكان أخوه عبد الله بن الصمة قد غزا غطفان ومعه بنو جشم وبنو

نصر أبناء معاوية ، فظفر بغطفان وساق أموالهم وذلك في يوم يقال له يوم اللوى ، ثم أدرتهم غطفان :

عبس وفزارة وأشجع ، فحمل عليه رجل من عبس فقتله . الأغاني (٩ : ٣) .

(٧) الأبيات في الأغاني (٩ : ٣) والحماسة (١ : ٣٤٠) . وفيها : « مكان البكا » .

- فَقُلْتُ: أَعْبَدَ اللَّهُ أَبْكَى أُمِّ الذِّى عَلَى الْجَدَثِ النَّائِي قَتِيلَ أُمِّ بَكْرِ (١)
 وَعَبَدَ يَغُوثٌ أَوْ نَدِيمِي خَالِدًا وَعَزَّ الْمُصَابُ وَضَعَ قَبْرَ حِذَا قَبْرِ (٢)
 أَبِي الْقَتْلِ إِلَّا آلَ صِمَّةَ لِأَنَّهُمْ أَبُوا غَيْرَهُ وَالْقَدْرَ يَجْرِي إِلَى الْقَدْرِ (٣)
 فَإِنَّمَا تَرَيْنَا لَا تَرَأَى دِمَاؤُنَا لَدَى وَاتِرٍ يَسْعَى بِهَا آخِرَ الدَّهْرِ (٤)
 فَإِنَّا لِلْحَمِّ السَّيْفِ ، غَيْرِ نَكِيرَةٍ وَنُلْحِمُهُ حِينًا وَلَيْسَ بِذِي نُكْرِ (٥)
 يُغَارَ عَلَيْنَا وَاتَرَيْنَ فُيُشْتَفَى بِنَا إِنْ أَصَبْنَا أَوْ تُغَيَّرُ عَلَى وَتَرٍ (٦)
 قَسَمْنَا بِذَلِكَ الدَّهْرِ شَطْرَيْنِ بَيْنَنَا فَلَا يَنْقُضِي إِلَّا وَنَحْنُ عَلَى شَطْرِ (٧)

(١) الجدث : القبر . ما عدل : « على الحدث الباقي » . وأبو بكر هؤلاء ، هم بنو أمي بكر بن كلاب ، قتلوا أخاه قيس بن الصمة . الأغاني (٩ : ٢) .

- ١٠ (٢) وعبد يغوث هذا أخوه ، قتلته بنو مرة . وأما خالد أخوه فقتله بنو الحارث بن كعب . الأغاني (٩ : ٢) . ما عدل : « أو يميني خالدا » ، جعله كيدته اليمنى . وفي الأغاني : « أو خللي » ، وبدلها في الحماسة : « تحجل الطير حوله » . الجداء : الإزاء والمقابل . ما عدل : « إلى قبر » . وعجزه في الأغاني : « وعز مصابا حثو قبر على قبر » . وفي الحماسة : « وعز المصاب حثو قبر على قبر » .

(٣) القدر ، بسكون الدال ، هو القدر بفتحها ، وهو ما قدره الله . وأنشد للفردق :

- ١٥ وما صب رجل في حديد مجاشع مع القدر إلا حاجة لي أريدها
 (٤) الواتر : الذى يدرك الوتر . أى النار . ب ، جـ : « دائر » التيمورية : « دائر » محرفتان . وفي الأغاني : « يشقى بها » تحريف . يقول : إن ترينا أبدا دماؤنا عند من قتلنا له قتيلا يطلبنا بدمه ، ويسعى بما يطلب من دماؤنا .

- (٥) هم لحم السيف ، أى هم طعامه يعرضون أنفسهم للقتل . غير نكير ، منصوب على المصدر . قال التبريزي في شرح الحماسة : « وأكثر ما يستعمل نكير بغير هاء . والنكر والنكير كالعذر والعذير . ومثل هذا المصدر يؤكد به الكلام الذى قبله ، ويجرى مجرى حقا وما أشبهه . ويجوز أن تكون الهاء من النكير للمبالغة » . ولم يذكر « النكير » أحد من أئمة اللغة سوى صاحب القاموس . ألحمة : أطعمه اللحم . والحين : اسم للزمان المتصل ، فكأنه قال : ونلحمه فيما يتصل من الأوقات ، وليس يريد حيناً من الأحيان . انظر شرح التبريزي .

- ٢٥ (٦) الوتر ، يفتح الواو وكسرهما : النار .
 (٧) الشطر ، بالفتح : نصف الشيء . بينا ، أى بيننا وبين أعدائنا .

وقال الآخر (١) :

إذا ما تراءاه الرِّجَالُ تحفظوا فلم تُنطقِ العوراءُ وهو قريبُ (٢)
حبيبٍ إلى الزُّوَارِ غُشِيَانُ بيته جميلُ الحَيَّا شَبٌّ وهو أديب
فَتَى لا يُبَالِي أن يكون بجسَمِهِ إذا نَالَ خَلَاتِ الكِرَامِ شُحُوبُ (٣)
حليمٌ إذا ما الجِلْمُ زَيْنَ أهْلَهُ مع الحليمِ في عَيْنِ العدوِّ مَهِيْبُ (٤)
حليفُ النَّدى يدعو النَّدى فيجيبه قريباً ويدعوه النَّدى فيجيب
يَبِيتُ النَّدى يا أُمَّ عمرو ضجيجَه إذا لم يكن في المنقيات حُلُوبُ

يقول : إذا كان الجذب ولم يكن للمال لبنٌ فهو وَهُوبٌ مِطْعَامٌ في هذا الزمن . والمنقيات : المهازيل التي ذهب نِقْمَتُهَا ؛ والنقى : مَخَّ العظام وشَحْمُ العين ، وجمعه أنقاء . وناقاة مُنْقِيَةٌ ، أى ذات نِقَى . ١٠

وقال الآخر :

أَلَا تَرَيْنَ وَقَدْ قَطَعْتَنِي عَدَلًا ماذا من الفَوْتِ بين البُحْلِ والجودِ (٥)
إِلَّا يَكُنْ وَرَقٌ يَوْمًا أُجُودُ به للمعتفين فَإِنِّي لَكِنِ العُودِ (٦)

(١) الأبيات التالية من قصيدتين متشابهتين متداخلتين يخلط الرواة بين أبياتها ، إحداهما لكعب بن سعد الغنوي ، والأخرى لهريرة بن مسافع العبسي ، انظر الأصمعيات ٩٤ - ٩٦ طبع المعارف و ١٣ - ١٦ ليسك ، والأمال (٢ : ١٤٧ - ١٤٨) والخزانه (٤ : ٣٧٣ - ٣٧٤) ومختارات ابن الشجرى . ٢٧

(٢) تراعوه : قابلوه فرأوه . وفي شعر أُنَى ذؤيب :

أُنَى الله إِلَّا أن يفيدك بعدما تراعيتموني من قريب ومودق
والعوراء : الكلمة القبيحة . ٢٠

(٣) الحلة ، بفتح الحاء : الخصلة . يقول : لا يبالي شحوب جسمه في سبيل المكارم .
(٤) في ل : « في غير العدو » صوابه من هـ والأصمعيات . يقول : هو مهيب في عين أعدائه ، مع ما يتحل به من حلم ومسالمة . والبيت وما بعده إلى آخر التفسير من ل ، هـ فقط .
(٥) الفوت : البعد ، وفي اللسان : « وبينهما فوت فائت » كما يقال بون بائن .
(٦) الورق ، مثلثة الواو ، وككتف وجبل : الدراهم المضروبة . ما عدل : « أجود بها » ، وكلاهما صحيح . المعتفون : الطلاب والسائلون . ٢٥

وإلى هذا ذهب ابن يسير حيث يقول :

لا يَعْدُمُ السَّائِلُونَ الْخَيْرَ أَفْعَلُهُ إِمَّا تَوَالِي وَإِمَّا حُسْنَ مَرْدُودِي ^(١)

وقال الهذلي ^(٢) :

وَهَابُ مَا لَا تَكَادُ النَّفْسُ تُرْسِلُهُ مِنْ التَّلَادِ وَصَوْلٌ غَيْرُ مَنَانٍ ^(٣)

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى : ومن الشوارد التي لا أرباب لها قوله :

إِنْ يَفْجُرُوا أَوْ يَغْدِرُوا أَوْ يَيْخَلُوا لَا يَحْفَلُوا ^(٤)

وَعَدُوا عَلَيْكَ مَرْجُلِي سَنَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا ^(٥)

كَأَنِّي بَرَأَقَشَ كُلِّ لَوْ نِ لَوْهُ يَتَخَيَّلُ ^(٦)

ومثله في بعض معانيه :

أَكُولُ لَأَرْزَاقَ الْعِيَالِ إِذَا شَتَا صَبُورٌ عَلَى سُوءِ الثَّنَاءِ وَقَاحٌ ^(٧)

١٠

(١) انظر ما سبق في ص ١٧٤ . وأنشد هذا البيت في اللسان بدون نسبة ، وهو لمحمد بن يسير كما نص الجاحظ هنا ، وكما في الأغاني (١٢ : ١٢٩) والشعراء ٨٥٥ . والمردود : الرد ، وهو مصدر مثل

المخلف والمعقول بمعنى الخلف والعقل . وفي اللسان والأغاني والشعراء « إِمَّا تَوَالِي وَإِمَّا حُسْنَ مَرْدُودٍ » . (٢) هو أبو المثلم الهذلي يرقى صخر الغي الهذلي ، وكان بينهما في حياتهما عداوة ومناقضات .

ديوان الهذليين (٢ : ٢٣٨ - ٢٤٠) طبع دار الكتب ، وشرح السكري للهذليين ٣٤ ونسخة الشنقيطي ٩٤ والأغاني (٢٠ : ٢١ - ٢٢) .

(٣) ترسله ، أى تطلقه وتبته ، وذلك لنفاسته . والتلاد : المال القديم . غير منان : لا يكثر عطيته بالمن ، وهو الاعتداد بالإحسان والفخر به . ورواية الديوان :

يعطيك ما لا تكاد النفس ترسله من التلاد وهوب غير منان

(٤) انظر الآيات وروايتها وما قبل فيها في عيون الأخبار (٢ : ٢٩) وديوان المعاني (١ : ١٨٢) وأمال القالي (٣ : ٨٣) وخزانة الأدب (٣ : ٦٦٠) والصناعتين ١٠٣ ومحاضرات الراغب (١ : ١٥٠) والبغال ٣٣٨ . ما عدل : « لم يحفلوا » .

(٥) المرجلون من الترجيل ، وهو تسريح الشعر وتنظيفه . ما عدل : « يغدوا » .

(٦) أبو براقش ، بفتح الباء : طائر كالعصفور حسن الصوت طويل الرقبة والرجلين أحمر المنقار ، يتلون في كل ساعة ، يكون أحمر وأزرق وأخضر وأصفر . ولعل السبب في ذلك ما قال الأزهرى ، أنه شبيه بالقنفذ أعلى ريشه أغبر ، وأوسطه أحمر ، وأسفله أسود ، فإذا انتفش تغير ألواناً شتى . في ل وبعض المراجع السابقة : « يتبدل » .

(٧) الثناء : ما أخبرت به عن الرجل من قبيح أو حسن . والوقاح : الصلب الوجه القليل الحياء ، والأنثى وقاح أيضاً ، بغر هاء . والبيت في عيون الأخبار (٢ : ٢٩) والبغال ٣٣٨ .

وقال :

وما نَفَى عَنْكَ قوماً أَنْتَ خائِفُهُمْ كمثلِ وقمِكَ جُهاًلاً بِجُهاًلِ (١)
فاقْعَسْ إِذَا حَدَبُوا واحْدَبْ إِذَا قَعَسُوا ووازِنِ الشرَّ مثقالاً بِمثقالِ (٢)
وقال الراجز (٣) :

وقد تَعَلَّلْتُ ذَمِيلَ الْعَنَسِ (٤) بالسُّوطِ فِي دِيْمُومَةٍ كالتَّرْسِ (٥)
إِذْ عَرَّجَ اللَّيْلَ بُرُوحُ الشَّمْسِ (٦)

وقال الراجز :

قد كُنْتُ إِذْ حَبَلُ صَبَاكِ مُدْمَشْ (٧) وَإِذَا أَهَاضِبُ الشَّبَابِ تَبْعَشْ (٨)

-
- ١٠ (١) البيتان في الحيوان (١ : ١٤) . ومجالس ثعلب ٤٩١ والروض الأنف (١ : ١٧٠) والمجتنى لابن دريد ص ٨٨ . والوقم : القهر والإذلال والكبح ، والرد بخزى . ثعلب : « فما نفى عنك » .
الروض الأنف : « ولن ينهه » .
- (٢) قعس يقعس ، من باب فرح : نقيض حذب يحذب . والقعس : دخول الظهر وخروج الصدر . قال ثعلب : « أى إذا عملوا شيئاً فزد عليه » . ومثله ما أنشده ابن سيدة في الخصص (٢ : ١٨) :
- فإن حذبوا فاقعس وإن هم تقاعسوا ليتتزعوا ماخلف ظهره فاحذب
- ١٥ (٣) هو دكين الراجز ، أو أبو محمد القعسي . وانظر الحيوان (٣ : ٧٤ ، ٣٦٣) . ونسب في المؤلف ١٠٤ إلى منظور بن حبة الأسدى . انظر زهر الآداب (٢ : ١٠٥) واللسان (علل) .
- (٤) وكذا إنشاده في الحيوان . وصواب الرواية : « وقد تعاللت » كما في المراجع السابقة . يقال تعاللت الناقة ، إذا استخرجت ما عندها من السير . والذميل : ضرب من سير الإبل . والعنيس : الناقة الصلبة .
- ٢٠ (٥) الديومة : الفلاة الواسعة . والترس : ما يمسك به المحارب يتقى الضرب . جعلها كالترس في صلابتها . وإذا صلبت الفلاة لم تتضح معالمها .
- (٦) عرج الليل : حيسه . بروح الشمس : ظهورها وخروجها . وكذا جاءت الرواية في المؤلف . وفي سائر المراجع : « بروج » بالجمع ، وهو بمعنى الأولى .
- (٧) مدمش : مدمج ، أبدل الشين من الجيم لمكان الروى . والمدجج : المحكم القتل . والشطر من شواهد اللسان (دمج) وهو وتاليه في الحيوان ٣ : ٥٨ .
- ٢٥ (٨) أهاضيب : جمع أهضوبة ، وهى جلبات القطر بعد القطر . تبغش : تدفع قطرها دفعة .

وقال الراجز :

طال عليهن تكاليف السرى والنص في حين الهجير والضحي (١)
حتى عجاهن فما تحت العجى (٢) رواعف يخضين مبيض الحصى (٣)

سمع ذلك ابن وهيب فرام مثله فقال :

٢٧٣

٥ تخضب مراً دماً نجيعاً من قرط مائتكب الحوامى (٤)

وقال عامر ملاعب الأسنّة (٥) :

دفعتم عني ، وما دفع راحة بشيء إذا لم تستعين بالأنايل
يضعضني حلمى وكثرة جهلكم على ، وإني لا أصول بجاهل

وقال آخر (٦) :

١٠ لا بدّ للسودد من أرماج ومن سفية دائم الثجاج
ومن عديد يتقى بالراج

(١) النص : السير الشديد .

(٢) العجى : جمع عجاوة وعجاوة بضم العين فيهما ، وهى عصب مركب فيه فصوص من عظام كأمثال فصوص الخاتم تكون عند رسغ الدابة .

١٥ (٣) رواعف : يسيل منها الدم .

(٤) ما عدال : « يخضب » . والمرو : حجارة بيض براق ، واحدها مروة . نكبتة الحجارة نكباً : لثمتها . الحوامى : حروف الخوافر من عن يمين وشمال ، واحدها حامية .

(٥) هو عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب ، فارس قيس ، وسمى ملاعب الأسنّة لقول أوس بن حجر فيه :

٢٠ وللاعب أطراف الأسنّة عامر فراح له حظ الكنية أجمع

وهو عم لبيد الشاعر ، وهو كذلك عم عامر بن الطفيل . وفي العامرين قالوا : « أفرس من ملاعب الأسنّة » و « أفرس من عامر » . انظر الأغاني (١٤ : ٩٠) وأمثال الميداني (٢ : ٢٩) . وقالوا : أخذ ملاعب الأسنّة أربعين مرباعاً في الجاهلية . والمرباع : ربع الغنيمة يأخذه رئيس القوم لنفسه . انظر بلوغ الأرب (١ : ١٢٧) . توفي ملاعب الأسنّة في نحو سنة ١٠ من الهجرة . الإصابة ٤٤١٥ .

٢٥ (٦) هو أبو سلمى ، أو أبو سليمى . الحيوان (١ : ٣٥١ / ٣ : ٧٩) .

وقال أبو نُحَيْلَةَ لبعض ساداتِ بني سعد :

وإنَّ يقومَ سَوْدُوكَ لِفَاقَةً إلى سيِّدٍ لو يظفرونَ بِسيِّدٍ (١)

وتَمَثَّلَ سُفَيانُ بنُ عِيْنَةَ وقد جلسَ على مَرَقٍ عالٍ ، وأصحابُ الحديثِ
مَدَى البصرِ يَكْتُبُونَ ، بقول الآخر (٢) :

خَلَّتِ الدِّيَارُ فَسُدَّتْ غَيْرَ مُسَوِّدٍ ومن الشَّقَاءِ تَفَرَّدَى بالسُّودِ ٥

وقال الأول (٣) في الأحنف :

وإنَّ من الساداتِ مَنْ لو أَطَعْتَهُ دعاكَ إلى نارٍ يَفُورُ سَعِيرُهَا

وقال الآخر :

فَأَصْبَحَتْ بعدَ الحِلْمِ في الحَيِّ ظالماً تَخْمَطُ فيهِم ، والمُسَوِّدُ يَظْلُمُ (٤)

وقال رجلٌ من بني الحارثِ بن كعب ، يقال له سُوَيْدٌ (٥) :

إِنِّي إِذَا ما الأَمْرُ بَيْنَ شَكْهِ وِبدتَ بصائرُهُ لمن يَتَأَمَّلُ

وتَبَرَّأَ الضُّعَفَاءُ من إِخْوَانِهِمْ وَأَلَحَّ من حَرِّ الصِّمِيمِ الكَلِكُلُ

أَدْعُ التي هي أَرْفَقُ الحَلَّاتِ لي عِندَ الحَفِيظَةِ للتي هي أَجْمَلُ ٢٧٤

وقال الآخر (٦) :

ذَهَبَ الذِّينَ أَحَبُّهُمْ قَرَطاً وَبَقِيَتْ كَالْمَغْمُورِ في خَلْفِ (٧)

من كُلِّ مَطْوِيٍّ على حَقِّ مَتَضَجِّعٍ يُكْفَى ولا يُكْفَى ١٥

(١) سبق البيت في ص ٢١٩ . وهو من أبيات لرجل من خثعم في الحماسة (١ : ٣٣٣ - ٣٣٤) . وقد نسبت في معجم البلدان (البقيع) إلى عمرو بن النعمان البياضي .

(٢) هو حارثة بن بدر ، كما سبق ص ٢١٩ .

(٣) هو إلياس بن قتادة ، كما مضى في ص ٢١٨ .

(٤) النخبط : الكبير والغضب . والبيت في الحيوان (٣ : ٨١) .

(٥) هو سويد المرائد ، وقد سبقت الأبيات وتفسيرها في ص ٢٤١ .

(٦) هو الأحوص ، كما سبق في (٢ : ١٨٤) .

(٧) فيما مضى : « كالمغمور » .

وقال أبو الطَّمَحان القينِيُّ (١) :

فكم فيهم من سيّد وابن سيّد وفيّ بعقد الجار حين يُفارقُه (٢)
يكادُ العَمَامُ الغُرُّ يزْعَبُ إنْ رأى وجوهَ بنى لأمٍ وينهلُ بارِقَه (٣)
وقال طُفَيْلُ الغنَوِيُّ :

وكان هُرَيْمٌ من سنانٍ خليفة وعمرو ومن أسماءٍ لَمَّا تَغَيَّبُوا (٤)
نُجُومُ سماءٍ كُلُّها غاب كوكبُ بدا وانجَلَّتْ عنه الدُّجَنَةُ كوكب (٥)
وقال رجلٌ من بنى نهشلٍ (٦) :

إنّا لمن مَعَشَرٍ أَفْتَى أوائلُهم قولُ الكُماةِ لهم أين المُحامُونَا (٧)
لو كان في الألفِ مِنّا واحدٌ فدَعَا من عايطَ خالَهم إِيّاه يَعُونَا

- ١٠ (١) ترجم في (١ : ١٨٧) .
(٢) البيتان في الحيوان (٣ : ٩٣) . والأخير منهما في الشعراء ٣٤٩ وعيون الأخبار (٤ : ٢٥) .
(٣) الغر : البيض . يزعب ، من قولهم زعب السيل الوادي يزعبه زعباً : ملأه . ل : « يرغب » تحريف . وفي الحيوان والشعراء وعيون الأخبار : « يردد » ، وهى أجود . وبنو لأم هم بنو لأم بن عمرو بن طريف ، من طيء .
١٥ (٤) البيت في ديوان طفيل ١٨ برواية السجستاني عن الأصمعي ، والحيوان (٣ : ٩٤) . من قصيدة له يرثى بها فرسان قومه . وسنان هذا ، هو سنان بن عمرو بن يربوع بن طريف بن خرشبة . وكان فارساً حسيباً ، قاد ورأس . وحصن : فارس من غنى . وأسماء هو أسماء بن واقد بن وقيد بن رياح بن يربوع . وأما هرم الذي بقى بعد قتلهم وساد ورأس أيضاً فهو عم سنان ، واسمه هرم بن سنان بن يربوع . ورواية الديوان : « وحصن ومن أسماء » .
٢٠ (٥) هـ : « كلما انقض » وفي الديوان :
كواكب دجن كلما غاب كوكب بدا وانجَلَّتْ عنه الدجنة كوكب
وفي بعض نسخ الحيوان : « بدا ساطعاً في حندس الليل كوكب » .
(٦) هو بشامة بن حزن النهشلي ، كما في عيون الأخبار (١ : ١٩٠) وشرح التبريزي للحماسة (١ : ٥٠ بولاق) ، والخزانة (٣ : ٥١٠ - ٥١١) والعيني (٣ : ٣٧٠ - ٣٧١) . ونسب في الشعر والشعراء ٦١٩ إلى نهشل بن حري النهشلي ، مخالفاً ما في عيون الأخبار . وعزى في الكامل ٦٤ - ٦٥ ليسك إلى رجل يكنى أبا مخزوم ، من بنى نهشل بن دارم ، فراد الأخفش أنه هو بشامة بن حزن النهشلي . والأبيات بنسبتها إلى رجل من بنى نهشل في الحيوان (٣ : ٩٥) ، وإلى رجل من بنى قيس بن ثعلبة في الحماسة (١ : ٢٥) .
(٧) هـ : « قبل الكماة » .

وليس يذهب منا سيّد أبداً إلا اقتلنا غلاماً سيّداً فينا (١)

وقال بعض الحجازيين (٢) :

إذا طمّع يوماً عراني قريته كئيب بأس كرها وطراها (٣)

٢٧٥

أكد ثمادى والمياه كثيرة أعالج منها حفرها واكتدأها (٤)

وأرضى بها من بحر آخر إنه هو الرئ أن ترضى النفوس ثمادها (٥)

وقال أبو مخجن الثقفي (٦) :

ألم تسَلِ الفوارس من سَلِيم بنضلة وهو مَوْتورٌ مُشِيحٌ (٧)

راؤه فازدروه وهو خرق وينفع أهله الرجل القبيح (٨)

فلم يخشوا مصالته عليهم وتحت الرغوة اللبن الصريح (٩)

(١) الافتلاء : الانقطاع والأخذ عن الأم .

١٠

(٢) البيتان الثاني والثالث في مجالس ثعلب ٦٦٤ بدون نسبة ، والثاني كذلك في اللسان (كدد) .

(٣) عراه الضيف : غشيه طالبا معروفه . القرى : طعام الضيف . هـ : « بأس » .

(٤) الكد والاكنتاد : النزع باليد ، يكون ذلك في الجامد والساتل . والناد : الحفر يكون فيها

الماء القليل ، جمع ثمد . يقول : إنه يرضى بالقليل ويقنع به .

(٥) من بحر آخر ، أى بدل بحر غيرى . والبحر : الماء الكثير ملحا كان أو عذبا .

١٥

(٦) في اللسان (فصح) أن القاتل نضلة السلمي . وأبو مخجن الثقفي ، هو عبد الله بن جبيب بن

عمرو بن عمير الثقفي . وهو من المخضرمين الذين أدرکوا الجاهلية والإسلام ، معدود في أولى البأس

والنجدة ، وكان يدمن شرب الخمر ، وأقام عليه عمر الحد مراراً . وهو القاتل :

إذا مت فادفني إلى أصل كرمه تروى عظامي بعد موتى عروقيها

ولا تدفني بالفلاة فإنني أخاف إذا ما مت ألا أذوقها

٢٠

ابن سلام ١٠٥ والشعراء ٣٨٧ والأغاني (٢١ : ١٣٧ - ١٤٣) .

(٧) الأبيات لم ترو في ديوان أبي مخجن . ورواها ثعلب في المجالس ٨ - ٩ منسوبة إلى رجل من

بنى سليم . قال : « مر قوم من بنى سليم برجل من مزينة يقال له نضلة ، في إبل له ، فاستسقوه لبنا

فسقاهم ، فلما رأوا أنه ليس في الإبل غيره ازدروه فأرادوا أن يستاقوها ، فجالدهم حتى قتل منهم رجلا ،

وأجل الباقي عن الإبل ، فقال في ذلك رجل من بنى سليم ... » . وأتشد الأبيات . في مجالس ثعلب وما

٢٥

عدا ل : « ألم تسأل فوارس » . المشيخ : الحذر الجاد .

(٨) الخرق ، بكسر الحاء : الفتى الكريم الخليفة ، والطريف في سماحة ونجدة .

(٩) المصالة : مصدر ميمي من صال يصول . والرغوة ، مثلثة الراء .

فَكَرَّرَ عَلَيْهِمُ بِالسَّيْفِ صُلْتًا كَمَا غَضَّ الشُّبَا الْفَرَسُ الْجَمُوحُ^(١)
فَأُطْلِقَ غُلٌّ صَاحِبِهِ وَأُزْدَى جَرِيحًا مِنْهُمْ وَنَجَا جَرِيحُ^(٢)

وقال بعض اليهود :

سَمِئْتُ وَأَمْسَيْتُ رَهَنَ الْفِرَا شِي مِنْ حَمَلِ قَوْمٍ وَمِنْ مَعْرَمٍ^(٣)
وَمِنْ سَفَهٍ الرَّأْيِ بَعْدَ التُّهَى وَرُمْتُ الرَّشَادَ فَلَمْ يُفْهَمِ^(٤)
فَلَوْ أَنَّ قَوْمِي أَطَاعُوا الْحَلِيمَ وَلَمْ يُتَعَدَّ وَلَمْ يُظْلَمِ^(٥)
وَلَكِنْ قَوْمِي أَطَاعُوا السَّفِيَّ لَمْ حَتَّى تَعَكَّظْ أَهْلُ الدِّمِ^(٦)
فَأُودِيَ السَّفِيَّةُ بِرَأْيِ الْحَلِيمِ لَمْ فَاَنْتَشَرَ الْأَمْرُ لَمْ يُبْرَمِ

وقال بعض الشعراء :

وَكُنْتُ جَلِيسَ قَعْقَاعِ بْنِ شَوْرٍ وَلَا يَشْتَقِي بَقَعْقَاعِ جَلِيسُ^(٧)
ضَحُوكُ السَّنِّ إِنْ نَطَقُوا بِخَيْرٍ وَعِنْدَ الشَّرِّ مِطْرَاقُ عَبُوسٍ^(٨)

وقال الآخر :

وَلَسْتُ بِدُمِّيغَةِ فِي الْفِرَا شِي وَجَابَةِ يَحْتَمِي أَنْ يُجَبِّبَا^(٩)
وَلَا ذِي قَلَاظِمٍ عِنْدَ الْحِيَاظِي إِذَا مَا الشَّرِيبُ أَرَابَ الشَّرِيَا

٢٧٦

١٥ (١) الصلت : المنجرد الماضي في الضريبة . شباة كل شيء : حده .

(٢) في المجالس : « قتيلا منهم » .

(٣) الحمل : أن يحمل عن القوم دياتهم وغرمهم ، وما يحملهم هو الحمالة ، كسحابة .

(٤) ل : « فلم أفهم » .

(٥) ما عدا ل ، هـ : « ولم تتعد ولم تظلم » .

٢٠ (٦) تعكظ القوم تعكظا : تحبسوا لينظروا في أمورهم .

(٧) القعقاع بن شور ، ترجم في (١ : ٤٧) .

(٨) ما عدا ل : « إن أمروا بخير » . والمطراق : الكثير الإطراق ، وهو السكوت .

(٩) سبق البيتان في (١ : ٥٧ ، ٦٨) . وفي الأصول : « بزميجة » . وانظر ما مضى من

وقال حَجَلُ بْنُ نُضْلَةَ (١) :

جاء شقيق عارضاً رُمَحَهُ إِنَّ بَنِي عَمِّكَ فِيهِمْ رِمَاحُ (٢)
هَلْ أُحَدِّثُ الدَّهْرُ لَنَا نَكْبَةً أَمْ هَلْ رَقَتْ أُمُّ شَقِيقِ سِلَاحُ (٣)
وقال (٤) :

وَيْلٌ أُمَّ لَذَاتِ الشَّبَابِ مَعِيشَةً مَعَ الْكَثْرِ يُعْطَاهُ الْفَتَى الْمُتْلِفُ النَّدَّ (٥)
وَقَدْ يَقْصُرُ الْقُلُ الْفَتَى دُونَ هَمِّهِ وَقَدْ كَانَ لَوْلَا الْقُلُ طَلَّاعٌ أَنْجِدُ (٦)

(١) في معاهد التنصيص (١ : ٢٧) : « وأما حَجَلُ بْنُ نُضْلَةَ فهو أحد بني عمرو بن عبد قيس بن معن بن أعصر » . هـ : « جحل » .

(٢) شقيق : اسم رجل . عارضاً رُمَحَهُ : واضعاً رُمَحَهُ عرضاً مفتخراً بتصريف الرماح ، مدلاً بشجاعته . والبيت من شواهد البلاغة ، يستشهد به البلاغيون لتزليل غير المنكر للشيء منزلة المنكر له ، إذا ظهر عليه شيء من أمارات الإنكار .

(٣) رقت ، من الرقية ، وهى العُوْذَةُ التى يرقى بها صاحب الآفة . فكأنها رقت سلاحه وأحدثت به ضرباً من السحر لتضعف إصابته أو يبطل أثره . وانظر الأغاني (١٢ : ٤٩) ما عدل : « رقت » . وفي معاهد التنصيص : « رمت » .

(٤) القائل علقمة بن عبدة الفحل . ديوانه ١٣٥ . والبيتان فى الحماسة (٢ : ٥٢) بدون نسبة ، ونسبهما التبريزى فى شرحها إلى خالد بن علقمة الدارمى ، وكذا جاءت نسبتهما فى اللسان (قلل) . أما فى (أنجد) فقد نسباً أيضاً إلى حميد بن أبى شحاذ الضبى ، وهذه هى نسبة الأعلام الشتمرى فى حماسه . وفى الخزانة (١ : ٥٦٣) نسبتهما إلى خالد بن علقمة بن عبدة ، أو عبد الرحمن بن على بن عبدة ، حفيد علقمة ، وثانى البيتين فى إصلاح المنطق ٣٩ ، ٥٦ ، ١٨٨ ، ٤٠٢ . والمخصص (١٣ : ٦٧) بدون نسبة .

(٥) ويل أم ، من صيغ التعجب السماعية ، المنقولة من الدعاء عليه ، مثل « قاتله الله » فبرى بعضهم أنها « ويل لأم » ثم خففت بحذف اللام الأولى والهمزة بعد نقل حركتها إلى اللام الثانية ، وبعضهم يذهب أنها « وى لأم » ، ثم حذفت الهمزة بعد نقل حركتها إلى اللام . انظر اللسان (ويل) والخزانة (١ : ٥٦٣) . و « وى » فى هذا التقدير بمعنى أعجب . الكثير ، بالضم : المال الكثير . وروى : « يعطاها » بعود الضمير على المعيشة . الفتى : السخى الكريم . والمتلف : المفرق لماله . والندى : السخى . وياء الندى خفيفة ، وحكى كراع ثقيلها ، فوزنها فعل أو فاعل . اللسان (ندى) .

(٦) يقصر : يحبس : وروى : « يعقل » أى يحبس . والقل ، بالضم : المال القليل : الأنجد : جمع النجد ، وهو ما أشرف من الأرض وارتفع . طلاع أنجد ، أى قادراً على السمو والارتفاع إلى معالى الأمور . وبعد هذا البيت فى ديوان علقمة :

وقد أقطع الخرق المخوف به الردى بعنس كعجن الفارسى المسرد
كأن ذراعها على الخل بعد ما ونين ذراعاً ماتح متجرد

٥

١٠

١٥

٢٠

٢٥

٣٠

وقال الآخر (١):

قَامَتْ تُخَاصِرُنِي بِقِيَّتِهَا خَوِّدْ تَأْطُرْ غَادَةً بِكَرٍ
كُلُّ يَرَى أَنَّ الشَّبَابَ لَهُ فِي كُلِّ مُبْلَغٍ لَذَّةٌ عَذُرٌ

وقال سعد بن ربيعة بن مالك بن سعد بن زيد مناة ، وهو من قديم الشعر

وصحيحه :

أَلَا إِنَّمَا هَذَا السَّلَالُ الَّذِي تَرَى وَإِذَا بَارُ جَسَمِي مِنْ رَذَى الْعَثَرَاتِ (٢)
وَكَمْ مِنْ تَحْلِيلٍ قَدْ تَجَلَّدْتُ بَعْدَهُ تَقَطَّعُ نَفْسِي بَعْدَهُ حَسَرَاتِ (٣)

وقال الطرماح في هذا المعنى :

وَشَيْئِي أَنْ لَا أَزَالَ مُنَاهِضًا بَغِيرٍ ثَرًا أُسْرُو بِهِ وَأُبُوعُ (٤)
أُمَحْتَرِمِي رَبِّ الْمَتُونِ وَلَمْ أَتْلُ مِنَ الْمَالِ مَا أَعْصَى بِهِ وَأُطِيعُ

وقال الأضبط بن قريع (٥) :

لِكُلِّ هِمٍّ مِنَ الْهَمُومِ سَعَةٌ وَالْمُسْنَى وَالصُّبْحُ لَا فَلَاحَ مَعَهُ
فَصِلْ جِبَالَ الْبَعِيدِ إِنْ وَصَلَ إِلَ حَبْلٌ وَأَقْصَى الْقَرِيبِ إِنْ قَطَعَهُ
وُخِذْ مِنَ الدَّهْرِ مَا أَتَاكَ بِهِ مَنْ قَرَّ عَيْنًا بَعِيشَهُ نَفْعُهُ (٦)
لَا تُخْفِرَنَّ الْفَقِيرَ غَلَّتْ أَنْ تَرَكَعَ يَوْمًا وَالِدَّهْرُ قَدْ رَفَعَهُ (٧)

٢٧٧

(١) هو الأصوص ، كما سبق في (١ : ١٩٨) .

(٢) البيتان في ص ٢٠٠ من هذا الجزء . السلال ، بالضم : السل . وفيما سبق : « المال » .

(٣) ما عدل : « دونه حسرات » .

(٤) وهذان البيتان سبقا أيضا في ص ٢٠٠ . وفيما سبق : « بغير قوى أنزرو بها » ، وهو دليل على

أن الجاحظ يختار المقطوعة الواحدة أحيانا من كتابين مختلفين .

(٥) هو الأضبط بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . ذكره السجستاني في

المعمرين ٨ . وانظر بعض أخباره في الأغاني (١٦ : ١٥٤ - ١٥٥) وأبياته التالية في المعمرين ، ومجالس

ثعلب ٤٨٠ والأمالي (١ : ١٠٧) والأغاني (١٦ : ١٥٤) . وحامسة ابن الشجرى ١٣٧ والخزاعة (٤ : ٤٠

٥٨٩) والمثل السائر (١ : ٢٦) .

(٦) هذا البيت في ل ، ه فقط .

(٧) ويروى : « لا تهين الفقير » .

قد يَجْمَعُ المَالُ غَيْرُ آكِلِهِ . وَيَأْكُلُ المَالُ غَيْرُ مَنْ جَمَعَهُ
وقال أعرابي ، ونحر ناقة في حُطْمَةِ أصابهم (١) :

أَكَلْنَا الشَّوَى حَتَّى إِذَا لَمْ نَجِدْ شَوَى أَشْرْنَا إِلَى خَيْرَاتِهَا بِالأَصَابِعِ (٢)
وَالسَّيْفُ أُخْرَى أَنْ تُبَاشِرَ حَدَّهُ مِنَ الْجُوعِ لَا تُثْنِي عَلَيْهِ الْمُضَاجِعِ (٣)
لَعَمْرُكَ مَا سَلَيْتَ نَفْساً شَجِيحَةً عَنِ المَالِ فِي الدُّنْيَا بِمِثْلِ المَجَاوِعِ (٤)

وقدّم ناقةً له أخرى إلى شجرة ليكون المحتطب قريباً من المنحر ، فقال :
أَدْنَيْتُهَا مِنْ رَأْسِي عَشَاءَ عَشَّةٍ مُفَصَّلَةِ الأَفْنَانِ صُهْبٍ قُرُوعُهَا (٥)
وَقُلْتُ لَهَا لَمَّا شَدَّدْتُ عِقَالَهَا وَبِالْكَفِّ مُنْهَاءً شَدِيدٌ وَقُوعُهَا (٦)
لَقَدْ غَنَيْتَ نَفْسِي عَلَيْكَ شَجِيحَةً وَلَكِنْ يُسَخِّي شَحَّةَ النَفْسِ جُوعُهَا (٧)
وقال أَسْقَفُ نَجْرَانِ (٨) :

- (١) الخطمة ، بفتح الحاء وضمها : السنة الشديدة تحطم كل شيء .
(٢) الشوى : رُدَّال المَال وصغاره . وأنشد هذا البيت في مقاييس اللغة والجمهرة (شوى)
والمخصص (١٤ : ٢٩ / ١٥ : ١٦٦) . وهو وتاليه في اللسان (شوى) .
(٣) في البيت إقواء . يقول : نحر الناقة خير من الجوع الذي يذهب الرقاد . ل : « يباشر حده » ،
وتقرأ بالبناء للمفعول .
(٤) ما عدا ل ، هـ : « يمثل مجاوع » .
(٥) كذا جاء البيت بالخرم في أوله . العشاء ، وصف لم يرد في المعاجم المتداولة ، وأما العشة ،
بفتح العين ، فهي الشجرة الدقيقة القضبان . ومادة الكلمتين واحدة . مفصلة الأفنان : مفرقة الفروع .
والصهب : جمع أصهب وصهباء ؛ والصهبة : حمرة أو شقرة .
(٦) بمهمة : قد أجليت شفرتها ورققت .
(٧) غنى ، هنا بمعنى أقام . قال الله عز وجل : (كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا) ؛ أو بمعنى كان ، كما في قول
مهلهل :

غَنَيْت دَارَنَا تِهَامَةً فِي الدَّهْرِ رَ وَفِيهَا بَنُو مَعَدٍ حُلُولًا

ما عدا ل ، هـ : « غنيت » تحريف .

- (٨) الأسقف : رئيس من رؤساء النصارى . وكذا نسب الشعر في الحيوان (٣ : ٨٨) .
ونسب في العقد (٢ : ١٢٢) إلى عابد نجران . وفي معجم المرزبانى ٣٣٩ إلى القمقام بن العباهل ، وهو
تبع الثانى أو الثالث ، ملك حضرموت واليمن . وفي معاهد التنصيص (٢ : ١٢١) والصناعتين ١٩٢ إلى
بعض ملوك اليمن . وانظر خيراً متعلقاً بالشعر في زهر الآداب (٣ : ١٨٣) وأمالى القالى (٣ : ٢٩) .

مَنَعَ الْبَقَاءَ تَصَرُّفُ الشَّمْسِ وَطُلُوعُهَا مِنْ حَيْثُ لَا تُنْمِى
وَطُلُوعُهَا بَيَضاءَ صَافِيَةً وَغُرُوبُهَا صَفراءَ كَالْوَرْسِ
الْيَوْمَ نَعْلَمُ مَايَجِئُ بِهِ وَمَضَى بِفَضْلِ قَضَائِهِ أَمْسِ
وقال الآخر (١) :

وَهُلْكَ الْفَتَى أَنْ لَا يَرَّاحَ إِلَى النَّدى وَأَنْ لَا يَرَى شَيْئاً عَجِيباً فَيَعْجَبَا (٢)
وَمَنْ يَتَّبِعْ مَنَى الظَّلْعِ يَلْقَنِى إِذَا مَا رَأَى أَصْلَعَ الرَّأْسِ أَشْيَا (٣)
وقال سُحَيْمُ بْنُ وَثِيلِ الرِّياحِ (٤) :
تَقُولُ حَذْرَاءُ لَيْسَ فَيْكَ سِوَى الْحَمْدِ رِ مَعِيبٌ يَعِيبُهُ أَحَدُ (٥)
فَقُلْتُ أَخْطَأْتُ بَلَّ مُعَاوَرَتِي الْحَمْدِ رَ وَبَذَلِي فِيهَا الَّذِي أَجِدُ (٦)

٢٧٨

(١) سبق البيتان كذلك بدون نسبة في ص ٢٤٢ ، وهما لعلى بن الغدير الغنوى ، كما في الأمالى (٢ : ١٨١) .

(٢) راح يراح : أخذته أريجية وخفة وفرحة . والندى : الكرم . وانظر خبراً يتعلق بهذا البيت في الأغاني (١٨ : ٤٥) .

(٣) ما عدل ، هـ : « يتبغى منى الطلاعة » تحريف .

(٤) هو سحيم بن وثيل بن أعيقر بن أئى عمرو بن إهاب بن حميرى بن رياح بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن تميم . شاعر مخضرم ، أدرك في الجاهلية أربعين سنة ، وفي الإسلام ستين . وهو صاحب القصة المشهورة في المعاقرة . وذلك أن أهل الكوفة أصابهم مجاعة فخرج أكثر الناس إلى البوادي ، فعقر غالب بن صعصعة والد الفرزدق لأهله ناقة صنع منها طعاماً وأهدى منه إلى ناس من تميم ، فأهدى إلى سحيم جفنة فكفأها وضرب الذى أتى بها ، وغر لأهله ناقة ، ثم تفاخروا في النحر حتى نحر غالب مائة ناقة ، ولم تكن إبل سحيم حاضرة ، فلما جاءت نحر ثلاثمائة ناقة . وكان ذلك في خلافة على بن أبى طالب ، فمنع الناس من أكلها وقال : « مما أهل به لغير الله » ، فجمعت لحومها على كناسة الكوفة ، فأكلها الكلاب والمقبان والرخم . انظر النقااض ٤١٤ - ٤١٨ والأمالى (٣ : ٥٢ - ٥٤) ومعجم البلدان (٥ : ٣٩٥) والخزانة (١ : ٤٦١ - ٤٦٣) . ووثيل يفتح الواو من الوثالة ، وهى الرجاجة . وضبط في الإصابة ٣٦٦٠ وشرح شواهد المغنى ١٥٧ بالتصغير خطأ . انظر الاشتقاق ١٣٨ والخزانة (١ : ١٢٨) .

(٥) حذراء : اسم امرأة . والمعيب : العيب ، ومثله المعاب ، كما في اللسان . ما عدل له « معاب » ، وهذه أيضا هى رواية عيون الأخبار (١ : ٢٥٩) .

(٦) معاقره الخمر : إدمان شربها .

هُوَ الثَّنَاءُ الَّذِي سَمِعْتَ بِهِ لَا سَبْدٌ مُخْلِدى وَلَا كَبْدٌ ^(١)
وَيَحْكُ لَوْلَا الْخَمُورُ لَمْ أَخْفِلِ الْعَيْدَ شَىْءٌ وَلَا أَنْ يَضْمَنِي لَحْدُ ^(٢)
هِيَ الْحَيَاةُ وَالْحَيَاةُ وَاللَّهُوُ لَا أَنْتِ وَلَا ثَرْوَةٌ وَلَا وَلَدُ
وقال عبد رابع ^(٣) :

غَضِبْتَ عَلَيَّ لِأَنْ شَرِبْتُ بِجِرَّةٍ فَلَيْتَ أَنْبَيْتَ لِأَشْرَبِينَ بِخُرُوفٍ ^(٤)
وَلَكِنْ نَطَقْتَ لِأَشْرَبِينَ بِنَعْجَةٍ حَمْرَاءٍ مِنْ آلِ الْمَذَالِ سَحُوفٍ ^(٥)

وقال :

نَاحَتْ رُقِيَّةٌ مِنْ شَاةٍ شَرِبْتُ بِهَا وَلَا تَنُوحُ عَلَى مَا يَأْكُلُ الذِّبُّ

(١) لا سبد ولا لبد ، أى لا قليل ولا كثير ، قيل أصل السبد ذو الشعر ، واللبد ذو الصوف الذى يتولد ، يكتنى بهما عن المعز والضأن .

(٢) المعروف « اللحد » بفتح اللام وضمتها ، وهو شق فى جانب القبر يوضع فيه الميت . وتحريك حائه لضرورة الشعر .

(٣) اشترى ذلك الأعرابى خمراً بحزمة من صوف ، فغضبت عليه ، فقال الشعر متحدداً لها . انظر أمالى القالى (١ : ١٥٠) وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٢٠٧ . ورواية الأبيات فيها :

غضبت على لأن شربت بصوف ولئن غضبت لأشربن بخروف
ولئن غضبت لأشربن بنعجة دهساء مائلة الإناء سحوف
ولئن غضبت لأشربن بناقة كوماء ناوية العظام صفوف
ولئن غضبت لأشربن بسابع نهد أشم المنكيين منيف
ولئن غضبت لأشربن بواحدى ولأجعلن الصبر منه حليفى
ولقد شهدت الخيل تعثر بالقنا وأجبت صوت العصارخ الملهوف
ولقد شهدت إذا الخصوم تواكلوا بخصام لا نزق ولا علفوف

وروى السيوطى عن ابن الأنبارى أن امرأته أجابته فقالت :

ما إن عتبت لأن شربت بصوفة أو أن تلذ بلقحة وخروف
فاشرب بكل نفيسة أوتيتها وملكتها من تالد وطريف
وارفع بطرفك عن بنى فإنه من دونه شغب وجعد أنوف

وروى السيوطى أيضاً أن قاتل الشعر الأول هو ذو الرمة .

(٤) الجزة ، بالكسر : ما يجز من صوف الشاة فى كل سنة . وأورد ابن هشام فى المغنى (فصل

اللام) رواية ابن جنى : « فلاذ » شاهداً على غرابة ذلك فى اللام الموطئة .

(٥) من آل المذال ، أى هى من نسل ذلك الكيش المسمى بالمذال . سحوف : كثيرة

السحائف ، وهى طبقات الشحم .

وقال أبو حفص القرئبي :

قد تَعَرَّبْتُ لِلشَّقَاوَةِ حِيناً حِينَ بُدِّلْتُ بِالسَّعَادَةِ نُوقاً (١)
يَوْمَ فَارَقْتُ بَلَدِي وَفَرَّارِي وَتَبَدَّلْتُ سَوْءَ رَأْيِي وَمَوْقاً (٢)
لَيْتَ عِنْدِي بِخَيْرِ مِعْزَايَ عَشْرٍ طَيْلَسَاناً مِنَ الطَّرَازِ عَتِيقاً (٣)
وَبِخَمْسِي مِنْهُنَّ أَيْضاً قَمِيصاً سَابِرِيّاً أَمِيسُ فِيهِ رَقِيقاً (٤)
قَدْ هَجَرْتُ التَّيِّدَ مُذْ هُنَّ عِنْدِي وَتَمَزَّزْتُ رِسْلَهُنَّ مَذِيقاً (٥)
فَوَجَدْتُ الْمَذِيقَ يُوجِعُ بَطْنِي وَوَجَدْتُ التَّيِّدَ كَانَ صَدِيقاً
يَعِدُّ النَّفْسَ بِالْعَشْيِ مُنَاهَا وَيَسْلُ الْهُمُومَ سَلّاً رَقِيقاً

٢٧٩

* * *

١٠. وكان فُتًى طَيِّبٌ (٦) من وُلْدِ يَقُطِينٍ لَا يَصْحَوُ ، وَكَانَ فِي أَهْلِهِ رَوَافِضُ
يَخَاصِمُونَ فِي أُنَى بَكْرٍ وَعَمْرٍ ، وَعِثْمَانُ وَعَلِيٌّ ، وَطَلْحَةُ وَالزَّيْبِرُ ، رِضْوَانُ اللَّهِ تَعَالَى
عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ، فَقَالَ :
رُبُّ عُقَّارٍ بِاذْرَنْجِيَّةٍ اصْطَلَدَتْهَا مِنْ بَيْتِ دِهْقَانٍ (٧)

(١) ما عدل ، هـ : « للسعادة » ، تحريف . والثوق : جمع ناقة .

(٢) الموق ، بالضم : الحق .

(٣) عشر ، أى بعشر منها . ما عدل : « عشراً » . الطيلسان : كساء مدور أخضر ، لحمته
أو سداؤه من صوف ، يلبسه الخواص من العلماء والمشايخ ، وهو من لباس العجم ، معرب من « تالسان »
الفارسية . والطراز : الجيد من كل شيء ، وما ينسج من الثياب للسلطان . والعتيق : البالغ النهاية في
الجودة .

(٤) السابري : الرقيق الذي يستشف ما وراءه .

(٥) التمزز : شرب الشراب قليلاً قليلاً . والرسل : بالكسر : اللين . والمذيق : الممنوق ، وهو
المخلوط بالماء .

(٦) الطيب : الفكه المزاج . انظر ماسبق في ص ١١٥ .

(٧) العقار ، بالضم : الخمر . باذرنجية : نسبة إلى نبت يسمى « باذرنجويه » ، له زهر أحمر
عطر ، ذكره داود في تذكرته . والدهقان ، بكسر الدال وضمها : التاجر ، فارسي معرب .

جَنَدَرْتُ أرواحاً وطَيِّئُهَا بَعْدَ اتِّسَاخٍ طَالَ فِي الْحَانِ (١)
 سَكَنَّا وَسَلْنَا لَمْ نُحْضَ فِي أَذَى مِنْ قَتْلِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ (٢)
 وَلَا أُنَى بِكُفْرِ وَلَا طَلْحَةَ وَلَا زُيْـمِـرٍ يَوْمَ عُثْمَانَ
 اللَّهُ يَجْزِيهِمْ بِأَعْمَالِهِمْ لَيْسَ عَلَيْنَا عِلْمُ ذَا الشَّانِ
 وَقَالَ الْمُنَحَّلُ الْيَشْكُرِيُّ (٣) :

وَلَقَدْ شَرِبْتُ مِنَ الْمُدَا مَةِ بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ (٤)
 وَلَقَدْ شَرِبْتُ مِنَ الْمُدَا مَةِ بِالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ
 وَلَقَدْ شَرِبْتُ الْخَمَرَ بِالـ نَحِيلِ الْإِنَاثِ وَالذَّكُورِ
 فَإِذَا سَكِرْتُ فَإِنَّنِي رَبُّ الْخَوَرَنْقِ وَالسَّدِيرِ (٥)

١٠ (١) الجنْدرة : أصلها جنْدرة الكتاب ، وهى أن يمر القلم على ما درس منه ، أو أن يعيد وشي الثوب بعد ذهابه . والحان : حانوت الخمر . ولم تذكر المعاجم هذه الكلمة على كثرة ورودها في شعر أبي نواس ، وإنما ذكّرت « الحانة » . وقال أبو نواس :

في حلية الحان جان خلفه شهب مبادر راعه شخص بأنفار
 ديوانه ٢٧٨ . وقال :

نحن في حان تاجر عندينا الله هو بحلم لم نمتزجه بطيش
 ١٥ ديوانه ٣٠١ . وقال في الحان ، بمعنى الحاني ، وهو الخمار المنسوب إلى الحانة :
 إلى بيت حان لا تهر كلابه على ولا ينكرن طول ثوائى

ديوانه ٦٢ .

(٢) السكت : السكوت . والسلت : قبضك على شيء أصابه قدر ولطخ فتسلته عنه سلنا .
 (٣) المنخل بن مسعود (أو ابن عبيد) بن عامر بن ربيعة بن عمرو اليشكري . شاعر جاهلي قديم ، كان يشيب بهند أخت عمرو بن هند ، وكان يتهم أيضاً بامرأة لعمر بن هند ، وكان نديماً للنعمان بن المنذر . وكان النعمان دميماً أبرش قبيحاً ، والمنخل من أجمل العرب ، فكان المنخل يرمى بالمتجردة زوج النعمان . ويتحدث العرب أن ابني النعمان منها كانا من المنخل . فقتله النعمان . الشعراء (٣٦٤ - ٣٦٦)
 والمؤتلف ١٧٨ والأغاني (٩ : ١٥٨ - ١٥٩ / ٨ : ١٥٢ - ١٦٢) وتاج العروس (٨ : ١٣١) .
 (٤) هذا البيت من ل ، هـ . والقصيد بتمامها في الأصمعيات ٥٢ - ٥٥ بتحقيقنا مع الأستاذ

٢٥

الشيخ أحمد شاکر ، والحماسة (١ : ٢٠٢) ، والأغاني (١٨ : ١٥٥ ، ١٥٦) .

(٥) الخورنق : معرب من « خورنكاه » ، تفسيره موضع الأكل أو الشرب . و « خورن » مأخوذ من « خورنذن » مصدر بمعنى الأكل أو الشرب . و « كاه » =

وَإِذَا صَحَوْتُ فَإِنِّي رَبُّ الشَّوْبَةِ وَالْبَعِيرِ
يَارُبَّ يَوْمِ اللَّمَنَةِ حَلَّ قَدْ لَهَا فِيهِ قَصِيرِ

وقال بعضهم لزائر له ورآه يُومئ إلى امرأته ، وهو أبو عطاء السندی ^(١) :

كُلْ هَنِيئاً وَمَا شَرِبْتَ مَرِيئاً ثُمَّ قُمْ صَاغِراً فَعَيِّرْ كَرِيماً ^(٢)

٢٨٠

لا أَحِبُّ النَّدِيمَ يَوْمِضُ بِالْعَيْنِ ^(٣) إِذَا مَا خَلَا ^(٤) بِعِرْسِ النَّدِيمِ
وقال الآخر ^(٥) ، وتعرّضت له امرأة صاحبه :

رُبَّ بَيْضَاءَ كَالْقَضِيبِ تَنْثَى قَدْ دَعْتَنِي لَوْصِلَهَا فَأَيَّتْ
ليس شَأْنِي تَحْرُجاً غَيْرَ أُنَى كُنْتُ نَذْمَانَ زَوْجِهَا فَاسْتَحَيْتُ ^(٦)

وقال الآخر :

فَلَا وَاللَّهِ لَا أَلْقَى وَشَرِباً أَتَأْزِعُهُمْ شَرَاباً مَا حَيْثُ ^(٧)

١٠

= بمعنى الموضع والمكان ، كان بظهر الحيرة ، بناه النعمان بن امرئ القيس بن عمرو بن عدى ، بناه له رجل رومي يدعى « سنار » ، ولما أتم بناءه في ستين سنة راق النعمان فقال : ما رأيت مثل هذا البناء قط ! فقال سنار : إني أعلم موضع آجرة لو زالت لسقط القصر كله . فقال النعمان : أيعرفها أحد غيرك ؟ قال : لا . قال : لا جرم لأدعئها وما يعرفها أحد . ثم أمر فقفذ به من أعلى القصر ، فقتل . فقال العرب في ذلك المثل : « جزاء جزاء سنار » . والسدير : قصر قريب من الحورنق كان النعمان الأكبر قد اتخذهُ لبعض ملوك المعجم ، وهو بهرام جور ، كما في معجم استينجاس ٦٦٤ . وهو بالفارسية « سه دلي » أي ذو ثلاث غرف . « سه » بمعنى ثلاثة . و « دلي » بمعنى غرفة . وفي معجم نفيسي (فرهنك نفيسي) ص ١٨٦٤ : « سيدلي » : خاذه أي كه داراي سه أطباق باشد ، أي بناء مكون من ثلاث غرف . والمعجم العربية تفسر « دلي » بأنه الباب ، أو القبة .

(١) ترجم في (١ : ٣٨٢) . والبيتان التاليان في الأغاني (١٦ : ٨٤) والكامل ١٣ ليسك .

(٢) في الأغاني : « وأنت ذميم » . ورواية الجاحظ تطابق رواية المبرد .

(٣) في الأغاني : « يومض بالطرف إذا خلا لعرس النديم » .

(٤) في الكامل وحواشي هـ : « إذا ما انتشى » بدل : « إذا ما خلا » .

(٥) هذه الكلمة من ل فقط .

(٦) الندمان ، بالفتح : النديم ، وأصل النديم الصاحب على الشراب .

(٧) الشرب ، بالفتح : جماعة الشاربين ، اسم جمع الشارب . ومنازعة الكأس : معاطنها . قال

الله تعالى : (يتنازعون فيها كأساً لا لغو فيها ولا تأثيم) ، أي يتعاطون .

٢٥

ولا والله ما ألقى بليل أراقب عرسَ جارى ما بقيت
سأترك ما أخاف على منه مقالته وأجمله السكوت
أبى لى ذاك آباء كرام وأجداد بمجدهم ربيت
وقال السُّحيمى :

ما لى وجة فى اللّام ولا يد ولكن وجهى فى الكرام عريض^(١)
أهش إذا لاقيتهم وكأنتى إذا أنا لاقيت اللّام مريض^(٢)
وقال ابن كناسة^(٣) :

فى انقباض وحشة فإذا لاقيت أهل الوفاء والكرم^(٤)
خلّيت نفسى على سجيّتها وقلت ما قلت غير مُحْتشِم^(٥)

* * *

وقال عبد الرحمن بن الحكم^(٦) :

وكأس ترى بين الإناء وبينها قذى العين قد نازعت أم أبان^(٧) ٢٨١

(١) بالخرم ، وفيما عدل ، هـ : « ومال » . والبيتان فى عيون الأخبار (٣ : ٢٧) .

(٢) فى عيون الأخبار : « أصح » موضع « أهش » .

(٣) محمد بن كناسة ، ترجم فى ص ٥٧ من هذا الجزء .

(٤) البيتان من أصوات الأغاني (١٢ : ١٠٥) .

(٥) الأغاني : « أرسلت نفسى » . وروى أبو الفرج أن إسحاق الموصلى قال لابن كناسة حين

أنشده هذين البيتين : « وددت أنه نقص من عمرى سنتان وأنى كنت سيقنك إلى هذين البيتين فقلتما » .

(٦) هو عبد الرحمن بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس ، شاعر إسلامى كان يهاجى

عبد الرحمن بن حسان بن ثابت . وهو القاتل لمعاوية حين استلحق زياداً :

ألا أبلغ معاوية بن حرب مغلفة من الرجل المهجان

أتغضب أن يقال أبوك عف وترضى أن يقال أبوك زان

الأغاني (١٢ : ٦٩ - ٧٣ / ١٣ : ١٤٤ - ١٤٨) .

(٧) الأبيات فى الكامل ٧٣ ليسك . وفى جمهور النسخ : « بين الأنام وبينها » ، صوابه فى هـ

والكامل . وقد أراد بالكأس الخمر . وقذى العين : مثل فى الصغر والقلة والخفاء . يصف شدة صفائها .

تَرَى شَارِبِيهَا حِينَ يَعْتَقِبَانِهَا يَمِيلَانِ أحياناً وَيَعْدِلَانِ (١)
 فما ظنُّ ذَا الْوَاشِي بِأَبْيَضِ مَاجِدٍ وَبَدَاءَ خَوْدٍ حِينَ يَلْتَقِيَانِ (٢)
 وقال رَمَاحُ بْنُ مَيَّادَةَ (٣) - وكان الأصمعي يقول : نُحْتَمُ الشعر بالرماح .
 وأظُنُّ النابغةَ أَحَدَ عُمُومَتِهِ : -

أَلَا رَبُّ حَمَارٍ طَرَقَتْ بِسُدْفَةٍ مِنْ اللَّيْلِ مُرْتَاداً لَتَدْمَانِي الْخَمْرُ (٤)
 فَأَنْهَلْتُهُ خَمْرًا وَأَخْلِفُ أَنَّهَا طِلَاءٌ حَلَالٌ كَيُحْمَلَنِي الْوِزْرُ (٥)
 وقال آخر (٦) :

ولقد شَرِبْتُ الْخَمْرَ حَتَّى خِلْتَنِي لَمَّا خَرَجْتُ أَجْرُ فَضَلِّ الْمِثْزَرِ
 قَابُوسَ أَوْ عَمْرُو بْنُ هَنْدٍ قَاعِدًا يُجَبِّي لَهُ مَا بَيْنَ دَارَةِ قَبْصِرٍ (٧)
 فِي فِتْنَةٍ بِيضِ الْوُجُوهِ خَضَارِمٍ عِنْدَ النَّدَامِ عَشِيرُهُمْ لَمْ يَحْسَرَ (٨)
 ١٠

(١) في الكامل : « حين يعتورانها » .

(٢) البداء : الكثيرة لحم الفخذين . والحدود ، بالفتح : الفتاة الحسنة الخلق الشابة .

(٣) ميادة أمه ، وهو الرماح بن أبرد . ترجم في (٢ : ٢٢٤) .

(٤) الندمان ، بالفتح : النديم على الشراب ، يكون واحداً وجمعاً .

(٥) الطلاء ، بالكسر : ما طبخ من عصير العنب حتى ذهب ثلثاه .

(٦) نسب الشعر في الكامل ٧٢ إلى أعرابي . وفي حماسة ابن الشجرى ٢٣ إلى أفعى بن جناب .

(٧) قابوس ، هو قابوس بن المنذر بن عمرو بن المنذر بن الأسود بن النعمان بن المنذر بن النعمان

ابن امرئ القيس . وأمه هند بنت الحارث ، وعمرو بن هند أخوه . مروج الذهب (٢ : ٩٩) ،

والعمدة (٢ : ١٧٩) . دارة قبصر ، كذا وردت في الأصول ، وفي الكامل أيضاً : « ما دون دارة

قبصر » ، ولم أجد لها ذكراً في المعاجم وكتب البلدان . وفي حماسة ابن الشجرى : « ما دون دارة

صرصر » وليس لها ذكر كذلك . وقد اقتصر المبرد على إنشاد هذين البيتين .

(٨) الخضارم : جمع خضرم ، بكسر الخاء والراء ، وهو الجواد الكثير العطية ، شبه بالخضرم ،

وهو البحر الكثير الماء . والندام : مصدر كالمنادمة . وبديل هذا البيت في الحماسة :

ولقد رميت الخيل لما أقبلت بأغر من ولد الشموس مشهر

وقال ابن ميادة :

وَمُعْتَقِي حُرْمِ الْوُقُودِ كَرَامَةٌ كَدِمَ الذَّبِيحِ تَمَجُّهُ أَوْدَاجُهُ (١)
ضَمِنَ الْكُرُومُ لَهُ أَوَائِلَ حَمْلِهِ وَعَلَى الدَّنَانِ تَمَامُهُ وَتَنَاجُهُ (٢)

وأنشد اللاتخ لبعض الروافض :

إِذَا الْمُرْجِيُّ سَرَّكَ أَنْ تَرَاهُ يَمُوتُ بِدَائِهِ مِنْ قَبْلِ مَوْتِهِ (٣)
فَجَدَّدُ عَنْدَهُ ذِكْرِي عَلَيَّ وَصَلَّ عَلَى النَّبِيِّ وَأَهْلِ بَيْتِهِ

* * *

وقال بعضهم في البرامكة (٤) :

إِذَا ذُكِرَ الشَّرُّكَ فِي مَجْلِسِي أَثَارَتْ وَجُوهُ بَنِي بَرْمَكٍ ٢٨٢
وَإِنْ ثَلَيْتَ عَنْدَهُمْ آيَةً أَتَوْا بِالْأَحَادِيثِ عَنْ مَرْوَكٍ (٥) ١٠

وقال آخر :

لَعَنَ اللَّهُ آلَ بَرْمَكٍ إِنِّي صرْتُ مِنْ أَجْلِهِمْ أَخَا أَسْفَارٍ

(١) المعتق : الشراب القديم . حرم الوقود : لم يطبخ بالنار .

(٢) يقال ولد تمام وتمام ، بكسر التاء وفتحها ، أى تمام مدة الحمل . والتناج بالفتح : مصدر نتج الناقة ، إذا ولي نتاجها . ١٥

(٣) المرجى بتشديد الياء : نسبة إلى المرجية ، وهم فرقة يعتقدون أنه لا يضر مع الإيمان معصية ، كما أنه لا ينفع مع الكفر طاعة . سمو مرجئة لاعتقادهم أن الله أرجأ تعذيبهم على المعاصي ، أى أخره عنهم . وفى اللسان : « والمرجئة يهمز ولا يهمز ، وكلاهما بمعنى التأخير وتقول من الهمز رجل مرجى » وهم المرجئة ، وفى النسبة مرجئى ... وإذا لم تهمز قلت رجل مرج ومرجئة ومرجئى .

(٤) فى عيون الأخبار (١ : ٥١) : « وقال الأصمعي فى البرامكة » . والبرمك : اسم لكل من ولى سدانة « النوبهار » ، وهو بيت مقدس يبلغ ، وكان من يلى سدانته تعظمه الملوك وترجع إلى حكمه وتحمل إليه الأموال . وكان خالد بن برمك جد البرامكة ، من ولید من كان على هذا البيت . مروج الذهب (٢ : ٢٣٨) . ٢٠

(٥) ما عدل : « سورة » بدل « آية » . ومروك ، كذا ورد فى جميع النسخ وعيون الأخبار ، وفى حواشئ هـ : « مروك : اسم رجل من الأعاجم له فى الأعاجم تواليف » . وصوابه : « مزدك » . ومزدك : صاحب المزدكية ، خرج فى أيام قباذ بن فيروز ، فبدل شريعة زرادشت ، واستحل المحارم ، وسوى بين الناس فى الأموال والنساء والعبيد ، فكثرت أتباعه وعظم شأنه ، وتبعه قباذ نفسه ، ولم يزل كذلك حتى ولى كسرى أنو شروان قتلته ونكّل بأتباعه . مروج الذهب (١ : ٢٦٣ - ٢٦٤) ، والطبرى وابن الأثير . ٢٥

إِنْ يَكُ ذُو الْقَرْتَيْنِ قَدْ مَسَحَ الْأَرْضَ ضَ فَاِنِّي مُوَكَّلٌ بِالْعِيَارِ (١)
وقال آخر :

إِنَّ الْفَرَاغَ دَعَانِي إِلَى ابْتِنَاءِ الْمَسَاجِدِ (٢)
وإِنَّ رَأْيِي فِيهَا كَرَأْيِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ

وقال أبو الهول (٣) في جعفر بن يحيى بن خالد :

أَصْبَحْتُ مُحْتَاجاً إِلَى الضَّرْبِ فِي طَلَبِ الْعُرْفِ إِلَى الْكَلْبِ (٤)
إِذَا شَكَا صَبُّ إِلَيْهِ الْهَوَى قَالَ لَهُ : مَالِي وَلِلصَّبِّ (٥)
أَعْنَى فَتَى يُطْعَنُ فِي دِينِهِ يَثِيبُ مَعَهُ خَشَبُ الصُّلْبِ (٦)
قَدْ وَقَّحَ السَّبَّ لَهُ وَجْهَهُ فَصَارَ لَا يَنْحَاشُ لِلْسَبِّ (٧)

وقال رجل شام (٨) :

أُبْعِدَ مَرْوَانَ وَبُعِدَ مُسْلِمَهُ (٩)
وَبُعِدَ إِسْحَاقَ الَّذِي كَانَ لُئِمَهُ (١٠)

(١) مسح الأرض مسحاً ومساحة : ذرعها وقاسها . والعيار : مراجعة الميزان والمكيال ، ويلحق بهما مراجعة المساحة .

(٢) البيتان في عيون الأخبار (١ : ٥١) .

(٣) أبو الهول كنيته شهر بها ، واسمه عامر بن الرحمن الحميري ، كان شاعراً مقلداً . قال ابن النديم : له شعر يبلغ خمسين ورقة . وله مدائح في المهدي والمهدي والرشيدي والأمين . ابن النديم ٢٣٢ وتاريخ بغداد ٦٦٨٢ .

(٤) الأبيات في الحيوان (١ : ٢٦٠ - ٢٦١) والعمدة (١ : ٤٠) .

(٥) ما عدل : « إذا اشتكى » .

(٦) في العمدة : « يطعن في دينه » . وكان هذا البيت تطيراً منه على جعفر .

(٧) هذا البيت من ل فقط ، وموضعه في الحيوان بعد البيت الأول .

(٨) ما عدل : « من أهل الشام » .

(٩) هما مروان بن الحكم ، ومسلمة بن عبد الملك .

(١٠) وإسحاق هذا هو إسحاق بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس . كان من أولى الأقدار

العالية ، ولى هارون المدينة والبصرة ومصر والسند ، وولى لحمد الأمين حمص وأرمينية ، ومات ببغداد . تاريخ بغداد ٣٣٧٢ ولسان الميزان (١ : ٣٦٤) . اللمة ، بضم اللام وفتح الميم : المثل والند والشبيه ؛ ويقال أيضاً بتشديد الميم .

صارَ عَلَى الشَّعْرِ قُرَيْخُ الرَّحْمَةِ (١) إِنَّ لَنَا بِفَعْلٍ يَحْيَى تَقَمَهُ (٢)
 مُهْلَكَةٌ مُبِيرَةٌ مُنْتَقِمَةٌ (٣) أَكَلًا بَنَى بَرْمَكُ أَكَلَ الْحُطَمَةِ (٤)
 إِنَّ لَهَذَا الْأَكْلَ يَوْمًا تُحْمَهُ أَيْسَرُ شَيْءٍ فِيهِ حَزُّ الْعَلَصَمَةِ (٥)
 وقال الشاعر (٦) :

مَارَعَى الدَّهْرُ آلَ بَرْمَكٍ لَمَّا (٧) إِنَّ رَمَى مُلْكَهُمْ بِأَمْرِ فَطِيحٍ (٧)
 إِنَّ دَهْرًا لَمْ يَزَعْ حَقًّا لِيَحْيَى (٨) غَيْرُ رَاجٍ ذِمَامَ آلِ الرَّبِيعِ (٨)

وقال سهل بن هارون في يحيى بن خالد :
 عَدُوُّ تِلَادٍ الْمَالِ فِيمَا يُنُوبُهُ مَنُوعٌ إِذَا مَا مَنَعَهُ كَانَ أَحْزَمًا (٩)
 مُذَلِّلٌ نَفْسٍ قَدْ أَبَتْ غَيْرَ أَنْ تَرَى مَكَارِةَ مَا تَأْتِي مِنَ الْحَقِّ مَعْتَمًا
 وقال إسحاق بن حسان (١٠) :

مَنْ مُبْلِعٌ يَحْيَى وَدُونَ لِقَائِهِ زَبَرَاتُ كُلِّ خُنَابِسٍ هَمَّاهِ (١١)

(١) فرخ : مصغر فرخ . والرخمة : طائر يعُدُّه العرب مثلاً في اللؤم والحق . ما عدال ، هـ :
 « فرخ » تحريف .

(٢) النقمة ، بفتح فكسر : لغة في النقمة بالكسر ، وهما المكافأة بالعقوبة .

(٣) مبيرة : مهلكة . ما عدال ، هـ : « منيرة » تحريف .

(٤) الحطمة : النار الشديدة تحطم ما تلقى . (٥) الغلصمة : رأس الحلقوم .

(٦) هو أبو حزره الأعرابي ، أو أبو نواس . انظر مروج الذهب (٣ : ٢٩١) .

(٧) وكذا في مروج الذهب . وفي ل : « فضيع » بالفاء والضاد ، وصحة هذه « فطيح » . وفي

هـ : « بديع » .

(٨) مروج الذهب : « حقا لآل الربيع » .

(٩) التلاد : المال القديم والموروث . ينوبه : يعثره من الحقوق . والبيت في الحيوان (٣ :

٤٦٦) . وهو وتاليه في الحيوان (٥ : ٦٠٤) . وبينهما

فسيان حالاه ، له فضل منعه كما يستحق الفضل إن هو أنعم

(١٠) سبقت ترجمته في (١ : ١١ ، ١١٥) . ما عدال : حسان بن حسان « تحريف ، وأشير

في هـ إلى رواية « إسحاق بن حسان » . والأبيات مع هذه النسبة في تاريخ الطبري (١٠ : ٦٠) .

(١١) زَبَرَات : جمع زبرة بالفتح ، وهي المرة من زبره زبراً : زجره وانهزه الطبرى :

« زَأَرَات » . أسد خنابس : جرى شديد . وأشير في هـ إلى أنها في نسخة : « خلايس » . والهمهام من

الهمهمة ، وهو تردد الزئير في الصدر .

يا راعى السلطان غير مُفْرِطٍ فى لِينٍ مُخْتَبِطٍ وَطِيبِ شِمَامٍ ^(١)
يُعْذَى مَسَارَحُهُ وَيُصَفَى شِرْبُهُ وَيَبِيتُ بِالرَّبَوَاتِ وَالْأَعْلَامِ ^(٢)
حتى تَبَحَّحَ ضَارِباً بِجِرَانِهِ وَرَسَتْ مَرَاسِيهِ بَدَارِ سَلَامٍ ^(٣)
فى كُلِّ ثَغْرِ حَارِسٍ مِنْ قَلْبِهِ وَشُعَاعُ طَرْفٍ لَا يُفْتَرُ سَامٍ ^(٤)

وهذا شبيهه بقول العتّابى فى هارون :

إِمَامٌ لَهُ كَفٌّ يَضُمُّ بَنَائِهَا عَصَا الدِّينِ مَمْنُوعاً مِنَ الْبَرِّ عَوْدُهَا ^(٥)
وَعَيْنٌ مُحِيطٌ بِالْبَرِيَّةِ طَرْفُهَا سَوَاءٌ عَلَيْهِ قُرْبُهَا وَبَعِيدُهَا
وَأَصْمَعُ يَقْظَانٌ ، يَبِيتُ مُنَاجِياً لَهُ فى الْحَشَا مُسْتَوْدَعَاتٌ يَكِيدُهَا ^(٦)
سَمِيعٌ إِذَا نَادَاهُ مِنْ قَعْرِ كُرْبَةٍ مُنَادٍ كَفَّتُهُ دَعْوَةٌ لَا يُعِيدُهَا

وقال أيضاً كُلُّوْمُ بْنُ عَمْرِو الْعَتَّابِ ^(٧) :

تَلُوْمٌ عَلَى تَرْكِ الْغَنَى بِاهِلِيَّةٍ زَوَى الدَّهْرُ عَنْهَا كُلَّ طَرْفٍ وَتَالِدٍ ^(٨) ٢٨٤

(١) المختبط : مصدر من اختبطه ، سأل به بلا وسيلة ولا قرابة ولا معرفة . الطبرى (١٠ : ٦٠) : « مفتبطة » . والشمام : مصدر شامت الرجل ، إذا قاربه ودنوت منه . الطبرى : « شمام » .

(٢) ل : « يعذى مسارحه » ، ما عدل : « يغذى » ، صوابهما من هـ والطبرى . تعذى : تصير عذبة ، أى طيبة بعيدة من الوحش . يقال صفا الرجل الشيء : أخذ صفوه ، كما فى اللسان .

(٣) هذا ما فى هـ . وفى ل : « تنحنح » ما عدل : « ينحنح » . وفى الطبرى « تنخنخ » . يقال تنخنخ البعير : برك ثم مكن لثفنتاه من الأرض . والضمير للسلطان ، وهو الحكم . وضرب بجرانه : استقر واستقام . وذلك أن البعير إذا برك واستراح مذكّر جرانه على الأرض ، أى عنقه .

(٤) فى الطبرى : « فكل ثغر حارس من قلبه » .

(٥) سبق البيتان الأول والثانى فى ص ٤٠ من هذا الجزء .

(٦) الأصمغ : القلب المتيقظ الذكى . يكيدها : يعالجها .

(٧) الأبيات التالية فى الحيوان (٤ : ٢٦٥) وعيون الأخبار (١ : ٢٣١) والعقد (٢ : ١٣٦) وزهر الآداب (٣ : ٣٩) وحماسة ابن الشجرى ١٤٠ ومحاضرات الراغب (١ : ٩٢ ، ٢١٣) والأغانى

(١٢ : ٨ - ٩٨) واللسان (برد) وغرر الحصاص للوطواط ٤٠٧ وديوان المعانى (١ : ١٣) .

(٨) فى الأغانى : وكانت تحته امرأة من باهلة فلامته وقالت : هذا منصور التمرى قد =

رَأَتْ حَوْلَهَا النَّسْوَانَ يَرْفُلْنَ فِي الْكَسَا مُقْلَدَةً أَجْيَادُهَا بِالْقَلَائِدِ (١)
 يَسْرُكُ أَتَى نِلْتُ مَا نَالَ جَعْفَرُ مِنَ الْمُلْكِ أَوْ مَا نَالَ بِحَيِّ بْنِ خَالِدٍ
 وَأَنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَغْصَنِي مُغْصَهُمَا بِالْمُرْهَقَاتِ الْبُورِدِ (٢)
 ذَرَيْنِي تَجْنِسْنِي مِيتَتِي مَطْمَئِنَّةٌ وَلَمْ أَتَجَسَّمْ هَوْلَ تِلْكَ الْمَوَارِدِ (٣)
 فَإِنْ كَرِيمَاتِ الْمَعَالِي مَشُوبَةٌ بِمُسْتَوْدَعَاتٍ فِي بُطُونِ الْأَسَاوِدِ (٤)

وقال الحسن بن هانئ :

عَجِبْتُ لَهَارُونَ الْإِمَامِ وَمَا الَّذِي يُرَوِّ وَيَرْجُو فَيْكَ يَا خِلْقَةَ السَّلَاقِ (٥)
 قَفَاً خَلَفَ وَجْهِهِ قَدْ أُطِيلَ كَأَنَّهُ قَفَاً مِلْكٍ يَقْضِي الْحَقُوقَ عَلَى بَثْقِ (٦)

= أخذ الأموال فحل نساءه ، وبني داره ، واشترى ضياعا وأنت هنا كما ترى ! فأنشأ يقول : . وهو بهذا الشعر « يعرض بالبرامكة ، ويذكر عاقبة صحبة السلطان ، وأنه ما للمتعلق بها من غدر الزمان أمان » . غرر الخصائص . ما عدل : « طوى الدهر » . الطرف : الطارف المستحدث من المال . والتالد : القديم . (١) الكسا : جمع كسرة . يرفلن : يتبخرن .

(٢) الحيوان : « أعصني معضهما » . المرهقات : السيوف المرققات . والبوارد : التي تثبت في الضريبة لا تتثنى . وهم يمدحون السيف بذلك . قال طرفة :

أَحْيَى نَفَقَةَ لَا يَنْشِئُ عَنْ ضَرِيَّةٍ إِذْ قِيلَ مَهْلًا قَالَ حَاجِزُهُ قَدْ (١٥)
 (٣) ما عدل : « ولم أتقمح » .

(٤) في الزهر : « فإن رفيعات المعالي » . الحماسة : « رفيعات الأمور » . العقد : « وجدت لذا ذات الحياة » . الأغاني : « رأيت رفيعات الأمور » . ديوان المعاني : « وإن جسيمات الأمور » . وهو مثل من أمثلة تصرف الرواة ، وروايتهم لبعض الشعر بالمعنى دون اللفظ . وفي محاضرات الراغب (١) : (٢١٣) أن العتاني أخذ قوله هذا من ابن المقفع ، وذلك أنه سئل : لم لا تطلب الأمور العظام ؟ فقال : رأيت المعالي مشوبة بالمكاره ، فاقصرت على الخمول ضنا بالعافية .

(٥) الأبيات في الحيوان (١ : ٢٣٨ ، ٢٦٣) والديوان ١٧٣ والشعراء ٧٩٠ وعيون الأخبار (١ : ٢٧٣) . يهجو بها جعفر بن يحيى البرمكي . السلق ، بالكسر : الذئب . الديوان : « ايود ويرجو » . الشعراء : « يرجي ويغني » . والتروية : التفكير والنظر .

(٦) ملك ، كذا وردت في الأصل والشعراء . وفي الديوان والحيوان : « مالك » . ما عدل ، هـ : « يقضى الموم » . البثق : منبعث الماء ، وهو بفتح الباء وكسرهما . في الديوان وبعض نسخ الحيوان : « ثبق » . والثبق : إسراع دمع العين وجريان الماء .

وَأَعْظَمُ زَهْواً مِنْ ذِبَابٍ عَلَى خِرَاءٍ وَأُبْخُلُ مِنْ كَلْبٍ عَقُورٍ عَلَى عَزَقٍ ^(١)
أَرَى جَعْفَرًا يَرْدَادُ بُخْلاً وَدِقَّةً إِذَا زَادَهُ الرَّحْمَنُ فِي سَعَةِ الرِّزْقِ ^(٢)
وَلَوْ جَاءَ غَيْرُ الْبُخْلِ مِنْ عِنْدِ جَعْفَرٍ لَمَا وَضَعُوهُ النَّاسُ إِلَّا عَلَى الْحُمُقِ ^(٣)

ولما أنشد ابنُ أُمَيِّ حَفْصَةَ ^(٤) الْفَضْلَ بْنَ يَحْيَى بْنَ خَالِدٍ :

ضَرَبْتَ فَلَا شُلْتَ يَدُ خَالِدِيَّةٍ رَتَقَتْ بِهَا الْفَتَى الَّذِي بَيْنَ هَاشِمٍ

قال له الْفَضْلُ : قل : « فَلَا شُلْتَ يَدَ بَرْمَكِيَّةٍ » ؛ فخالِد كثير ، وليس
بَرْمَكٌ إِلَّا وَاحِداً .

وقال سَلَمٌ ^(٥) فِي يَحْيَى ، وَيَحْيَى يَوْمَئِذٍ شَابٌ :

وَقَتَّى خَلَا مِنْ مَالِهِ وَمِنْ الْمُرُوءَةِ غَيْرُ خَالٍ
وَإِذَا رَأَى لَكَ مَوْعِداً كَانَ الْفَعَالُ مَعَ الْمَقَالِ ^(٦)
لِلَّهِ دَرْكٌ مِنْ فَتَى مَا فِيكَ مِنْ كَرَمِ الْخِلَالِ
أَعْطَاكَ قَبْلَ سُؤَالِهِ فَكَفَاكَ مَكْرُوهَ السُّؤَالِ

٢٨٥

وَمِنْ جَيِّدٍ مَا قِيلَ فِيهِمْ ^(٧)

لِلْفَضْلِ يَوْمَ الطَّالِقَانِ ، وَقَبْلَهُ يَوْمَ أَنَاخَ بِهِ عَلَى خَاقَانٍ ^(٨)

(١) ل : « خر » . العرق ، بالفتح : العظم الذي قد أخذ عنه أكثر لحمه .

(٢) الدقة : الحقارة والصغر .

(٣) وضعوه ، جاءت على لغة أكلوني البراغيث

(٤) مروان بن أُمَيِّ حَفْصَةَ ، ترجم في (١ : ٦٣) .

(٥) سلم بن عمرو الخاسر ، المترجم في ص ٢٥٢ من هذا الجزء . ومن عجب ما ذكره ابن قتيبة
في عيون الأخبار (٣ : ١٨٨) حيث زعم أن معاوية كان يتمثل بالبيت الأول والرابع من هذه الأبيات .

(٦) الفعّال ، بالفتح : اسم للفعل الحسن من الجود والكرم ونحوه .

(٧) القائل هو أبو ثمامة الخطيب ، كما في الطبري (١٠ : ٥٥) . وقد أعطاه الْفَضْلُ بعد إنشادها

مائة ألف درهم ، وخلع عليه ، وتغنى بها إبراهيم الموصلي .

(٨) الطالقان ، بفتح اللام : هم طالقان الري بين قزوین وأبهر ، من بلاد طبرستان . وكان

الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى قَدْ وُلَاهُ الرَّشِيدُ كُورَ الْجِبَالِ ، وَطَبْرِسْتَانَ ، وَدَنْبَاوندَ ، وَقُومِسَ ، وَأَرْمِينِيَةَ =

ما مِثْلُ يَوْمِيهِ اللَّذِينَ تَوَالِيَا فِي غَزَوَتَيْنِ حَوَاهِمَا يَوْمَانِ
عَصَمَتْ حُكُومَتُهُ جَمَاعَةَ هَاشِمٍ مِنْ أَنْ يُجَرَّدَ بَيْنَهَا سَيْفَانِ
تِلْكَ الْحُكُومَةُ لَا الَّتِي عَنْ لَبْسِهَا عَظُمَ الثَّأِي وَتَفَرَّقَ الْحُكَمَانِ (١)

وقال الحسن بن هانئ ، في جعفر بن يحيى :

ذَاكَ الْوَزِيرُ الَّذِي طَالَتْ عِلَاوَتُهُ كَأَنَّهُ نَاطِرٌ فِي السَّيْفِ بِالطَّوْلِ (٢)

ذكروا أن جعفر بن يحيى كان أول من عَرَّضَ الجُرْبَانَاتَ (٣) لطول عنقه .

* * *

وقال مَعْدَانُ الْأَعْمَى ، وهو أَبُو السَّرِيِّ الشُّمَيْطِيُّ (٤) :

يَوْمٌ تُشَفِّى النُّفُوسُ مِنْ يَغْصُرِ اللَّوْ م وَيُثْنَى بِسَامَةِ الرَّحَّالِ
وَعِدِيَّ وَثِيمِهَا وَثَقِيفِ وَأُمِّيَّ وَتَغْلِبِ وَهَلَالِ
لَا حَرُورًا وَلَا التَّوَابُثُ تَنْجُو لَا وَلَا صَحْبُ وَاصِلِ الْغَزَالِ (٥)
غَيْرَ كَفْتِي وَمَنْ يُلَوِّذُ بِكَفْتِي فَهُمْ رَهْطُ الْأَعْوَرِ الدَّجَالِ (٦)

= وأذربيجان ، وذلك في سنة ١٧٦ . والفضل هذا هو ابن يحيى بن خالد ، أخو جعفر بن يحيى ورضيع
هارون الرشيد . ولما غضب الرشيد على البرامكة وقتل جعفرًا خلد الفضل في الحبس مع أبيه يحيى ، فلم
يزالًا محبوسين حتى ماتا في حبسهما ، مات الفضل قبل موت الرشيد بشهور سنة ١٩٢ . ومما يؤثر عنه
أن الزوار كان يسمون في عصره « السؤال » فقال الفضل ، لكرمه : سموهم الزوار . فلزمهم هذا الاسم .
تاريخ بغداد ٦٧٨٢ . وخافان . جاء في القاموس : « اسم لكل ملك خفنه الترك على أنفسهم ، أى ملكوه
ورأسوه » .

(١) الثأى : الفساد والأمر العظيم يقع بين القوم .

(٢) العلاوة : أعلى الرأس ، أو أعلى العنق .

(٣) الجربان ، بضم الجيم والراء ، وبكسرهما : جيب القميص ، أو لبنته ، وهى رقعة تعمل موضع
الجيب . معرب من الفارسية : « كريان » . اللسان والقاموس والمغرب ٩٩ ومعجم استينجاس ١٠٨٦ .
(٤) ما عدل : « السميطي » تحريف . وقد مضت ترجمه معدان في (١ : ٢٣) حيث سبقت
الآيات الثلاثة الأولى من هذه المقطوعة ؛ والبيت الخامس والسادس في مقاتل الطالبيين ٤١٩ .

(٥) النوابت : جمع نابتة ، وهم أصحاب المذاهب الناشئة . ما عدل : « ولا النوابت » .

(٦) هو المسيح الدجال ؛ سمي مسيحاً لأنه ممسوح العين ، وسمى الدجال لتمويهه على الناس =

وَبَنُو الشَّيْخِ وَالْقَتِيلُ بَفَجٍّ بَعْدَ يَحْيَى وَمُوتِمِ الْأَشْيَالِ (١)
سَنَ ظَلَمَ الْإِمَامَ فِي الْقَوْمِ بِشَرٍّ إِنَّ ظُلْمَ الْإِمَامِ ذُو عُقَالٍ (٢)

وقال الكميّ :

آمَتْ نِسَاءُ بَنِي أُمَيَّةٍ مِنْهُمْ وَبَنُوهُمْ بِمَضْيَعَةٍ أُيْتَامُ (٣)

= وتليسه وتزيينه الباطل . وأنشدو :

• إذا المسيح يقتل المسيحا •

- هو عيسى بن مريم يقتل الدجال بنيزكه ، وهو ربح قصير . اللسان (مسح ، دجل) .
- (١) فحج : واد بمكة ، قتل به الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، خرج يدعو إلى نفسه في ذي القعدة ١٦٩ ، وبايعه جماعة من العلويين بالخلافة بالمدينة ، وخرج إلى مكة ، فلما كان بفخ لقيته جيوش بني العباس ، وعليهم العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، فالتقوا يوم التروية من سنة ١٦٩ ، فقتل هو وجماعة من عسكره وأهل بيته وذلك في أيام موسى الهادي . معجم البلدان (فخ) والطبري (١٠ : ٢٤ - ٣٢) والبداية والنهاية (١٠ : ٤٠) والمعارف ١٠٦٦ والفخرى ١٧١ ومقاتل الطالبين ٤٣١ ، ويحيى هذا هو يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وكان قد خرج في أيام هشام بن عبد الملك ، ثم الوليد بن يزيد . وقتله عيسى مولى عيسى بن سليمان العنزي سنة ١٢٥ . الطبري (٨ : ٢٩٩ - ٣٠١) والمعارف ٩٥ وابن الأثير (٥ : ١٠٧ - ١٠٨) ومقاتل الطالبين ١٥٢ - ١٥٨ . وموتم الأشبال ، هو عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وكان قد خرج عليه لبوة معها أشبالها ، منصرفه من باخري ، وجعلت تحمل على الناس فنزل عيسى وأخذ سيفه وترسه ثم نزل إليها فقتلها . مقاتل الطالبين ٤١٩ . مات عيسى في أيام المهدي .
- (٢) في مقاتل الطالبين : « زيد » بدل « بشر » ، وهو الصواب ، فإن القصيدة كما قال أبو الفرج يعيب فيها معدان الشميطي - وهو من شعراء الإمامية - من خرج من الزيدية . كما أن الصواب أن يكون هذا البيت سابقا للبيت الذي قبله ، كما في مقاتل الطالبين . والإمام الذي يعنيه هو الإمام الذي يقول به الشميطية ، أتباع يحيى بن شميظ ، وهم إحدى فرق الإمامية . قالوا : إن الإمام جعفر بن محمد الصادق قال : « إن صاحبكم اسمه اسم نبيكم » . وقد قال له والده : « إن ولد لك ولد فسميته باسمي فهو الإمام » . فالإمام الذي يؤمنون به ، هو محمد بن جعفر الصادق . الملل والنحل (٢ : ٣) ومفاتيح العلوم ٢٢ . وأما « زيد » الذي هو الصواب في « بشر » فهو إمام الزيدية ، وهو زيد بن علي بن الحسين ، وأتباعه يسوقون الإمامة في أولاد فاطمة عليها السلام ، ولم يجوزوا ثبوت إمامة في غيرهم . وجعفر الصادق هو جعفر بن محمد بن علي بن الحسين الأصغر بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، أمه فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر . الملل (١ : ٢٠٧) والمواقف ٦٢٨ والفرق بين الفرق ١٦ والاعتقادات للرازي ٥٢ وابن النديم ٢٥٣ ومفاتيح العلوم ٢١ .
- (٣) الأبيات في الأغاني (١٥ : ٥٨) ومروج الذهب (٣ : ٢٩٥) منسوبة إلى أبي العباس الأعمى . آمت : صارت أيامي ، مات عنها أزواجها .

نَامَتْ جُدُودُهُمْ وَأَسْقَطَ نَجْمُهُمْ وَالنَّجْمُ يَسْقُطُ وَالْجُدُودُ تَنَامُ (١)
خَلَّتِ الْمَتَابِرُ وَالْأَسِيرَةُ مِنْهُمْ فَعَلَيْهِمْ حَتَّى الْمَمَاتِ سَلَامٌ (٢)

وقال خليفة ، أبو خلف بن خليفة (٣) :

أَغْقَبِي آلَ هَاشِمٍ يَا أُمِّيَا جَعَلَ اللَّهُ بَيْنَ مَالِكٍ قِيَا (٤)
أَنْ عَصَى اللَّهَ آلُ مَرْوَانَ وَالْعَا صَبِي لَقَدْ كَانَ لِلرَّسُولِ عَصِيَا

وقال الرَّاعِي فِي بَنِي أُمِيَّة :

بَنِي أُمِيَّةَ إِنَّ اللَّهَ مُلْحِقُكُمْ عَمَّا قَلِيلٍ بَعَثَانَ بْنِ عَفَانٍ

وقال خلف بن خليفة :

لَوْ تَصَفَّحْتَ أَوْلِيَاءَ عَلِيٍّ لَمْ تَجِدْ فِي جَمِيعِهِمْ بَاهِلِيَا

وقال كَعْبُ الْأَشْقَرِيِّ (٥) لِعَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ :

إِنْ كُنْتَ تَحْفَظُ مَا يَلِيكَ فَاغْنَا عُمَالُ أَرْضِكَ بِالْبِلَادِ ذُنَابُ
لَنْ يَسْتَجِيبُوا لِلَّذِي تَدْعُو لَهُ حَتَّى تُجَلَّدَ بِالسُّيُوفِ رِقَابُ (٦)
بِأَكْفٍ مُنْصَلِّتِينَ أَهْلَ بَصَائِرٍ فِي وَقْعِهِنَّ مَزَاجِرٌ وَعِقَابُ (٧)

(١) الجِد ، بالفتح : الحظ . فِي الْأَغَانِي : ومروج الذهب : « نيام » وما هنا صوابه .

(٢) الْأَسِيرَةُ : جمع سرير ، يعنى سرير الملك وعرشه .

(٣) سبقت ترجمة خلف بن خليفة في (١ : ٥٠) . ونسب الشعر في اللسان (٢ : ١٠٩) إلى

سديف . شاعر بني العباس . وفيه : « ياميا » تحريف .

(٤) يقول : انزلى عن الخلافة حتى يركبها بنو هاشم فتكون العقبة لهم ، أى التوبة . انظر اللسان

(عقب ١٠٩) . فيا : مسهل فيثا . والفىء : الغنيمة .

(٥) كعب بن معدان الأشقري ، ترجم في (١ : ٣٢١) .

(٦) ما عدال ، هـ : « حتى يجلد » . وتجلد : تضرب ، وأصل الجلد والتجليد ضرب الجلد .

(٧) المنصلت : الماضى في الأمر . البصائر : جمع بصيرة ، وهى العلم ، واليقين ، والنار ، وكل

ما يلبس من السلاح كالترس والدرع . والمعنى يحتمل كلا منها . الضمير في « وقعهن » للسيف .

هَلَا قُرَيْشٌ ذُكِّرَتْ بِثُغُورِهَا حَزَمٌ وَأَخْلَامٌ هُنَاكَ رِغَابٌ (١)
لَوْلَا قُرَيْشٌ نَصَرُهَا وَدِفَاعُهَا أَلْفِيَتْ مُنْقَطِعاً بَيَ الْأَسْنَابِ

٢٨٧

فلما سمع هذا الشعر قال : لمن هذا ؟ قالوا : لرجل من أزد عمان ، يقال له
كعب الأشقرى ! قال : ما كنت أظنُّ أهل عمان يقولون مثل هذا الشعر .

قال أبو اليقظان (٢) : وقام إلى عمر بن عبد العزيز رجل وهو على المنبر .

فقال :

إِنَّ الَّذِينَ بَعَثَتْ فِي أَقْطَارِهَا نَبَذُوا كِتَابَكَ وَاسْتَحِلَّ الْمَحْرَمُ
طَلَسُ الثِّيَابِ عَلَى مَنَابِرِ أَرْضِنَا كُلُّ بِجُورٍ وَكُلُّهُمْ يَتَظَلَّمُ (٣)
وَأَرَدْتُ أَنْ يَلِيَ الْأَمَانَةَ مِنْهُمْ عَدْلٌ ، وَهِيَاتِ الْأَمِينُ الْمُسْلِمُ

١٠

* * *

وكان زيد بن عليّ كثيراً ما يتمثل بقول الشاعر (٤) :

شَرَّدَهُ الْخَوْفُ وَأَزْرَى بِهِ كَذَاكَ مِنْ يَكْرُهُ حَرَّ الْجِلَادِ
مُنْحَرِقُ الْحَفَيْنِ يَشْكُو الْوَجَى تَنَكُّبُهُ أَطْرَافُ مَرَوْ جِدَادِ
قَدْ كَانَ فِي الْمَوْتِ لَهُ رَاحَةٌ وَالْمَوْتُ حَتَمٌ فِي رِقَابِ الْعِبَادِ

وقال عبد الله بن كثير السهمي (٥) ، وكان يتشيع ، لولادة كانت نالته .

١٥

(١) ما عدال : «ذكروا» ، ل : «بشعورها» بدل : «بثغورها» ، والوجه ما أثبتت الأحلام :

المقول . رغاب : جمع رغب ، وهو الواسع .

(٢) أبو اليقظان ، هو سحيم بن حفص ، المترجم في (١ : ٤١) .

(٣) طلس : جمع أطلس . والطلسة : غيرة إلى سواد ، يعنى قدارة الثياب ، وهو كناية عن عدم

٢٠

العفة ، كما أن طهارة الثوب ونقاءه كناية عن العفة . تظلمه حقه : ظلمه إياه .

(٤) هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين ، كما في حواشي الجزء الأول ص ٣١١ ، حيث
سبقت الأبيات وتفسيرها . يقولها حين لقي ما لقي من الطلب والحرب ، وما كان من مصرع طفل له
هوى من يد مرضعته على الجبل فتقطع . الطبرى (٩ : ١٩١) .

(٥) هو عبد الله بن كثير بن المطلب بن ألى وداعة السهمي ، من بني سهم بن عمرو بن

٢٥

هصيص . وهو من ثقات المحدثين ، توفي سنة ١٢٠ . تهذيب التهذيب . والذى في الحيوان (٣ : ١٩٤) :

« وقال كثير أو غيره من بني سهم » . وفي معجم المرزبانى ٣٤٨ أن الشعر التالى لكثير بن كثير
السهمي ، قاله حين كتب هشام بن عبد الملك إلى عامله بالمدينة أن يأخذ الناس بسبِّ على .

وسمع عمّال خالد بن عبد الله القسريّ يلعنون عليّاً والحسينَ على المنابر :

لَعَنَ اللَّهُ مَنْ يَسُبُّ عَلِيّاً وحسيناً من سُوقَةٍ وإمام
أَيْسَبُ الْمُطَيِّسُونَ جُدوداً والكِرَامُ الْأَحْوالِ والأَعْمَامُ (١)
يَأْمَنُ الظُّبَى والحَمَامُ ، ولا يَأْمَنُ آلُ الرَّسُولِ عِنْدَ الْمَقَامِ (٢)
طَبِيتَ بَيْتاً وطَابَ أَهْلُكَ أَهْلاً أَهْلُ بَيْتِ النَّبِيِّ والإِسْلَامِ
رَحْمَةُ اللَّهِ وَالسَّلَامُ عَلَيْهِمْ كُلَّمَا قَامَ قَائِمٌ بِسَلَامٍ
وقال حين عابوه بذلك الرَّأْيُ :

إِنَّ امْرَأً أُمِسَتْ مَعَايُهُ حُبُّ النَّبِيِّ لَعَيْرُ ذِي ذَنْبٍ
وَبَنَى أَبِي حَسَنِ ووالِدِهِمْ مَنْ طَابَ فِي الْأَرْحَامِ وَالصُّلْبِ
أُيَعَّدُ ذَنْباً أَنْ أُحِبَّهُمْ بَلْ حُبُّهُمْ كَفَّارَةُ الذَّنْبِ

وقال يزيد بن أبي بكر بن ذابٍ اللَّيْثِيُّ :

اللَّهُ يَعْلَمُ فِي عَلِيٍّ عِلْمَهُ وَكَذَلِكَ عِلْمُ اللَّهِ فِي عِثْمَانَ
وقال السَّيِّدُ الْجَمِيرِيُّ (٣) :

إِنِّي امْرُؤٌ جَمِيرِيٌّ غَيْرُ مُؤْتَشِبٍ جَدِي رُغِينٌ وَأُخْوَالِي ذَوُو يَزْنٍ (٤)
تُمْ الْوَلَاءُ الَّذِي أَرْجُو النَّجَاةَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْهَادِي أَبِي الْحَسَنِ (٥)

(١) المطيبون : المطهرون . في معجم المرزبانى : « أتسب المطيبين » ، بالخطاب .

(٢) المقام : الحرم جميعه ، أو هو الحجر الذى قام عليه إبراهيم عليه السلام عند بناء البيت ، وفيه أثر قدمه كما يروون ، وهو أسود وأكبر من الحجر الأسود .

(٣) مضت ترجمته في (٢ : ١٦٨) .

(٤) في القاموس : « هو مؤتشب ، بالفتح ، أى غير صريح في نسبه » . رعين ، هو ذو رعين ، ملك من ملوك اليمن . ورعين : حصن له . وذو يزن أراد أبناء ذى يزن . وذو يزن : والد سيف بن ذى يزن ، وكان سيف أحد ملوك اليمن ، وهو الذى استنقذ اليمن من حكم الحبشة وطغيانهم ، بمعاونة كسرى أنوشروان ، واستخدم سيف بعض الحبشة فخلوا به يوما وهو في متصيد له فقتلوه .

(٥) يعنى على بن أبى طالب ، أبأ الحسن والحسين .

وقال ابنُ أذينة^(١) :

سَمِينُ قُرَيْشٍ مانِعٌ مِنْكَ لَحْمُهُ وَغَتُّ قُرَيْشٍ حَيْثُ كَانَ سَمِينُ

وقال ابنُ الرُّقَيَّاتِ^(٢)

ما نَقَمُوا مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ إِلَّا أَنَّهُمْ يَحْلُمُونَ إِنْ غَضِبُوا^(٣)

وَأَنَّهُمْ مَعِدُنُ الْمُلُوكِ وَلَا تَصْلُحُ إِلَّا عَلَيْهِمُ الْعَرَبُ^(٤)

وقال عُرْوَةُ بْنُ أَذِينَةَ :

إِذَا قُرَيْشٌ تَوَلَّى خَيْرٌ صَالِحِهَا فَاسْتَيْقَنَ بَأْنَ لَا خَيْرَ فِي أَحَدٍ

رَهْطُ النَّبِيِّ وَأَوَّلَى النَّاسِ مَنَزَلَةً بِكُلِّ خَيْرٍ وَآثَرَى النَّاسِ فِي الْعَدَدِ

وقال حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ ، يَرِثُ أَبَا بَكْرٍ الصَّدِيقَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ^(٥) :

٢٨٩

- ١٠ (١) هو عروة بن يحيى ، وأذينة لقب لأبيه . شاعر مقدم من أهل المدينة ، وبعد في الفقهاء والمحدثين أيضا ، لكن غلب عليه الشعر . وترجمته مستفيضة في الأغاني (٢١ : ١٠٥ - ١١١) والشراء ٥٦٠ والمؤتلف ٥٤ واللائى ٢٣٦ . وترجمته ابن خلكان عرضا في أثناء ترجمة سكينه بنت الحسين .
- (٢) سبق تحقيق اسمه وترجمته في (٢ : ٢٧٨) .

- (٣) ديوان ابن قيس الرقيات ٧٠ . والبيتان من أصوات الأغاني (٤ : ١٥٩) . ويروى أبو الفرج أن هذا البيت كان سببا في إنقاده من موت محقق قضى به عليه عبد الملك بن مروان ، إذ قيل له : إن قتلته لغضبك عليه أكدته فيما مدحك به . قال : فهو آمن . وأن هذا البيت أيضا كاد يودى بقينة مغنية في حضرة الرشيد ، لولا أن تداركت أمرها فأعادته فغنت :

ما نَقَمُوا مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ إِلَّا أَنَّهُمْ يَجْهَلُونَ أَنْ غَضِبُوا
وَأَنَّهُمْ مَعِدُنُ النِّفَاقِ فَمَا تَفْسُدُ إِلَّا عَلَيْهِمُ الْعَرَبُ

- (٤) معدن الملوك : أى أصولهم . ومعدن كل شيء : المكان الذى يكون فيه أصله ومبدؤه ، نحو معدن الذهب والفضة والجوهر .

- (٥) كذا يقول الجاحظ ، وهو ظاهر ما ينطق به الشعر ، إذ أنه في أسلوب الرثاء والحديث في أمر مضى . لكن صاحب جبهة أشعار العرب ١٣ يذكر أن الشعر مدح لأبي بكر في حياته ، ويرفع الحديث إلى عبد الله بن مسعود ، قال : « بلغ النبى ﷺ أن قوما نالوا أبا بكر بالستهم ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ، ليس أحد منكم آمن على في ذات يده ونفسه من أبى بكر ، كلكم قال لى كذبت وقال لى أبو بكر صدقت ، فلو كنت متخذنا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا . ثم التفت إلى حسان فقال : هات ما قلت ففى وفى أبى بكر ، فقال حسان ... » . وأنشد الأبيات ، وأنشد بعد البيت الأخير =

إِذَا تَذَكَّرْتُ شَجَوًّا مِنْ أَخِي ثِقَةً (١)
 الثَّالِي الثَّانِيَ الْحَمُودَ مَشْهُدُهُ
 وَأَوَّلَ النَّاسِ مِنْهُمْ صَدَقَ الرُّسُلَا
 وَثَانِي اثْنَيْنِ فِي الْغَارِ الْمُنِيفِ وَقَدْ
 طَافَ الْعَدُوُّ بِهِ إِذْ صَعَدَ الْجَبَلَا
 وَكَانَ حِبًّا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ عَلِمُوا
 خَيْرَ الْبَرِيَّةِ لَمْ يَعِدْ لَهُ بِهِ رَجُلَا (٢)

وقال بعض بني أسد :

لَمَّا تَخَيَّرَ رَبِّي فَارْتَضَى رَجُلًا مِنْ خَلْقِهِ كَانَ مِنَّا ذَلِكَ الرَّجُلُ (٣)
 لَنَا الْمَسَاجِدُ نَبِيْنَهَا وَتَعْمُرُهَا وَفِي الْمَنَابِرِ قِعْدَانٌ لَنَا ذُلُّ

وقال يزيد بن الحكم بن أبي العاص ، في شأن السقيفة (٤) :

قَدْ اخْتَصَمَ الْأَقْوَامُ بَعْدَ مُحَمَّدٍ فَسَائِلُ قُرَيْشًا حِينَ جَدَّ اخْتِصَامُهَا

- ١٠ = خير البرية أتقاه وأرفها بعد النبي وأوفاه بما حملا
 فقال رسول الله : صدقت يا حسان ، دعوا لي صاحبي . قالها ثلاثا . وانظر ديوان حسان ٢٩٩ .
 (١) في الجمهرة ، « من أخ ثقة » . وفي الديوان : « من أخى ثقة » . يقول : إذا تذكرت
 ما يحزنك من تجنى من تتى به وتركن إليه ، فاذكر أخاك أبا بكر ، فإنه ينسبك بكريم فعاله ما لقيته من
 عقوق غيره .
 (٢) الحب ، بالكسر : الحبيب . وغير بكلمة « كان » هنا ، مرهناً بها على الدوام ، بمعنى لم يزل ،
 كما في قول الله تعالى : « وكان الله سميعاً بصيراً » . لم يعدل به : لم يجعله عدلاً له ومساوياً .
 (٣) منا ، أى من مضر . والأسديون هم بنو أسد بن خزيمه بن مدركة بن الياس بن مضر ،
 يجتمعون مع رسول الله ﷺ في خزيمه بن مدركة .
 (٤) انظر ما مضى في الكلام على السقيفة في ص ٢٩٦ . ويزيد هذا هو يزيد بن الحكم بن عثمان
 بن أبي العاص الثقفي . وقيل إن « عثمان » عمه لا جده . وهو أحد شعراء الدولة الأموية . مر به الفرزدق
 وهو ينشد في أحد المجالس شعراً فقال : من هذا الذى ينشد شعراً كأنه من أشعارنا ؟ وكان الحجاج قد
 ولاه كورة فارس ودفع إليه العهد ، فلما دخل ليودعه قال : أنشدني بعض شعرك - وإنما أراد أن ينشده
 مدحاً له - فأنشده قصيدته التي يفخر فيها بآبائه :

وأبى الذى سلب ابن كسرى راية بيضاء تحف كالعقاب الطائر

- ٢٥ فغضب الحجاج وارتفع منه العهد ، وخرج يزيد عنه مغضباً إلى سليمان بن عبد الملك فأنصفه ،
 وأجرى له عشرين ألفاً مادام حياً . الأغاني (١١ : ٩٦ - ١٠٠) ، والشعراء وخزانة الأدب (١ :

أَلَمْ تَكُنْ مِنْ دُونِ الْخَلِيقَةِ أُمَّةً بِكَيْفِ امْرِئٍ مِنْ آلِ تَيْمٍ زَمَانُهَا (١)
هَدَى اللَّهُ بِالصِّدِّيقِ ضَلَالًا أُمَّةً إِلَى الْحَقِّ لَمَّا ارْقَضَ عَنْهَا نِظَامُهَا

وقالت صَفِيَّةُ (٢) في ذلك اليوم :

قَدْ كَانَ بَعْدَكَ أَنْبَاءٌ وَهَنْبَةٌ لَوْ كُنْتُ شَاهِدَهَا لَمْ تَكْثُرِ الْخُطْبُ (٣)
إِنَّا فَقَدْنَاكَ فَقَدْ الْأَرْضِ وَأَبْلَهَا وَاخْتَلَّ قَوْمُكَ فَاشْهَدَهُمْ فَقَدْ سَبَّغُوا (٤)

وقال الْفَرَزْدَقُ :

صَلَّى صُهِيبٌ ثَلَاثًا ثُمَّ أُسْلِمَهَا إِلَى ابْنِ عَفَّانَ مُلْكًا غَيْرَ مَقْصُورٍ (٥)

(١) يعنى أبا بكر الصديق ، وهو أبو بكر عبد الله بن عثمان بن عامر بن كعب بن سعد بن مرة بن كعب بن لؤى .

(٢) هى صفية بنت عبد المطلب بن هاشم ، عمة رسول الله ﷺ ، ووالدة الزبير بن العوام .
وذكر ابن حجر فى الإصابة أن صفية قالت هذه المراثية حين قبض الرسول . وروى أن لها مراثية أخرى فى سيرة ابن إسحاق ، منها :

لفقد رسول الله إذ حان يومه فباعين جودى بالدموع السواجم
ومراثية أخرى فيها :

١٥ إن يوماً أتى عليك ليوم كورت شمسهُ وكان مضياً
وكانت صفية وأخواتها : برة ، وعاتكة ، وأم حكيم البيضاء ، وأميمة ، وأروى ، كلهن شواعر ،
روى لهن ابن هشام فى السيرة ١٠٨ - ١١١ . على أن هذه المراثية البائية رويت فى اللسان (هنت)
منسوبة إلى فاطمة رضى الله عنها أيضاً .

(٣) الهنبة : واحدة الهناث ، وهى الأمور الشدائد المختلفة . ب : « وهنسة » . ج : « وهنشة » ،
صوابهما فى ل ، هـ والتميمورية . والشاهد : الحاضر .

٢٠ (٤) اختل القوم : احتاجوا وافترقوا . والسغب : شدة الجوع . ورواية اللسان : « فاشهدهم
ولا تغب » ، وفيه الإقواء وضعف المعنى .

(٥) صهيب هذا ، هو صهيب بن سنان ، أحد الصحابة ، والذين كانوا يلزمون رسول الله فى مشاهدته وغزواته وسراياه ، وهو المعروف بصهيب الرومى . وكان عمر قد أوصى قبل موته أن يصلى عليه صهيب ، وأن يصلى بالناس إلى أن يجتمع المسلمون على إمام . وتوفى سنة ٣٨ وهو ابن سبعين . الإصابة

٢٩٠. وَلَايَةٌ مِنْ أُنَى حَفْصٍ لِثَلَاثِهِمْ كَانُوا أَحِلَاءَ مَهْدِيٍّ وَمُخْبُورٍ (١)

وقال مزرد بن ضيرار (٢) يروى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه :

عَلَيْكَ السَّلَامُ مِنْ إِمَامٍ وَبَارَكْتَ يَدُ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْأَدِيمِ الْمُمَرَّقِ (٣)

قَضَيْتُ أُمُورًا ثُمَّ غَادَرْتُ بَعْدَهَا بَوَائِقُ فِي أَكْثَامِهَا لَمْ تُفْتَقِ (٤)

وَمَا كُنْتُ أُخَشِي أَنْ تَكُونَ وَفَائِهِ بِكَفَى سَبْتَنِي أَرْزَقِ الْعَيْنِ مُطَرِّقِ (٥)

قال : وسمعوا في تلك الليلة هاتفاً يقول :

لِيُنْكِ عَلَى الْإِسْلَامِ مَنْ كَانَ بَاكِياً فَقَدْ أَوْشَكُوا هُلُكاً وَمَا قَدَّمَ الْعَهْدُ

وَأَذْبَرَتِ الدُّنْيَا وَأَذْبَرَتْ خَيْرَهَا وَقَدْ مَلَّهَا مَنْ كَانَ يُوقِنُ بِالْوَعْدِ

وعن أنى الجحّاف ، عن مُسْلِمٍ الْبَطِينِ :

إِنَّا نُعَاقِبُ لَا أَبَالَكَ غُصْبَةً عَلِقُوا الْفِرَى وَبَرَّوْا مِنَ الصَّدِّيقِ (٦)

وَبَرَّوْا سَفَاهاً مِنْ وَزِيرٍ نَبِيَّهُمْ ثَبّاً لِمَنْ يَبْرَأ مِنَ الْفَارُوقِ (٧)

(١) البيتان مما لم يرو في ديوان الفرزدق . المخبور : المكرم إكراماً مبالغاً فيه . وفي الكتاب : (أنتم

وأزواجكم تخبرون) . ل : « ومخبور » .

(٢) ترجم في (١ : ٣٧٤) .

(٣) الأبيات تروى للشماخ ، كما في الحماسة (١ : ٤٥٢ - ٤٥٤) وزهر الآداب (٤ :

١٠٧) ، وتروى أيضاً لجزء بن ضرار . قال التبريزي : « وقال أبو رياش : الذى عندي أنه لمزرد أخيه .

وقال أبو محمد الأعراى : هو لجزء بن ضرار أخيه » . وفي الأغاني (٨ : ٩٨) أن هذا الشعر للجن ، قالته

قبل أن يقتل عمر بثلاث ، فكان ذلك نعيّاً له قبل أن يقتل . الحماسة : « جزى الله خيراً من أمير » .

والأغاني : « عليك سلام من أمير » .

(٤) البوائق : جمع باقعة ، وهى الداهية والبلية . وفي الحماسة : « بوائج » ، وهى رواية للسان

(بوج) . والبوائج : البوائق .

(٥) السبتي : التمر ، عنى به أبا لؤلؤة المجوسى قاتل عمر . أزرق العين ، أى من أعداء العرب ،

والعرب تكنى عن أعدائهم بزرق العيون ؛ لأنه صفة لون عيون الروم والعجم . المطرق : المسترخى العين

خلقة ، والإطراق صفة من صفات الأنعامى .

(٦) الفرى : جمع فرية ، وهى الكذبة . وبروا ، يقال برأ يبرأ من المرض ، وبرئ يبرأ أيضاً . وقد

سهل الهمة وعامل الفعل معاملة المعتل .

(٧) السفاه ، كسحاب : السفه وخفة الحلم .

إِنِّي عَلَى رَغَمِ الْعُدَاةِ لِقَائِلٌ دِنًا بِدِينِ الصَّادِقِ الْمَصْلُوقِ

وقال الكميت :

فَقُلْ لِبَنِي أُمَيَّةٍ حَيْثُ حَلُّوا وَإِنْ حِفَّتِ الْمُهَنْدُ وَالْقَطِيعَا ^(١)
أَجَاعَ اللَّهُ مَنْ أَشْبَعْتُمُوهُ وَأَشْبَعَ مَنْ بَجَوْرِكُمْ أَجِيعَا
بِمَرْضَى السِّيَاسَةِ هَاشِمِيٍّ يَكُونُ حَيًّا لِأُمَّتِهِ رَيْعَا ^(٢)

وقال حرب بن المنذر بن الجارود ، وكان يَتَفَتَّى وَيَتَشَبَّعُ ، فِي كَلِمَةٍ لَهُ :
فَحَسْبِي مِنَ الدُّنْيَا كَفَافٌ يُقِيمُنِي وَأَثْوَابُ كَثَّانٍ أَزُورُ بِهَا قَبْرِي ^(٣)
وَحُبِّي ذَوِي قُرْبَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ فَمَا سَأَلْنَا إِلَّا الْمَوَدَّةَ مِنْ أَجْرٍ ^(٤)

٢٩١

١٠ (١) المهند : السيف المطبوع من حديد الهند . والقطيع : السوط يقطع من جلد سير ويعمل منه ، يقطعون أربعة سيور ثم يفتلون بها ويتركونها حتى تيبس .
(٢) حيا ، أى بمنزلة الحيا ، وهو المطر تحيا به الأرض .
(٣) الكفاف ، كسحاب : القوت على قدر النفقة ، لا فضل فيه ولا نقص .
(٤) يقال سأله يسأله ، وساله يسأله ، وساله يسأله ، كلها بمعنى : وهو إشارة إلى قول الله تعالى :
(قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) .

وجه التدبير في الكتاب إذا طال

أن يداوى مؤلفه نشاط القارئ له ، ويسوقه إلى حظّه بالاحتياال له . فيمن ذلك أن يُخرجه من شيء إلى شيء ، ومن باب إلى باب ، بعد أن لا يخرجه من ذلك الفنّ ، ومن جمهور ذلك العلم ^(١) .

وقد يجب أن نذكر بعض ما انتهى إلينا من كلام خلفائنا من ولد العباس ، ولو أن دولتهم عجميّة خُراسانيّة ^(٢) ، ودولة بني مروان عربيّة أعرابيّة وفي أجناد شاميّة .

والعرب أوعى لما تسمع ، وأحفظ لما تأتي ^(٣) ، ولها الأشعار التي تقيّد عليها مآثرها ، وتحلّد لها محاسنها . وجرت من ذلك في إسلامها على مثل عاداتها في جاهليّتها ، فبنت بذلك لبني مروان شرفاً كثيراً ومجداً كبيراً ، وتدبيراً لا يُحصى .

ولو أن أهل خُراسان حفظوا على أنفسهم وقائعهم في أهل الشام ، وتدبير ملوكهم ، وسياسة كبرائهم ، وما جرى في ذلك من فرائد الكلام ^(٤) وشريف المعاني ، كان فيما قال المنصور وما فعل في أيامه ، وأسس لمن بعده ما يفي بجماعة ملوك بني مروان .

ولقد تتبّع أبو عبيدة النحويّ ، وأبو الحسن المدائنيّ ، وهشام بن الكلبيّ ، والهيثم بن عدّيّ ، أخباراً قد اختلفت ، وأحاديث قد تقطّعت ، فلم يدركوا إلّا قليلاً من كثير ، ومزجوا من خالص .

(١) ل : « جمهرة ذلك العلم » .

(٢) العجم : خلاف العرب . ما عدل : « أعجمية » . والأعجم : من في لسانه عجمة

لا يفصح بالعربية . هـ : « ولولا أن دولتهم » .

(٣) لعلها : « تأثير » ، أي تروى .

(٤) ل ، هـ : « فرائد الكلام » .

وعلى كل حال فإننا إذاصرنا إلى بقية ما رواه العباس بن محمد ، وعبد الملك ابن صالح ، والعباس بن موسى ، وإسحاق بن عيسى ^(١) ، وإسحاق بن سليمان ^(٢) ، وأيوب بن جعفر ^(٣) ، وما رواه إبراهيم بن السندی عن السندی ^(٤) ، وعن صالح صاحب المصلى ، عن مشيخة بنى هاشم ومواليهم - عرفت بتلك البقية كثرة ما فات ، وبذلك الصحيح أين موضع الفساد مما صّته .
 ٢٩٢ الهيثم بن عدى ، وتكلفه هشام بن الكلبي .

* * *

وسنذكر جملاً مما انتهى إلينا من كلام المنصور ومن شأن المأمون وغيرها وإن كنا قد ذكرنا من ذلك طرّفاً ؛ ونقصيد من ذلك إلى التخفيف والتقليل ، فإنه يأتي من وراء الحاجة ، ويُعرف بجملة مراد البقية ^(٥) .

١٠

قال : وكان المنصور داهياً أريباً ، مصيباً في رأيه سديداً ، وكان مقدماً في علم الكلام ، ومكثراً من كتاب الآثار ^(٦) . ولكلامه كتاب يدور في أيدي الورّاقين معروف عندهم . ولما هم بقتل أئى مسلم سقط بين الاستبداد برأيه والمشاورة فيه ، فأرق في ذلك ليلته ، فلما أصبح دعا بإسحاق بن مسلم العُقيلى ،

١٥

(١) مضت ترجمة هؤلاء جميعاً في ص ١١٨ من هذا الجزء .

(٢) هو إسحاق بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، أبو يعقوب الهاشمي ، كان من أولى الأقدار العالية . ولى هارون الرشيد المدينة والبصرة ومصر والسند ، وولى محمد الأمين حمص وأرمينية . ومات ببغداد . تاريخ بغداد ٣٣٧٢ ، ولسان الميزان (١ : ٣٦٤) .

٢٠

(٣) أيوب بن جعفر بن سليمان العباسي ، كان من أعلم الناس بقرش والدولة ، وبرجال الدعوة . وكان في أول أمره على مذهب أئى شمر ، ثم انتقل من قوله إلى قول إبراهيم بن سيار النظام . انظر ماضى في (١ : ٩١) .

(٤) ترجمة إبراهيم بن السندی في (١ : ١٤١) . وأبوه السندی بن شاهك ، بفتح الهاء ، كان ذا منزلة غالبية عند الأمين وأبيه هارون . التنبيه والإشراف ٣٠٢ والجهشياري ٢٣٦ - ٢٣٧ والمعارف ١٦٩ .

(٥) ل ، هـ : « البقية » .

٢٥

(٦) الكتاب : الكتابة .

فقال له : حَدَّثَنِي حَدِيثَ الْمَلِكِ الَّذِي أَخْبَرْتَنِي عَنْهُ بِحَرَّانَ ^(١) . قال : أَخْبَرَنِي
أَبَى عَنْ الْحُضَيْنِ بْنِ الْمَنْذَرِ ^(٢) أَنَّ مَلِكًا مِنْ مَلُوكِ فَارَسَ - يُقَالُ لَهُ سَابُورُ الْأَكْبَرِ -
كَانَ لَهُ وَزِيرٌ نَاصِحٌ قَدْ اقْتَبَسَ أَدَبًا مِنْ آدَابِ الْمُلُوكِ ، وَشَابَ ذَلِكَ بِفَهُمْ فِي
الدِّينِ ، فَوَجَّهَهُ سَابُورٌ دَاعِيَةً إِلَى أَهْلِ خُرَاسَانَ ، وَكَانُوا قَوْمًا عَجَمًا ^(٣) يَعْظُمُونَ
الدُّنْيَا جِهَالَةً بِالَّذِينَ ، وَيُخْلُونَ بِالَّذِينَ اسْتِكَانَةَ لِقُوتِ الدُّنْيَا ، وَذُلًّا لِحَبَابَتِهَا ،
فَجَمَعَهُمْ عَلَى دَعْوَةٍ مِنَ الْهَوَى يَكِيدُ بِهَا مَطَالِبَ الدُّنْيَا ^(٤) ، وَاغْتَرَّ بِقَتْلِ مَلُوكِهِمْ
لَهُمْ وَتَخَوَّلَهُمْ إِيَّاهُمْ ^(٥) - وَكَانَ يُقَالُ : « لِكُلِّ ضَعِيفٍ صَوْلَةٌ ، وَلِكُلِّ ذَلِيلٍ دَوْلَةٌ »
- فَلَمَّا تَلَاحَمَتِ أَعْضَاءُ الْأُمُورِ الَّتِي لَقَّحَ ، اسْتَحَالَتْ حَرْبًا عَوَانًا ^(٦) شَالَتْ
أَسَافِلُهَا بِأَعَالِيهَا ، فَانْتَقَلَ الْعِزُّ إِلَى أَرْذَلِهِمْ ^(٧) ، وَالنَّبَاهَةُ إِلَى أَهْمَلِهِمْ ، فَأَشْرَبُوا لَهُ
حُبًّا مَعَ خَفْضٍ مِنَ الدُّنْيَا افْتَتَحَ بِدَعْوَةٍ مِنَ الدِّينِ ، فَلَمَّا اسْتَوْسَقَتْ لَهُ الْبِلَادُ ^(٨)
بَلَغَ سَابُورَ أَمْرُهُمْ وَمَأْخَالَ عَلَيْهِ مِنْ طَاعَتِهِمْ ، وَلَمْ يَأْمَنْ زَوَالَ الْقُلُوبِ وَغَدَرَاتِ
الْوُزَرَاءِ ، فَاحْتَالَ فِي قَطْعِ رَجَائِهِ عَنْ قُلُوبِهِمْ ؛ وَكَانَ يُقَالُ :
وَمَا قَطَعَ الرَّجَاءُ بِمَثَلِ يَاسٍ ثُبَادُهُ الْقُلُوبَ عَلَى اغْتِرَارٍ ^(٩)

فَصَمَّ عَلَى قَتْلِهِ عِنْدَ وُرُودِهِ عَلَيْهِ بِرُؤْسَاءِ أَهْلِ خُرَاسَانَ وَفُرْسَانِهِمْ ، فَقَتَلَهُ ،
فَبَغْتَهُمْ بِحَدِيثٍ ، فَلَمْ يُرْغَمْ إِلَّا وَرَأْسُهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ، فَوَقَفَ بِهِمْ بَيْنَ الْعُرْبَةِ وَنَأْيِ

(١) حران : مدينة من جزيرة أقور ، بينهما وبين الرها يوم ، وبين الرقة يومان .

(٢) ترجم في (٢ : ١٦٩) . ما عدل : « الحصين » ، تحريف .

(٣) ل : « عجبا » ، بالباء .

(٤) يكيد ، هنا ، بمعنى يمالج - كاد الأمر يكيد : عاجله .

(٥) التخول ، أراد به اتخاذهم خولا ، أى عبيدا وخداما . وكلمة « هم » من هـ . ما عدل هـ :
« ونخوله إياهم » .

(٦) العوان . التى حورب فيها مرة بعد مرة . وأصل العوان : الثيب من النساء .

(٧) أى أضعفهم وأحققهم .

(٨) استوسقت : اجتمعت . وفي حديث النجاشي : « واستوسق عليه أمر الحبشة » : اجتمعوا

على طاعته . ما عدل ، هـ : « استوسقت » ، تحريف .

(٩) المبادهة : المفاجأة والمباغطة .

الرَّجْعَة ، ونَحْطُفُ الأعداء ، وتَفْرُقُ الجماعة ، واليَأْسُ مِنْ صَاحِبِهِمْ ، فرَأَوْا أَنْ
يَسْتَمُوا الدَّعْوَةَ بِطَاعَةِ سَابُور ، ويتَعَوَّضُوهُ مِنَ الْفُرْقَةِ ، فَأَدْعَنُوا لَهُ بِالْمُلْكِ
وَالطَّاعَةِ ، وتَبَادَرُوهُ بِمَوَاضِعِ النَّصِيحَةِ ، فَمَلَكَهُمْ حَتَّى مَاتَ حَتَفَ أَنْفِهِ .

فَأَطْرَقَ الْمَنْصُورُ مَلِيًّا ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَهُوَ يَقُولُ :

لِذِي الْحِلْمِ قَبْلَ الْيَوْمِ مَا تُفَرِّغُ الْعَصَا وَمَا عَلَّمَ الْإِنْسَانَ إِلَّا لِيَعْلَمَا ^(١)

وأمر إسحاق بالخروج ودعا بأبي مسلم ، فلما نظر إليه داخلا قال :

قَدْ اكْتَسَفَتْكَ خَلَّاتٌ ثَلَاثٌ جَلَبْنَ عَلَيْكَ مَحْذُورَ الْحِمَامِ
خِلَافُكَ ، وَامْتِنَانُكَ تَرْتِمِينِي ، وَقَوْدُكَ لِلْجَمَاهِيرِ الْعِظَامِ

ثم وثب إليه ووثب معه بعضُ حَشَمِهِ بِالسُّيُوفِ عَلَى أَبِي مُسْلِمٍ ، فَلَمَّا رَأَوْهُمْ

وثب ، فبدره المنصور فضربه ضربةً طَوَّحَهُ مِنْهَا ^(٢) ، ثم قال :

اشْرَبْتُ بِكَأْسٍ كُنْتُ تَسْقِي بِهَا أَمْرٌ فِي الْحَلْقِ مِنَ الْعَلَقِمِ ^(٣)
زَعَمْتُ أَنَّ الدِّينَ لَا يُقْتَضَى كَذَبْتُ فَاسْتَوَفَ أَبَا مُجْرِمٍ

ثم أمر فحزَّ رأسه وبعث به إلى أهل خراسان وهم ببابه ، فجالوا حوله
ساعةً ثم رَدَّ مِنْ شَغْبِهِمْ انْقِطَاعُهُمْ عَنْ بِلَادِهِمْ ، وَإِحَاطَةُ الْأَعْدَاءِ بِهِمْ ، فَذَلُّوا
وَسَلَّمُوا لَهُ .

١٥

(١) البيت للمتلمس في ديوانه ص ١ نسخة الشنقيطي . وذو الحلم ، هو عمرو بن حمزة
الدُّوسِّي ، قضى في العرب ثلاثمائة سنة - كما زعموا - فكبر فألزمه السابع من ولده فكان معه ، فكان
الشيخ إذا غفل كانت آية ما بينه وبينه أن يقرع له العصا حتى يعاوده عقله . وقيل ذو الحلم : عامر بن
الظرب العدواني ، أو عبد الله بن عمرو بن الحارث بن همام ، أو ربيعة بن مخاشن الملقب أيضاً بذي
الأعواد ، أو سعد بن مالك . المعمرين للسجستانى ٤٥ والأغاني (٣ : ٤ / ٢١ / ١٢٨ : ١٣٤) .
وانظر ما سبق في ص ٣٨ .

٢٠

(٢) طوحه : أهلكه ، أو ألقاه . ل : طرده منها .

(٣) العلقم : شجر الحنظل ، أو ثمرته ، أو شجيرة ثمرته . والبيتان في الطبرى (٩ : ١٦٧) عند
ذكر مقتل أبي مسلم ، وكذا في مروج الذهب (٣ : ٣٠٤) . الطبرى : « سقيت كأساً » . وهذا البيت
مؤخر فيهما عن تاليه .

٢٥

فكان إسحاق إذا رأى المنصور قال :

وما أخذو لك الأمثال إلا لَتَحْذُوْا إِنْ حَدَوْتَ عَلَى مِثَالٍ (١)

وكان المنصور إذا رآه قال :

وَحَلَفَهَا سَابُورُ لِلنَّاسِ يُقْتَدَى بِأَمْثَالِهَا فِي الْمُعْضِلَاتِ الْعِظَائِمِ ٢٩٤

وكان المهدي يحب القيان وسماع الغناء ، وكان معجباً بجارية يقال لها « جواهر » ، وكان اشتراها من مروان الشامى ، فدخل عليه ذات يوم مروان الشامى وجوهر تغنيه ، فقال مروان :

أَنْتِ يَا جَوْهَرُ عِنْدِي جَوْهَرَةٌ فِي بِيَاضِي الدَّرَّةِ الْمُشْتَهَرَةِ (٢)
فَإِذَا غَنَّتْ فَنَارٌ ضُرْمَتْ قَدَحَتْ فِي كُلِّ قَلْبٍ شَرَّةَ (٣)

فأنهيه المهدي ، وأمر به فدُعِ في عنقه إلى أن أخرج (٤) . ثم قال لجوهر : أطربيني . فأنشأت تقول (٥) :

وَأَنْتِ الَّذِي أَخْلَفْتَنِي مَا وَعَدْتَنِي وَأُشْمِتُ بِي مَنْ كَانَ فَيْكَ يُلُومُ
وَأَبْرَزْتَنِي لِلنَّاسِ ثُمَّ تَرَكْتَنِي لَهُمْ غَرَضاً أُرْمَى وَأَنْتِ سَلِيمٌ
فَلَوْ أَنَّ قَوْلَا يَكْلِمُ الْجِسْمَ قَدْ بَدَا بِجِسْمِي مِنْ قَوْلِ الْوُشَاةِ كُلُّهُمْ (٦)

(١) هذا الشيء بالشيء : قدره وقطعه على مثاله . ما عدل ، هـ : « وما ضربوا » .

(٢) يقال شهره فاشتهر ، واشتهره فاشتهر ، فهو مشتهر ومشتهر . وبهما روى قوله :

أحب هبوط الوادين وإننى لَمُشْتَهَرٌ بِالْوَادِينَ غَرِيبٌ

(٣) ما عدل : « قدحت في كل قلب » .

(٤) ما عدل : « إلى أن أخرج » . دعه دعا : دفعه دفعا عنيقا في جفوة .

(٥) الأبيات التالية رواها في الحيوان (٣ : ٥٥) منسوبة لإحدى المجهولات تحبب بها عاشقها عن شعر قاله فيها . والمعروف أنها لامرأة من قوم ابن الدمينية ، يقال لها أميمة ، كان هويها وهاج بها مدة ، فلما وصلته تجنى عليها وجعل يقطع عنها ، ثم زارها ذات يوم فتعاتبها طويلا ، وكان بينهما مجاورة شعرية . انظر ديوان ابن الدمينية ٣٦ - ٣٧ والأغاني (١٥ : ١٤٨) والحماسة (٢ : ١٤٦) ومعهده التنصيص

(١٠ : ٥٨) .

(٦) الكلوم : جمع كلم ، بالفتح ، وهو الجرح .

فقال المهدي :

أَلَا يَا جَوْهَرَ الْقَلْبِ لَقَدْ زِدْتُ عَلَى الْجَوْهَرِ
وَقَدْ أَكْمَلَكِ اللَّهُ بِحُسْنِ الدَّلِّ وَالْمَنْظَرِ (١)
إِذَا مَا صَلَّيْتُ ، يَا أَحْسَدَ مَنْ خَلَقَ اللَّهُ ، بِالْمِزْهَرِ (٢)
وَعَنَيْتُ فَفَاحَ الْبَيْتِ شَيْءٌ مِنْ رِيحِكَ بِالْعَنْبَرِ (٣)
فَلَا وَاللَّهِ مَا الْمَهْدِيُّ أَوْلَسِي مِنْكَ بِالْمَنْبَرِ
فَإِنْ شِئْتَ فَقِي كَفِّ لِكَ خَلْعُ ابْنِ أَبِي جَعْفَرٍ (٤)

* * *

قال الهيثم : أنشدت هارون وهو وليُّ عهد أيام موسى ، بيتين لحمزة بن
بيض (٥) في سليمان بن عبد الملك (٦) :

جَارَ الْخِلَافَةِ وَالِدَاكَ كِلَاهُمَا مِنْ بَيْنِ سَخْطَةٍ سَاخِطٍ أَوْ طَائِعٍ
أَبْوَاكَ ثُمَّ أَخَوَكَ أَصْبَحَ ثَالِثًا وَعَلَى جَبِينِكَ نُورٌ مُلْكٍ سَاطِعٍ (٧)

٢٩٥

قال : يا يحيى ، اكتب لى هذين البيتين .

* * *

(١) الدل ، بالفتح : حسن الحديث والهيئة .

(٢) المزهر ، بالكسر : العود الذى يضرب به .

(٣) ما عدل : « من ريقك » .

(٤) ابن أبى جعفر ، هو المهدي محمد بن أبى جعفر المنصور .

(٥) سبقت ترجمته وضبط اسمه فى (١ : ٢٦٩) .

(٦) فى الأغاني (١٥ : ١٨) عن الهيثم بن عدى قال : « أخيرنى مخلد بن حمزة بن بيض قال :

قدم أبى على يزيد بن المهلب وهو عند سليمان بن عبد الملك ، فأدخله عليه فأنشده قوله ... » وأنشد
البيتين التالين ، وبعدهما :

سَرَّيْتُ خَوْفَ بَنَى الْمَهْلَبِ بَعْدَ مَا نَظَرُوا إِلَيْكَ بِسْمِ مَوْتِ نَاقِعٍ
لَيْسَ الَّذِى وَلَاكَ رَبُّكَ مِنْهُمْ عِنْدَ الْإِلَهِ وَعِنْدَهُمُ الْبَاضَاعُ

فأمر له بخمسين ألفاً . ولم يرد فى روايته إنشاده هارون هذا الشعر .

(٧) كذا بالإقواء . ورواية الأغاني : « نور ملك الرابع » .

ولما مدح ابن هرمة ^(١) أبا جعفر المنصور ، أمر له بألفى درهم ، فاستقلها ، وبلغ ذلك أبا جعفر فقال : أما يَرْضَى أَتَى حَقَّتْ دَمَةٌ وَقَدْ اسْتَوْجِبَ إِرَاقَتَهُ ، وَوَفَّرَتْ مَالَهُ وَقَدْ اسْتَحَقَّ تَلْفَهُ ، وَأَقْرَرْتَهُ وَقَدْ اسْتَأْهَلَ الطَّرْدَ ، وَفَرَّبْتَهُ وَقَدْ اسْتَجَزَى الْبَعْدَ ^(٢) ؟ أليس هو القائل في بنى أمية :

إِذَا قِيلَ مَنْ عِنْدَ رَبِّ الزَّمَانِ لِمُعْتَرِّ فَهَرٍ وَمُحْتَاجِهَا ^(٣)
وَمَنْ يُعْجِلُ الْخَيْلَ يَوْمَ الْوَغَى بِالْجَامِهَا قَبْلَ إِسْرَاجِهَا
أَشَارَتْ نِسَاءُ بَنِي مَالِكٍ إِلَيْكَ بِهِ قَبْلَ أَزْوَاجِهَا

قال ابن هرمة : فإنني قد قلت فيك أحسن من هذا ! قال : هاته ! قال : قلت :
إِذَا قُلْتُ أَيْ قَتْنِي تَعْلَمُونَ أَهْشَ إِلَى الطَّعْنِ بِالذَّابِلِ ^(٤)
وَأَضْرَبَ لِلْقَرْنِ يَوْمَ الْوَغَى وَأَطْعَمَ فِي الزَّمَنِ الْمَاجِلِ
أَشَارَتْ إِلَيْكَ أَكُفَّ الْوَرَى إِشَارَةً غَرَقَى إِلَى سَاجِلِ
قال المنصور : أما هذا الشعر فمسترق ، وأما نحن فلا نكافئ إلا بالتي هي أحسن .

* * *

ولما احتال أبو الأزهر المهلب لعبد الحميد بن ربيعة بن خالد بن معدان ، وأسلمه حميد ^(٥) إلى المنصور قال : لا عُذْرَ فَأَعْتَذَرَ ، وَقَدْ أَحَاطَ بَيِّ الدُّبِّ وَأَنْتَ أَوْلَى بِمَا تَرَى ! قال : لست أقتل أحداً من آل قحطبة ، بل أهب مسيئهم لحسينهم ، وغادرهم لوفيئهم ! قال : إن لم يكن فني مصطنع فلا حاجة لي في الحياة ، ولست أرضى أن أكون طليق شفيح ، وعتيق ابن عم ! قال : اسكت مقبوحاً

(١) إبراهيم بن هرمة ، ترجم في (١ : ١١١) .

(٢) كذا في ل . وفيما عدا ل : « استحرى » بإهمال الحاء والراء ، وكلاهما لم ينص عليه في

المعاجم ، وهما بمعنى « استحق » .

(٣) المعتر : المتعرض للمعروف من غير أن يسأل .

(٤) أي القنا الذابل ، وهي الرماح الدقيقة اللاصقة الليط ، أي القشر .

(٥) حميد بن قحطبة ، المترجم في (٢ : ٢٥٧) .

٢٩٦ مشقوقاً^(١) ، واخرج فإِنَّكَ أَتَوَكُّ جَاهِل ، أَنْتَ عَتِيقُهُمْ وَطَلِيقُهُمْ مَا حَيِّت .

* * *

- ولما داهن سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب في شأن إبراهيم بن عبد الله^(٢) ، وصار إلى المنصور ، أمر الربيع بخلع سواده^(٣) والوقوف به على رأس اليمانية^(٤) في المقصورة يوم الجمعة ثم قال : قُلْ لَهُمْ : يقول لكم أمير المؤمنين : قد عرفت ما كان من إحساني إليه ، وحسن بلائي عنده ، وقديم نعمتي عليه ، والذي حاول من الفتنة ، ورام من البغي ، وأراد من شق العصا ومعاونة الأعداء ، وإراقة الدماء ، وإنه قد استحق بهذا من فعله أليم العقاب ، وعظيم العذاب . وقد رأى أمير المؤمنين إتمام بلائه الجميل لديه ، وربَّ نعمائه السابقة^(٥) عنده ، لما يتعرفه أمير المؤمنين من حسن عائدة الله عليه ، وما يؤمله من الخير العاجل والآجل ، عند العفو عمن ظلم ، والصفح عمن أساء . وقد وهب أمير المؤمنين مسيئكم لمُحْسِنِيكُمْ ، وغادركم لَوْفِيكُمْ^(٦) .

* * *

- وقال سهل بن هارون يوماً ، وهو عند المأمون : من أصناف العلم ما لا ينبغي للمسلمين أن يرغبوا فيه ، وقد يُرَغَّبُ عن بعض العلم كما يُرَغَّبُ عن بعض

(١) المشقوق : المبعد المطرود ، وكذلك المشقوق .

(٢) هو إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، خرج على المنصور وظهر بالبصرة مستهل رمضان سنة ١٤٥ فغلب عليها وعلى الأهواز وواسط وكسكر ، وعظمت جموعه ، وسار يريد الكوفة ، فوجه إليه المنصور عيسى بن موسى في العساكر فالتقوا بياخري على ستة عشر فرسخاً من الكوفة في ذى القعدة ، فقتل إبراهيم في جمع كثيف ممن كان معه ، وهزم الباقر ، وبعقب قتله هو وقتل أخيه محمد بن عبد الله من قبل ، لقب أبو جعفر بالمنصور . انظر كتب التواريخ في خلافة المنصور ، وفي حوادث سنة ١٤٥ .

(٣) كان السواد شعار العباسيين ، وقد بدأ التسيويد في سنة ١٢٩ أى قبل قيام الدولة العباسية بثلاث سنوات . انظر الطبرى (٩ : ٨٢) .

(٤) ما عدل : « رؤوس اليمانية » . (٥) هـ : « السابعة » .

(٦) ما عدل : « مسيئهم لمحسنهم وغادرهم لوفيقهم » .

الخلال ! قال المأمون : قد يسمّى بعض الشيء علماً وليس بعلم ، فإن كنت هذا أردت فوجهه الذى ذكرناه . ولو قلت : العلم لا يُدرك غوره ، ولا يُسبر قعره ، ولا تُبلغ غايته ، ولا يستقصى أصنافه ، ولا يضبط آخره ، فالأمر على ما قلت . فإذا كان الأمر كذلك فابدءوا بالأهمّ فالأهمّ ، وابدءوا بالفرض قبل الفضل ، فإذا فعلتم ذلك كان عدلاً ، وقولاً صديقاً . وقد قال بعض العلماء : اقصد من أصناف العلم إلى ما هو أشهى إلى نفسك وأخف على قلبك ، فإن نفاذك فيه على حسب شهوتك له ، وسهولته عليك . وقال أيضاً بعض الحكماء ^(١) : لست أطلب العلم طمعاً فى بلوغ غايته ، والوقوف على نهايته . ولكن التماس ما لا يسع جهله ، ولا يحسن بالعاقل إغفاله . وقال آخرون : عِلْمُ الملوك : النسبُ والخبر وجمل الفقه . وعِلْمُ الثُجَّار : ٢٩٧ الحساب والكتاب . وعلم أصحاب الحرب : درس كُتُبِ المغازى وكتب السير . ١٠

فأما أن تسمّى الشيء علماً وتنبى عنه من غير أن يكون يشغل عما هو أنفع منه ، بل تنهى نهياً جزمياً ، وتأمّر أمراً حتماً ! والعلم بصر ، وخلافه عمى ، والاستبانة للشرّ ناهية عنه ، والاستبانة للخير آمرة به .

ولما قرأ المأمون كتبى فى الإمامة فوجدها على ما أمر به ، وصرتُ إليه وقد كان أمر اليزيدى ^(٢) بالنظر فيها ليخبره عنها ، قال لى : قد كان بعض من يُرتضى عقله ويصدق خبره ^(٣) خبرنا عن هذه الكتب بإحكام الصنعة وكثرة الفائدة ، ١٥

(١) ما عدل : هـ : « العلماء » .

(٢) هو أبو محمد يحيى بن المبارك بن المغيرة اليزيدى ، وذلك أنه صاحب يزيد بن منصور الحميرى خال المهدي ، مؤدياً لولده فنسب إليه ، ثم اتصل بالرشيد فجعله مؤدياً للمأمون ، كما جعل الكسافى مؤدياً للأمين ، أخذ عن أبى عمرو بن العلاء والخليل بن أحمد ، وعنه : أبو عبيد القاسم بن سلام ، وإسحاق الموصلى . وكان أحد أكابر القراء ، يقرئ هو والكسافى الناس فى بغداد فى مسجد واحد . توفى بخراسان سنة ٢٠٢ . إرشاد الأريب (٢٠ : ٣٠) وبغية الوعاة ٤١٤ وتاريخ بغداد ٧٤٦٥ . ٢٠

(٣) ما عدل ، هـ : « من نرتضى عقله ونصدق خبره » .

فقلنا له : قد ترى الصِّفَّةَ على العِيَانِ ، فلما رَأَيْتُهَا رَأَيْتُ العِيَانَ قد أُرِي على الصِّفَّةِ ، فلما فَلَيْتَهَا أَرَيْتُ الفُلْئِي على العِيَانِ كما أُرِي العِيَانَ على الصِّفَّةِ .

وهذا كتابٌ لا يحتاج إلى حضور صاحبه ، ولا يفتقر إلى المحتجِّين عنه ، قد جَمَعَ استقصاءَ المعاني ، واستيفاءَ جميع الحقوق ، مع اللفظ الجزل ، والمخرج السهل ، فهو سوقى ملوكى ، وعامى خاصى .

ولما دخل عليه المرتدُّ الحُرَّاساني وقد كان حمله معه من حُرَّاسان حتَّى وافى به العراق ، قال له المأمون :

- لأنَّ أَسْتَحْيَيْكَ بِحَقِّ أَحَبِّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَكَ بِحَقِّ ، ولأنَّ أَقْبَلَكَ بِالْبِرَاءَةِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَدْفَعَكَ بِالْتَّهْمَةِ ، قد كنتَ مسلماً بعد أن كنتَ نصرانياً ، ١٠ وكنتَ فيها أُنْتَخَ (١) وأيامك أطول ، فاستوحشتَ ممَّا كنتَ به آنساً ثم لم تلبث أن رجعتَ عَنَّا نافرأً ، فخبَّرتنا عن الشَّيء الذي أَوْحَشَكَ مِنَ الشَّيء الذي صار آتَسَ لَكَ مِنَ الْفَلَكِ الْقَدِيمِ ، وَأُنْسَكَ الْأَوَّلِ . فإن وجدتَ عندنا دواءً دائك تعالجتَ به ، والمريضُ مِنَ الْأَطْبَاءِ يَحْتَاجُ إِلَى الْمَشَاوِرَةِ . وإن أخطأك الشُّفَاءُ وَبْنَا عَنْ دَائِكَ الدَّوَاءَ ، كنتَ قد أعذرتَ ولم ترجعْ على نفسك بلائمةً ، فإن قَتَلْنَاكَ ١٥ قَتَلْنَاكَ بِحُكْمِ الشَّرِيعَةِ . أو ترجع أنتَ في نفسك إلى الاستبصار والثِّقَةِ ، وتعلم أنَّكَ لَمْ تَقْصُرْ فِي اجْتِهَادٍ ، وَلَمْ تَقْطُرْ فِي الدَّخُولِ فِي بَابِ الْحَزَمِ .

قال المرتدُّ : أَوْحَشَيْ كَثْرَةُ مَا رَأَيْتُ مِنَ الْاِخْتِلَافِ فِيكُمْ !

قال المأمون : لنا اختلافان : أحدهما كالاختلاف في الأذان وتكبير الجناز ،

(١) في الأصول : « أتيج » ، ولا وجه له . ويقال تنخ بالمكان تنوخا ، أى أقام وثبت . وفي حديث عبد الله بن سلام « أنه آمن ومن معه من يهود فتنخوا على الإسلام » أى ثبتوا وأقاموا ورسخوا . وانظر الخبر في المقصد (٢ : ٣٨٤) .

والاختلاف في التشهد وصلاة الأعياد وتكبير الشريق ، ووجوه القراءات واختلاف وجوه الفتيا وما أشبه ذلك . وليس هذا باختلاف ، إنما هو تخيير وتوسعة ، وتخفيف من المحنة . فمن أذن مثنى وأقام مثنى لم يؤثم ، ومن أذن مثنى وأقام فرادى لم يحوب^(١) ، لا يتعايرون ولا يتعايون ، أنت ترى ذلك عيانا وتشهد عليه بتاتا^(٢) .

والاختلاف الآخر كنحو اختلافنا في تأويل الآية من كتابنا ، وتأويل الحديث عن نبينا ، مع إجماعنا على أصل التنزيل ، واتفاقنا على عين الخبر . فإن كان الذي أوحشك هذا حتى أنكرت من أجله هذا الكتاب ، فقد ينبغي أن يكون اللفظ بجميع التوراة والإنجيل متفقا على تأويله ، كما يكون متفقا على تنزيله ، ولا يكون بين جميع النصارى واليهود اختلاف في شيء من التأويلات . وينبغي لك أن لا ترجع إلا إلى لغة لا اختلاف في تأويل ألفاظها .

ولو شاء الله أن ينزل كتبه ويجعل كلام أنبيائه وورثته رسلا لا يحتاج إلى تفسير لفعل ، ولكنا لم نر شيئا من الدين والدنيا دفع إلينا على الكفاية ، ولو كان الأمر كذلك لسقطت البلوى والمحنة . وذهبت المسابقة والمنافسة^(٣) ، ولم يكن تفاضل ، وليس على هذا بنى الله الدنيا .

قال المرتد : أشهد أن الله واحد لا ند له ولا ولد ، وأن المسيح عبده ، وأن محمداً صادقاً ، وأنت أمير المؤمنين حقاً !

فأقبل المأمون على أصحابه فقال : فروا عليه عرضه^(٤) ، ولا تبرؤوا في يومه

(١) لم يحوب ، من الحوب ، بالضم ، وهو الإثم . وهذا الفعل مما لم يذكر في المعاجم .

(٢) بتاتا ، أى قطعاً . ما عدا ل ، هـ : « تبياناً » .

(٣) ل : « السابقة والمنافسة » .

(٤) فروا ، من الوفر . يقال : وفره عرضه ووفره له : لم يشتبه .

رثما يَعتقُ إسلامه ؛ كى لا يقولُ عدوّه إنه أسلمَ رغبة . ولا تُنسَوْا بعدُ نصيحتكم من برّه وتأنيسه ونُصرتِه ، والعائدة عليه .

* * *

حدثنا أحمد بن أبى دواد قال : قال لى المأمون :

- ٥ لا يستطيع الناس أن يُنصِفوا الملوك من وزرائهم ، ولا يستطيعون أن ينظروا بالعدل بين الملوك وحُمائهم وكُفّاتهم ، وبين صنائعهم وِبطانتهم . وذلك أنهم يرون ظاهرَ حرمةٍ وخدمةٍ ، واجتهادٍ ونصيحةٍ ، ويرون إيقاعَ الملوك بهم ظاهراً ، حتى لا يزالُ الرَّجل يقول : ما أوقعَ به إلا رغبةً فى ماله ، أو رغبةً فى بعض ما لا تجود النفس به ^(١) ، ولعل الحسدَ والملافة ^(٢) وشهوةَ الاستبدال ، اشتَرَكَتْ فى ذلك .
- ١٠ وهناك خياناتٌ فى صُلبِ المُلكِ ، أو فى بعضِ الحُرَمِ ، فلا يستطيع الملكُ أن يكشفَ للعامةَ موضعَ العورةِ فى المُلكِ ، ولا أن يحتجَّ لتلك العقوبة بما يستحقُّ ذلك الذنبَ ، ولا يستطيع الملكُ تركَ عقابه ، لما فى ذلك من الفساد ، على علمه بأنَّ عُذْرَه غيرَ مبسوطٍ للعامةِ ، ولا معروفٍ عند أكثرِ الخاصةِ .

* * *

- ١٥ ونزل رجلٌ من أهل العسكر ^(٣) ، فعَدَا ^(٤) بين يدي المأمون ، وشكا إليه مَظْلَمَتَه ^(٥) ، فأشار بيده : أنْ حَسْبُكَ ! فقال له بعضُ مَنْ كان يقربُ من المأمون :

(١) ما عدل : « النفوس به » .

(٢) ما عدل : « والملافة » .

(٣) هى عسكر المهدي ، وهى الرصافة ، كما فى معجم البلدان ، لأنه عسكر بها حين شخص إلى

(٤) هـ : « فعدا » .

(٥) المظلمة ، يفتح الميم وكسر اللام : ما يظلمه الإنسان من حق .

يقول لك أمير المؤمنين : اركب . قال المأمون : لا يقال لمثل هذا : اركب ، إنما يقال له : انصرف !

وحدثني إبراهيم بن السندي^(١) قال : بينا الحسن اللؤلؤي^(٢) يحدث المأمون ليلاً وهو بالرقّة ، وهو يومئذ ولي عهد ، وأطال الحسن الحديث حتى نَعَسَ المأمون ، فقال الحسن : نَعَسَتْ أَيُّهَا الأمير ! ففتح عينيه وقال : سوفتي ورب الكعبة ! يا غلام تُخذ بيده .

[آخر الجزء الثالث من تجزئة محققه ، وبقيت من تجزئة المصنف بقية جعلت في الجزء الرابع مع الفهارس العامة للكتاب]

(١) سبقت ترجمته في (١ : ١٤١) .

(٢) هو الحسن بن زياد اللؤلؤي ، ترجم في (٢ : ٣٣٠) .

فهرس الأبواب

كتاب العصا	٥
ومن جمل القول فى العصا وما يجوز فيها من المنافع والمرافق	٤٩
رجع الكلام إلى القول فى العصا	١١٣
كتاب الزهد	١٢٥
ومن نساك البصرة وزهادهم	١٩٣
زُهاد الكوفة	١٩٣
أخلاط من شعر ونوادر وأحاديث	٢٠٣
رسالة إبراهيم بن سَيّابة إلى يحيى بن خالد بن برمك	٢١٥
ذكر ما قالوا فى المهالبة	٢٣٢
ذكر حروف من الأدب من حديث بنى مروان وغيرهم	٢٤٠
ومما يكتب فى باب العصا	٢٤٢
ومما يضم إلى العصا	٢٤٣
ومن خطباء الخوارج	٢٦٤
كلام فى الأدب	٢٦٧
صدر من دعاء الصالحين والسلف المتقدمين ومن دعاء الأعراب	٢٦٨
دعاء الغنوى فى حبسه	٢٨٧
ومن دعائه فى الحبس	٢٨٧
القول فى إنطاق الله عز وجل إسماعيل بن إبراهيم بالعربية المبينة	٢٩٠
كانت العادة فى كتب الحيوان ..	٣٠٢
وجه التدبير فى الكتاب إذا طال	٣٦٦